

ثم أبصرت الحقيقة

تأليف:

محمد سالم الخضر

الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

هذا الكتاب تم تنزيله من موقع العقيدة

www.aqeedeh.com

book@aqeedeh.com

العنوان البريدي:

المواقع الإسلامية النافعة باللغة الفارسية

www.aqeedeh.com

www.nourtv.net

www.islamtxt.com

www.sadaislam.com

www.ahlesonnat.com

www.islamhouse.com

www.isl.org.uk

www.bidary.net

www.islamtape.com

www.tabesh.net

www.blestfamily.com

www.farsi.sunnionline.us

www.islamworldnews.com

www.sunni-news.net

www.islamage.com

www.mohtadeen.com

www.islamwebpedia.com

www.ijtehadat.com

www.islampp.com

www.islam411.com

www.videofarda.com

www.videofarsi.com

إهداء

إلى رسول الله الذي أنار الله به حياتي...

إلى أهل بيته الأطهار وصحابته الكرام الذين ظلمهم المؤرخون وقصّر في حقهم أهل

الأهواء...

إلى أبي الذي لم تمتلئ عيناى بالنظر إليه قبل رحيله...

إلى أمي جبل العطاء وعنوان التضحية وبرج الشموخ...

إلى كل مسلم يحب الحقيقة ولا يرضى باستغلال الدين ولا بالطائفية المقيتة...

إلى هؤلاء جميعاً أهدي كتابي هذا... راجياً من الله أن يلهمني الإخلاص ويجزيني عليه حسن

الثواب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهرس الموضوعات

١.....	إهداء
١٠.....	مقدمة
١٢.....	الوحدة التي نريد
١٥.....	دين موروث
١٨.....	حبك للشيء يعمي ويصم
٢٠.....	هذا ديني وذاك مذهبي ^٥
٢١.....	سهام رمتني وأخرى سترميني
٢٤.....	نحن مع الحق وإن قاله خصومنا
٢٧.....	لماذا لا نتحاور؟
٣٠.....	نريده حواراً من أجل الحقيقة
٣٣.....	من هنا كانت البداية
٤٠.....	في السيدة زينب
٤٦.....	حب أهل البيت
٥٠.....	حبهم إيمان وتقى وبغضهم نفاق وضلال

- ٥٤ من هم آل البيت؟
- ٥٥ تحرير المصطلح
- ٥٦ أولاً: مقام (الاتباع والنصرة).
- ٥٧ ثانياً: مقام (من تحرم عليهم الصدقة).
- ٥٩ أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من آل بيته.
- ٦٤ روايات الشيعة تؤكد ما ذكرناه
- ٧٠ أهل البيت بين الشرف والخصوصية
- ٧٢ خصوصية أصحاب الكساء والأزواج
- ٧٥ حين ينقلب الحب بغضاً وعداوة.
- ٨٢ تحت أي بند يُصنّف هذا الحب؟!
- ٩١ الغلو في أمهات كتب الشيعة.
- ٩٥ كيف ينظر كبار علماء الشيعة إلى الأئمة الاثني عشر؟
- ٩٥ ١- آية الله العظمى الخميني
- ١٠١ ٢- آية الله العظمى الخوئي
- ١٠٢ ٣- آية الله العظمى جواد التبريزي
- ١٠٣ ٤- آية الله العظمى محمد بن مهدي الحسيني الشيرازي
- ١٠٤ ٥- آية الله العظمى محمد صادق الصدر
- ١٠٧ ٦- آية الله العظمى وحيد خراساني
- ١١٠ ٧- آية الله الحائري الإحقاقي
- ١١١ ٨- آية الله العظمى المولى ميرزا عبد الرسول الإحقاقي

- ١١٢ ٩- آية الله العظمى محمد الحسيني الشاهرودي
- ١١٢ ١٠- الإمام الأكبر محمد الحسين آل كاشف الغطاء
- ١١٣ ١١- العلامة جعفر التستري
- ١٢٠ الخلافة والإمامة
- ١٢٤ المرجعيات ولغة التكفير
- ١٢٨ خطوات نحو إصلاح ما أفسدته الطائفية
- ١٣١ لماذا لم يُذكر الأئمة في القرآن؟
- ١٣٣ الإمام والإمامة في القرآن الكريم
- ١٣٨ القرآن وعقيدة الإمامة الشيعية
- ١٤٠ القول بالإمامة الإلهية بعد النبي طعن في ختم نبوته
- ١٤٨ نصوص شيعية اشترطت العدل في الحاكم لا العصمة
- ١٥٢ الأحلام لا تصلح لأن تكون دستوراً
- ١٥٩ نهج البلاغة ينقض عقيدة الإمامة التي يعتقدونها الشيعة الاثنا عشرية
- ١٦٣ عندما يمتزج وهم الإمامة النصية بالخرافة الحسية!
- ١٦٧ مناقشة أدلة الإمامة عند الشيعة الإثني عشرية
- ١٧٠ من الأفضل أبو بكر أم علي؟
- ١٨٥ الإمامية أضعف حجة قرآنية من أهل الكتاب^٥
- ١٩٢ آية ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾

- ٢١٨ آية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾
- ٢٣٠ آية التطهير وحديث الكساء
- ٢٥٩ آية المباهلة^٥
- ٢٦٧ آية ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾
- ٢٧٢ مناقشة ما يُستدل به على الإمامة من السنة النبوية
- ٢٧٢ الف: حديث غدير خم
- ٢٨٨ ب- حديث الاستخلاف على المدينة
- ٢٨٩ لكن من هو يوشع عليه السلام؟
- ٢٨٩ وكذلك الحال في أبي بكر وعلي
- ٢٩٥ ج- حديث الطائر
- ٣٠٠ د- حديث الدار
- ٣١٠ هـ- حديث (علي مني وأنا من علي)
- ٣١٢ و- أحاديث الإثني عشر إماماً
- ٣٢١ لا أحاديث صحيحة في النص على الأئمة الاثني عشر بأسمائهم
- ٣٢٧ روايات شيعية دامغة!
- ٣٣١ المرتضى لا يستبعد كون الأئمة أكثر من إثني عشر!
- ٣٣٢ اعتراف خطير للشيخ حسين المدرسي الطباطبائي
- ٣٣٤ واعتراف أخطر من الشيخ محمد الباقر البهودي
- ٣٣٥ من هم الخلفاء الإثني عشر؟

- ٣٣٧ تساؤلات أنتجت تنوعاً في الآراء
- ٣٣٩ تحرير المسألة
- ٣٤٣ مع صحابة رسول الله...
- ٣٤٤ حوار مع زميل
- ٣٤٨ المرء على دين خليله
- ٣٥١ ماذا عن امرأتَي نوح ولوط عليهما السلام؟
- ٣٥٤ حديث (قرن الشيطان) هل أريد به عائشة رضي الله عنها؟
- ٣٥٦ أم المؤمنين عائشة وموقعة الجمل
- ٣٦١ مع مبغض لعمر بن الخطاب رضي الله عنه
- ٣٦٥ شرعة الكذب وعقلنة اللامعقول!
- ٣٦٧ المحقق الثاني وعادة لعن الشيخين (أبي بكر وعمر)!!
- ٣٦٨ أحسن طريقة لسب صحابة نبيك!!
- ٣٧٠ ﴿قُلْ بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين﴾
- ٣٧٣ تشبيه الاسترأبادي أم المؤمنين عائشة بحيوان!
- ٣٧٦ سب صحابة رسول الله كفر عند أئمة أهل البيت
- ٣٧٨ الإمام علي بن الحسين (زين العابدين) يتبرأ من مبغضي الصحابة
- ٣٧٩ من هو جد الإمام جعفر الصادق؟

- ٣٨١ حب الإمام علي للصحابة
- ٣٨٣ نهج البلاغة والثناء العطر على عمر بن الخطاب!
- ٣٨٧ هل يُسمي الرجل أبناءه بأسماء أعداءه؟!
- ٣٨٩ مالك الأشتر والشيخان أبو بكر وعمر
- ٣٩٠ بيعة الرضوان تشهد لعثمان بن عفان بالرضوان
- ٣٩٢ شرف صحبة رسول الله
- ٣٩٥ المقدس الأردبيلي - من الذي قدسه؟
- ٣٩٧ صحابة رسول الله كما تصورهم كتب الشيعة الاثني عشرية وعلمائها
- ٤٠٠ صورتان متضادتان
- ٤٠٠ ١ - القرآن يترضى عن الصحابة والشيعة الاثنا عشرية تلعنهم!!!
- ٤٠١ ٢ - القرآن يعدهم بالحسنى والشيعة الاثنا عشرية تنزلهم منزلة أهل النفاق!!!
- ٤٠٢ ٣ - القرآن يفتخر بهم والشيعة الاثنا عشرية تتبرأ منهم!!!
- ٤ - الله يتوب عليهم ويغفر لهم زلاتهم والشيعة الاثنا عشرية لا تذكرهم إلا بتلك الزلات!!!
- ٤٠٣
- ٤٠٥ الطعن في الصحابة يستلزم الطعن في الدين الذي نقلوه لهذه الأمة
- ٤١٤ لا بد من التمييز بين الصحبة اللغوية والصحبة الشرعية
- ٤١٨ هل في الصحابة منافقون؟
- ٤٣٢ عدالة الصحابة

- ٤٤٤ محمد حسين فضل الله ومفهوم العدالة
- ٤٤٦ بعض متعصبة أهل السنة أساءوا لمفهوم (العدالة)
- ٤٤٨ - كِرْكِرَة:
- ٤٥٠ - الرجل الذي قتل نفسه:
- ٤٥٣ ماذا وراء طرح موضوع العدالة؟
- ٤٥٥ عدالة الصحابة مستحيلة وعدالة (مراجع التقليد) لا غبار عليها!
- ٤٦٠ الخلل قديم!
- ٤٦٢ منقلبون على أعقابهم ومرتدون من أجل ماذا؟! ..
- ٤٦٥ من المرتد - صحابة رسول الله أم هؤلاء؟ ..
- ٤٦٥ أمامنا فريقان: ..
- ٤٦٨ هل بشر القرآن الصحابة بردتهم وكفرهم؟ ..
- ٤٧٠ نموذجين حيين للمزاجية في تفسير النصوص الشرعية ..
- ٤٧٠ أ- آية آل عمران ..
- ٤٨٤ ب- حديث المذادة عن الحوض ..
- ٤٩٣ التعامل مع الصحابة من خلال أخطائهم ..
- ٤٩٥ وبالمكيال الذي تُكَيْلُ تُكَال ..
- ٤٩٧ رؤية ناصبي للإمام علي ..
- ٤٩٧ الإمام علي والدين ..
- ٤٩٨ ٢- إهانة اسم الله! ..

٤٩٩	٣- اتهام الإمام علي بخيانة صحابي استضافه في بيته!
٥٠٠	خلاصة الكلام
٥٠٢	خاتمة
٥٠٤	مراجع البحث

مقدمة

لا أدري أترى وريقاتي هذه فجراً تشرق بعده أم تبقى حبيسة الدفتر فأحرم أجرها وبركتها؟
لقد مرت عليّ السنون وأنا أقلب صفحات الكتب.. أتفكر وأتساءل.. أقرأ وأدوّن.. أضيف
وأححو.. تلتها أخرى عجاف أملت عليّ أن تبقى خواطري وأفكاري بعيدة عن القلم الذي يدوّنها
ويصيغها ويسبك عباراتها.

فكنت أتصفح كل يوم ما دَوّنته في دفترتي لعل الله الفتح العليم يفتح على قلبي فتحاً تجيش به
مشاعري وتتوقد فيه أفكارني فأسل قلمي من غمده وأسطر ما أختزنه حافظتي بالأريحية التي
ينبغي أن أسطرها به.

ثم شاء الله تعالى أن تتجمع لدي الخواطر من جديد ويسيل حبر القلم على الورق ليسطر لك
أيها القارئ هذه الكلمات.

فهذه رسالة نسجتها لك الزهور، عنوانها المحبة وموضوعها طلب الحقيقة.
فالحقيقة اليوم ومنذ زمن بعيد باتت حبيسة التعصب والإدعاء.. وكل يدعي وصلاً بليلى وليلى
لا تُقر لهم بذلك.

وأحسب أنّ كتابي هذا سيرضي أقواماً ويسخط آخرين، شأنه شأن الحقيقة المجردة ترضي
الباحثين المتجردين وتُسخط المتعصبين المنحازين.

لكنني على يقين من أنّ الكلمة الحرة التي لا تعرف الزيف هي شمعة تضيء أبداً.. فإن كُتِب لي
أن أعادي فأني صاحب كلمة حق يسلم في زماننا فضلاً عن من مضى.

محمد الخضر

خطوات إلى الأمام...

(ينبغي من كل مكلف أن يطرح العصبية ويصحح النية ويستعمل النظر بالفطرة التي فطر الله الناس عليها ولا يقدم عليها ما لقنه أهل مذهبه).

الإمام ابن الوزير

الوحدة التي نريد..

ننادي بالوحدة فلا نجني إلا الفرقة، ونشد الاجتماع فلا نجني إلا الشتات.
ها نحن نزرع الشوك فلا نحصد إلا الألم... ونشتكي من عمق جراحات الأمة ونحن السكين
التي تقطع أوصالها.

كأي مسلم.. حُق لي أن أتحسر على تاريخ عظيم وبطولات وتضحيات قادتنا بالأمس إلى
الرفعة فتناسيناها وما عدنا نذكرها إلا في كتبنا المدرسية أو مسابقتنا الرمضانية أو وسائلنا
الإعلامية كمسلسلات وتمثيلات هي إلى تشويه التاريخ والرموز أقرب منها إلى النطق بالحقيقة.
حُق لي أن أتحسر على همم عالية تربت في أحضان الإسلام فأخرجت لنا جهابذة الناس على مر
التاريخ وفي شتى الميادين، لكنها باتت اليوم أمجاداً نتغنى بها ونذرف عليها الدموع في أحسن
أحوالنا.

نعم.. حُق لي ولك أن نحزن، وأن نستحث إيماننا وهمتنا وعاطفتنا للعودة إلى الصدارة من
جديد.

لقد كانت عيناى تتطلعان إلى الوحدة... تترقبان اليوم الذي تنكشف فيه عن الأمة الغمة...
تمنيت لو أن بيدي أن أجمع هذا الشتات.. وأن أحل عقدة لم يجروء مسلمو اليوم على حلها حتى
الآن..

لكن صوتي كان ضعيفاً.. تماماً كإدراكي لأسباب هذه الفرقة... كنت عاطفياً جداً.. أريد
لوضع الأمة أن يتغير بغمضة عين.. كأن الفرقة والاختلاف على قضايا هامشية يُمكن أن تُهمش
وأن تُطرح بعيداً عن الطريق.

كبرت وكبر معي هذا المهم.. وبت أدرك ما لم أدركه من قبل.. وبت أتساءل عن الوحدة التي نتكلم عنها ونتطلع إليها.. أهي الوحدة الصورية التي نعيشها للحظة ونفتقدها طوال العمر أم تلك التي تضمن لبنياننا البقاء متماسكاً وصلباً أمام التحديات؟

أهي الوحدة التي تكون مبنية على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام أم تلك التي تكون على حساب كتاب الله وسنة نبيه؟!!

لقد كنت أستحضر أمامي دائماً علاقتنا مع أهل الكتاب الذين أنزل الله عليهم الكتب وأرسل إليهم الرسل، عندما انحرفوا عن دين أنبيائهم ووصايا ربهم، جاءهم الإسلام مصححاً لما ورثوه من الضلال، داعياً إياهم إلى تصحيح المسار وإلى الاندماج في لواء الحق، فلم يرض ما هم عليه من الضلال بحجة أنهم أتباع أنبياء بل دعاهم إلى المصارحة مع النفس وإلى عرض عقائدهم على وحي السماء.

فللوحدة مقاييس شرعية... وإذا أراد المنتسبون إلى الإسلام من شتى الفرق الاتحاد مع بعضهم البعض فلا بد أن تكون الوحدة على عقيدة الإسلام التي جاء بها محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا على عقائد شتى لا تمت للإسلام بصلة.

وتأمل قول الله عز وجل للمؤمنين عنهم ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَ بِهِءَ فَقَدِ اهْتَدَوْا^ط وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ^ط وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ [البقرة: ١٣٧]

وتأمل سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ففيها العبرة والعظة.

ففي زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت فئة ممن تتلبس بلباس الإسلام وتنطق بالشهادتين نطقاً دون أن تعيش معنى تلك الشهادتين في حياتها... كان لتلك الفئة من يستمع لها من المؤمنين إحساناً للظن بها، فقال الله عز وجل ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً^ط وَلَأَوْضَعُوا خِلَافَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّعُونَ لَهُمْ^ط وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ [التوبة: ٤٧].

لكننا نغفل عن هذه الحقيقة أو نتغافل عنها فنجعل عواطفنا هي الحكم، والإسلام هو التبع
لهذه العواطف...

دين موروث..

لو وُلدت في منطقة (النجف) أو (القطيف) أو (قم) فإنك حتماً ستكون شيعياً اثني عشرياً، لأنّ البيئَة التي نشأت بها هي بيئَة شيعية وأبواك بلا شك كذلك شئت أم أبيت، والحال معك كذلك لو أنك وُلدت في (الرياض) أو (القاهرة) أو (وهران)، فإنك حتماً ستكون سنياً، لأنّ البيئَة والأسرة أملت عليك أن تكون كذلك.

لكن أترى الحق فيما تحدده لنا بيئتنا؟ أم بما يعرفه المرء من دلائل وبراهين؟ حاول أن تتفكر إن كنت سنياً بزميل شيعي اثني عشري يُكثر جدالك ومحاجتك ويتهمك بالنصب وبغض أهل البيت، لو أنّ هذا الشيعي وُلد لأبوين سنين وفي بلد سني، ألا ترى أنه سيكون أول من يساندك ويشد على عضديك وربما يتحمس للرد على الشيعة الاثني عشرية أكثر منك!، في حين أنه اليوم أشد الناس جدالاً لك وعصبية في حوارك؟ ألا ترى أننا نبني قناعاتنا الدينية من منطلق ما وجدنا عليه آباءنا لا من منطلق التجرد للحق واتباعه؟ وأنّ حديث (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه...) ^(١) ينطبق أحياناً على قناعاتنا المذهبية؟

١- رواه البخاري في صحيحه - كتاب الجنائز - باب (ما قيل في أولاد المشركين) - حديث رقم (١٣٨٥)، وذكره ابن بابويه القمي في كتابه (علل الشرائع ٢/٣٧٦ باب (العلة التي من أجلها سقطت الجزية عن النساء والمقعد والأعمى والشيخ الفاني والولدان ورفعت عنهم) - رواية رقم (٢).

الدين والمذهب بالنسبة لكثير من المسلمين اليوم كآثاث المنزل أو كالأموال والأراضي .. ورثوه عن آبائهم وأجدادهم.. وهم على خطاهم سائرون.. هذا إن لم يكن الدين في حياتهم أقل من الدينار والدرهم ومتاع الدنيا الزائل.

بالأمس كانت الأمم السابقة المكذبة للرسول تجابه الحق الذي جاءت به الرسل قائلة ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

فكان جواب الرسول ﴿قُلْ أُولُو جِحْتِكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ فكان رد هؤلاء المتعصبين لباطلهم، الجاهلين لحقيقة أمرهم هو ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾! المشهد يتكرر، لكن ليس بين رسل الله وبين قوم كفار وثنيين، وإنما بين كلمة حق وبين متعصبين ألفوا ما وجدوا عليه آبائهم، فردوا الحق وتشبهوا بالباطل.

وللأمير الصنعاني رحمه الله كلمات جميلة في هذا المعنى يقول فيها: (ولنتقدم قبل المقصود أصلاً مهياً وهو أن الله تبارك وتعالى قد أخبر عن الكفار بأن نظرهم مقصور على اتباع الآباء في كتابه العزيز في غير آية عابياً عليهم ذلك، مثل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولُو كَارٍ أِبَاؤُهُمْ لَآ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]، ﴿قَالَ مُتَرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِّن قَبْلُ﴾ [هود: ١٠٩] أي ليس لهم مستند سوى ذلك ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٧٤]، ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [يونس: ٧٨]، فهم في جميع الآيات قاصرون نظرهم على اتباع الآباء لحسن الظن بهم حتى صار ذلك عادة لهم بل فخراً يعيرون به من خالفهم، ويضربون به المثل حتى سموا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ابن أبي كبشة، لأنه عبد ما لم يعبد

آبؤه كما عبد أبو كبشة الشعري، وحتى ذكروا بذلك أبا طالب وهو في طريق الموت وقالوا له:
أترغب عن ملة عبد المطلب؟!

ولذلك خص الأبوين في الأخبار عن تغيير الفطرة " وإنما يهودانه أو ينصرانه " ولذلك مقت الله الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وفسر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اتخذهم بأنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه، كما أخرجه الترمذي عن عدي بن حاتم رضي الله عنه.

فمن عقل وأنصف فلينظر إلى جميع بني آدم في القديم والحديث في الملل الكفرية ثم المذاهب الإسلامية!، بعد إخراجه للأنبياء صلى الله عليهم ومن سار على سيرتهم من السابقين والتابعين وقليل ما هم بالنظر إلى الخليفة، فإنه يجد الناس تبعاً لما ألفوه من اتباع الآباء بمجرد تقليد وهوى ومحبة للجمود على دين الآباء!!^(١)

حبك للشيء يعمي ويصم..

إنّ ورقة بيضاء تضعها أمام عينيك كقيلة بأنّ تحجب عنك رؤية العالم بأسره... هذا العالم الفسيح المترامي الأطراف الذي عجز الإنس والجان عن اختراقه والوصول إلى أقصاه، يمكن أن تحجبه قصاصة ورق صغيرة بحجم كف اليد إذا ما وُضعت أمام العينين... كذلك هو الوهم يحجب ما وراءه.

وما من وهم أعظم وأشأم على صاحبه من وهم الحب، (فإنه إذا استحكمت الحب وقوي أسكر المحب)^(١).

ولهذا تجد العاشق الوهّان لا يرى في معشوقته إلا الكمال والتمام فلا يقف على عيب فيها يُنكره، لأجل ذلك عرّف الفيلسوف أرسطاطاليس^(٢) العشق بأنه (عمى الحس عن إدراك عيوب المحبوب).

هذا في العشق، والخطبُ في العقائد أشد وأنكى، فإنّ المرء يرتبط بعقيدته ارتباطاً مصيرياً لا يكاد يُتصور في غيره، ولعل الحروب العقائدية بين أهل الملل والمساجلات الكلامية فيما بينهم خير شاهد على ذلك.

وحدث النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي رواه أبو داود في (السنن): (حُبُّكَ للشيء يعمي ويصم)^(١) أحسن ما في هذا الباب، وفيه ما يفيد معنى زائداً على كلام الحكماء، فإنّ حب الشيء

١- روضة المحبين ونزهة المشتاقين ١/١٥٢

٢- يعتبر أرسطاطاليس أحد أفضل حكماء زمانه وأعلمهم، أخذ الحكمة عن أفلاطون تلميذ سقراط، وعُرف عنه مخالفته لأستاذه في مسائل عدة، فلما سُئِل عن ذلك أجاب: أفلاطون صديق، والحقّ صديق، إلا أنّ الحقّ أولى بالصدّاقة منه.

والتعلق به قد لا يعمي البصر فحسب بل يصمّ الأذان عن سماع عيوب المحبوب ولو نبهه إليها منبّه!

يقول أبو الطيب محمد شمس الحق في شرح الحديث: (أي يجعلك أعمى عن رؤية معائب الشيء المحبوب بحيث لا تبصر فيه عيباً ويجعلك أصم عن سماع قبائحه بحيث لا تسمع فيه كلاماً قبيحاً لاستيلاء سلطان المحبة على فؤادك)^(١).

وقد سئل اللغوي ثعلب عن معنى الحديث فقال: يعمي العين عن النظر إلى مساويه ويصم الأذن عن سماع العذل فيه وأنشأ يقول:

وكذّبت طرفي فيك والطرف صادق وأسمعت أذني فيك ما ليس يسمع^(٢)
ولكي يتحرر عقل الإنسان من الانقياد لغير الحق، ومن العمى الذي يحجبه عن الحقيقة فلا بد له أن يقتصد في عاطفته، فلا يُطلق لها العنان لتقوده إلى مهاوي الردى ولا يتجاهلها فيصير جاف الطبع صلب الفؤاد بل يريها بعيني البصيرة ما لا تراه بعيني البصر.

١- سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب في الهوى - حديث رقم (٥١٣٠)، والحديث ضعّفه من ضعفه من المحدثين لأجل أبي بكر بن أبي مريم فإنه ضعيف وهو وإن لم يُتهم بالكذب لكنه كان رديء الحفظ كثير الغرائب، فالحديث مظنة أن يكون من غرائبه ومنفرداته التي لا تُقبل، غير أني وقفت على إسناد آخر للحديث ليس فيه ابن أبي مريم، فقد روى الأصبهاني في (الأمثال في الحديث النبوي ص ١٥٣) بسند حسن عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال: كنا في قافلة فخرج علينا بلال بن أبي الدرداء فقطع علينا الحديث، فقلنا: ابن صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقال: سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله يقول: (حبك الشيء يعمي ويصم).

٢- عون المعبود في شرح سنن أبي داود ٢٨/١٤.

٣- المصدر نفسه.

هذا ديني وذاك مذهبي^(١)..

فإن سألتني عن ديني ومذهبي أجبتك بقولي: (اللهم إنه لا مذهب لي إلا دين الإسلام، فمن شمله فهو صاحبي وأخي، ومن كان قدوة فيه عرفت له حقه، وشكرت له صنعه، غير غال فيه ولا مقصر، فإن استبان لي الدليل، واستنار لي السبيل، كنت غنياً عنهم في ذلك المطلب، وإن ألبأتني الضرورة إلى الرجوع إليهم وضعتهم موضع الإمارة على الحق، واقتفيت الأقرب في نفسي إلى الصواب بحسب الحادثة، بريئاً من الانتساب إلى إمام معين، يكفيني أي من المسلمين، فإن ألبأتني إلى ذلك الله، ولم يبق لي من إجابتهم بد، قلت: مسلم مؤمن، فإن مزقوا أديمي، وأكلوا لحمي، وبالغوا في الأذى، واستحلوا البدأ، قلت ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥]، ﴿لَا ضَيْرٌ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٥٠]، وأجعلك اللهم في نحورهم، وأعوذ بك من شرورهم، رب نجني مما فعله المفرقون لدينك، وألحقني بخير القرون من حزب أمينك صلى الله عليه وآله وسلم^(٢).

١- المراد بالمذهب هنا المذهب العقدي لا الفقهي.

٢- العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ ٧.

سهام رمتني وأخرى سترميني ..

لا يستطيع أحد أن يدعو إلى إصلاح فكر أو ثورة على موروث باطل دون أن يُرمي بسهم أو يُجرح بكلمة.

هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكرم الخلق وأتقاهم لم يسلم من بهت الباهتين وظلم الظالمين، قيل عنه: كاهن.. ساحر.. مجنون.. شاعر، فمن أكون أنا وأنت حتى نستكبر أن يُقال في حقنا ما هو دون ما قيل في حقه صلى الله عليه وآله وسلم وهو النبي المرسل؟! من خلال معاشتي وحواراتي مع المتعصبة من شتى الطوائف نلت الكثير من الأذى، فأعظم الأذى أن يُتهم المرء في دينه وصدق انتباهه إليه.

فلما كنت أحاور بعض الجفافة مظهراً حبي لأهل البيت، راداً على من يقلل من شأنهم بالأحاديث الصحيحة الثابتة أو بما عُرف من حقهم في شرع الله، قيل عني: (رافضي)!

ولما كنت أحاور بعض الشيعة منتقداً طرحهم المغالي في أهل البيت، قيل عني: ناصبي كبير... فلست ناصبياً فحسب بل عريق في النصب ولا حول ولا قوة إلا بالله!

ولما تحاورت مع بعض المتصوفة حول غلوهم في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مستدلاً بأحاديث صحيحة ثابتة في بيان حقه صلوات الله وسلامه عليه تدعو إلى محبته وحفظ حقه بأبي هو وأمي، من غير غلو ولا جفاء، قيل عني: مبغض لرسول الله!

وهكذا صرت بين المتعصبة جامعاً لكل النقائص.

رافضي مبغض لصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومغال في أهل البيت... وناصبي مبغض لأهل البيت ومغال في الصحابة.. ومبغض لرسول الله ومن باب أولى مبغض لأهل بيته ولأصحابه.

وما حصل لي حصل للإمام القبلي (رحمه الله) أكثر منه بكثير، ومثلي لا يُقارن بمثله فضلاً وعلماً وتضحية، فأين جهد ذاك الإمام الجهد من جهد المقل؟
فقد تجرع رحمه الله مرارة التعصب المذهبي وناله الأذى فصبر ومضى في طريقه غير آبه للتخذيل ولا للتحذير.

حرص على إعلان تنصُّله من الإنتماء إلى أي من المذاهب الإسلامية والتأكيد على براءته من التعصُّب لها في معظم مؤلفاته شعراً ونثراً، ومن ذلك قوله:

برئت من التمدُّب طول عمري وآثرت الكتاب على الصحاب
ومالي والتمذهب وهو شيء يروح لدى المماري والمحابي
كرَّس جهده ووقته لمحاربة الجمود والتعصُّب الفكري، فلقني من مقلِّدي ومتعصِّبي عصره
أذى شديداً، وناصبوه العدا، واتَّهموه بأنه ناصبي، معادٍ لمذهب أهل البيت (المذهب الزيدي)، مما
اضطره إلى بيع ممتلكاته والرحيل بأهله إلى مكة (١٠٨٠هـ) فجاور بها وانقطع فيها للعلم والتأليف
والدعوة إلى التجديد وإشاعة روح التسامح ونبذ الفرقة والتقليد والتعصُّب، فعلا ذكره هناك
وعظَّم صيته بين علماء مكة والقادمين إليها من مختلف بلدان العالم الإسلامي، وتباينت الآراء
حوله بين مؤيِّد ومعارض، فنسبه المتعصبة إلى الزندقة لتمرُّده على التقليد وعدم تمسُّكه بمذهب
معين، واعتماده على كتاب الله وسنة رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم فحسب، وخاصة بعد انتشار كتابه
(العلم الشامخ في إثبات الحق على الآباء والمشائخ)، لما فيها من النقد للمتعصِّبين للأسلاف، والخط
من شأن التقليد والمقلِّدين، فقال قولته المشهورة: سبحان الله.. ناصبي في صنعاء وزنديق في مكة!
وهذا هو الإمام الشاطبي بدوره يحكي عن محتته مع المتعصبة فيقول: (فقامت عليّ القيامة،
وتواترت عليّ الملامة، وفوق إليّ العتاب سهامه، ونُسبت إلى القول بأنَّ الدعاء لا ينفع، ولا فائدة
فيه، كما يُعزى إلى بعض الناس بسبب أني لم ألزم الدعاء بهيئة الاجتماع في أدبار الصلاة - حالة
الإمامة -.. وتارة نُسبت إلى الرفض وبغض الصحابة رضي الله عنهم، بسبب أني لم ألزم ذكر

الخلفاء الراشدين منهم في الخطبة.. وتارة أضيف إلى القول بجواز القيام على الأئمة، وما أضافوه إلا من عدم ذكري لهم في الخطبة.. وتارة أُحمل على التزام الحرج والتنطع في الدين، وإنما حملهم على ذلك أي التزمت في التكليف والفتيا الحمل على مشهور المذهب الملتزم لا أتعداه، وهم يتعدونه ويفتون بما يسهل على السائل ويوافق هواه - وإن كان شاذاً.. وتارة نُسبت إلى معادة أولياء الله، وسبب ذلك أي عادت بعض الفقهاء - يقصد الصوفية - المبتدعين المخالفين للسنة، المنتصبين - بزعمهم - لهداية الخلق...^(١).

ويعزّي الشاطبي نفسه بما أصاب العلامة ابن بطة مع أهل زمانه ناقلاً ما حكاه ابن بطة عن نفسه بقوله: (عجبت من حالي في سفري وحضري مع الأقربين مني والأبعدين، والعارفين والمنكرين، فإني وجدت بمكة وخراسان وغيرهما من الأماكن أكثر من لقيت بها موافقاً أو مخالفاً، دعاني إلى متابعتي على ما يقوله، وتصديق قوله والشهادة له.

فإن كان صدقته فيما يقول وأجزت له ذلك - كما يفعل أهل هذا الزمان - سماني موافقاً.

وإن وقفت في حرف من قوله أو في شيء من فعله سماني مخالفاً.

وإن ذكرت في واحد منها أن الكتاب والسنة بخلاف ذلك وارد، سماني خارجياً.

وإن قرأت عليه حديثاً في التوحيد سماني مشبهاً.. وإن كان في الرؤية سماني سالمياً.. وإن كان في

الإيمان سماني مرجئياً.. وإن كان في الأعمال سماني قدرياً، وإن كان في المعرفة سماني كرامياً، وإن كان

في فضائل أبي بكر وعمر سماني ناصبياً، وإن كان في فضائل أهل البيت سماني رافضياً.

وإن سكت عن تفسير آية أو حديث فلم أجب فيهما إلا بهما سماني ظاهرياً.. وإن أجبت بغيرهما

سماني باطنياً.. وإن أجبت بتأويل سماني أشعرياً.. وإن جحدتها سماني معتزلياً.. إلى أن يقول:

(ومهما وافقت بعضهم عاداني غيره، وإن داهنت جماعتهم أسخطت الله تبارك وتعالى..).

نحن مع الحق وإن قاله خصومنا

مشكلة الكثير من أرباب الفرق والجماعات أنهم يريدونك نسخة منهم، تنطق بما يؤمنون به هم وأباؤهم الأولون، لا يريدون لضميرك ولعقلك أن يقول كلمته ولو على وجه التساؤل والبحث عن الحقيقة.

ومن آفاتهم النظر إلى المرء قبل النظر في قوله، يقولون: (من فلان حتى يعلمنا؟) أو (أوليس هذا الذي أخطأ في مسألة كذا وكذا) فيعممون خطأه في مسألة على كل ما يقوله من صواب، فلا يستمعون إلى حجته ولا يريدون حقاً من ورائه.

وهذه النظرة الفوقية الاستعلائية تقصم ظهر صاحبها قبل الآخرين، فمن الخاسر سواه وهو يصد الناس عن الحق ويتجنبه هو في نفسه لا لشيء إلا لعصبية جاهلية ملأها دماغه.

والأولى بالمرء أن يطلب الحق حيث كان، وأن لا يحجبه عن الحق كونه قد أتى من خصمه.

يقول أبو حامد الغزالي رحمه الله: (فانظر إلى مناظري زمانك، كيف يسودّ وجه أحدهم إذا اتضح الحق على لسان خصمه، وكيف يخجل به، وكيف يجتهد في مجادته بأقصى قدرته، وكيف يذم من أفحمه طول عمره) وإنما ينبغي في المحاور (أن يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرّق بين أن تظهر على يده أو على يد من يعاونه، ويرى رفيقه معيناً لا خصماً، ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق..)^(١).

ولله در الإمام مالك بن أنس إذ يقول: (ما في زماننا شيء أقل من الإنصاف)^(٢).

نعم والله.. إنها أزمة الإنصاف.

١- إحياء علوم الدين ١/ ٦٤

٢- جامع بيان العلم ١/ ١٣٢

والإمام مالك هاهنا يتحدث عن زمانه الذي انتشر فيه العلم وسادت الفضيلة فكيف بزماننا وقد قلّ العلماء واتخذ الناس رؤوساً جهالاً فضلوا وأضلوا، وعمّ الفساد وبيعت الذمم. ولا بن تيمية كلمات جميلة في وجوب تحري المرء الحق واتباعه حيث كان يقول فيها: (فإنّ الإنسان لا يزال يطلب العلم والإيمان، فإذا تبين له من العلم ما كان خافياً عليه اتبعه، وليس هذا مذبذباً، بل هذا مهتد زاده الله هدى... والواجب على كل مؤمن موالاتة المؤمنين وعلماؤهم المؤمنين، وأن يقصد الحق فيتبعه حيث وجده)^(١).

ويقول: (وانتقال الإنسان من قول إلى قول لأجل ما تبين له من الحق هو محمود فيه، بخلاف إصراره على قول لا حجة معه فيه، وترك القول الذي وضحت حجّته، أو الانتقال من قول إلى قول لمجرد عادة واتباع هوى فهو مذموم)^(٢).

فالعبرة بالحق لذاته لا بمن قاله، وعلى المسلم أن ينفذ عنه غبار التعصب والتقديس لغير كلام الله وكلام رسوله صلوات الله وسلامه عليه، فإنّ الناس لم يفترقوا ويزيغوا عن الهدى إلا لأمرين:

هو متبع، وإعجاب كل ذي رأي برأيه.

ولسلطان العلماء العز بن عبد السلام عبارة ذهبية يقول فيها: (ولم يزل الناس يسألون من اتفق من العلماء من غير تقييد بمذهب ولا إنكار على أحد من السائلين إلى أن ظهرت هذه المذاهب ومتعصبوها من المقلّدين، فإنّ أحدهم يتبع إمامه مع بُعد مذهبه عن الأدلة، مقلّداً له فيما قال كأنه نبي أرسل إليه، وهذا نأي عن الحق وبعد عن الصواب لا يرضى به أحد من أولي الألباب)^(٣).

١- مجموع الفتاوى ٢/٢٥٢-٢٥٣.

٢- المصدر نفسه ٢٠/٢١٣-٢١٤.

٣- الفكر السامي للحجوي ٢٣٠

وهذا الإمام الشوكاني يوجه كلامه لمتعصبي المذاهب قائلاً: (فدعوا- أرشدكم الله وإياي- كتباً كتبها لكم الأموات من أسلافكم واستبدلوا بها كتاب الله خالقهم وخالقكم ومتعبّدهم ومتعبّدكم)^(١).

نعم لندع التعصب المقيت، ولنحتكم إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله صلوات ربي وسلامه عليه.

لماذا لا نتحاور؟

وإن أردت أن تعجب أكثر فاعجب من أمر مسلمي اليوم... علّمهم القرآن الحوار مع أهل الكتاب الذين شتموا الله وشتّموا رسوله، وهم اليوم يستكثرون على أنفسهم الحوار مع من انتقص من هم دون الله ودون رسوله!

يأتي المتعصب السني فيقول: (لا حوار مع من شتم صحابة رسول الله، هؤلاء روافض لا ينبغي لنا حوارهم ولا حتى دعوتهم^(١))! ويأتي المتعصب الشيعي فيقول: (هؤلاء نواصب^(٢)) لا ينبغي الحوار معهم!).

١- للأسف بعض هؤلاء المتعصبة لا يكلف نفسه حتى دعوة من يشتم الصحابة ولا الأخذ بيده، فأبي موازين للدعوة هذه؟! وعلينا أن نفرّق بين فعل بعض السلف من عدم محاورة أهل البدع بغرض تحجيم فكرهم وعدم إعطائهم الفرصة لنشر باطلهم على الملأ لكونهم قلة وأرباب هوى لا طلاب حق، وبين واجب الدعوة إلى الله لكل من ضل الطريق.

وعلى فرض ثبوت مخالفة أحد من السلف لما ذكرناه فإنه لا حجة في قول أحد من الناس مع وجود المنهج القرآني القويم في الحوار ومع وجود سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومنهجه في الدعوة مع الكفار وأهل الكتاب على جرأتهم على الله ورسوله والمنافقين على ما يظهر منهم من التريص بالإسلام والمسلمين، والأعراب على ما عُرِف فيهم من الجلافة وسوء الحوار فضلاً عن غيرهم، نعم من أراد المكابرة منهم لا يناقش ولا يعطى المجال لكن التعميم في الحكم هو ما نستنكره.

٢- هذه تهمة ليس لها من الواقع نصيب، فالثابت من تقارير علماء الشيعة في أشرطتهم وكتبهم وكذا روايات المذهب بغض الصحابة والتفنن في لعنهم والطعن في أنساب بعضهم وستأتي الإشارة إلى هذه الفكرة في موضعها في هذا الكتاب بإذن الله، أما أهل السنة علماء وعامة، فلا يبغضون أهل البيت بل يحبونهم ويقدرّونهم، ويشهد لذلك أيضاً تقارير علماءهم جيلاً بعد جيل، غاية ما في الأمر أنهم يفضلون

وقد عايشت الفئتين، وأوذيت منهما أيما إيذاء.
 فعجباً لهذه العقول، جعلت الصحابة وأهل البيت أعظم من الله ورسوله حين تتقبل الحوار مع
 اليهودي والنصراني الكافر بالله ورسوله والشاتم لهما ولا تتقبل الحوار مع المخالف!

أبا بكر وعمر على علي لأدلة شرعية عندهم، والمفاضلة بين الخلفاء الأربعة لا تعني بحال من الأحوال
 بغض أحد منهم.

ويحزني في هذا كلاماً جيداً قرأته للشيخ جعفر الشاخوري - وهو من شيوخ الشيعة الإثني عشرية
 المعاصرين - يقول فيه: (وإنني أذكر للقارئ حادثة لا زلت أتذكرها، فقد حدث بين شخصين تالسن بعد
 أن اختلفا أيهما أفضل العباس بن علي (ع) أو علي الأكبر (ع) - ولا أكتفم القارئ أنني كنت من أنصار
 العباس في ذلك الصراع - حيث استدل الأول على أفضلية العباس بأنه آخر من استبقاه الحسين (ع) في
 المعركة إذ لم يعطه الرخصة في القتال، وعندما استشهد قال الحسين: الآن انكسر - ظهري، مما يدل على أنه
 العمود الفقري، كما أن العباس رفض أن يشرب من الماء عندما تذكر عطش الحسين فلا بد أن يكون هو
 الأفضل. والشخص الثاني استدل على أفضلية (الأكبر) بأنه أشبه الناس خلقاً وخلقاً برسول الله صلى الله
 عليه وآله وسلم، وأنه أول من قدمه الحسين في المعركة من بني هاشم، وثالثاً: لأنه أكثر من أصيب
 بالجراحات في كربلاء فلا بد أن يكون هو الأفضل. وسرعان ما تحول هذا الصراع إلى تالسن وتراشق
 بالكلمات حتى ظننت في ذلك الوقت أن هناك عداءً مستحكماً بين العباس وعلي الأكبر، وكنت أتساءل لماذا
 تعاونوا في المعركة في ذلك الوقت؟). (مرجعية المرحلة وغبار التغيير ص ٦٧)

أقول: والأمر ذاته يُقال في المفاضلة بين أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب، فإن المتعصب المعاند هو
 وحده الذي يستطيع بكل سهولة إقناع نفسه بأنه هو وكيل أهل البيت في الأرض، وأن من سواه لا يجبهم
 ولا يعرف حقهم.

وكلامنا هنا مع العقلاء أما ضيقي العقول الذين يرشقون الناس بالتهمة لمجرد الاختلاف معهم فإنه لا يأبه
 بهم إلا من كان على شاكلتهم.

والحقيقة أننا لن نستطيع فك رموز الخلاف السني الشيعي بهذه العقول المغلقة التي لا تريد الفهم ولا التفاهم.

فإن الإمام علي بن أبي طالب وهو أحد فقهاء الصحابة الكبار عند السنة والشيعة، لم يجد حرجاً في التحاور مع الخوارج الذين كفّروه، فأرسل إليهم حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس محاوراً، وعلي يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد وصف الخوارج بأنهم (كلاب أهل النار)، فأين هؤلاء المتعصبة من الفقه والفهم لهذه المعاني الجليلة؟

نريده حواراً من أجل الحقيقة

الديكة تتصارع وتتطرح أرضاً، لأنها تؤمن بلغة العضلات، أما الإنسان العاقل فاللغة التي يرتضيها لنفسه ولمجتمعه هي لغة الحوار.

والناظر في عالمنا العربي والإسلامي المعاصر والذي ابتعد في ممارسته كثيراً عن التعاليم الإسلامية القويمة، ينتابه الأسى وتعلوه المرارة، على نمط الحوار المتبع بين جميع الفئات المختلفة على جميع المستويات.

كثيرة هي الحوارات التي تجسد لنا هذا المثال... جمهور يستمع وديكان يتصارعان... كل منهما يريد الفتك بالآخر، والانتصار للرأي لا للحقيقة.

إننا لم نتعود على الموضوعية والحوار والواقعية في حواراتنا وأدبياتنا ومدخلاتنا، بل اعتدنا على الرؤية الأحادية التي لا تتقبل رأي الآخر ولا تفهم ما يريد، وما على الآخرين إلا أن يقولوا (آمين) ثمانين مرة، لا سيما إذا كان البعض منا في موقع يسمح له بفرض رأيه الواحد على الآخرين^(١).

ومثل هذه الحوارات جعجعة بلا طحين.. لا يُرتجى من ورائها هداية لأحد، أو نتيجة محمودة يستفيد منها الطرفان، لأنها تفرغ مخزون آفات نعيشها في أنفسنا.

١- لا أدعي بكلامي هذا أن العقيدة الإسلامية صارت آراء تقبل وتُرد، وإنما القصد أن المقدس الذي تؤمن به، ليس مقدساً عند الطرف المخالف، وعليك أن تتقبل الحوار معه على هذا الأساس، أما النظرة الفوقية التي لا تتقبل الحوار مع المخالف بل تريد من الطرف المقابل الإذعان فحسب، فهذه نظرة نرجسية ليست من الإسلام في شيء.

فالمظلوم عندنا يشتكي من الظالم، لأنّ السوط بيد الظالم.. يذكره بالله ويدعو عليه الليل والنهار، لكن سرعان ما ينقلب المظلوم ظالماً حينما يسقط السوط من يد ظالمه وينتقل إلى يده، يتناسى الرب الذي كان يخوف الناس به، فيجور على الخلق ويتزى على حقوقهم بلا رحمة.

هكذا تجلت لي صراعات المتعصبين من أهل الطوائف.

ولكي نهض من جديد كأمة إسلامية، ولكي نستطيع أن نتدارك بجديّة الصدع الذي أضعف الأمة فانقسمت لأجله إلى فرق وطوائف متناحرة لا بد لنا من الإخلاص والصراحة، والرغبة في أن تكون راية الإسلام هي العليا لا راياتنا الطائفية.

ما أحوجنا اليوم إلى الإنصاف وإلى التجرد الذي بثه الإسلام في النفوس المؤمنة، التجرد للحقيقة لا للأشخاص.

ألم نقرأ قول الله عز وجل ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]؟

فأي مسلم يرى الهدى في غير الله وغير رسوله؟! وهل يشك رب العباد أنّ الحق معه ومع رسوله - معاذ الله -؟!؟

لكن الله يرشدنا إلى أدبيات الحوار.. إلى التجرد مع الخصم.. لا تفترض منذ البداية أنك أتيت لتملي عليه وأنّ عليه أن يقبل!.. إنها جعل الحوار لبيان الحق ولكشف الشبهة.

والحوار يبتدئ بالحسنى ويكون بالحسنى كما قال الله تعالى ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦] ما دام الطرف المقابل يحتفظ بأمرين: أولهما: التأدب مع مقدسات الطرف الآخر، فلا يشتمها ولا يستطيل في الكلام عنها بل يوضح موضع النقد الذي يراه بكل موضوعية وتأدب.

والثاني: طلب الحق وعدم العناد والمكابرة، فإذا وُجد العناد ووجدت المكابرة استخدم مع صاحبها أسلوب لي ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾.

ولو أنّ حواراتنا قامت على هذا المنهج القويم الذي نادى به القرآن الكريم لكان الناس غير الناس والحال غير الحال، لكن نشكو إلى الله تعالى.

من هنا كانت البداية

لقد نشأت في بيئة تمازج فيها السنة والشيعة وغلب عليها التسامح الطائفي. فوالدي رحمه الله من أهل السنة وكذلك والدي، لكن البيت الذي نشأت فيه والدي منذ الصغر كانت له طبيعته الخاصة ذات الأثر الواضح في علاقة أسرتي السنية مع الشيعة. فمربية والدي كانت شيعية وكذا إخوان والدي من الرضاعة، وقد كانت والدي تُجلبها كثيراً وتبرّها حتى بعد وفاتها من خلال علاقتها الوثيقة بعائلة تلك المربية، نشاركهم أفراحهم وأحزانهم ويشاركونا، ونمد إليهم يد المساعدة إن وجدنا إلى ذلك سبيلاً.

هذا بخلاف الصداقات التي جمعت والدي بالكثير من الشيعيات، أقربهنّ إليها امرأة من عرب إيران^(١)، طيبة المعشر، بسيطة الفكر والثقافة، قضت معظم حياتها في الكويت ولا زالت. وكتيجة طبيعية لهذا الارتباط الوثيق بالشيعة آنذاك، كانت أمي تصطحبني صغيراً في بعض الأحيان إلى الحسينية حيث يُقرأ العزاء وتوزع أطباق الطعام أيام المحرم. لا زلت أتذكر يوم أن اصطحبتني مرة في فترة النهار إلى إحدى الحسينيات. قدور في باحة المكان ونساء يغرفن الطعام...

حينها طلبت مني والدي أن أجلس في غرفة مقابلة للباحة حتى تنتهي من الحديث مع الملاية^(٢)، لم أكن أعلم ولا زلت لا أعلم ماذا كانت تريد منها.

١- من منطقة عبادان الإيرانية تحديداً.

٢- امرأة تقوم مقام الشيخ أو الملا في الحسينيات النسائية من نعي وإلقاء دروس وغيرها بحسب ثقافتها وقدراتها.

لكنني أتذكر أنني قد جلست على كرسي بجانبه صندوق كبير، وحلقت ببصري هنا وهناك، فكان مما لفت نظري آنذاك وانطبع في ذاكرتي أقراص من طين كانت موضوعة في الصندوق. لم يُترك لي المجال طويلاً للتخمين أو العبث فيها كسائر الأطفال، إذ سمعت نداء والدتي: (هيا يا محمد، لنذهب).

حين خرجنا سألتها عن المكان الذي كنا فيه، ما هو؟ وما الذي يفعله النساء في الباحة؟ فأخبرتني أن البيت الذي كنا فيه يسمى (حسينية) وهو بيت متعدد الأغراض، يُقرأ فيه عزاء عاشوراء وتقدم فيه الولائم ويُستخدم لمناسبات أخرى. سألتها عن الأقراص التي رأيتها في الصندوق، ما هي؟ فأخبرتني أنها (تربة حسينية) وهي تربة مأخوذة من قبر الإمام الحسين بالعراق، يضع عليها الشيعة جباههم في سجدي الصلاة.

فسألتها بكل تلقائية: ولماذا هم شيعة ونحن سنة؟! فكانت إجابتها أكثر تلقائية وأكثر عجباً إذ قالت: لأنهم لا يجبون الصحابة، فهم يسبون عائشة ولا يجبون أبا بكر وعمر، ونحن نحب الصحابة ولا نرضى بسبهم، ولأنهم في عاشوراء يلطمون ويبيكون ويلبسون السواد ونحن لا نعتقد مثل هذه الأمور بل نراها خطأ، ولأنهم لا يصلون مثل صلاتنا بل يسدلون أيديهم في الصلاة ويسجدون على التربة الحسينية.

فسألتها: ولماذا يفعلون ذلك؟

وقد كنت كأبي طفل قد تعلمت في المدرسة شيئاً من السيرة النبوية، وأن عائشة هي زوج رسول الله وأن أبا بكر هو صاحبه في الغار وفي الهجرة، وتعلمت شيئاً عن قصة إسلام عمر وفضلته، فبالنسبة لطفل قد تعلم هذا كله لا يُمكن له أن يتصور مسلماً يشتم هذه الشخصيات، فتعجبت جداً من كلامها، لكن سني آنذاك كان كافياً لصرفي عن الاهتمام بمثل هذه الأمور رغم كونها قد انطبعت في ذهني منذ ذلك الزمن.

مضت السنون تلو السنون لأجد نفسي مرة أخرى وجهاً لوجه مع الخلاف السني الشيعي. ففي الجامعة، تعرفت على أحد السادة الموسوية أثناء دراستي لإحدى مقررات اللغة الإنجليزية^(١)، كان يكبرني نحو عشر سنوات، وقد حرصت منذ بداية تعرفي عليه أن لا أفتح معه موضوع الخلاف السني الشيعي لحساسية مثل هذه المواضيع بالنسبة للناس بصورة عامة، لكن زميلاً لنا كان مشاكساً للغاية، لم يعتد أن يترك أحداً من الناس في حاله فاجأنا بسؤال مضحك وجريء في الوقت ذاته يسأل فيه السيد: لماذا أنت شيعي؟! سؤال عفوي غريب قذفنا به زميلنا فوجدنا أنفسنا بعده مباشرة قد دخلنا في نقاش مذهبي ما كنا نتصور أننا سنخوضه.

فقد استهل (السيد) كلامه بالإشارة إلى كونه قد درس في إيران لعدة سنوات ولهذا فهو ملمٌ بالخلاف السني الشيعي بشكل كبير ولديه الاستعداد لمناقشة أي مسألة. كنت في الحقيقة أكثر من اهتم بكلامه فقد مسّ شيئاً في نفسي تجاهلته منذ سنوات، أما بقية زملائنا فكانوا إلى العبث والإثارة أكثر منهم إلى الجد والحزم، ولذلك لما ذكر الموسوي من جملة كلامه (حديث الكساء) طالبت بالمصدر وحملت المسألة محل الجد، ورجعت إلى المصدر الذي عزا إليه وهو (رياض الصالحين) للإمام النووي لتأكد من صحة الحديث، لأن الموضوع بالنسبة لي دين، لا مجال للتفريغ أو العبث فيه^(٢).

١- كان ذلك سنة ١٩٩٢م في كلية العلوم بجامعة الكويت.

٢- والغريب أن الموسوي قد عزا الحديث لكتاب (رياض الصالحين) للنووي مع أن حديث الكساء مروى في صحيح مسلم، وقد كان من الأولى أن يكون العزو لصحيح مسلم لا لرياض الصالحين، فإن الأول مصدر رئيسي من مصادر الحديث النبوي بينما الآخر لا يعدو أن يكون كتاباً جمعياً لما تناثر في الكتب من أحاديث.

ورغم أنّ نقاشنا المذهبي انقطع بعد هذه الدقائق المعدودة التي تكلمنا بها وكان للسيد نصيب الأسد فيها بحكم اطلاعه على الخلاف السني والشيوعي أكثر منا إلا أنّ نفسي باتت متشوقة لمعرفة أبعاد هذا الموضوع أكثر من أي وقت مضى.

وكأنّ الله تعالى أراد لي أن أدخل هذا المعترك بقوة، فما زالت التساؤلات والمواقف تجري جراً حتى جاء اليوم الذي أهدتني فيه إحدى الشيعيات كتاباً اسمه (ثم اهتديت) لمحمد التيجاني السماوي، أرسلته لي عن طريق صديقة والدتي الإيرانية، سائلة المولى عز وجل أن يهديني ويرشدني إلى الحق!

ولا أخفيك حديثاً إذا ما قلت بأنّ الكتاب كان قوياً بالنسبة لي لأول وهلة، إذ لم أكن قد قرأت أو تعلمت قبل قراءتي لهذا الكتاب شيئاً عن تاريخ الفتنة أو حادثة السقيفة أو بعض أحاديث فضائل الإمام علي التي يستدل بها الشيعة الإثني عشرية على إمامته رضي الله عنه.

لكنني أفقت من هذا الاستغراب على جملة من الصدمات التي لا يمكن السكوت حيالها، فالكتاب يطال كبار الصحابة ورموز الإسلام ويشهد عليهم بالردة والإحداث في الدين، هكذا وبكل بساطة ودون حياء من الله ولا من الناس!

إنّ من حق التيجاني أن يعتقد أنّ عبد القادر الجيلاني هو سيد الأولياء وأنّ الكعبة تطوف بخيامه كما كان يعتقد ذلك أيام تصوفه^(١) أو يرى العذر لليهود والنصارى في عنادهم للحق ويجرّم بالمقابل أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما اعتقد ذلك بعد هدايته المزعومة^(٢)، فله ربّ يحاسبه ويجازيه على ما اعتقد.

١- ثم اهتديت ص ٣٤ [حواره مع منعم]

٢- المصدر نفسه ص ٨٠

لكن المجاهرة بتكفير الصحابة والتشكيك في نزاهتهم وبهذه الصورة المخزية ونشر ذلك في كتب تروّج بين الناس مورثة بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة من شأنه أن يستوقفنا قليلاً عند هذه الشخصية التي تناول هؤلاء الصحابة، لتساءل: من هي وإلى ماذا تصبو؟

لقد حدّثنا التيجاني عن شهرته التي تعدّت الحارة إلى المدينة بأسرها أيام طفولته!^(١) حتى أصبح لاحقاً أعلم من أهل زمانه بل أعلم من مفتي الجمهورية التونسية نفسه!^(٢) لكنه لم يقنع بهذا كله فزعم أن لم يكن أحد يجاربه حتى شيوخ الأزهر الذين كانوا - على حد زعمه - يحضرون جلساته ودروسه ومحاضراته ويعجبون مما يحفظ من أحاديث وآيات وما يملكه من حجج دامغة لدرجة أن الغرور قد ركبه وباعترافه^(٣).

ثم تتفاجئ به بعد ذلك بصفحات قليلة يصرّح بعجزه التام عن محاوره صبي من صبية النجف قائلاً: (وعجبت لهذا الصبي الذكي الذي يحفظ ما يقول مثل ما يحفظ أحدنا سورة من القرآن، وقد أدهشني أكثر عندما كان يسرد علي بعض المصادر التاريخية التي يحفظ عدد أجزاءها وأبوابها، وقد استرسل معي في الحديث وكأنه أستاذ يعلم تلميذه، وشعرت بالضعف أمامه، وتمنيت لو أني خرجت مع صديقي ولم أبق مع الصبيان)^(٤) في إشارة منه إلى أن صبية النجف أكثر علماً من علماء الأزهر ومن مفتي الجمهورية التونسية!

لكن التيجاني الذي أظهر نفسه بصورة ذاك المحاور الذي لا يُشق له غبار مع فطاحل علماء أهل السنة يفاجئك بمفاجآت أخرى لا تقل عن سابقتها.

١- المصدر نفسه ص ١٠

٢- المصدر نفسه ص ٢١٩

٣- المصدر نفسه ص ٢٤

٤- المصدر نفسه ص ٥٤

فقد اعترف ذلك العالم الجهيد بعد ذلك بصفحات بأنه لم يقتنِ دواوين السنة المشهورة التي لا يخلو منها بيت أصغر طالب علم إلا بعد زيارته المكوكية التي أفحم بها شيوخ الأزهر وتأثر فيها بصبيان النجف ثم بالكبار ثم عودته إلى وطنه ليتلقى بعد ذلك بعض الكتب الشيعية التي تناقش الخلاف السني الشيعي حيث يقول بالنص: (وفوجئت عند دخولي إلى منزلي بكثرة الكتب التي وصلت قبلي وعرفت مصدرها... فرحت كثيراً ونظمت الكتب في بيت خاص سميته بالمكتبة^(١)، واسترحت أياماً، وتسلمت جدول أوقات العمل بمناسبة بداية السنة الدراسية الجديدة فكان عملي ثلاثة أيام متوالية من التدريس وأربعة أيام متوالية من الراحة في الأسبوع. وبدأت أقرأ الكتب فقرأت كتاب عقائد الإمامية، وأصل الشيعة وأصولها وارتاح ضميري لتلك العقائد وتلك الأفكار التي يرتئها الشيعة، ثم قرأت كتاب المراجعات للسيد شرف الدين الموسوي) إلى أن قال: (وازدادت دهشتي وحيرتي عندما رأيت العالم الشيعي ينقلها من صحيح البخاري وصحيح مسلم، وقلت في نفسي: (إن وجدت هذا في صحيح البخاري فسيكون لي رأي). وسافرت إلى العاصمة ومنها اشترت صحيح البخاري وصحيح مسلم ومسند الإمام أحمد وصحيح الترمذي وموطأ الإمام مالك وغيرها من الكتب الأخرى المشهورة)^(٢).

فإذا كان التيجاني لم يقتنِ دواوين السنة المشهورة إلا في هذا الوقت المتأخر فبأي علم كان يُفحم شيوخ الأزهر، وأي أحاديث تلك التي كان يحفظها ويحاجج بها دون أن يقتنِ كتاباً من كتبها، اللهم إلا أن تكون الأحاديث التي كنا نحفظها في المدارس؟!!

١- وكأنه أول من ابتكر المكتبات في البيوت ثم وضع لها هذا الاسم الذي لم يُسبق إليه! فتأمل هذا الجهل المركب وتفكر في دعواه إفحام علماء مصر وتونس تجد الإجابة واضحة جلية.

٢- المصدر نفسه ص ٨٦-٨٨

إنَّ رجلاً يصرِّح بنفسه بتحرُّسه على الأموال التي تُغدق على ضريح الإمام علي في النجف وتمنيه لو أنَّ له نصيباً منها^(١) لا يرتجى من ورائه حرصاً على الحقيقة، فللمال بريق ساطع يُذهب بأبصار الطامعين.

إنه لمن العجيب أن يأتي شخص مثل التيجاني بهذا المستوى العلمي والعقلي معاً ليثير الشبهات على الصحابة ويؤصل للأمة طريقاً مظلماً يعني بكل اختصار قلب كل الانتصارات والفتوحات والمشاهد الإيمانية والنصوص الإلهية إلى صورة قامته لا تمت بصلة للوحي ولا للواقع ولا العقل. إليه أيها التيجاني، لقد حملتني حملاً عظيماً كنت أتحاشاه، وأورثتني همماً كنت أخشاه، لكنني منذ اليوم قد نذرت نفسي أن أدخل هذا المعترك بكل ما آتاني الله تعالى من حول وقوة، سأنتشل الحقيقة منك ومن أمثالك من المتاجرين بها أو المأجورين، درس الخلاف السني الشيعي دراسة متأنية، وأن أنقل صورته الصحيحة بقدر الوسع والطاقة، بعيداً عن التعصب المذهبي المقيت، والعاطفة الجياشة التي لا يستقيم أمامها دليل.

١- قال في ص ٥٠ وهو يتحدث عن زيارته للنجف (خرجت وراءه [أي وراء صاحبه العراقي منعم] مدهوشاً

وكأنني تمنيت أن يعطوني منها نصيباً)!

في السيدة زينب

كانت الساعة تقترب من العاشرة صباحاً عندما حطت الطائرة التي تقلني على أرض سوريا لأول مرة في حياتي.

زرت المسجد الأموي وتجولت في ضواحي دمشق متأملاً مساجدها القديمة وكنائسها العتيقة، لكن قدماي قادتني بعد هذه الجولة إلى منطقة (السيدة زينب) لينفتح لي بذلك أفق جديد في عالم الخلاف السني الشيعي.

ففي مسجد (السيدة زينب) رأيت عجباً... ألوف من الزائرين، بعضهم جالس على الأرض في باحة المسجد، وبعضهم عند المرقد يضع نذره أو يركع ركعتي الزيارة، وبعضهم في ناحية أخرى من المسجد في صالة كبيرة أظنها حسينية يستمع لمحاضرة أحد علماء الشيعة.

لقد شاهدت وكلي عجب، بعض زائري المرقد وهم يدخنون السجائر في باحة المسجد دون أدنى شعور بالإنثم وبحُرمة المكان الذي تُدخن فيه السجائر!

ومما زاد عجبني أنني لم أر إنكاراً من بقية الزائرين أو المصلين لمثل هذا الفعل، وكأنَّ المسألة مألوفة عندهم لا تُستنكر^(١)!

١- ذكر لي أحد الأصدقاء أنه قرأ في أحد كتب التيجاني السماوي ما يشير إلى نفس الفكرة التي ذكرتها له، فاقتنيت الكتاب المشار إليه وتفاجأت بأنَّ التيجاني يتكلم عن الذي شاهدته كظاهرة اعتيادية في المساجد والمراقد!

يقول التيجاني في كتابه (كل الحلول عند آل الرسول) ص ١٦٩ تحت عنوان (التدخين في أماكن الصلاة): (كثيراً ما ينتقد أهل السنة والجماعة على الشيعة تدخينهم في المساجد، ويقولون بأنَّ ذلك منكر من أعمال الشياطين. والحق يُقال أنها ظاهرة تكاد تكون عامة عند الشيعة فإذا دخلت مساجدهم لأول مرة فسوف

لقد كانت الساعات تمر عليّ دون أن أشعر بها، قضيت ساعات طويلاً في (السيدة زينب) بين مطالعة الكتب وتأمل زوار الضريح، وقد كنت أمر في طريقي إلى مسجد (السيدة زينب) بحوزة الشيرازي - وهي حوزة كبيرة تطل على الشارع المؤدي إلى المسجد - فأشاهد بعضاً من سادة وعلماء الشيعة وقوفاً عند الحوزة أو خارجين منها، فتتحرك في نفسي الرغبة في الالتحاق بهذه الحوزة، لولا إصرار والدتي عليّ أن لا أفعل.

لكنني لن أنسى أبداً شاباً عراقياً تعرفت عليه في (السيدة زينب) وصحبته برهة من الزمن، كان له أثره الجيد في نفسي وفي التعرف على واقع الشيعة أكثر.

بدأ لي شاباً من عامة الشيعة، لكنه ابن عالم شيعي هاجر من العراق إلى إيران منذ أكثر من خمس عشرة سنة، فنشأ وترعرع في إيران ثم قدم إلى سوريا مع أبيه ليعمل في إحدى مكاتب (السيدة زينب)^(١).

أبديت له إعجابي بصراحته ووضوحه، فهو شخص لم تستخفه الطائفية المقيتة التي ابتلي بها أكثر الناس اليوم، فلم يكذبني القول في حديثه بل كان صريحاً معي للغاية بخلاف غيره ممن التفتت بهم من الشيعة.

قلت له: اعلم قبل كل شيء أنه من السهل عليّ أن أكون متحاملاً على الشيعة فأكتفي بكتب خصومهم وأحكم عليكم بالضلال وأغلق باب النقاش منذ البداية كما يفعل ذلك كثير من الناس، لكنني ناشد حق، يبحث عن ضالته بين ركام من التهم والأباطيل.

فرحّب بي وقال لي: أنا مستعد لكل ما تريده.

تصدمك تلك الظاهرة. وأتذكر أنني صُدمت بذلك أول مرة واستغربت ذلك منهم واستنكرته عندما زرت

النجف الأشرف، وسألت بعض علمائهم عن ذلك فأجابوني بأجوبة لم أفتنع بها حتى الآن!

١- في زيارتي الأخيرة لسوريا سنة ٢٠٠٦م لم أجد ذاك الشاب ولا تلك المكتبة التي كانت معروفة آنذاك باسم

(مكتبة السيدة رقية)، ويبدو أنها بيعت لشخص آخر واستبدلت باسم آخر.

كان يتكلم بتلقائية متناهية، لا زلت أتذكر قوله: (لا أدري كيف خرجت الثورة الإسلامية في إيران.. الناس هناك بعيدة عن الدين، الكثيرون يفطرون في نهار رمضان دون مبالاة بإثم أو بفريضة، فضلاً عن تقصيرهم في الصلوات، لو كانت الثورة قد خرجت في العراق لكان الأمر أكثر واقعية، لأنّ الشيعة هناك شيعة بحق، بخلاف إيران التي أرى أن حكومتها شيعية لكن شعبها بعيد كل البعد عن الدين).

بعد أيام من الجلوس معه سألته أسئلة أخرى كان أحدها عن موقفه من علماء الشيعة الذي صرّحوا بوقوع التحريف في القرآن الكريم، فأجابني بقوله: أبداً، لم يقل عالم من علمائنا بتحريف القرآن، فقلت له: أخي الكريم، نحن الآن في منطقة المكتبات والكتب الشيعية متوفرة هاهنا، فهل لي أن أريك هذه الأقوال؟

وقد كنت حينها لا أتذكر إلا موضعاً واحداً من تلك المواضع، فخرجنا إلى مكتبة من المكتبات فقال لي: أي كتاب تريد؟ فقلت: تفسير الصافي للعلامة الشيعي الكاشاني.

فسلّم على صاحب المكتبة وطلب منه المجلد الأول من تفسير الصافي ثم خرجنا من المكتبة ووقفنا بجانبها، فأريته الموضع وجلس طويلاً يعيد قراءته وهو لا يكاد يصدّق^(١).

١- خصص الكاشاني في تفسيره الصافي المقدمة السادسة من مقدماته لإثبات تحريف القرآن، وعنون لهذه المقدمة بقوله (المقدمة السادسة في نبد مما جاء في جمع القرآن، وتحريفه وزيادته ونقصه، وتأويل ذلك). وبعد أن ذكر الروايات التي استدلت بها على تحريف القرآن، والتي نقلها من أوثق المصادر الشيعية المعتمدة، خرج بنتيجة عبّر عنها بقوله: (والمستفاد من هذه الأخبار وغيرها من الروايات من طريق أهل البيت عليهم السلام أنّ القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله، ومنه ما هو مغير محرف، وأنه قد حذف منه أشياء كثيرة منها اسم علي عليه السلام، في كثير من المواضع، ومنها لفظة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم غير مرة، ومنها أسماء المنافقين في مواضعها، ومنها غير ذلك، وأنه ليس أيضاً على الترتيب المرضي عند الله، وعند رسول صلى الله عليه وآله وسلم).

فقلت له: عزيزي، لست أقصد من وراء إرشادك لهذا الموضوع أن أستعرض عضلاتي أو أن أشكك في عقيدتك، قصدي واضح لا غبار عليه، أريدك أن تنتصر للإسلام من كل من يطعن فيه ويتنقصه كائناً من كان، سنياً كان أو شيعياً، لا تقرأ وتزن الأمور بعيني شيعي يريد الانتصار للمذهب بحق أو بباطل وإنما ردّ الأمر إلى كتاب الله وسنة رسوله واجعلها للحاكمين. فاكتمى بقوله: سأسأل عنه أبي وأخبرك.

بعد يوم من هذا اللقاء أخبرني بأنه ذهب لأبيه وذكر له أني أرشدته إلى موضع في تفسير الصافي يدّعي فيه الكاشاني أن قرآن المسلمين الذي بين أيدينا اليوم محرّف! يقول: قبل أن أخبر أبي عن الموضوع بالضبط، بادرني بإخباري عن رقم المجلد ورقم الصفحة والموضع بالذات، ثم قال لي: أخطأ الكاشاني في المسألة ونحن لا نوافق على خطئه، وانتهى الأمر. فقلت للشاب: وأنت ما رأيك؟ أتوافق أبك فيما قاله؟ قال: نعم، الكاشاني أخطأ ونحن لا نوافق.

فقلت له: القرآن هو المصدر الأول الذي يقوم عليه التشريع الإسلامي، والتشكيك فيه والقول بوقوع التحريف فيه هدم للدين، لو كنا نتكلم عن مسألة فقهية بسيطة لكان كافياً أن يُقال (فلان أخطأ وانتهى الأمر)، أما أن يطعن الكاشاني في كتاب الله بهذه الصورة وتقول عنه أخطأ، فليس هذا بصحيح أبداً.

وآله وسلم)، ثم ذكر بعد هذا أن القول بالتحريف اعتقاد كبار مشايخ الإمامية قال: (وأما اعتقاد مشايخنا رضي الله عنهم في ذلك فالظاهر من ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني طاب ثراه أنه كان يعتقد التحريف والنقصان في القرآن، لأنه كان روى روايات في هذا المعنى في كتابه الكافي، ولم يتعرض لقدح فيها، مع أنه ذكر في أول الكتاب أنه كان يثق بها رواه فيه، وكذلك أستاذه علي بن إبراهيم القمي فإن تفسيره مملوء منه، وله غلو فيه، وكذلك الشيخ أحمد بن أبي طالب الطبرسي فإنه أيضاً نسج على منوالها في كتاب الإحتجاج).

يا صاحبي، انس للحظات أن الكاشاني شيعي وانتصر لكتاب الله، إن لم يكن الطعن في كتاب الله والتشكيك فيه أو القول بزيادته أو نقصانه كفراً، فما هو الكفر؟

صمت ولم أشأ أن أخرج وأثقل عليه، فأغلقت الموضوع، وبقيت معه زمناً أتناقش معه في أمور أخرى حتى فاجأني يوماً باعتذار على استيحاء يقول لي فيه بأن أحد السادة طلب منه أن لا يجالسني، لم أطلب منه تفسيراً مقنعاً لهذا الطلب فقد تفهمت وضعه فشكرته شكر مودع على أمل اللقاء به في يوم من الأيام.

رجعت من (السيدة زينب) محملاً بالكتب بعد شهر كامل قضيته في سوريا، وبت متشوقاً لقراءة ما قدمت به من هناك.

لقد كانت هذه الزيارة كنزاً نفيساً أهداني إياه الزمان، لكنه لم يكن الوحيد.

فقد كان للنقاشات الفردية أيضاً دورها في هذا الإثراء المعرفي كما سيأتي بيانه بين طيات هذا السفر.

في حب أهل البيت...

(أحبونا حب الإسلام لله عز وجل فإنه ما برح بنا حبكم حتى صار علينا عاراً).

الإمام علي بن الحسين

حب أهل البيت..

كنت مستعداً لأن أكون شيعياً منذ الوهلة الأولى، إن كان الخلاف بين أهل السنة والشيعه
خلافاً بين فئة تحب أهل البيت وبين أخرى تبغضهم وتبخسهم حقهم.

كنت مستعداً لنسيان ثلاثة عقود مضت من عمري واستبدالها بأخرى إن اكتشفت بأني قد
أخطأت الطريق والخطى طوال تلك السنين.

لكن الخلاف الحقيقي بين أهل السنة والشيعه ليس بهذه السطحية.

إنّ علماء الشيعة يدركون أن جُل الأحاديث التي يستدلون بها على مكانة أهل البيت وعلى
رفعتهم هي أحاديث سنية تروىها كتب أهل السنة، ويدركون كذلك مدى إكبار أهل السنة لمقام
أهل البيت وحفظهم لفضائلهم حتى إنّ الأحاديث النبوية المادحة لهم قد سُجّلت ودوّنت في
أصح كتبهم بدءاً بالبخاري وانتهاء بأقل كتب الحديث عناية بالإسناد.

ومن يتصفح صحيح البخاري ومسلم أو جامع الترمذي مثلاً فإنه سيجد حتماً أبواباً بعضها
في فضائل علي بن أبي طالب والحسن والحسين أو فاطمة أو العباس وابنه عبد الله أو جعفر بن أبي
طالب وغيرهم من آل البيت، هذا إلى جانب المصنفات السنّية الكثيرة التي صُنفت في آل البيت
خصيصاً، كـ"فضائل الحسن والحسين" للإمام أحمد بن حنبل^(١) (٢٤١هـ) و"خصائص أمير
المؤمنين علي بن أبي طالب" للحافظ النسائي (٣٠٣هـ) و"ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى"
للمحب الطبري (٦٩٤هـ) و"استجلاب ارتقاء العُرف بحب أقرباء الرسول صلى الله عليه وسلم
وذوي الشرف" للحافظ السخاوي (٩٠٢هـ) و"إحياء الميت في فضائل أهل البيت" لجلال الدين
السيوطي (٩١١هـ) و"جواهر العقدين في فضل الشرفين" لنور الدين الشريف السمهودي

١- نسبه إليه تقي الدين ابن تيمية رحمه الله في (منهاج السنة ٤/ ١٢٥).

(٩١١هـ) وله أيضاً "الجوهر الشفاف في فضائل الأشراف" و"در السحابة في مناقب القرابة والصحابة" للشوكاني (١٢٥٠هـ) وهناك الكثير والكثير.

ولذلك لم يجد آية الله العظمى الميرزا محمد حسين المامقاني إلا أن يعترف بهذه الحقيقة قائلاً: (وخلاصة القول: أن مقصودنا من هذه الخاتمة هو أن يتضح الأمر للجميع، بأن أهل السنة والجماعة وإن لم يكونوا قائلين بأن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - بلا فصل - ولم يعترفوا بالخلافة الظاهرية للعترة الطاهرة، وهم بهاتين الفقرتين يخالفون الشيعة الإثني عشرية، لكنهم يقرون بولاية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام المطلقة^(١) ويعترفون بجميع فضائل ومناقب الأئمة الأطياب عليهم السلام. وهذا المعنى ملتبس على أغلب الناس ومشتبه عليهم، حيث يظنون بأن السنة ينكرون فضائل أئمتنا^(٢)).

إذن ما قضية الخلاف والكل يجب أهل البيت ويدعو إلى محبتهم؟!

لقد أدركت من خلال دراستي لأبعاد الخلاف السني الشيعي أن هناك قضايا كثيرة طرحتها الشيعة الاثنا عشرية كانت ولا زالت سبباً في ظهور الشقة بين الطائفة وبين أهل السنة.

* القول برودة وانقلاب الصحابة على أعقابهم بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام، ولعن

الشيخين (أبي بكر وعمر)!

* القول بعصمة الأئمة الاثني عشر وإدعاء أنهم لا يسهون ولا ينسون!

* القول بأن للأئمة الاثني عشر ولاية تكوينية تخضع لها ذرات الكون!

* القول بأن إمامة الأئمة من الله، وأن الله نصبهم على العباد كما نصب الأنبياء والمرسلين!

١- إن كان يريد بولايته المطلقة محبته ونصرته وانعقاد خلافته وإمامته في الدين وأحقته على محاربيه (في الجمل وصفين) فهذا صحيح قطعاً، وإن كان يريد ما سوى ذلك من الغلو كاعتقاد تحكيم أهل البيت في الكون أو حضورهم عند الممات أو تفويض الخلق إليهم فتلك مجازفة.

٢- علم المحجة ص ٢٨٧ تحت عنوان (علماء العامة وقبولهم فضائل أهل البيت).

* وصف أئمة أهل البيت ببعض الأوصاف التي لا تنبغي إلا لله تعالى!

هذا إلى جانب قضايا عقائدية أخرى أو تاريخية عالقة في التاريخ ساهمت بشكل مباشر في تنافر القلوب وفي إثارة الضغائن بين الفريقين حتى صار أهل السنة والشيعة الاثنا عشرية رقيقي درب ولكن على طريقتين لا يلتقيان فيه أبداً.

فقد باتت الصورة العالقة في أذهان كثير من الشيعة أنهم وحدهم الذين يجوبون أهل البيت ويتولونهم وأن من ينتسب إلى أهل السنة ناصبي مبغض لأهل البيت أو في أحسن أحواله محب لأعداء أهل البيت!

فإن كنت في شك من ذلك فاقراً ما قاله العلامة يوسف البحراني في كتابه (الشهاب الثاقب في معنى الناصب) عن أهل السنة حيث يقول: (وبالجملة فالمستفاد من الأخبار أن محبتهم عليهم السلام^(١) إنما هي عبارة عن القول بإمامتهم، وجعلهم في مرتبتهم، وأن اعتقاد تأخيرهم عن تلك المرتبة وتقديم غيرهم عليهم بغض وعداوة لهم صلوات الله عليهم، فما يدعيه بعض المخالفين من المحبة أو يدعيه بعض أصحابنا لهم، دعوى لا دليل لها ولا برهان، بل الدليل على خلافها واضح البيان، كما دريته من أمثال هذه الأخبار الحسان)^(٢).

ويقول نعمة الله الجزائري في (الأنوار النعمانية ٢/ ٣٠٧) ما نصه: (ويؤيد هذا المعنى أن الأئمة عليهم السلام وخواصهم أطلقوا لفظ الناصبي على أبي حنيفة وأمثاله مع أن أبا حنيفة لم يكن ممن نصب العداوة لأهل البيت عليهم السلام بل كان له انقطاع إليهم وكان يُظهر لهم التودد).

١- أي الأئمة الإثني عشر وهم (علي بن أبي طالب، الحسن والحسين، علي بن الحسين، محمد بن علي الملقب بالباقر، جعفر بن محمد الملقب بالصادق، موسى بن جعفر الملقب بالكاظم، علي بن موسى الملقب بالرضا، محمد بن علي الملقب بالجواد، علي بن محمد الملقب بالهادي، الحسن بن علي الملقب بالعسكري، محمد بن الحسن الملقب بالقائم أو الحجة أو المهدي المنتظر).

٢- الشهاب الثاقب في معنى الناصب ص ١٤٤

ولن تجد مغالياً في الحب يرضى بحب من لم يكن مغالياً مثله.
ولذا مهما قرأ علماء الشيعة في كتب أهل السنة من ثناء عطر على أهل البيت أو إشادة بموقف
أحد منهم فإنّ هذا لن يغير نظرهم تجاه أهل السنة، طالما أنّ كاتب هذه الكلمات لا يدين الله بعقيدة
الإمامة التي تنادي بها الشيعة، ويضلل من أجلها أبا بكر وعمر وعثمان وبقية الصحابة!

حبهم إيمان وتقى وبغضهم نفاق وضلال

إنَّ حب أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم إيمان وتقى وبغضهم نفاق وضلال، من أحبهم فحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحبهم، ومن أبغضهم فببغض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبغضهم.

مبغضهم في الدنيا ملعون وفي جهنم على وجهه مكدوس، وفي هذا يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (والذي نفسي بيده، لا يبغضنا أهل البيت أحدٌ إلا أدخله الله النار)^(١).

يقول ابن الوزير رحمه الله: (وقد دلت النصوص الجمّة المتواترة على وجوب محبتهم وموالاتهم، وأن يكون معهم، ففي الصحيح: (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا)، وفيه (المرء مع من أحب)، ومما يخص أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قول الله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، فيجب لذلك حبهم وتعظيمهم وتوقيرهم واحترامهم والاعتراف بمناقبهم، فإنهم أهل آيات المباهلة والمودة والتطهير، وأهل المناقب الجمّة والفضل الشهر)^(٢).

أما الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الأجري فقد استخلص لك من رحيق هذه الأقوال عبراً يُعطرُّ به الأسماع إذ يقول: (واجب على كل مؤمن ومؤمنة محبة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنو هاشم، علي بن أبي طالب وولده وذريته وفاطمة وولدها وذريتها، والحسن

١- رواه الحاكم في المستدرک ٣/ ١٥٠ وقال: (صحيح على شرط مسلم) وصححه الألباني في السلسلة

الصحيحة (٦٤٣/٥) حديث رقم (٢٤٨٨)

٢- إيثار الحق على الخلق ص ٤١٦

والحسين وأولادهما وذريتهما، وجعفر الطيار وولده وذريته، وحمزة وولده^(١)، والعباس وولده وذريته رضي الله عنهم، هؤلاء أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، واجب على المسلمين محبتهم وإكرامهم واحتمالهم وحسن مداراتهم، والصبر عليهم والدعاء لهم، فمن أحسن من أولادهم وذرائعهم فقد تحلّق بأخلاق سلفه الكرام الأخيار الأبرار، ومن تحلّق منهم بما لا يحسن من الأخلاق دُعي له بالصلاح والصيانة والسلامة، وعاشره أهل العقل والأدب بأحسن المعاشرة، وقيل له: نحن نجلك عن أن تتحلّق بأخلاق لا تشبه سلفك الكرام الأبرار، ونغار لمثلك أن يتحلّق بما نعلم أنّ سلفك الكرام الأبرار لا يرضون بذلك، فمن محبتنا لك أن نحب لك أن تتحلّق بما هو أشبه بك، وهي الأخلاق الشريفة الكريمة، والله الموفق لذلك^(٢).

ويقول في ص ٨١١: (فإن قال قائل: فما تقول فيمن يزعم أنه محب لأبي بكر وعمر وعثمان، متخلف عن محبة علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وعن محبة الحسن والحسين رضي الله عنهما، غير راضٍ بخلافة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، هل تنفعه محبة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم؟

١- لحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه من الذكور: (عمارة) أمه خولة بنت قيس بن قهد الأنصاري، و(يعلى) أمه أنصارية الأوسية، قال ابن عبد البر: (كان له ولأخيه يعلى عند وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعوام ولا أحفظ لواحد منها رواية، وكان حمزة يُكنى أبا عمارة، قلت-الكلام لابن عبد البر-: هو أكبر ولده فإن كان عاش بعده فله صحبة، فإن حمزة استشهد قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بست سنين وأشهر)، وحمزة رضي الله عنه من الإناث (سلمى) و(أمامة) وهن صحابيات، وقد انقطع عقب حمزة رضي الله عنه بموت أبنائه دون عقب (راجع جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ١٧ والاستيعاب لابن عبد البر ١/٣٥٣).

٢- كتاب الشريعة ص ٨٣٢

قيل له: معاذ الله، هذه صفة منافق، ليست بصفة مؤمن، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: (لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق)^(١) وقال عليه السلام: (من أذى علياً فقد أذاني)^(٢)، وشهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي رضي الله عنه بالخلافة وشهد له بالجنة وبأنه شهيد، وأنّ علياً رضي الله عنه محب لله عز وجل ولرسوله، وأنّ الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم محبان لعلي رضي الله عنه، وجميع ما شهد له به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الفضائل التي تقدم ذكرنا لها وما أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من محبته للحسن والحسين رضي الله عنهما مما تقدم ذكرنا له. فمن لم يحب هؤلاء ويتولهم فعليه لعنة الله في الدنيا والآخرة، وقد بريء منه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وكذا من زعم أنه يتولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويجب أهل بيته، ويزعم أنه لا يرضى بخلافة أبي بكر وعمر ولا عثمان ولا يحبهم ويبرأ منهم ويطعن عليهم، فنشهد بالله يقيناً أنّ علي بن أبي طالب والحسن والحسين رضي الله عنهم براء منه، لا تنفعه محبتهم حتى يحب أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيما وصفهم به، وذكر فضلهم، وتبرأ ممن لن يحبهم. فرضي الله عنه وعن ذريته الطيبة، هذا طريق العقلاء من المسلمين).

ويقول تقي الدين ابن تيمية: (واتباع القرآن واجب على الأمة بل هو أصل الإيمان وهدى الله الذي بُعث به رسوله، وكذلك أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تجب محبتهم وموالاتهم ورعاية حقهم).

وهذان الثقلان اللذان وصّى بهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فروى مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بغدير يدعى حُجَّاً بين مكة والمدينة، فقال: (يا أيها الناس، إني تارك فيكم الثقلين - وفي رواية:

١- رواه الترمذي - كتاب المناقب - مناقب علي بن أبي طالب - حديث رقم (٣٧٣٦)

٢- صحيح بمجموع طرقه (انظر: السلسلة الصحيحة - حديث رقم (٢٢٩٥))

أحدهما أعظم من الآخر - كتاب الله فيه الهدى والنور) فرغَّب في كتاب الله، وفي رواية: (هو جبل الله، من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة، وعترتي أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي) فقليل لزيد بن أرقم: من أهل بيته؟ قال: أهل بيته من حرم الصدقة، آل العباس، وآل علي، وآل جعفر، وآل عقيل.

والنصوص الدالة على اتباع القرآن أعظم من أن تذكر هنا. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من وجوه حسان أنه قال عن أهل بيته: (والذي نفسي بيده، لا يدخلون الجنة حتى يجوبكم من أجلي)، وقد أمرنا الله بالصلاة على آل محمد، وطهرهم من الصدقة التي هي أوساخ الناس، وجعل لهم حقاً في الخمس والفيء، وقال صلى الله عليه وآله وسلم فيما ثبت في الصحيح: (إنَّ الله اصطفى بني إسماعيل، واصطفى كنانة من بني إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى بني هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم، فأنا خيركم نفساً وخيركم نسباً). ولو ذكرنا ما رُوي في حقوق القرابة وحقوق الصحابة لطال الخطاب، فإنَّ دلائل هذا كثيرة من الكتاب والسنة.

ولهذا اتفق أهل السنة والجماعة على رعاية حقوق الصحابة والقرابة، وتبرؤوا من الناصبة الذين يكفرون علي بن أبي طالب ويفسقونه، ويتقصون بحرمة أهل البيت، مثل من كان يعاديهم على الملك، أو يعرض عن حقوقهم الواجبة، أو يغلو في تعظيم يزيد بن معاوية بغير الحق. وتبرؤوا من الرافضة الذين يطعنون على الصحابة وجمهور المؤمنين، ويكفرون عامة صالحي أهل القبلة، وهم يعلمون أنَّ هؤلاء أعظم ذنباً وضلالاً من أولئك^(١).

من هم آل البيت؟

إنّ أول خطوة ينبغي أن يخطوها المرء بُغية الوصول إلى حوار مثمر مفيد هي خطوة (تحرير المصطلحات).

وإذا ما رزقك الله تعالى حيادية في الطرح وإنصافاً في النظرة للخصم فإنك ستدرك بلا شك أنّ الأزمة التي نعيشها في حل خصوماتنا المذهبية قد لا ترجع عادة إلى خبث نية أحد الطرفين بقدر ما يكون الخلل فيها في تحرير مسائل الخلاف وعلى رأسها فهم (المصطلح).

وإذا ما يسّر الله تعالى لك حضور مجلس يُتناول فيه الخلاف السني الشيعي فإنك ستلاحظ أنّ الحوار الدائر بين الطرفين: السني والشيعي، ربما يبدأ هادئاً بعض الشيء ثم ما يلبث أن يتحول إلى صياح واتهامات متبادلة أو ربما مباهلة يحسم بها الطرفان الحوار.

لكنك إذا ما سألت أحد الطرفين بعد انفضاض المجلس عن (أهل البيت) الذين يتكلم عنهم، ثم التفت للآخر وسألته السؤال ذاته لحصلت على إجابتين مختلفتين!

ولأدرت أنّ القوم قد خاضوا في نقاش طويل وعريض وفي تشعبات ومسائل خلافية لا حصر لها دون أن يجروا قبل هذا كله مصطلح (آل البيت) الذي يتناقشون فيه ويؤصلون ويفرّعون عليه!

لهذا كان لازماً عليّ كباحث وعلى كل من يريد الحديث عن (أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم) أن يجرد قبل كل شيء مصطلح (الآل)، وإلا كان الحديث عن (آل البيت) حديثاً عاطفياً مجرداً عن الدليل والبرهان.

تحرير المصطلح

المتأمل لكتب اللغة وللآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة يلاحظ أن لفظ (الآل) له معان باعتبار مقامات لا يحسن تجاهلها أو عدّها أقوالاً مختلفة كما ذهب إلى ذلك الكثيرون قديماً وحديثاً.

فإن النصوص الشرعية لا تتناقض ولا يصح أن يُنظر إلى مصطلح (آل البيت) على أنه مصطلح غامض أو مختلف فيه، لا يُعرف له سطح من قاع!

لهذا حرصت أن أتبع النصوص الشرعية الذاكرة لأهل البيت وموارد استخدامها لهذا المصطلح ثم نظرت في كلام العلماء العارفين بهذا الشأن، فخلصت بعد هذا الاستقراء بنتيجة مفادها أن آل البيت إجمالاً ودون الخوض في التفاصيل والأدلة مصطلح يضم ثلاثة بيوت: (بيت النسب، بيت السكنى، بيت الولادة).

فبنو هاشم وأولاد عبد المطلب هم أهل بيت له صلى الله عليه وآله وسلم من جهة النسب، ويُقال لأولاد الجد القريب: بيت، ويُقال: بيت فلان كريم شريف.

وأزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم أهل بيت له من جهة السكنى، وإطلاق هذا اللفظ على نساء الرجل أخص وأعرف بحسب العرف والعادة.

وأولاده صلى الله عليه وآله وسلم هم أهل بيته من جهة الولادة، ومع شمول هذا اللفظ لجميع أولاده فيدخل كل من فاطمة ابنته رضي الله عنها وعلي زوج ابنته رضي الله عنه، وابناهما في أهل بيته.

فإن شئت التوسع في الكلام عن مصطلح (آل البيت) وإطلاقه فاعلم أن لفظ (الآل) في الشرع يُطلق ويراد به مقامان اثنان:

أولهما (مقام الاتباع والنصرة) والثاني (مقام من تحرم عليهم الصدقة).
وفيما يلي بيان ذلك بالتفصيل:

أولاً: مقام (الاتباع والنصرة)

فقد استخدم العرب لفظ (الآل) في الدلالة على الأتباع.

وفي هذا يقول عبد المطلب في الفيل وأصحابه:

وانصُرْ عَلى آلِ الصُّليبِ وعابديهِ اليَومِ أَلَّكَ^(١)

ومراده هنا أن يقول: وانصر اللهم أتباعك وأنصارك اليوم على أتباع الصليب وعابديه.

وقد ورد لفظ (الآل) في القرآن والسنة أحياناً بهذا المعنى، ومثاله قول الله تبارك وتعالى ﴿إِلَّا

ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَهُمْ بِسِحْرِ^ط ﴿٣٤﴾ [القمر: ٣٤]، والمراد بالآية لوط عليه السلام وأتباعه المؤمنون به من أقاربه وغيرهم.

ومنه قول الله تبارك وتعالى عن فرعون ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَكُم مِّنْ ءَالَ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ

الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ [البقرة:

٤٩] وقوله تعالى ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَكُم وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَتْتَمَّ تَنْظُرُونَ

﴿٥٠﴾ [البقرة: ٥٠] وقوله تعالى ﴿أَدْخِلُوا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ [غافر: ٤٦].

والمقصود بـ (آل فرعون) هنا (فرعون وأتباعه)، فإنه لم يكن لفرعون ولد أصلاً - باتفاق

المفسرين وأرباب التواريخ - ولذلك حكى الله تعالى قول امرأته آسية عن موسى عليه السلام

﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ

لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ [القصص: ٩]، ولا خلاف كذلك أنّ الذين كانوا يذبّحون أبناء بني إسرائيل والذين أغرقهم الله تعالى هم جند فرعون وأتباعه.

يقول القرطبي في تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: ("آل فِرْعَوْنَ" قَوْمَهُ وَأَتْبَاعَهُ وَأَهْلَ دِينِهِ، وَكَذَلِكَ آلُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ هُوَ عَلَى دِينِهِ وَمِلَّتِهِ فِي عَصْرِهِ وَسَائِرِ الْأَعْصَارِ سِوَاءَ كَانَتْ نَسَبِيًّا لَهُ أَوْ لَمْ يَكُنْ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى دِينِهِ وَمِلَّتِهِ فَلَيْسَ مِنْ آلِهِ وَلَا أَهْلِهِ وَإِنْ كَانَتْ نَسَبِيًّا وَقَرِيبَةً)^(١).

وقد قيل للإمام جعفر الصادق (الناس يقولون المسلمون كلهم آل النبي عليه الصلاة والسلام، فقال: كذبوا وصدقوا، فقيل له: ما معنى ذلك؟ فقال: كذبوا في أنّ الأمة كافتهم آله وصدقوا في أنهم إذا قاموا بشرائط شريعته آله)^(٢).

ثانياً: مقام (من تحرم عليهم الصدقة)

و(الآل) في هذا المقام قسمان: أصل وفرع.

فأما الأصل فالمراد به (بنو هاشم)^(٣) لحديث (حديث الثقلين) والذي فيه قول النبي عليه الصلاة والسلام: (أما بعد، ألا أيها الناس فإنها أنا بشر- يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا

١- تفسير القرطبي ٣٨٢ / ١

٢- مفردات غريب القرآن ص ٣١

٣- وإنما قال العلماء (بنو هاشم) لبيان أنهم (أصل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعصبته) وإلا فالعلماء مجمعون على أنّ من يحرم عليهم الصدقة ويطلق عليهم مصطلح (آل البيت) وتجب مودتهم وإجلالهم هم المؤمنون من بني هاشم) وليس كل بني هاشم، مسلمهم وكافرهم!

راجع إن شئت (فتح الوهاب ٨ / ١) لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، و(فتح المعين ٢٠ / ١) للشيخ زين الدين المليباري.

تارك فيكم ثقلين: أولهما: كتاب الله، فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه. ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي. فقال له حصين: ومن أهل بيته؟ يا زيد، أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حُرِّم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل عليّ، وآل عقیل، وآل جعفر، وآل عباس، قال: كل هؤلاء حُرِّم الصدقة؟ قال: نعم^(١).

ولما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الله ابن الحارث بن نوفل الهاشمي^(٢) أنّ عبد المطلب بن ربيعة^(٣) أخبره أنّ أباه ربيعة بن الحارث قال لعبد المطلب بن ربيعة، وللفضل بن العباس رضي الله عنهما: ائتيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقولا له استعملنا يا رسول الله على الصدقات - فذكر الحديث - وفيه: فقال لنا: (إنّ هذه الصدقة إنما هي أوساخ الناس وإنما لا تحل لمحمد ولا لآل محمد).

وزاد الإمام الشافعي على بني هاشم (بنو المطلب) لقول النبي عليه الصلاة والسلام (إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد)^(٤) وفي رواية: (إنما وبنو المطلب لا نفرق في جاهلية ولا إسلام)^(٥). وقد رد ابن قدامة المقدسي القول بدخول (بني المطلب) في مسمى (آل البيت) فقال: (ولا يصح قياس (بني المطلب) على (بني هاشم)، لأنّ بني هاشم أقرب إلى النبي صلى الله عليه وآله وأسرف وهم آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومشاركة بني المطلب لهم في خمس الخمس

١- رواه مسلم - كتاب فضائل الصحابة - باب (من فضائل علي بن أبي طالب) - حديث رقم (٢٤٠٨).

٢- وهو عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف.

٣- وهو عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف.

٤- رواه البخاري - كتاب المناقب - باب (مناقب قريش) - حديث رقم (٣٥٠٢).

٥- رواه أبو داود - كتاب الخراج - باب (في بيان مواضع قسم الخمس وسهم ذي القربى) - حديث رقم

ما استحقوه بمجرد القرابة بدليل أن بني عبد شمس وبني نوفل يساؤونهم في القرابة ولم يعطوا شيئاً، وإنما شاركوه بالنصرة أو بهما جميعاً^(١).

وحجة ابن قدامة في هذا ظاهرة، فالنبي عليه الصلاة والسلام علل إدخاله (بني المطلب) في حكم (الخمسة) كونهم لم يفارقوا بني هاشم في جاهلية ولا إسلام بل كانوا سنداً لهم في كل الأحوال، فاستحقوا لذلك (الخمسة) مع (بني هاشم) دون غيرهم من القرابة. أما تحريم الصدقة عليهم كسائر آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلا دليل عليه، والأصل أن الصدقة عليهم جائزة، وأن من تحرم عليهم الصدقة هم بنو هاشم.

أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من آل بيته

وأما فرع (آل البيت) فالمراد به (زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم) وهن من (آله) لاتصالهن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمصاهرة.

وقد حرمن على غيره من الرجال في حياته وبعد مماته، وهن زوجاته في الدنيا والآخرة، فالسبب الذي لهن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم قائم مقام النسب.

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على دخولهن في مسمى (آل البيت).

أول هذه الأدلة: تسمية الله عز وجل أزواج الأنبياء بأهل البيت، فقد قال تعالى عن موسى عليه السلام ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنستُ نَارًا سَاءَتِ كُفْرُ مَنَّا بِحَيْرٍ﴾ [النمل: ٧]، ومعلوم أنه لم يكن معه في سفره هذا إلا زوجته.

يقول الطباطبائي في تفسيره: (قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ﴾ المراد بأهله امرأته وهي بنت شيبان على ما ذكره الله تعالى في سورة القصص)^(٢).

١- المغني ٢/ ٥٢٠

٢- تفسير الميزان ١٥/ ٣٤٢

ويقول القمي في تفسير قوله تعالى ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾: (.. فلما حال عليه الحول حمل موسى امرأته، وزوده شعيب من عنده، وساق غنمه، فلما أراد الخروج ... قال له (شعيب): اذهب فقد خصك الله بها، فساق غنمه فخرج يريد مصر، فلما صار في مفازة ومعه أهله أصابهم برد شديد وريح وظلمة وجنهم الليل فنظر موسى إلى النار قد ظهرت كما قال الله ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾^(١).

ومن هذا أيضاً قول الملائكة لامرأة إبراهيم عليه السلام (سارة) لما بُشِرت بإسحاق ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ ۗ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۗ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣].

يقول الراغب الأصفهاني في (مفردات غريب القرآن): (أهل الرجل من يجمعه وإياهم نسب أو دين أو ما يجري مجراهما من صناعة وبيت وبلد، فأهل الرجل في الأصل من يجمعه وإياهم مسكن واحد ثم تجوز به ف قيل أهل بيت الرجل لمن يجمعه وإياهم نسب، وتعرف في أسرة النبي عليه الصلاة والسلام مطلقاً إذا قيل (أهل البيت) لقوله عز وجل ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ وعبر بأهل الرجل عن امرأته^(٢).

يقول ابن منظور في كتابه لسان العرب: (أهل البيت: سكّانه، وأهل الرجل: أخص الناس به، وأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أزواجه وبناته وصهره، أعني علياً عليه السلام)^(٣).

١- تفسير القمي ١١٦/٢-١١٧ سورة القصص

٢- مفردات غريب القرآن ص ٢٩

٣- لسان العرب - مادة (أهل)

ويقول الفيروز أبادي في القاموس المحيط: (أهل الأمر: ولاته، وللييت: سكّانه، وللمذهب: من يدين به، وللرجل: زوجته كأهله، وللنبي صلى الله عليه وآله وسلم: أزواجه وبناته وصهره علي رضي الله عنه)^(١).

ويقول الزبيدي في كتابه تاج العروس (والأهل للييت سكانه ومن ذلك أهل القرى: سُكّانها، والأهل للمذهب من يدين به ويعتقده، ومن المجاز: الأهل للرجل زوجته ويدخل فيه الأولاد، وبه فُسّر قوله تعالى أيضاً ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ أي زوجته وأولاده كأهله بالتاء، والأهل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أزواجه وبناته وصهره علي أو نساؤه، وقيل أهله الرجال الذين هم آله ويدخل فيه الأحفاد والذريات، ومنه قوله تعالى ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، وقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ و ﴿رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾^(٢).

الثاني: الآيات التي تخاطب نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سورة الأحزاب والتي فيها ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، فإنّ سياق الآيات في نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وما ذُكر من أنّ المراد بها هم (أصحاب الكساء) دون غيرهم سيتم مناقشته بالتفصيل في موضوع آية التطهير في (فصل الإمامة) بإذن الله تعالى.

الثالث: ما رواه البخاري عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة رضي الله عنه فقال: ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقلت: بلى، فأهدها لي، فقال: سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ فإنّ الله قد علمنا كيف نسلم عليكم، قال: قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على

١- القاموس المحيط (باب اللام - فصل الهمزة) ص ١٢٤٥

٢- تاج العروس ٣٦/١٤

إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد^(١).

وقد علّم النبي صلى الله عليه وآله وسلم صحابته عدة صيغ للصلاة على آله ذاكراً منها الصيغة التالية:

عن عمرو بن سليم الزرقي قال: أخبرني أبو حميد الساعدي رضي الله عنه أنهم قالوا: يا رسول الله، كيف نصلي عليكم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (قولوا: اللهم صلّ على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد) (قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد)^(٢).

وإذا كان إطلاق مسمى (أهل البيت) على زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم مذكوراً في الصلاة الإبراهيمية، فإن التصريح بكون نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم من آل بيته أوضح ما يكون في هذا الحديث الشريف.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: (بني على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بزینب بنت جحش بخبز ولحم، فأرسلت على الطعام داعياً... فخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فانطلق إلى حُجرة عائشة فقال: (السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله)، فقالت: و عليك السلام ورحمة الله،

١- رواه البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء - باب قول الله تعالى ﴿وَأَتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ - حديث

رقم (٣٣٧٠)

٢- المصدر نفسه - حديث رقم (٣٣٦٩)

كيف وجدت أهلك؟ بارك الله لك، فتقرى حَجَرَ نساءه كلهن، يقول هن كما يقول لعائشة ويقلن له كما قالت عائشة...^(١).

وفي حديث (الإفك) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو على المنبر حاكياً اتهام عبد الله بن أبي سلول لأم المؤمنين عائشة: (يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه في أهل بيتي، فوالله! ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً (أي صفوان بن المعطل) ما علمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلي إلا معي)^(٢).

وعن إبراهيم قال: قلت للأسود (هل سألت أم المؤمنين عما يكره أن يُتنبذ فيه؟) قال: نعم، قلت: يا أم المؤمنين، أخبريني عما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يُتنبذ فيه، قالت: نهانا أهل البيت أن نتنبذ في الدباء والمزفت)^(٣).

كل هذه الأحاديث تشير بجلاء إلى أن أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من آل بيته. لكن زيد بن الأرقم رضي الله عنه رغم إقراره بكون أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من آل بيته إلا أنه كان يرى أن (تحريم الصدقة) حكم خاص ببني هاشم (عصبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصله) لا يشاركونهم فيه زوجات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وقد عبّر عن هذا صراحة في حديث مسلم والذي فيه: (فقلنا: من أهل بيته؟ نسأوه، قال: لا، وإيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصله وعصبته الذين حُرِّموا الصدقة بعده).

١- رواه البخاري - كتاب التفسير - باب ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبْظِرِينَ إِنَّهُ﴾ حديث رقم (٤٧٩٣)

٢- رواه مسلم - كتاب التوبة - باب (في حديث الإفك وقبول توبة القاذف) حديث رقم (٧٠٢٠)

٣- رواه مسلم - كتاب الأشربة - باب (النهي عن الانتباز في المزفت والدباء والحنتم والنقير، وبيان أنه منسوخ) حديث رقم (٥١٧٢)

وقد أشكل هذا الحديث على بعض من قصرت أفهامهم عن مراد (زيد) رضي الله عنه، فظنوا أنّ هذه الرواية معارضة لسابقتها التي قال فيها: (نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حُرْم الصدقة بعده)، ولا تعارض بين الروایتين، فعلة التفريق في الحديثين ظاهرة وهي أنّ نساء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسن من آل بيته الذين حُرِّم عليهم الصدقة وإن كانوا في الحقيقة من آل البيت (إجمالاً).

قال النووي رحمه الله في شرح هذا الحديث: (تأول الرواية الأولى على أنّ المراد أنهم من أهل بيته الذين يسكنون ويعولهم، وأمر باحترامهم وإكرامهم وسماهم ثقلاً ووعظ في حقوقهم وذكر، فنساؤه داخلات في هذا كله ولا يدخلن فيمن حرم الصدقة، وقد أشار إلى هذا في الرواية الأولى بقوله: (نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة) فاتفقت الروایتان^(١).

روايات الشيعة تؤكد ما ذكرناه

ما ذكرته آنفاً من شمول مصطلح (آل البيت) لبني هاشم تشهد عليه روايات شيعية كثيرة قد تبلغ حد التواتر، إليك بعضاً منها:

روى الصدوق في الأمالي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: قال علي عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا رسول الله، إنك لتحب عقيلاً، قال: إي والله، إني لأحبه حين حباً له وحباً أحب أبي طالب له وإنّ ولده لمقتول في محبة ولدك فتدمع عليه عيون المؤمنين وتصلي عليه الملائكة المقربون ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى جرت دموعه على صدره ثم قال: إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي^(٢).

فأثبت رسول الله بهذا الحديث أنّ عقيلاً وابنه من عترته عليه الصلاة والسلام.

١- شرح صحيح مسلم للنووي ١٥/١٨٠-١٨١

٢- أمالي الصدوق ص ١٩١ حديث رقم (٢٠٠) وبحار الأنوار ٢٢/٢٨٨، ٤٤/٢٨٧

وفي بحار الأنوار للمجلسي عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال بعد أن جمع ولده وإخوته وأهل بيته ونظر إليهم فبكى ساعة: اللهم إنا عترة نبيك^(١).

فلم يحصر الحسين العترة في نفسه وفي ولده زين العابدين بل عمم اللفظ لسائر من كان معه من أهل البيت.

وقد خاطب أحد الشيعة زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام قائلاً: (يا ابن رسول الله، أأنت صاحب هذا الأمر؟ قال: أنا من العترة)^(٢).

وقد روى (ابن بابويه القمي) شهادة ولدي مسلم بن عقيل الصغيرين والتي فيها: (فقال له الغلام الصغير: يا شيخ، أتعرف محمداً؟ قال: فكيف لا أعرف محمداً وهو نبيي؟ قال: أتعرف جعفر بن أبي طالب؟ قال: وكيف لا أعرف جعفرأ وقد أنبت الله له جناحين يطير بهما مع الملائكة كيف يشاء، قال: أتعرف علي بن أبي طالب؟ قال: وكيف لا أعرف علياً وهو ابن عم نبيي وأخو نبيي؟ قال له: يا شيخ، فنحن من عترة نبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونحن من ولد مسلم بن عقيل بن أبي طالب بيدك أسارى، نسألك من طيب الطعام فلا تطعمنا، ومن بارد الشراب فلا تسقينا...)^(٣).

ومنها حديث أكثر صراحة في بيان العترة، فقد روى محمد بن سليمان الكوفي في كتابه (مناقب أمير المؤمنين عليه السلام) عن يزيد بن حيان قال: انطلقت أنا وحصين بن عقبة إلى زيد بن أرقم فجلسنا إليه فقال له حصين: يا زيد، قد أكرمك الله ورأيت خيراً كثيراً، حدثنا يا زيد ما سمعت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال زيد: قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً فخطبنا بماء يدعى بـ"خم" بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: (أما بعد،

١- بحار الأنوار ٤٤ / ٣٨٣

٢- بحار الأنوار ٤٦ / ٢٠٢

٣- الأمالي للصدوق ص ١٤٣ حديث رقم (١٤٥)

أيها الناس، إنما أنا بشر أنتظر أن يأتي رسول ربي فأجيب وإني تارك فيكم الثقلين: أحدهما كتاب الله، فيه الهدى والنور فاستمسكوا بكتاب الله وخذوا به. فرغب في كتاب الله وحث عليه ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي - (قالها) ثلاث مرات، فقال له حصين: يا زيد، من أهل بيته؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: إن نساءه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده، فقال له حصين: من هم يا زيد؟ قال: هم آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس.

فقال له حصين: أكل هؤلاء حرم عليهم الصدقة بعده؟ قال: نعم^(١).

وقال الأربلي في بيان المراد بآل البيت: (فإن قال قائل فما حقيقة الآل في اللغة عندك؟، وقد بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث سئل فقال: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيها، قلنا: فمن أهل بيته؟ قال: آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل عباس)^(٢).

ويؤكد ذلك (الحافظ يحيى بن الحسن الأسدي الحلبي) في كتابه (عمدة عيون صحاح الأخبار) فيقول: (ومن ذلك ما ذكره الثعلبي أيضاً في تفسير قوله تعالى ﴿مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ يعني من أموال كفار أهل القرى ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ يعني قرابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: وهم آل علي عليه السلام وآل العباس رضي الله عنه وآل جعفر وآل عقيل رضي الله عنهما ولم يشرك بهم غيرهم، وهذا وجه صحيح يطرد على الصحة لأنه موافق لمذهب آل محمد صلى الله عليه وآله يدل عليه وآله يدل عليه ما هو مذكور عندهم في تفسير قوله تعالى ﴿وَأَعْلَمُوا

١- مناقب أمير المؤمنين (ع) ١١٦/٢ وكشف الغمة ١/٥٤٩

٢- بحار الأنوار ٢٥/٢٣٧ نقلاً عن كشف الغمة في معرفة الأئمة للأربلي

أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ ﴿١﴾ لَأَنَّ مستحق الخمس عندهم آل علي (ع) وآل العباس رضي الله عنه وآل جعفر وآل عقيل (ع) ولا يشرك بهم غيرهم^(١).

وروى الطبرسي في الاحتجاج (عن أبي المفضل محمد بن عبد الله الشيباني بإسناده الصحيح عن رجال ثقة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خرج في مرضه الذي توفي فيه إلى الصلاة متوكئاً على الفضل بن عباس و غلام له يقال له ثوبان، وهي الصلاة التي أراد التخلف عنها لثقله ثم حمل على نفسه وخرج، فلما صلى عاد إلى منزله، فقال لغلامه: اجلس على الباب ولا تحجب أحداً من الأنصار وتجاه الغشي وجاءت الأنصار فأحدقوا بالباب، وقالوا: استأذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: هو مغشي عليه وعنده نساؤه فجعلوا يبكون، فسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم البكاء، فقال: من هؤلاء؟ قالوا: الأنصار، فقال: من هاهنا من أهل بيتي؟ قالوا: علي والعباس، فدعاهما وخرج متوكئاً عليهما^(٢).

وروى شيخ الطائفة الطوسي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما زوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة علياً عليهما السلام دخل عليها وهي تبكي، فقال لها: ما يبكيك؟ فوالله لو كان في أهل بيتي خير منه زوجتك^(٣).

وعن سلمان الفارسي قال: كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وآله في المسجد إذ دخل العباس بن عبد المطلب فسلم، فردّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورخّب به، فقال: يا رسول الله، بم فضل علينا أهل البيت علي بن أبي طالب والمعادن واحدة، فقال النبي: إذن أخبرك يا عم...^(٤)

١- عمدة عيون صحاح الأخبار ص ٦-٧

٢- الاحتجاج ١/٧٠ وبحار الأنوار ٢٨/١٧٦

٣- الأمالي للطوسي ص ٤٠ حديث رقم (٤٥)

٤- إرشاد القلوب ٢/٤٠٣ وبحار الأنوار ٤٣/١٧

وفي هذا الحديث إقرار من رسول الله للعباس بأنه من أهل البيت ثم إخبار له بسبب تفضيل علي بن أبي طالب عليه وعلى سائر رجال أهل البيت.

وعن الباقر عليه السلام قال: لما أمر العباس بسد الأبواب، وأذن لعلي عليه السلام بترك بابه، جاء العباس وغيره من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فقالوا: يا رسول الله، ما بال علي يدخل ويخرج؟ فقال رسول الله: ذلك إلى الله فسلموا له حكمه^(١).

والشاهد هو قول الباقر (جاء العباس وغيره من آل محمد) وهو واضح جلي في دخول العباس وغيره في مسمى أهل البيت والعترة وعدم انحصار مسمى (آل محمد) بأصحاب الكساء أو بالأئمة الاثني عشر.

وعن ابن عباس قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم وهو آخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يقول: يا معشر الأنصار، يا معشر بني هاشم، يا معشر بني عبد المطلب، أنا محمد رسول الله، ألا إني خلقت من طينة مرحومة في أربعة من أهل بيتي أنا وعلي وحمزة وجعفر^(٢).

وروي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: (ألا وإن إلهي اختارني في ثلاثة من أهل بيتي وأنا سيد الثلاثة وأتقاهم الله ولا فخر، اختارني وعلياً وجعفر ابني أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب كنا رقوداً بالأبطح ليس منا إلا مسجى بثوبه علي وجهه)^(٣).

وروي أنه قال في مرض موته لابنته فاطمة الزهراء (علي بعدي أفضل أمتي، وحمزة وجعفر أفضل أهل بيتي بعد علي)^(٤).

١- تفسير الإمام العسكري ص ٢٠ وبحار الأنوار ٣٩/٢٥

٢- الأمالي للصدوق ص ٢٧٥ حديث رقم (٣٠٦) والخصال ١/٢٠٤

٣- تفسير القمي ٢/٣٤٧ وبحار الأنوار ٢٢/٢٧٧ و٣٥/٢١٤

وفي غزوة بدر لما نُقل عبيدة بن حارث بن عبد المطلب إلى رسول الله جريحاً يحتضر قال: (يا رسول الله أأنت شهيداً؟ قال: بلى، أنت أول شهيد من أهل بيتي)^(٢).

١- كمال الدين (الباب: ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النص على القائم (ع) وأنه (الثاني عشر-

في الأئمة) ص ٢٤٥

٢- مناقب آل أبي طالب ١/ ١٨٨ وبحار الأنوار ١٩/ ٢٢٥

أهل البيت بين الشرف والخصوصية

أما وقد علمت أنّ (أهل البيت) هم (بنو هاشم بجميع فروعهم) وكذا (أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم)، فاعلم أنّ الله تعالى قد فضل أهل البيت بعضهم على بعض درجات، فمنهم من دُكر بمناقب خاصة وأشير إليه بشرف خاص ومنهم من هو كسائر آل البيت في المنقبة العامة لا يفضل على أحد منهم بمنقبة.

وآل البيت في هذا المقام قسمان: قسم حاز (الشرف العام) وهم (المؤمنون من بني هاشم)، وهؤلاء من المكانة والشرف والتقدير والإجلال ما يميزهم عن سائر المسلمين، يُحب المرء منهم على قدر دينه وإيمانه، فمن ضم إلى قرابته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علماً في الدين وتقوى لله كان أحب إلينا ممن هو أقل منه ديناً وعلماً، ومن كان منهم أقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان أحب إلى قلوبنا ممن بُعد نسبه.

ودليل (هذا التشريف) ما روي من أنّ العباس (عم رسول الله) شكّا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يلقون من قريش من تعبيسهم في وجوههم وقطعهم حديثهم عند لقاءهم، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غضباً شديداً حتى احمر وجهه ودرّ عرق بين عينيه وقال: (والذي نفسي بيده، لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم الله ولرسوله)^(١).

١- في سنده (يزيد بن أبي زياد) وهو ضعيف، لكن ذكر تقي الدين ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٢٧/٢٦٨ أنّ الحديث (قد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من وجوه حسان) فلعله وقف على ما لم أقف عليه مع أنّي قد تقصيت أسانيد الرواية في مظانها فوجدتها كلها عن يزيد بن أبي زياد.

وما ورد بسند صحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (والذي نفسي بيده، لا يبغضنا أهل البيت أحدٌ إلا أدخله الله النار)^(١).

أما المسيء منهم المفارق لهدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنه يُبغض على قدر ضلاله وبعده عن هدي محمد عليه الصلاة والسلام إن لم يذهب به ضلاله إلى حد الكفر أو الزندقة، فيؤالى الرجل منهم لإسلامه وقرابته ويُبغض لمعصيته وهواه.

ولا يقدّم الهاشمي الضال على التقي الصالح من غير بني هاشم، إذ أنّ ميزان التفاضل هو التقوى لا النسب ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى﴾ [الحجرات: ١٣]، والرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقرر هذه الحقيقة فيقول: (ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه)^(٢)، فالنسب لن ينقذ أحداً من الناس ويشفع له عند الله إن أساء العمل وخالف هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

أما الكافر أو المرتد من (بني هاشم) فلا يُنسب إلى آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا كرامة، ولا يعني ذلك إنكار قرابته النسبية من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنّ هذه لا يستطيع أحد إنكارها، وإنما المستنكر هو إطلاق مسمى (أهل البيت) -الذي اقترن بالتشريف من رب العالمين- على المرتدين أو الكفار.

ولهذا لا يُقال بأنّ أبا لهب وأمثاله من الكفار والمعاندين من آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإن كان (أبو لهب) في الحقيقة هو عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

١- رواه الحاكم في المستدرک ٣/ ١٥٠ وقال: (صحيح على شرط مسلم) وصححه الألباني في السلسلة

الصحيحة (٦٤٣/٥) حديث رقم ٢٤٨٨

٢- رواه مسلم - كتاب (الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار) - باب (فضل الاجتماع على تلاوة القرآن) - حديث رقم (٢٦٩٩).

ومثل هؤلاء يُغضون كـ(سائر الكفار) بل أشد، وقد أنزل الله تعالى في أبي هب (عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) آيات تتلى إلى يوم القيامة لما كفر وعاند وحارب الإسلام وأهله. ولو كان النسب عاصماً أحداً من الضلالة لعصم ابن نوح عليه السلام لما ناداه نوح عليه السلام ﴿بَيْنِي أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود: ٤٢] فأثر الغرق على الهدى أو أزر لما قال له ابنه ابراهيم عليه السلام ﴿يَتَأْتِبِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ [مريم: ٤٤ - ٤٥] فقابل النصح بالعناد والمكابرة، إن ديننا قائم على ما قر في القلب وصدقته الأعمال لا على ما سطرته كتب الأنساب!

خصوصية أصحاب الكساء والأزواج

وأما القسم الثاني من (آل البيت) فهم أصحاب الكساء (علي وفاطمة والحسن والحسين) وأزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذريته، ويضاف إليهم كل هاشمي وردت في حقه فضائل خاصة كالعباس وحمزة وجعفر مثلاً، فإنه قد وردت فيهم فضائل خاصة تميزهم عن سائر بني هاشم.

فلهؤلاء خصوصية لا يشركهم فيها عامة بني هاشم فضلاً عن غيرهم.

فأما أهل الكساء فقد برزت خصوصيتهم بقول النبي عليه الصلاة والسلام في حديث الكساء (هؤلاء أهل بيتي، وأهل بيتي أحق)، فنص بهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على كونهم خاصة أهل بيته وأقربهم إليه، فحرص على تجليلهم بالكساء والدعاء لهم لينالهم التطهير، وسيأتي تفصيل هذا في موضعه من الكتاب.

وقد اختارهم دون سائر أهل بيته للمباهلة لأنهم أخص أهل بيته وأقربهم إليه، فخرجوا معه لمباهلة (عبد المسيح) ومن معه من وفد نجران.

وأما ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأزواجه فلهم خصوصية الصلاة عليهم في (الصلاة الإبراهيمية) التي وردت بعدة صيغ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، منها (قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد)^(١).

ولأزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم مزايا أخرى منها أن الله تعالى جعلهن أمهات للمؤمنين وهي أمومة يترتب عليها حرمة الزواج منهن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنهن زوجاته في الدنيا والآخرة، ووجوب احترامهن والتأدب معهن.

ومن مزاياهن أن الله تعالى فضّلهن على سائر نساء المؤمنين، فلهن من المكانة والفضل وعلو المقام والرتبة ما ليس لغيرهن من النساء كما قال الله تعالى ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ۚ إِنَّ اتَّقِيْتَنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢].

وقد شرفهن الله تعالى بتلاوة آياته والحكمة في بيوتهن فقال ﴿وَأذْكُرَنَّ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِّنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا﴾ [الأحزاب: ٣٤].

ولمكاتبتهن من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن المسلمين جعل الله تعالى الأجر لهن مضاعفاً إن عملن صالحاً والعذاب مضاعفاً إن أتين بفاحشة، فقال عز من قائل ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَّفَ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ ﴿٣٠﴾ * وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتْهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ [الأحزاب: ٣٠ - ٣١].

١- رواه البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء - حديث رقم (٣٣٦٩)

وقد روى الإمام محمد بن عاصم الأصبهاني بإسناد صحيح عن الفضيل بن مرزوق قال: سمعت (الحسن بن الحسن) أخا (عبد الله بن الحسن) وهو يقول لرجل ممن يغلو فيهم (ويحكم... أحبونا لله، فإن أطعنا الله فأحبونا وإن عصينا الله فأبغضونا) ثم قال: (والله إني لأخاف أن يُضاعف للعاصي منا العذاب ضعفين، والله إني لأرجو أن يؤتى المحسن منا أجره مرتين)^(١).

وروى الشيخ الطبرسي - وهو من كبار مفسري الشيعة الاثني عشرية - في تفسيره (مجمع البيان) ١٥٣/٨ عن أبي حمزة الثمالي عن زيد بن علي عليه السلام أنه قال: (إني لأرجو للمحسن منا أجرين، وأخاف على المسئى منا أن يضاعف له العذاب ضعفين، كما وعد أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم).

وروى عن علي بن عبد الله بن الحسين عن أبيه عن الإمام علي بن الحسين (زين العابدين) أنه قال له رجل: إنكم أهل بيت مغفور لكم، قال: فغضب وقال: نحن أحرى أن يجري فينا ما أجرى الله في أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أن نكون كما تقول، إنا نرى لمحسننا ضعفين من الأجر ولمسيئنا ضعفين من العذاب. ثم قرأ الآيتين).

فهذه روايات ثلاث بأسانيد سنية وشيعية تشير إلى احتساب أئمة آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يؤتي الله تعالى للمحسن منهم أجره مرتين والمسئى منهم العذاب ضعفين إن أساء العمل.

حين ينقلب الحب بغضاً وعداوة..

إنَّ حب آل بيت النبي عليه الصلاة والسلام ومواليهم ونصرتهم والذب عنهم معنى إيماني رائع، تجيش له مشاعر المؤمنين الصادقين، طالما بقي الحب حباً إيمانياً شرعياً لا تكدره تحريفات المبطلين.

لكنه حين يتعدى حدود الشرع فإنه ينقلب ولا بد بغضاً وعداوة لآل البيت النبوي. ذلك لأنَّ التقوّل على الأتقياء الصالحين ونسبة ما يضاد دينهم وأخلاقهم إليهم، لا يُمكن بحال من الأحوال أن يُعتبر حباً وولاء وإنما يُصنّف مباشرة تحت عنوان (البغض والمعاداة)! ولو جاز لنا أن نسأل المسيح عليه السلام على سبيل المثال عن رأيه وموقفه ممن غلا فيه ونسب إليه ما لم يقل - باسم حبه وتولييه - أترأه يصرّح بحب هذا المغالي وتمني الاجتماع به في الجنان عند مليك مقتدر؟ أم يذكره بالسوء ويرأى إلى الله تعالى منه ومن صنيعه بما أفسد به دين الله وعقائد الناس؟

إنَّ أبغض الناس عند المسيح عليه السلام هم الذين غالوا فيه وجعلوه نداءً لله تارة، وابتأ له تارة أخرى، واستبدلوا رسالته التي بُعث من أجلها إلى (مسخ) من عقائد وثنية وضعية أقنعوا أنفسهم والناس بأنها دين المسيح عليه السلام!

وقد أخبر الله تعالى عن موقف المسيح عليه السلام من النصارى يوم يدعوهم ويسأله ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾!

فَيَتَبَرَأُ قَائِلاً ﴿سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّكَ إِن كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ مَا قُلْتُ هُمْ إِلَّا مَا

أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۖ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٧].

نعم... لقد ادعى النصارى ذلك وصنعوا له الروايات، والقصص والأحلام والمنامات. وبنوا الكنائس، وصنعوا الصلبان. وصوروا الصور، ونصبوا التماثيل التي تصور صلب المسيح -الإله! وصرفوا الأموال، وبذلوا الجهود والأوقات. وسفكوا الدماء... كل ذلك من أجل وهم لا وجود له، ولا دليل عليه. اللهم إلا المشابهات!

فالخب الذي لا ضابط له هو شؤم على صاحبه وعلى الناس، وإن لم يلجم المؤمن حبه للأخيار بلجام من التقوى والوقوف عند الشرع الخفيف فإنه سيبتعد عن الدين أميال وفراسخ. والحال في أهل البيت لا يختلف كثيراً عن الحال في المسيح عليه السلام، فأبغض الناس عند أهل البيت عليهم السلام ليس النواصب الذي جهروا بمعاداتهم ونصبهم، فهؤلاء أعداء واضحين مفضوحين ومخذولين.

لكن الخوف كل الخوف من الذي تلبسوا بلباس أهل البيت ونطقوا باسمهم وغالوا فيهم وأسبغوا عليهم صفات الإلوهية، واستبدلوا دعوتهم المستمدة من معين سيدهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم بدعوة أخرى لا تشترك مع الأولى إلا بالعنوان أو بالشعارات الرنانة! وفي هذا يقول الإمام جعفر الصادق: (لقد أمسينا وما أحد أعدى لنا ممن ينتحل مودتنا!)^(١). ويقول أيضاً: (إن ممن ينتحل هذا الأمر^(٢) لمن هو شر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا)^(٣)!!

ويقول أيضاً: (ما أنزل الله سبحانه آية في المنافقين إلا وهي فيمن ينتحل التشيع)^(١)!!

١- رجال الكشي ص ٣٧٣ - رواية رقم (٥٥٥)

٢- أي التشيع لآل البيت

٣- بحار الأنوار ١٦٦/٦٥ ورجال الكشي ص ٣٦٤ - رواية رقم (٥٢٨)

إنَّ أهل بيت النبي عليه الصلاة والسلام لا يتحملون مسؤولية ما أحدثه الناس في زمانهم ومن بعدهم من العقائد والأفكار التي لا تمت إلى عقيدتهم ودينهم وأخلاقهم بصلة، وإنما يتحملها الغلاة وحدهم.

وسيسألهم الله تعالى عنها يوم القيامة.

بل قد يسأل الإمام علي نفسه: أنت قلت للناس استغيثوا بي عند الشدائد وتناسوا الحي الذي لا يموت؟^(٢).

وربما يسأل الأئمة واحداً بعد واحد: أنتم قلتم للناس فضّلونا على الأنبياء والمرسلين واستنوا منهم محمداً صلى الله عليه وآله وسلم؟

١- رجال الكشي ص ٣٦٦ - رواية رقم (٥٣٥) ومعجم رجال الحديث للخوئي ٢٦٥ / ١٥

٢- يعد دعاء (حلال المشاكل) من أكثر الأدعية انتشاراً بين عامة الشيعة في العراق وإيران والخليج، وهو دعاء تبض عروقه بالشرك بالله تعالى، إذ يستغيث المرء فيه بالإمام علي طالباً منه النصر وحل المشكلات ورفع البلاء وجلب المصالح ودفع الضرر بكل انكسار! وخشوع!

ونص الدعاء كالتالي:

يا أبا الغيث أغثنني	يا علي الدرجات
حل عقدي بك قيدي	أنت لي إن ناب دهري
أنت لي إن حط قدري	يا محل المشكلات
سيدي أنت منائي	سيدي أنت رجائي
لك أخلصت ولائي	يا محل المشكلات
سيدي أنت سندي	سيدي أنت عمادي
في مماتي ومعادي	يا محل المشكلات

أأنتم قلتم للناس بأنّ ولايتكم عُرضت على الأنبياء والمرسلين وجعلتوها شرطاً لقبول أعمال العباد؟

وسيتبرأ هؤلاء جميعاً من الدعاوى الباطلة التي نُسبت إليهم زوراً وبهتاناً وممن نسبها إليهم. إنّ أهل البيت لا يتحملون مسؤولية ما نسبته إليهم أدعياء التشيع لهم من التكفير لخصومهم^(١) والطعن في أعراضهم بغير حق^(٢) واستحلالهم اللعن والسباب لصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

١- ساق العلامة يوسف البحراني في كتابه (الشهاب الثاقب) أقوالاً عدة لكبار علماء الشيعة الإثني عشرية يصرّحون فيها بتكفير مخالفني الإمامية وحرمة تغسيلهم والصلاة عليهم. منها قول الشيخ المفيد في (المقنعة): ولا يجوز لأحد من أهل الإيمان أن يُغسل مخالفاً للحق في الولاية ولا يصلي عليه!

وقول الشيخ الطوسي في التهذيب بعد نقل عبارة المقنعة: الوجه فيه أنّ المخالف لأهل الحق كافر، فيجب أن يكون حكمه حكم الكفار إلا ما خرج بالدليل!

٢- يقول آية الله العظمى وقائد الثورة الإيرانية (الخميني) في رسالته (المكاسب المحرّمة ١/ ٣٧٩-٣٨٠) عن غير الشيعة: (فلا شبهة في عدم احترامهم بل هو من ضروريّ المذهب كما قال المحققون، بل الناظر في الأخبار الكثيرة في الأبواب المتفرقة لا يرتاب في جواز هتكهم والوقية فيهم، بل الأئمة المعصومون أكثروا في الطعن واللعن عليهم وذكر مساوئهم. فعن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: (قلت له: إنّ بعض أصحابنا يفترون ويقذفون من خالفهم فقال: الكفّ عنهم أجمل، ثم قال: يا أبا حمزة، إنّ الناس كلهم أولاد بغاة ما خلا شيعتنا...). والظاهر منها جواز الافتراء والقذف عليهم لكن الكفّ أحسن وأجمل، لكنّه مشكل إلا في بعض الأحيان، مع أنّ السيرة أيضاً قائمة على غيبتهم، فنعم ما قال المحقق صاحب الجواهر: إنّ طول الكلام في ذلك كما فعله في الحدائق من تضييع العمر في الواضحات!) فإذا كان هذا كلام قائد الثورة والإمام الأعظم الذي يفخر به علماء الشيعة وعوامهم كابراً عن كابر، فماذا يقول غيره؟!

كما أنهم بمنى عن استغلال البسطاء وسرقة أموالهم كما يفعل أرباب الزعامات والتحزبات اليوم من استحلاب الرزق السريع باسم ولاية أهل البيت^(١)!

١- حاول أيها القارئ أن تدرس قضية الخمس بإنصاف بدء بقراءة تفاسير جماهير المسلمين لآية الخمس ومقارنتها بتفاسير الشيعة الاثني عشرية، انتقالاً إلى التنافس التاريخي بين نواب المهدي المنتظر على أموال الشيعة، ثم ما يحصل اليوم من تنافس بين الوكلاء والمرجعيات والأرصدة الخيالية لبعض المراجع. وإلى ذلك يشير آية الله العظمى أحمد الحسني البغدادي في كلام صريح وخطير يقول فيه: (نرى اليوم بأم أعيننا مرجعاً دينياً إقليمياً ظهر على الساحة النجفية يحاول بكل ثقله الاستراتيجي ترشيح أحد حواشيه لمنصب المرجعية الإمامية، بل فتح له رصيماً من الدولار الأصفر بلا حدود من أرزاق الكادحين والمحرومين، وهو بالإجماع الحوزوي لم يكن مجتهداً مطلقاً بل ديكوراً، بل يظن أنه تحكم في كل شيء وأصبح قادراً على كل شيء، لذا نراه ينفق في تبذير ويتلذذ في تبذير، وهو لا يتقي غضب الله ولا سخط المستضعفين، ويحسب أن أجله ممدود وأن ليس وراءه حسيب ولا رقيب، وحتى نسي أن هناك واجباً وأن هناك حراماً، وأن هناك موتاً وأن هناك نشوراً، وكانت نهاية طموح مخطئه التضليلي إذ أمات الله خليفته المرتقب فجأة وبلا علة، وفق المداولة القرآنية ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾) ويقول: (إني أنتقد لأني أبكي وأتعذب لا لأني أكره وأعادي، أنتقد هؤلاء بالأساليب العلمية الهادفة لأني أريدهم بمستوى المسؤولية الحركية الإسلامية التاريخية، وأنتقد المرجعية الدينية لأنها لا تحترم منطق الحوزة العلمية الملتزمة، أنتقد الحياة الفكرية لأني أعيشها بمعاناة بلا شروط، بلا اقتناع، بلا نظرية. إن كل دموع هؤلاء الضحايا من رجال الحوزات الدينية تنصب في عيوني، وأحزانهم تتجمع في قلبي، وآلامهم تأكل أعضائي، ليس لأني قديس بل لأني إنسان متألم حزين يتصور العذاب الحوزوي ويجربه ويعيشه معايشة ميدانية معمّقة). [حق الإمام في فكر السيد البغدادي ص ٦٥-٦٦]

والمفاجأة التي نشير إليها هاهنا هي أن المراد بكلام البغدادي السابق هو آية الله العظمى أبو القاسم الخوئي وأبيه محمد وعبد المجيد!

ولعل من أهم ما يُذكر في موضوع الخمس هو اعتراف أحد مدّعي النيابة عن القائم المنتظر واسمه (محمد بن علي السلمغاني)، وكان إذ ذاك يتنافس مع أبي القاسم بن روح على النيابة عن القائم الغائب

إنَّ التوسط في حب أهل البيت ومعرفة حقهم هو المطلوب .
 فقد أرشدنا الله سبحانه وتعالى إلى أنه ما من أمر يأمر به سبحانه عباده بفعله إلا كان للشيطان فيه حظان كلاهما حبيب إلى نفسه: إما غلو وإفراط وإما تقصير وتفريط .
 ولأقف هاهنا على رائعة من روائع الإمام علي وهو يصف الناس في نظرتهم له فيقول:
 (وسيهلك في صنغان: محب مفرط يذهب به الحب إلى غير الحق، ومبغض مفرط يذهب بالبغض إلى غير الحق، وخير الناس في حالاً: النمط الوسط فالزموه، والزموا السواد الأعظم، فإن يد الله مع الجماعة وإياكم والفرقة فإن الشاذ من الناس للشيطان كما أن الشاذ من الغنم للذئب)^(١).
 ويظهر للمتمعن بالنص أن الفئات الثلاث المشار إليها هي: الشيعة، النواصب، جمهور المسلمين (أهل السنة).
 فإذا كان النواصب يمثلون جانب البغض والعداء للإمام علي حتى جرهم بغضهم له إلى شتمه ولعنه والبراءة منه!

وأخذ الخمس من الناس فظفر أبو القاسم ولم تتسنى للشلمغاني فرصة الاقتيات على أموال الخمس فكان مما قاله: (ما دخلنا مع أبي القاسم الحسين بن روح إلا ونحن نعلم فيما دخلنا فيه، لقد كنا نتهارش على هذا الأمر كما تتهارش الكلاب على الجيف) [كتاب الغيبة للطوسي ص ٢٤١]
 ومن الطريف أن تجد كتب بعض كبار علماء الشيعة تنص وبكل وضوح على أن من لا يدفع الخمس لهم فهو ابن زنا!!

فقد عنون العلامة يوسف البحراني في كتابه (الكشكول ١٦/٣) لأحد مواضعه بعنوان (من جملة أسباب الزنا أكل الخمس) قال فيه بالنص: (وقد تواترت الأخبار معنى بتحليل الخمس للشيعة لتطيب ولادتهم، وفي بعضها أن الزنا خبث الولادة إنما دخل على المخالفين من جهة الخمس)!

فإلى هذه الدرجة يصل الحرص على أكل أموال الناس بالباطل!

١- نهج البلاغة ص ١٢٧ (ومن كلام له (ع) وفيه يبين بعض أحكام الدين ويكشف للخوارج الشبهة وينقض حكم الحكمين)

وإذا كان الشيعة الاثنا عشرية يمثلون جانب الغلو في الحب حتى قالوا بعصمة الإمام علي وكون إمامته أعظم من إمامة الأنبياء سوى محمداً عليه الصلاة والسلام حتى جعلوا الإيمان بإمامته شرطاً لصحة قبول الأعمال!

فمن الواضح أنّ السواد الأعظم من المسلمين المعبر عنهم بـ (النمط الوسط) هم الذين أحبوا علياً وشهدوا له بالإيمان والصدق فقالوا هو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسيد أهل البيت، فحفظوا له مآثره العظيمة في تاريخ الإسلام، مقرين بفضائله بخلاف النواصب الجاحدين، غير راضين بالغلو والمبالغة فيه خلافاً للشيعة، فقالوا: لا عصمة لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فـ (نبي واحد خير من ألف ولي وصالح).

تحت أي بند يُصنّف هذا الحب؟!

حين يبلغ الغلو مداه.. وتغيب الموازين الشرعية تظهر الاستهانة بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصورتها المقززة، حين ترى الروايات الشيعية وعلماء الشيعة يبالغون في وصف الأئمة وذكر أحوالهم مبالغة تحوي بين طياتها انتقاصاً مبطناً أو ظاهراً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!

لقد حاولت مراراً وتكراراً أن ألطف عباراتي وأنا أطرق هذا المبحث بالذات مستحضرًا كل معاني الصبر التي تعلمتها في حياتي فلم أستطع، فالموضوع لا يحتمل تلطيفاً لل عبارات إذ أنه يمس شخص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل الذات الإلهية!

فالله عز وجل وعبداه ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم أعظم في أعيننا من كل أحد، كائناً من كان.

ولهذا أقول: ليتحمل مني القارئ الكريم بعض الغلظة وقسوة العبارة، وليتفكر فيما سأذكره وليزنه بميزان الإسلام الذي يرفض مثل هذه الكفريات سواء أصدرت من منتسب لأهل السنة أو للشيعة أو لغيرهما.

فإن شئت أن نبدي الحديث عن الإمام علي بن أبي طالب فأليك هذه رواية ولادة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ففيها من التفضيل المبطن لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ما فيها. تقول الرواية الشيعية: (فتمت⁽¹⁾ فوجدت أمه بين النساء والقوابل من حولها وإذا بسجاف وقد ضربه جبرائيل بيني وبين النساء فإذا هي قد وضعت فاستقبلته، قال: ففعلت ما أمرني به جبرائيل ومددت يدي اليمنى بنحو أمه فإذا بعلي قد أقبل على يدي واضعاً يده اليمنى في أذنه يؤذن

١- الكلام هنا لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم - فيما يزعمون -.

ويقيم بالحنيفية ويشهد بالوحدانية لله، ولي بالرسالة ثم انثنى إليّ وقال: السلام عليكم يا رسول الله، أأقرأ يا أخي؟، فوالذي نفسي بيده قد ابتدى بالصحف التي أنزلها الله على آدم وأقام بها ابنه شيث فتلاها من أولها إلى آخرها حتى لو حضر- آدم لأقر له أنه أَلْفَظَ لها منه، ثم تلا صحف إبراهيم، ثم قرأ التوراة حتى لو حضر موسى لشهد له أنه أَلْفَظَ لها منه، ثم قرأ إنجيل عيسى حتى لو حضر لأقر له أنه أحفظ لها منه، ثم قرأ القرآن الذي أنزل عليّ من أوله إلى آخره ثم خاطبني وخاطبته بما تخاطب الأنبياء ثم عاد إلى طفولتيه^(١).

ويقول الشيخ محمد كاظم القزويني في كتابه (الإمام علي من المهدي إلى اللحد)^(٢): (استقبل سيدنا أبو طالب السيدة فاطمة بنت أسد مهنتاً، وأخذ أبو طالب وليده الحبيب وضمّه إلى صدره ثم رده إلى أمه، وأقبل رسول الله وذلك قبل أن يُبعث، فلما رآه علي جعل يهش ويضحك كأنه ابن سنة، من حيث المشاعر والإدراك، فأخذه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقبّله وحمد الله على ظهور هذا المولود الذي كان يعلم أنه سيكون له أحسن وزير وخير أخ وأول مؤمن به، وتحقق به آمال رسول الله وأمانيه بنشر دينه الذي سيُبعث به فسلم علي على رسول الله ثم قرأ هذه الآيات ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ إلى آخر الآيات، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قد أفلحوا به، وقرأ تمام الآيات إلى قوله ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢﴾﴾، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنت والله أميرهم تميزهم من علومك فيمتارون، وأنت والله دليلهم وبك يهتدون)!

١- مدينة المعاجر لهاشم البحراني ٢٩/١ والفضائل لابن شاذان القمي ص ١٢٧-١٢٨ وشجرة طوبى للشيخ

محمد مهدي الحائري ٢/٢١٩ والأنوار العلوية للشيخ جعفر النقدي ص ٣٥

٢- الإمام علي من المهدي إلى اللحد ص ١٥ والقصة المذكورة في الأمالي للطوسي ص ٧٠٧-٧٠٨ وبحار الأنوار

للمجلسي ٣٥/٣٧ (في أنه عليه السلام قرأ سورة "قد أفلح المؤمنون" يوم ولادته)

وهكذا يُؤصل هؤلاء وبلا حياء لفكرة نزول الوحي على الإمام علي بن أبي طالب قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يُبعث إلا بعد ولادة علي بن أبي طالب بزمن، فمن أين عرف الإمام علي القرآن حتى يتلوه مع باقي الكتب السماوية عند ولادته؟! هل أوحى إليه قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم أم ماذا؟!!

ومن أين حفظ سورة المؤمنون ولم تنزل بعد آية ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾؟!^(١) ألا يحترم هؤلاء مقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيخجلون من ذكر هذه القصص المكذوبة!

وكيف لهم أن يحترموا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد رووا أنه عليه الصلاة والسلام قال للإمام علي: (ولقد أنزل الله عز وجل إليّ ﴿يَتَأْتِيَا الرَّسُولُ بِلَغٍّ مَّا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ يعني في ولايتك يا علي ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ ولو لم أبلغ ما أمرت به من ولايتك لحبط عملي^(١)!!

إلى هذا الحد بلغ الاستخفاف برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والعياذ بالله. أما فاطمة الزهراء رضي الله عنها سيدة نساء العالمين وبضعة المصطفى الطاهرة، فلها نصيبها الخاص من هذا الغلو.

فهذا آية الله العظمى الخميني يصفها في إحدى خطبه وبكل جراءة بأنها (امرأة لو كانت رجلاً لكانت نبياً، امرأة لو كانت رجلاً لكانت مكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)^(٢)!! فانظر إلى هذه الجرأة على مقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين يدعي الخميني أنّ أحداً يمكن أن يحل مكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو يستحق مقامه!

١- الأمامي لابن بابويه القمي ص ٥٨٣ ومناقب أمير المؤمنين (ع) للكوفي ١/ ١٤٠ وحلية الأبرار للبحراني

١٩٢/١ وتأويل الآيات لشرف الدين الحسيني ١/ ٢١٧

٢- مختارات من أحاديث وخطابات الإمام الخميني ١/ ٣٠٥ (بتاريخ ١٦/ ٥/ ١٩٧٩) بمناسبة يوم المرأة

ولو دقت النظر لرأيت أن العبارة تشير إلى أفضيلتها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإلا فما الداعي عند افتراض كونها رجلاً أن يتم استبدال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بها، لو كان محمداً عليه الصلاة والسلام أفضل منها؟!!

ليس هذا فحسب، فقلة الحياء مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تقف عند هذا الحد! فهذا آية الله العظمى محمد الصدر يُسأل -كما في كتاب (مجمع مسائل وردود): (لو دار الأمر بين زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وزيارة الإمام الرضا عليه السلام فأيهما أفضل وأكثر أجراً؟) فيجيب قائلاً: (قد يظهر من الروايات أفضلية زيارة الإمام الرضا عليه السلام على زيارة سائر الأئمة ولكن لم نعثر على أفضليتها على زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم)^(١).

فهو مستعد لتفضيل زيارة الإمام الرضا على زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكن المشكلة أن الروايات لم تُسعه، فلم يعثر على دليل أفضليتها على زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!

أي قلة حياء هذه، وأي دين هذا الذي يرتضي مقارنة زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بزيارة غيره من الناس؟!!

ولا تعجب كثيراً، فهناك ما هو أدهى وأمر!

فقد روت كتب الإمامية عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الله تبارك وتعالى أنه قال: (يا أحمد، لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا عليّ لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكم)^(٢).

فأي كرامة بقيت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يتجرأون عليه مثل هذه الجرأة؟

١- مجمع مسائل وردود ص ٣٧٣

٢- مستدرک سفینه البحار ٣/ ١٦٩ ومجمع البحرين لأبي الحسن المرندي ص ١٤

إنّ الروايات في هذا كثيرة بل وكثيرة جداً، كل ما عليك هو اقتناء الكتب التي اعتنت بذكر فضائل الأئمة ككتاب بصائر الدرجات للصفار وموسوعة بحار الأنوار للمجلسي وغيرها لتقف على حجم المسألة.

فالمسألة لا تقف أحياناً عند التفضيل المبطن للأئمة على نبينا الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بل تصل إلى حد إسباغ بعض صفات الله تعالى على الأئمة!

وهذه أعظم من سابقتها، فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بشر، والتطاول عليه ليس كالتطاول على خالقه وخالقنا (العزیز الجبار).

فقد نسبت الروايات إلى الإمام علي قوله (أنا الأول أنا الآخر)^(١)، وقوله (أنا عين الله، وأنا يد الله، وأنا جنب الله، وأنا باب الله)^(٢).

وقد ذكر المجلسي ستاً وثلاثين رواية^(٣) في كون الإمام علي هو وجه الله ويد الله! وفي رجال الكشي^(٤) وردت الرواية بصيغة أخرى هي (أنا وجه الله، أنا جنب الله، وأنا الأول والآخر، وأنا الظاهر والباطن)!

وقد ذكر هذه الروايات ابن بابويه القمي في كتابه (التوحيد)! لكنه حاول جاهداً إيجاد تأويلات سائغة لها بعد أن عجز عن تضعيفها أو الطعن فيها! فإن جاز لك أن تتصور كتاباً صُنِفَ في (التوحيد) يُمكن أن يذكر مثل هذه الشراكيات ويبررها ويبحث لها عن المخارج، فما بالك بغيرها من الكتب؟

١- جامع الأسرار ومنبع الأنوار لحيدر آملی ص ٢٠٥ حديث رقم ٣٩٤.

٢- رواه الكافي ١/ ١٤٥ والمجلسي في بحار الأنوار ٢٤/ ١٩٤

٣- بحار الأنوار ٢٤/ ١٩١-٢٠٣

٤- رجال الكشي ص ٢١١ رقم ٣٧٤ وانظر بصائر الدرجات ص ١٥١ وبحار الأنوار ٩٤/ ١٨٠

لقد نسبوا للإمام علي أنه قال أيضاً: (والله قد كنت مع إبراهيم في النار، وأنا الذي جعلتها برداً وسلاماً، وكنت مع نوح في السفينة فأنجيتته من الغرق، وكنت مع موسى فعلمته التوراة، وأنطقت عيسى في المهدي وعلمته الإنجيل، وكنت مع يوسف في الحب فأنجيتته من كيد إخوته، وكنت مع سليمان على البساط وسخرت له الرياح)^(١).

حتى علم الغيب شاركوه فيه!

فنسبوا للإمام الصادق قوله (إن الإمام لا يخفى عليه شيء مما في الأرض ولا مما في السماء، وأنه ينظر في ملكوت السموات فلا يخفى عليه شيء، ولا همهمة ولا شيء فيه روح، ومن لم يكن بهذه الصفات فليس بإمام)^(٢) وقوله: (إني لأعلم ما في السموات وما في الأرض وأعلم ما في الجنة وأعلم ما في النار وأعلم ما كان وما يكون)^(٣).

بينما يقول الله عز وجل عن نفسه ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

ويأمر أفضل الخلق وخاتم الأنبياء والمرسلين أن يقول للناس ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

أما التحكم بالكون وتسيير أموره فحدث ولا حرج!

فقد نسبوا للإمام جعفر الصادق قوله (إن الدنيا تمثل للإمام في مثل فلقة الجوز، فلا يعزب عنه منها شيء، وإنه ليتناولها من أطرافها كما يتناول أحدكم من فوق مائدته ما يشاء)^(٤).

١- الأنوار النعمانية ٣١ / ١

٢- الأنوار النعمانية ٣٣ / ١

٣- الكافي ٢٦١ / ١

٤- الاختصاص ص ٢١٧ (قدرة الأئمة عليهم السلام)، وبحار الأنوار ٣٦٧ / ٢٥ (باب غرائب أفعالهم)، وبصائر الدرجات ص ٤٠٨ (باب قدرتهم).

وليس هذا بغريب، أمام ما ذكرته هذه الكتب من أنّ ضربة الإمام علي لمرحب اليهودي كادت أن تشق الأرض نصفين!!^(١).

ومن أنّ الرعد والبرق إنما يصدران عن الإمام علي بن أبي طالب كما في رواية ينسبونها للإمام الصادق يقول فيها: (أما إنه ما كان من هذا الرعد ومن هذا البرق، فإنه من أمر صاحبكم، قلت: من صاحبنا؟ قال: أمير المؤمنين عليه السلام!)^(٢).

والأئمة في روايات الشيعة هم علة الوجود!

إذ نسبوا إلى الإمام الصادق قوله: (نحن علة الوجود وحجة المعبود لا يقبل الله عمل عامل جهل حقنا)^(٣).

بل هم الكاف والنون التي يخلق الله بها الأشياء!!

فقد نُسب إلى الإمام علي قوله في حديث طويل عن صفات الإمام (الإمام كلمة الله وحجة الله ووجه الله ونور الله وحجاب الله وآية الله، يختاره الله ويجعل فيه ما يشاء ويوجب له بذلك الطاعة والولاية على جميع خلقه، فهو وليه في سماواته وأرضه... فهو يفعل ما يشاء وإذا شاء الله شاء... مفزع العباد في الدواهي والحاكم والأمر والناهي، مهيمن الله على الخلائق... خلقهم الله من نور عظمته، وولاهم أمر مملكته، فهم سر الله المخزون وأولياؤه المقربون وأمره بين الكاف والنون - وفي نسخة - لا بل هم الكاف والنون، إلى الله يدعون وعنه يقولون وبأمره يعملون، مبدأ الوجود وغايته وقدرة الرب ومشيتته وأم الكتاب وخاتمته)^(٤)!!

وبعد هذا كله يتساءل المسلم الموحد، ماذا أبقى هؤلاء لله تعالى!؟

١- مشارق أنوار اليقين ص ١١٠

٢- الاختصاص ص ٣٢٧

٣- بحار الأنوار ٢٦/ ٢٥٩ حديث ٣٦

٤- بحار الأنوار ٢٥/ ١٦٩ إلى ١٧٤ باب آخر في دلالة الإمامة حديث ٣٨

الجواب يجده المنصف في الزيارة الرجبية والتي فيها (إنه لا فرق بينك وبينهم إلا أنهم عبادك)^(١).

فانظر إلى هذه الجرأة وإلى هذا التطاول على رب العالمين!

لا فرق بين الأئمة وبين ربهم عز وجل سوى أنهم عباده... فهو معبود وهم عبّاد، أما الاختلاف فبدرجة الكمال فقط، ولذا صار هو معبوداً وهم عبيداً له، هذا ما أستطيع أن أفسّر به كل ما قرأته وعبرّ عنه هذا النص، تماماً كما كان يقول مشركو مكة في تليبتهم (لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وماملك)!

اختلفت الألفاظ وتطابقت المعاني!

فقد شاركوه في كل شيء تقريباً، من الإحاطة بكل شيء علماً، ومن عدم السهو والغفلة، وما إلى ذلك.

حتى الأسماء الحسنى التي لرب العباد لم يشاركوه فيها فحسب بل ذكرت الروايات أنّ الأئمة هم الأسماء الحسنى^(٢)، فالإمام علي بن أبي طالب كما بيّنا هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم!

حتى خلق الكون قد أسنده الشيعة الاثنا عشرية إلى الأئمة!

١- مشارق أنوار اليقين ص ١٣٤ والإنسان الكامل ص ١٢٨ والرسائل الثانية ص ٨٨.

٢- روي في ذلك روايات كثيرة منها ما نسب للإمام علي كقوله عن نفسه (أنا الأسماء الحسنى) -شرح دعاء الجوشن ص ٥٧٦ والأنوار النعمانية ٢/ ١٠٠- ومنها ما نسبته العياشي للإمام جعفر الصادق من قوله (نحن والله الأسماء الحسنى الذي لا يُقبل من أحد إلا بمعرفتنا، قال عليه السلام: فادعوه بها) -تفسير العياشي ٢/ ٤٢ حديث ١١٩ والبرهان ٢/ ٥٢- وقريب من هذه الرواية ما نسب إلى الإمام الباقر كذلك- انظر بحار الأنوار ٤/ ٢٥ حديث ٧- ومثل هذا كثير.

ففي صيغة زيارة الحسين عليه السلام التي رواها ابن قولويه بإسناد صحيح عند الشيعة الاثني عشرية عن الإمام الصادق أنه قال: (بكم يباعد الله الزمان، وبكم يمحو الله ما يشاء ويثبت، وبكم تنبت الأرض أشجارها، وبكم تُخرج الأرض أثمارها، وبكم تنزل السماء قطرها ورزقها، وبكم ينزل الله الغيث، إرادة الرب في مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم)^(١).
وفي الزيارة الجامعة المشهورة (بكم فتح الله وبكم يختم وبكم ينزل الغيث)^(٢).
وإذا كان الخلق للأئمة وهم من يدير الكون ويسيره وهم الأسماء الحسنی التي يُدعى الله بها، وهم الذين لا يخفى عليهم شيء في الأرض ولا في السماء، فلم يبقى حينئذ سوى الحساب الأخروي.

وهو ما نصت عليه كتب الإمامية أيضاً حيث صرّحت بأن الإمام هو الديان الذي يجاسب الخلائق يوم القيامة!

روى المجلسي في بحار الأنوار ٢٤/٢٧٢ عن البرقي في كتابه الآيات عن أبي عبد الله عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لأمر المؤمنين عليه السلام: يا علي أنت ديّان هذه الأمة!، والمتولي حسابهم!، وأنت ركن الله الأعظم يوم القيامة!، ألا وإنّ المآب إليك!، والحساب عليك! والصراط صراطك!، والميزان ميزانك!، والموقف موقفك!!

بينما يقول رب العزة والجلال عن نفسه في القرآن ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية: ٢٥ - ٢٦] فجعلها هؤلاء للأئمة بكل بساطة، هكذا دون حياء من الله تعالى أو من الناس.

لتقف بعد هذا كله متسائلاً: (لماذا لا يصرّح هؤلاء بالوهية الأئمة ويريحوا أنفسهم بدلاً من تعداد صفات الله وأسمائه وتوزيعها على الأئمة بهذه الصورة؟!).

١- كامل الزيارات ص ٢٠٠ الباب ٧٩

٢- بحار الأنوار ١٠٢/١٤٤

الغلو في أمهات كتب الشيعة

لا يقتصر الغلو الذي أشير إليه على بضعة أحاديث هنا وهناك يمكن للمرء أن يتصل منها مدّعياً عدم صحة نسبتها إلى عقيدة الشيعة، بل إنّ الغلو طال أبواباً كاملة يحوي كل باب منها عدداً لا يُستهان به من الأحاديث المغالية، وإليك نموذجاً على ذلك كتاب الكافي للكليني الذي يعتبر أهم كتب الحديث عند الطائفة على الإطلاق.

ليس ذلك إدعاء مني بل إنّ ما ذكرته هو ما يقرره محققو الطائفة وعلماؤهم وعلى رأسهم عبد الحسين شرف الدين الموسوي في كتابه المراجعات حيث يقول: (الكتب الأربعة التي هي مرجع الإمامية في أصولهم وفروعهم من الصدر الأول إلى هذا الزمان، وهي الكافي والتهذيب والاستبصار ومن لا يحضره الفقيه، وهي متواترة ومضامينها مقطوع بصحتها، والكافي أقدمها وأعظمها وأحسنها وأتقنها)^(١).

ويقول آية الله العظمى محمد سعيد الطباطبائي الحكيم في كتابه (في رحاب العقيدة) عن الكافي (ويمتاز هذا الكتاب - مضافاً إلى جامعيته للأصول والفروع - بأمرين: أحدهما: أنه الكتاب الوحيد التام الموسع الذي وصل إلينا مما أُلّف في عصور الأئمة عليهم السلام، فإنه أُلّف في أواخر عصر الغيبة الصغرى، الذي يعتبر من عصور حضور الأئمة عليهم السلام، لإمكان الرجوع فيه للإمام من طريق نوابه الخاصين الذين كانوا على اتصال مباشر به.

ثانيهما: أنّ مؤلفه (قدس الله تعالى روحه) قد صرّح في مقدمته بأنه توخى جمع الأخبار الصحيحة عن المعصومين عليهم أفضل الصلاة والسلام.

ولا يريد بصحة أخباره أنه رواها بطرق صحيحة كل رجالها ثقات، لعدم ظهور هذا المصطلح في عصره (رضوان الله عليه) بل الظاهر أنه يريد أنه رواها من كتب مشهورة معروفة في عصور الأئمة عليهم السلام معول عليها عند الشيعة، على مرأى من الأئمة ومسمع منهم. بل قد ثبت عرض بعضها على الأئمة عليهم السلام وتصحيحهم لها.

ويشهد بصدقه في ذلك، وبحسن اختياره للأحاديث ثناء قدماء علماء الطائفة - ممن تأخر عنه - على الكتاب المذكور وعلى مؤلفه، وأنه جليل القدر عارف بالأخبار عالم بها، وأنه أوثق الناس في الحديث وأثبتهم، حتى عرف بين علماء الشيعة بثقة الإسلام.

ولا نعني بذلك التعهد بصحة كل خبر من أخباره. فإن ذلك أمر متعذر مع بُعد العهد، وخفاء كثير من قرائن الصحة وشواهدنا علينا، وتعرض الإنسان للخطأ والغفلة.

بل نعني أن الكتاب يصلح أن يعكس صورة عامة إجمالية عن مفاهيم أهل البيت عليهم السلام، ويعطي ملامح واضحة لها، في المجالات التي طرقها. فإنّ الواقع الإجمالي للكتاب هو الصحة، وصدق الخبر^(١).

ونخلص من كلام عبد الحسين شرف الدين وآية الله العظمى محمد سعيد الحكيم أن ما يتضمنه الكافي من عقائد وأحكام هو من الصحيح قطعاً، فإنه يجوز للمشكك أن يشكك في حديثين من كل باب، ثلاثة، أربعة، أكثر، لا أن ينسف كتاباً بأكمله انبنت عليه عقائد الشيعة وأحكامهم منذ عصر غيبة القائم!

وإذا ما ألقينا نظرة سريعة على بعض أبواب (الأصول من الكافي) فإننا سنفاجئ بعدد كبير من الأبواب ذات الاتجاه المغالي الذي لا يتفق مع منهج أهل البيت المعتدل الرصين، منها:

باب - أن الأئمة (ع) ولاة أمر الله وخزنة علمه

باب - أن الأئمة (ع) خلفاء الله عز وجل في أرضه وأبوابه التي منها يؤتى

باب- أن الأئمة (ع) نور الله عز وجل

باب- أن الآيات التي ذكرها الله عز وجل في كتابه هم الأئمة

باب- ما فرض الله عز وجل ورسوله (ص) من الكون مع الأئمة (ع)

باب- في أن من اصطفاه الله من عباده وأورثهم كتابه هم الأئمة (ع)

باب- أن الأئمة إذا شاؤوا أن يعلموا علموا

باب- أن الأئمة (ع) يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم

باب- أن الأئمة (ع) يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء صلوات الله

عليهم

باب- أن الله عز وجل لم يُعلم نبيه علماً إلا أمره أن يُعلمه أمير المؤمنين (ع) وأنه كان شريكه في

العلم

باب- أن الأئمة (ع) لو سُتر عليهم لأخبروا كل امرئ بما له وعليه

باب- التفويض إلى رسول الله (ص) وإلى الأئمة (ع) في أمر الدين

باب- أن القرآن يهدي للإمام

باب- أن النعمة التي ذكرها الله عز وجل في كتابه هي الأئمة (ع)

باب- عرض الأعمال على النبي (ص) والأئمة (ع)

باب- أن الأئمة (ع) معدن العلم وشجرة النبوة ومختلف الملائكة

باب- أن الأئمة (ع) ورثة العلم يرث بعضهم بعضاً

باب- أن الأئمة ورثوا علم النبي وجميع الأنبياء والأوصياء الذين قبلهم

باب- أن الأئمة (ع) عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله عز وجل وأنهم يعرفونها على

اختلاف ألسنتها.

باب- أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة (ع) وأنهم يعلمون علمه كله

باب- في أنّ الأئمة (ع) يزدادون في ليلة الجمعة

باب- لولا أنّ الأئمة (ع) يزدادون لنفد ما عندهم

باب- أنّ الأئمة (ع) يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل (ع).

هذا بخلاف الكثير من الكتب التي انتهجت هذا المنهج ككتاب (بصائر الدرجات) للصفار

و(بحار الأنوار) للمجلسي وغيرها.

كيف ينظر كبار علماء الشيعة إلى الأئمة الاثني عشر؟

وإذا كان الغلو في الأئمة واقعاً في روايات الشيعة وفي أبرز كتب الطائفة العقائدية فإن ذلك الغلو أوضح ما يكون في أقوال ومصنفات مراجع الشيعة وعلمائهم الكبار الذين غربلوا المرويات الشيعة في تلك الكتب وأثبتوا في رسائلهم وفتاويهم العقائدية ما يوافق المذهب ورفضوا ما لا يصح نسبته إليه من عقائد!

إنّ القارئ المتجرد للحقيقة ليجد نفسه حائراً بين تبرئة الشيعة الإثني عشرية من الغلو في الأئمة على اعتبار أنّ ليس كل ما في الكتب صحيح، وأنّ من مقتضى الإنصاف أن لا نُحمّل الطائفة كل ما في كتبها من صحيح وسقيم، وبين تصريحات المرجعيات وكبار علماء المذهب التي لا تحمل التأويل والتي تنطق تماماً بما نطقت به كتب العقيدة والحديث لدى الطائفة. فلإنصاف حد لا ينبغي تجاوزه وإلا انقلب سداجة ونوعاً من التعامي عن الحقيقة. وإليك هذه التصريحات مدعمة باسم الكتاب ورقم الصفحة.

1 - آية الله العظمى الخميني

يستهل الخميني حديثه عن الأئمة فيقول: (إنّ من ضرورات مذهبنا أنّ لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل... وقد ورد عنهم عليهم السلام أنّ لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل)^(١).

وفي هذا التصريح بتفضيل أئمة أهل البيت على أنبياء الله تعالى مطلقاً، فالأئمة الاثني عشر عند الشيعة الاثني عشرية أفضل من الأنبياء جميعاً ما عدا محمد عليه الصلاة والسلام كما هو مقرر عندهم.

وغلو الخميني في الأئمة لا يقف عند حد التفضيل بل يتجاوزه إلى حد نفي السهو والنسيان والغفلة عنهم إذ يصرّح بهذا الاعتقاد قائلاً: (الأئمة الذين لا تتصور فيهم السهو أو الغفلة، نعتقد فيهم الإحاطة بكل ما فيه مصلحة المسلمين)^(١) بل يذكر أنّ جميع ذرات الكون خاضعة لهم فيقول: (إنّ للإمام مقاماً محموداً، ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون)^(٢).

والغريب أن تجد عالمين من قدماء علماء الشيعة قد صرّحا في زمانها بأنّ القول بعدم جواز السهو على الأئمة هو أول درجات الغلو^(٣) إلا أنّ هذه العقيدة الآن صارت مقررة في المذهب وصار من يخالفها من أعداء أهل البيت أو المقصّرين في حقهم في أحسن أحواله! ولعل في هذا ما يؤكد مقولة أنّ مذهب الشيعة يتطور عقائدياً على مر الزمان، فكما تطور بالأمس من اختلاف سياسي مع بني أمية حتى صار فيما بعد خلافاً عقائدياً بين الشيعة وجمهور المسلمين بل بين الشيعة أنفسهم^(٤)، فإنه تطور كذلك عقائدياً من غلو إلى غلو أكبر على مر الزمن.

١- الحكومة الإسلامية ص ٩٥

٢- الحكومة الإسلامية ص ٥٢

٣- يقول ابن بابويه القمي الملقب ب(الصدوق) في كتابه (من لا يحضره الفقيه ١/ ٢٣٤) ما نصه (إنّ الغلاة والمفوضة لعنهم الله ينكرون سهو النبي يقولون: لو جاز أن يسهو (أي النبي عليه الصلاة والسلام) في الصلاة لجاز أن يسهو في التبليغ ، لأنّ الصلاة فريضة كما أنّ التبليغ فريضة).
وقد سبق الصدوق إلى هذا القول شيخه محمد بن الحسن كما في (من لا يحضره الفقيه ١/ ٢٣٤) أيضاً حيث قال: (أول درجة في الغلو نفي السهو عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإمام).

حين تجد آية الله العظمى محمد الحسيني الشيرازي يصرّح في موسوعته (الفقه)^(١) بقوله: (وأما الغالي:- بمعناه الذي أراده الصدوق (رحمه الله) تبعاً لابن الوليد حتى أنه جعل أول درجة في الغلو نفي السهو عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم - فليس بكافر، بل قد ثبت بالأدلة خلافه، بل أصبح مثل هذا الاعتقاد اليوم من ضروريات المذهب)!!

تُرى لو كان محمد بن الحسن وتلميذه القمي في زماننا هذا، ماذا تراهم يقولون في كبار علماء مذهب الشيعة ومراجعهم بدءاً بالخميني وانتهاء بأحدث مرجعية في عالم الحوزات العلمية، حين ترى المرجعيات التي تدّعي أنها تمثل خط أهل البيت مجمعة فيما بينها على هذا الغلو وهو عندها أساس للاعتقاد!

بل ماذا سيقولون للشيخ علي الميلاني الذي ذكر في رسالته (العصمة) رواية الكافي (إن الله خلقنا فأحسن خلقنا، وصورنا فأحسن صورنا، وجعلنا عينه في عباده، ولسانه الناطق في خلقه، ويده المبسوطة على عباده بالرأفة والرحمة، ووجهه الذي يؤتى منه، وبابه الذي يدل عليه، وخزانه في سمائه وأرضه، بنا أثمرت الأشجار وأينعت الثمار وجرت الأنهار، وبنا ينزل غيث السماء ونبت عشب الأرض، وبعبادتنا عبد الله، ولولا نحن ما عبد الله) ثم علّق على الرواية بقوله: (فمن يكون عين الله في عباده ولسانه الناطق في خلقه ويده المبسوطة على عباده، يشتهه ويسهو وينسى؟!)^(٢).

نعم... إنه لا يجوز لنا أيها الميلاني أن نفترض في أئمة أهل البيت السهو والاشتباه والنسيان وقد بلغوا مقام الألوهية عندك، وإلا فما وجه الربط بين هذه الرواية المغالية وبين تعليقك المغالي إن لم يكن الأمر تأليهاً صريحاً لأئمة أهل البيت؟!!

١- كالحلاف المستعر بين الإثني عشرية والزيدية والإسماعيلية والواقفة والفضحية على مر التاريخ.

٢- كتاب الفقه ٤/٢٤٧

٣- العصمة ص ٣٠

لقد روى ابن بابويه القمي عن أبي الصلت الهروي قوله: قلت للرضا عليه السلام، يا ابن رسول الله، إن في سواد الكوفة قوماً يزعمون أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يقع عليه السهو في صلاته، فقال: كذبوا، لعنهم الله، إنّ الذي لا يسهو هو الله الذي لا إله إلا هو^(١).

فحسبنا أن نقول بقول الإمام الرضا فيمن نسب إلى أئمة أهل البيت ما لله تعالى.

ولماذا نقف عند هذه النقطة بالذات ولدينا ما هو أعجب؟

إنّ الأئمة - كما في الروايات وتصريحات علماء المذهب - قد خلّقوا من النور ولم يُخلّقوا من أصل الخلقة التي خلّق منها آدم وهي التراب!

تلك معادلة صعبة لم أستطع فك رموزها، إذ ما الغاية التي من أجلها تُغيّر خلقة أهل البيت من صورتها الطبيعية التي فطر الله الناس عليها وفطر عليها الأنبياء من لدن آدم عليه السلام، إلى هذه الصورة الملائكية؟! الصورة الملائكية؟!

سيجيبك أحدهم بإجابة باردة: (أليس الله على كل شيء قدير؟).

نعم.. إنّ الله على كل شيء قدير... لكنه قد جعل لكل شيء سبباً، وليست هذه العبارة ولا غيرها من التبريرات شائعة نعلّق عليها عقائدنا، فلاي غاية يُخلّق أهل البيت من نور، بينما يُخلّق أنبياء الله من طين؟

فإن قيل: ذلك تكريم لهم، قلنا: وأي نقص وعيب في خلقة الأنبياء وقد خلّقوا من طين؟!!

ولك أن ترى إلى أي حد ذهب الغلو بالخميني حينما تقرأ قوله: (اعلم أيها الحبيب، أنّ أهل بيت العصمة عليهم السلام، يشاركون النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مقامه الروحاني الغيبي قبل خلق العالم، وأنوارهم كانت تسبّح وتُقدّس منذ ذلك الحين، وهذا يفوق قدرة استيعاب الإنسان، حتى من الناحية العلمية، ورد في النص الشريف: (يا محمد، إنّ الله تبارك وتعالى، لم يزل

١- عيون أخبار الرضا (ع) - باب (ما جاء عن الرضا عليه السلام في وجه دلائل الأئمة عليهم السلام والرد

على الغلاة والمفوضة لعنهم الله) - حديث رقم (٥).

منفرداً بوحدانيته، ثم خلق محمداً وعلياً وفاطمة، فمكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشياء، فأشهدهم خلقها، وأجرى طاعتهم عليها، وفوض أمورها إليهم^(١)!! فهم يجلون ما يشاؤون أو يجرّمون ما يشاؤون إلا أن يشاء الله تعالى!!، ثم قال: يا محمد، هذه الديانة التي من تقدّمها مرق، ومن تخلف عنها محق، ومن لزمها لحق، خذها إليك يا محمد، هذا ما ورد في حقهم عليهم السلام

١- ما ذكره آية الله العظمى الخميني هنا هو عين (التفويض) الذي ذمه أئمة أهل البيت وتبرأوا من القائلين به، والتفويض كما عرفه الشيخ محمد صالح المازندراني في (شرح أصول الكافي ٦١ / ٩) هو: (التفويض الذي ذهب إليه الفرقة المفوضة الغالية وهو أنّ الله تعالى خلق محمداً وعلياً، وقيل: سائر الأئمة أيضاً وفوض إليهم خلق السموات والأرض وما بينهما وتقدير الرزق والآجال والإحياء والإماتة).

والملفت للنظر في موضوع (التفويض) وصلته بفكر الخميني هو عدم تكفير الخميني في (كتاب الطهارة ٣ / ٣٤٠) للمفوضة رغم الأحاديث الصريحة الواردة في حقهم، ورغم إطباق علماء الشيعة على تكفيرهم قديماً وحديثاً، ولا عجب في هذا فالخميني يتبنى الفكر ذاته ويجاهر به كما بينا، وإليك نص كلامه في (كتاب الطهارة): (وأما القول بالجبر أو التفويض فلا إشكال في عدم استلزامه الكفر بمعنى نفي الأصول إلا على وجه دقيق يغفل عنه الأعلام فضلاً عن عامة الناس، ومع عدم الالتفات إلى اللازم لا يوجب الكفر جزءاً)!

قال الشيخ المفيد في (الاعتقادات ص ١٠٠): (وروي عن زرارة أنه قال: قلت للصادق - عليه السلام -: (إنّ رجلاً من ولد عبد الله بن سبأ يقول بالتفويض. قال (ع): (وما التفويض؟) قلت: يقول: إنّ الله عز وجل خلق محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وعلياً - عليه السلام - ثم فوض الأمر إليهما، فخلقنا ورزقنا، وأحيانا وأماتا. فقال: (كذب عدو الله، إذا رجعت إليه فاقرأ عليه الآية التي في سورة الرعد ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۗ قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهْرُ ﴿٥٠﴾﴾. فانصرفت إلى رجل فأخبرته بما قال الصادق - عليه السلام - فكأنما ألقت حجرًا، أو قال: فكأنما خرست).

فأين الذين يزعمون براءة الفكر الإثني عشري من عبد الله بن سبأ من هذه الرواية ومن تسلسل الفكر السبئي إلى كبار علماء الشيعة الإثني عشرية وعلى رأسهم الخميني كما ترى!؟

في الكتب المعتمدة، يبعث على تحير العقول، حيث لم يقف أحد على حقائقهم وأسرارهم إلا أنفسهم^(١)، صلوات الله وسلامه عليهم!!^(٢).

ويقول الخميني في مناسبة ولادة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: (أنا لا أستطيع ولا يستطيع غيري التحدث في شخصية أمير المؤمنين عليه السلام. نحن لا نتمكن من إدراك الجوانب المختلفة من هذا الإنسان العظيم. إنه الإنسان الكامل ومظهر جميع أسماء الله وصفاته وبالتالي فإن أبعاده وجوانب شخصيته تكون ألفاً حسب أسماء الله تعالى ونحن لا نستطيع أن نوضح واحداً منها. هذا الإنسان الذي يجمع في نفسه الأضداد، لا يتمكن أحد من التحدث حوله. لذا أرى من الأفضل أن أصمت وأسكت... ثم يقول بعد هذا: (هذا الموجود، معجزة إلهية لا يستطيع أحد الوصول إلى حقيقته بل الجميع يتكلمون حسب فهمهم ومقدار إدراكهم والإمام علي عليه السلام غير ما يتصورونه ويتوهمونه أي أننا لا نستطيع أبداً أن نمدحه بما هو هو^(٣)). ولهذا فالكل يأخذ بضعة من صفاته المتضادة ويخيل إليه أنه قد عرف أمير المؤمنين عليه السلام... إذ ذاك فالأفضل علينا غض الطرف عن التحدث حوله بل نأمل أن نسير في مسير هدايته ونصل إلى بعض هذا الصراط)^(٤).

١- حقيقتهم أنهم بشر مخلوقون لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً، فنبى الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو خيرهم وسيدهم يقول الله تعالى عنه ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ فكيف بالإمام علي والزهراء وهما دونه بالفضل والتكريم!؟

٢- الأربعون حديثاً للخميني ص ٦٥٤ وزبدة الأربعين حديثاً ص ٢٣٢ اختصار سامي خضرا

٣- هذه عبارة اعتدنا أن نردها في رب العالمين، فنقول كل كمال تتصوره في رب العالمين فالله خير وأكمل من ذلك، فعقولنا لا تدرك هذا الكمال المطلق كما هو وإن أدركت معناه، لكنها عند الخميني تُقال لعلي بن أبي

طالب!!

٤- جريدة رسالت رقم ٦٢٨

بل يذهب إلى أكثر من هذا حين يقول عن أمير المؤمنين علي: (خليفته - أي خليفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم - القائم مقامه في الملك والملكوت، المتحد بحقيقته في حضرة الجبروت واللاهوت، أصل شجرة طوبى وحقيقة سدرة المنتهى، الرفيق الأعلى في مقام أو أدنى، معلم الروحانيين ومؤيد الأنبياء والمرسلين علي أمير المؤمنين)^(١).
وأنت تعلم أنّ قوله (المتحد... باللاهوت) هو كقول النصارى في المسيح عليه السلام حيث يقولون باتحاد اللاهوت بالناسوت^(٢).

ومن منطلق دعوى حلول الرب بعلي بن أبي طالب ينسب الخميني لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب قوله: (لنا مع الله حالات هو هو ونحن نحن، وهو نحن ونحن هو)^(٣)!!
وهذا عين مذهب القائلين بوحدة الوجود، فالله هو علي وعلي هو الله، لم يبق إلا التصريح بهذا!!

2 - آية الله العظمى الخوئي

سئل في صراط النجاة السؤال التالي (ترشد بعض الروايات إلى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والزهراء عليها السلام يحضران مآتم عزاء الإمام الحسين عليه السلام، فما رأي مولانا الكريم، وعلى فرض الوجود فهل يشمل حضور بقية الأئمة عليهم السلام؟
أجاب الخوئي: هذا أمر ممكن، وبعض الروايات دلّت عليه، والله العالم!^(٤)

١- مصباح الهداية ص ٥

٢- يرى النصارى أنّ المسيح عليه السلام مكون من جانبين، جانب إلهي وجانب إنسي بشري، ويطلقون على الجزء الإلهي اسم (لاهوت) وعلى الجزء البشري اسم (ناسوت).

٣- مصباح الهداية ص ١١٤

٤- صراط النجاة ٣/٣١٩ - سؤال رقم (١٠٠٠)

3- آية الله العظمى جواد التبريزي

يقول في تعليقاته وفتاويه المطبوعة مع صراط النجاة للخوئي إجابة على سائل يقول: (ما رأيكم فيمن يعتقد بأن النبي وأهل بيته عليهم السلام كانوا موجودين بأرواحهم وأجسامهم المادية قبل وجود العالم، وأنهم كانوا مخلوقين قبل خلق آدم عليه السلام لا أن الله تعالى جعل صورهم حول العرش، فما هو الجواب؟

أجاب التبريزي: كانوا عليهم السلام موجودين بأشباحهم النورية قبل خلق آدم عليه السلام، وخلقتهن المادية متأخرة عن خلقه آدم، كما هو واضح، والله العالم!!

وسئل أيضاً: هل يجوز الاعتقاد بأن الصديقة الطاهرة السيدة الزهراء عليها السلام تحضر بنفسها في مجالس النساء في آن واحد، في مجالس متعددة بنفسها ودمها ولحمها؟

أجاب التبريزي: الحضور بصورتها النورية في أمكنة متعددة في زمان واحد، لا مانع منه، فإن صورتها النورية خارجة عن الزمان والمكان، وليست جسماً عنصرياً ليحتاج إلى الزمان والمكان، والله العالم!!!^(١).

وسئل أيضاً: هل هناك خصوصية للزهراء عليها السلام في خلقتها، وبالنسبة للمصائب التي جرت عليها بعد أبيها صلى الله عليه وآله وسلم من ظلم القوم لها، وكسر ضلعها وإسقاط جنينها، ما رأيكم بذلك؟

أجاب التبريزي: نعم، فإن خلقتها كخلق سائر الأئمة (سلام الله عليهم أجمعين) بلطف من الله سبحانه وتعالى، حيث ميزهم في خلقهم عن سائر الناس... وكانت فاطمة (ع) في بطن أمها محدثة وكانت تنزل عليها الملائكة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم!!!^(٢).

١- صراط النجاة ٣/٤٣٩ - سؤال رقم (١٢٦٣)

٢- صراط النجاة ٣/٤٣٩-٤٤٠ - سؤال رقم (١٢٦٤)

وسئل أيضاً: بالنظر إلى آية المباهلة، وما تضافرت به الروايات والزيارات (كزيارة الجامعة الكبيرة مثلاً) هل يُمكن القول بأن الأئمة الاثني عشر والزهراء عليها السلام هم أفضل من الخلق كافة، سوى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم؟
أجاب التبريزي: نعم القول في المزبور متعين بالنظر إلى الآية، والروايات المشار إليها، وبريدها الزيارات^(١).

وهذا تصريح من التبريزي بكون الأئمة والزهراء أفضل من الأنبياء عليهم السلام سوى محمد عليه الصلاة والسلام، وقد صرح بهذا القول في كتابه (الأنوار الإلهية في المسائل العقائدية) حيث أجاب على سؤال وُجّه له عن تفضيل الأئمة على أنبياء الله تعالى بقوله: (أئمتنا عليهم السلام أفضل من الأنبياء ما عدا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم)^(٢)، ولا يخفى ما في هذا الغلو في أئمة أهل البيت من الإساءة إلى أنبياء الله تعالى الذين اصطفاهم الله تعالى لحمل رسالته وفضلهم على العالمين.

إنّ هذه العقائد نموذج حي للغلو الذي دخل على التشيع لأهل البيت باسم حبههم ومناصرتهم.

4- آية الله العظمى محمد بن مهدي الحسيني الشيرازي

يقول في كتابه (من فقه الزهراء) ما نصه: (ثم إنهم عليهم السلام ومنهم فاطمة (صلوات الله وسلامه عليها) يحيطون علماً وقدرة - بإذن الله تعالى - بالكائنات جميعاً إلا ما استثني، وقد تقدّم

١- صراط النجاة - الجزء الثاني ص ٥٦٨

٢- الأنوار الإلهية في المسائل العقائدية ص ١٧٩

في الزيارة الرجبية ما يدل على ذلك، كما في جملة من الأحاديث (يعلمون ما كان وما يكون وما هو كائن) فإنه ليس بمحال عقلاً، ويشبه ذلك في الماديات الهواء والحرارة والجاذبية وغيرها^(١). ويقول أيضاً: (كما أنها (صلوات الله عليها) - يعني السيدة فاطمة - تعلم الغيب كسائر المعصومين عليهم السلام حسب مشيئته سبحانه.

ولها وهم عليهم السلام الولاية التكوينية ومعناها: أن زمام العالم بأيديهم عليهم السلام ومنهم فاطمة (سلام الله عليها) حسب جعل الله سبحانه، كما أن زمام الإمامة بيد عزرائيل، فلهم عليهم السلام التصرف فيها إيجاباً وعدمياً، لكن من الواضح أن قلوبهم أوعية مشيئة الله تعالى، فكما منح الله سبحانه القدرة للإنسان على الأفعال الاختيارية منحهم عليهم السلام القدرة على التصرف في الكون.

وما نذكره يشمل كل المعصومين عليهم السلام، فإن كل الصلاحيات التي كانت للأنبياء عليهم السلام ثابتة للمعصومين عليهم السلام أيضاً، لأنهم أفضل منهم، وفاطمة (صلوات الله عليها) أفضل من جميع الأنبياء عليهم السلام إلا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم^(٢).

5- آية الله العظمى محمد محمد صادق الصادر

أما محمد الصدر فلديه ما هو أعجب.

فهو يقارن بين صبر الإمام الحسين وبين صبر أنبياء الله تعالى بل وصبر أولي العزم من الرسل الذين أطلق عليهم هذا الإسم لشدة صبرهم في دعوتهم وعلى ابتلاءهم. وتبلغ المقارنة حداً تقشعر منه جلود الموحدين، حين يستخف محمد الصدر بأنبياء الله تعالى بأسلوب فج قبيح لا يمكن أن يُفسر إلا بأنه استهزاء صريح بأنبياء الله تعالى وملائكته.

١- من فقه الزهراء - المقدمة ص ٣٦-٣٧ تحت عنوان (شمولية علمهم وقدرتهم عليهم السلام).

٢- من فقه الزهراء - المقدمة ص ١٢ تحت عنوان (الولاية التكوينية والتشريعية).

ففي خطب الجمعة المنشورة له يقول: (الحسين عليه السلام صبر أكثر من آدم عليه السلام، يقول في القرآن ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٣١﴾ ثُمَّ أَجْتَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٢١-١٢٢].

الحسين صبر أكثر من نوح عليه السلام، الذي من أنبياء أولي العزم ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿١٠٦﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿١٠٧﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْصِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿١٠٨﴾﴾ [نوح: ٥-٧]، نوح صبر مئات السنين، مع ذلك المتوقع منه أن لا يفتح فمه بالشكوى أمام الله سبحانه وتعالى!!!، الحسين لم يفتح فمه بالشكوى أمام الله سبحانه وتعالى).

ثم يقول: (الحسين عليه السلام صبر أكثر من ذو النون، فإن الأخير لم يستطع الصبر عدة سنوات، وانهم من مجتمعه الذي كان مكلفاً حسب الرواية بالدعوة فيه، أي بالنبوة فيه ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧]!!

مريم بشرتها الملائكة بوجود عيسى وولادته. مع ذلك استشككت ولم تسكت إلا أن تشكل ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢١﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿٢٢﴾﴾ [مريم: ٢٠-٢١]، قضاة الله وقدره رغماً عنك!، وليس باختيارك وإنما اختيار رب العالمين، لماذا تفتحين فمك بما لا ينبغي؟! فهل فتح واحد من المعصومين فمه بما لا ينبغي؟ حتى بالدقة العقلية لا يوجد مثل هذا الشيء.

زكريا ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٦﴾﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي كُنْتُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران: ٣٩].

الملائكة تقول له وجهاً لوجه وحساً بحس مع ذلك تأخذه الأسباب الطبيعية! وتصعب في نفسه أهمية هذه الأسباب فيفتح فمه بالإشكال أمامهم^(١).

هكذا يتكلم محمد الصدر عن أنبياء الله تعالى والبتول مريم، المهم أن الإمام الحسين أفضل من الكل وكفى، حتى لو كان في ذلك انتقاص لأنبياء الله وانتقاداً لهم وتقليلاً من شأنهم وقلة حياء في الحديث عنهم.

لكن يبدو أن محمد الصدر يرى نفسه أتقى من الملائكة وأورع منهم، فبعد أن قال في خطبته (صَبَرَ الحسِين أكثر من الملائكة) أعقب ذلك بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] انفتحت ألسنتهم هذا ليس بكلام جيد منك. سمعت أحداً يقول لله مثل هذا الكلام؟ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم!!^(٢).

١- منبر الصدر ص ٤٤-٤٦

٢- أقول: بل سمعنا من ينتقد أنبياء الله تعالى والصدّيقة مريم والملائكة ويدّعي بعد ذلك أنه مسلم متبع لأهل البيت!

أما الملائكة الذين لا يعرف الصدر حقهم، فهم الذين قال الله تعالى عنهم (بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿١٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾)، يقول الشيخ الطوسي - وهو من كبار علماء الإثني عشرية - في تفسيره (التيبان ١/ ١٣٢): (فقالوا: يا ربنا اجعل في الأرض يفسد فيها ويسفك الدماء على وجه الاستخبار منهم والاستعلام عن وجه المصلحة، والحكمة لا على وجه الانكار كأنهم قالوا: إن كان هذا كما ظننا فعرفنا وجه الحكمة فيه، وقال قوم: المعنى فيه أن الله أعلم الملائكة أنه جاعل في الأرض خليفة وأن الخليفة فرقة تسفك الدماء وهي فرقة من بني آدم فأذن الله للملائكة أن يسألوه عن ذلك وكان إعلامه إياهم هذا زيادة على التثبيت في نفوسهم أنه يعلم الغيب فكأنهم قالوا: أتخلق فيها قوماً يسفك الدماء، ويعصونك وإنما ينبغي أنهم إذا عرفوا أنك خلقتهم أن يسبحوا بحمدك كما نسبح ويقدموا

ولا يكتفي آية الله العظمى محمد الصدر بكل هذا بل يعقد مقارنة بين مرقد الإمام علي وبين الكعبة المشرفة فيقول: (وقع الكثير من هذا الكلام بين المؤمنين الواعين أنّ الكعبة أفضل أم حرم أمير المؤمنين؟ أنا أقول: حرم أمير المؤمنين، بماذا تريد أن تجيب فأجب، وكذلك المصلى مصلى أمير المؤمنين، وكذلك مسكن أمير المؤمنين، الله ما هي صداقته مع الكعبة؟ ولكن له صداقة مع أمير المؤمنين، ولي الله حقاً، فقط هذه؟ لا... أكثر^(١)).

6- آية الله العظمى وحيد خراساني

يخاطب الوحيد الخراساني الإمام المهدي بقوله: (يا فاعل ما به الوجود، ويا من أينما كان ما منه الوجود [أي الله تعالى] كنت أنت أيضاً هناك، فلا يخلو مكان - بحكم البرهان - (من فاعل ما منه الوجود)، ولا يخلو مكان منك أنت أيضاً، لأنّ أفعاله تعالى وإن كانت أفعاله ولكنها بواسطتك، فمنه تعالى كل شيء، لأنّ كل شيء منه لا إله إلا الله، ومنك كل شيء، لأنّ كل شيء يكون بواسطتك. إننا موحدون... لا نعرف شيئاً منك، بل نعرف أن كل شيء من الله تعالى، ولكن في عين الحال التي نرى أن كل شيء منه هو، نرى أيضاً أن أنفاس صدورنا منه ولكن بك أنت، والنظرة والرؤية التي نتمتع بها، والخطوة التي نخطوها، كلها منه سبحانه وتعالى، ولكنها بك أنت... أيتها الرحمة التي وسعت كل شيء^(٢)).

كما نقدر؟ ولم يقولوا: هذا إلا وقد أذن لهم، لأنهم لا يجوز أن يسألوا ما لا يؤذن لهم ما فيه، ويؤمنون به،

لقوله (وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿١٤٠﴾).

١- منبر الصدر ص ١٤

٢- صفحة ٤٢-٤٣ من كتاب مقتطفات ولأئمة، ترجمة عباس بن نخعي، المحاضرة الثالثة تحت عنوان (صبر

الحجة) ألقاها في المسجد- الأعظم بقم بتاريخ ١٣ شعبان ١٤١١ الموافق ٢٧/٢/١٩٩١

ويقول الوحيد الخراساني بصراحة مثيرة: (إنَّ إمام العصر صار عبداً، وعندما صار عبداً صار رباً، ف " العبودية جوهرية كنهها الربوبية" فمن ملك هذه الجوهرية تحققت ربوبيته - بالله تعالى لا بالاستقلال - بالنسبة إلى الأشياء الأخرى)^(١).

وتأييداً لأقواله الباطلة، يستورد الوحيد الخراساني حديثاً من أحد أقطاب الفرقة الخطابية الملعونة والباطلة التي كانت تؤله الإمام الصادق وهو المفضل بن عمر يقول فيه كذباً وزوراً وبهتاناً: (إنه سمع أبا عبد الله (ع) يقول في قول الله تعالى ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾: رب الأرض إمام الأرض. قلت: فإذا خرج يكون ماذا؟ قال: إذن يستغني الناس عن ضوء الشمس ونور القمر ويجتزئون بنور الإمام)^(٢).

واستناداً إلى أقوال الغلاة هذه يعتقد الشيخ الوحيد الخراساني: (إنَّ إمام العصر هو صاحب مقام الإمامة المطلقة، أي العلم المطلق والقدرة المطلقة والإرادة المطلقة والكلمة التامة والرحمة الواسعة)^(٣).

ويقول: (لا شك أنَّ إمام الزمان جوال في زيارة أولياء الله ولا حجاب أمامه، فمن هو "فاعل ما به الوجود" لا يكون محجوباً)^(٤).

ومع أنَّ الله عز وجل ينهانا عن دعاء غيره ويقول ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥]. ويقول ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَّا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس: ١٠٦] و﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ

١- المصدر ص ٤١

٢- المصدر ص ٦٤

٣- المصدر ص ٤٥

٤- المصدر ص ٤٤

اللَّهِ عِبَادُ أُمَّتَالِكُمْ ﴿﴾ [الأعراف: ١٩٤] فَإِنَّ آيَةَ اللَّهِ الْعِظْمَى الْوَحِيدِ الْخِرَاسَانِي يُوجِهَ الْمُسْلِمِينَ وغير المسلمين إلى الاستغاثة بالإمام المهدي فيقول: (من الضروريات والمسلمات أن كل من تنقطع به السبل ويتيه في صحراء قاحلة لا يهتدي فيها إلى طريق، سواء كان يهودياً أو نصرانياً، أو مسلماً شيعياً أو سنياً - لا فرق بتاتاً، إذا ما ندب في ذلك الحين وقال: (يا أبا صالح المهدي أدركني) فإن النتيجة قطعية الحصول... والسر في ذلك أن الدعاء في تلك الحالة متوجه للإمام حقيقة لأنه نابع عن اضطرار واقعي يخرق الحجب، وفي غير تلك الحالة فإن الندبة غير متوجهة إليه! والأمر سيان بين الله وبين سبيل الله، "من منه الوجود" و "من به الوجود" والحكم في الحالين واحد، فكما أن التوجه بالدعاء إلى "من منه الوجود" يجب أن يتحقق حتى تتحقق الاستجابة، كذلك الأمر بالنسبة إلى "من به الوجود" فهو السبيل الأعظم والصرط الأقوم، فإن التوجه إليه بالدعاء يجب أن يتحقق فتتحقق الاستجابة في ذلك الحين بالضرورة)^(١).

ويقول: (وإذا اضطر أحد فتوجه إلى (السبيل الأعظم) أي "من به الوجود" للنجاة من صحراء تاه فيها وبلوغ المعمورة، فإنه عليه السلام سيرشده إلى الطريق ويدله على ما يجب أن يفعله حتى ينجو... لقد اضطرته تلك الحال فلجأ إليه وتوسل به، فينظر عليه السلام إليه نظرة يكون فيها دواؤه وشفاءؤه)^(٢).

وكأنَّ وحيد الخراساني لا يدرك حقيقة أنَّ النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وبقية الأئمة من أهل البيت كانوا في حياتهم محدودي القدرة ضمن أطر الزمان والمكان ولم يكونوا يخترقون الحجب ولا يمتلكون هذه القدرة الخارقة على نصرته أوليائهم أو المستغيثين بهم، وقد تعرضوا هم إلى أشد ألوان العذاب واستغاثوا بالله تعالى وطلبوا منه النصر والعون! لكنه الغلو وما يفعله في أصحابه.

١- المصدر ص ٥٠

٢- المصدر ص ٥١

7- آية الله الحائري الإحقاقي

سُئل الإحقاقي عن معنى كلمة (شديد القوى) في سورة النجم فأجاب (... كيف وقد صح، واشتهر عند الإمامية أنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو معلم جبرائيل في العالم الأول (عالم النورانية) والرواية معروفة لا حاجة إلى ذكرها)^(١).

فهل علم علي بن أبي طالب جبريل أمين وحي السماء؟! غلو فاحش وضلال مبین لا يحتاج إلى تعليق.

ويسأله أحد مقلديه قائلاً: (لما مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم، مرضه الذي توفي فيه، أوصى إلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: (إذا فاضت نفسي المقدسة فتناولها بيدك وامسح بها وجهك، ثم قال: وإذا مت غسلني وكفني واعلم أنّ أول من يصلي عليّ الجبار جل جلاله، ثم أهل بيتي ثم الملائكة ثم الأمثل والأمثل من أمتي)، فما معنى إفاضة نفسه، وتناولها بيد علي (ع) ومسحها بوجهه ثم ما كيفية صلاة الجبار عليه؟ أفيدونا أطال الله بقاءكم.

يأتي جواب الحائري على هذا التساؤل فيقول: (النفس هنا معناها الروح، يعني خرجت روح من جسدي، فتبارك بها وامسح بها وجهك، ولأنّ روحه الزكيّة أفضل روح، وأشرف روح بين الأرواح، فهي مباركة طيبة. هذا إذا كانت روحه البشرية وأما إذا كانت النفس اللاهوتية^(٢))، فهي التي تنتقل من معصوم إلى معصوم، بعد وفاة كل منهم، وهي الملك المسدد الذي جاء في أخبارنا. وفي بعض الروايات تتجسم كالزبدة على شفّتي الإمام عند وفاته، فيتناولها الإمام من بعده بغمه ويأكلها.

١- الدين بين السائل والمجيب ٤٩/٢ سؤال رقم (٢٤٠)

٢- (اللاهوت) مصطلح استخدمه النصارى ومعناه عندهم (جوهر الله)، وعندنا أنّ هذه اللفظة لا تُطلق على الله عز وجل لكن ليس هذا موضع نقاش جواز إطلاق اللفظ على الله أم لا، لكن القصد الإشارة إلى المعنى المراد من اللاهوت.

وفي بعضها: تتجسم كالعصفور فيلعبها وصيه والإمام من بعده، كما جرى ذلك بين الإمامين الرضا والجواد عليهما السلام^(١).

8 - آية الله العظمى المولى ميرزا عبد الرسول الإحقاقي

يقول مجيباً على سؤال طرح عليه عن إحدى روايات المذهب:

(وأما قوله عليه السلام: (إذا شئنا شاء الله) دلالة على أن مشيئتهم لا تخالف مشيئة الله مطلقاً بل كما قال مولانا الحجة أرواحنا فداه (بل قلوبنا أوعية لمشيئة الله إذا شئنا شاء الله)، أما مسألة أن حساب الناس عليهم.. إلخ، فقد تردد كثيراً في أخبارهم عليهم السلام وزياراتهم، منها ما في الزيارة الجامعة الكبيرة (وإياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم وفصل الخطاب عندكم) وغيره من الأخبار الدالة على هذا المعنى، وإليك بعض هذه الأخبار، ففي صحيح الكافي ج ٨ ص ١٩٥ عن الباقر عليه السلام (إذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الأوليين والآخرين لفصل الخطاب دعي رسول الله صلى الله عليه وآله ودعي أمير المؤمنين عليه السلام فيكسى رسول الله صلى الله عليه وآله حلة خضراء تضيء ما بين المشرق والمغرب، ويكسى علي عليه السلام مثلها ثم يصعدان عندها ثم يدعى بنا فيدفع إلينا حساب الناس فنحن والله ندخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار)، وفي الكافي ج ٨ ص ١٦٢ عن الكاظم عليه السلام: (إلينا إياب هذا الخلق وعلينا حسابهم.. إلخ)، وفي أمالي الطوسي ص ٤٠٦ عن أبي عبد الله عليه السلام: (إذا كان يوم القيامة وكلنا الله بحساب شيعتنا) وغيرها من الأخبار التي لا تقع تحت الحصر^(٢).

ومن حقي أن أسجل ملاحظة صغيرة على هذا الكلام المغالي أقول فيها: لو أننا رضينا جدلاً بأن مشيئة الأئمة هي مشيئة الله تعالى، وأنهم لا يفارقون هذه المشيئة طرفة عين، لأكن مغالياً

١- الدين بين السائل والمجيب ٢/ ٧٥-٧٦ سؤال رقم (٢٥٦).

٢- نفس المصدر ص ١٧

وأتقبل معك هذه الفكرة، لكن ما لا أستطيع أن أفهمه هو قول الرواية (إذا شئنا شاء الله)، فكأن الله تعالى عياداً بالله صار تبعاً للأئمة وليست القضية فقط اتحاد مشيئة، ولو كان عند هؤلاء المغالون ذرة حياة وخشية من الله تعالى لنسبوا إلى الأئمة قولهم (إذا شاء الله شئنا) وليس العكس.. ولكن ليس بعد هذه الزندقة من عتب.

9- آية الله العظمى محمد الحسيني الشاهرودي

أجاب على سؤال وجه إليه من قبل طلبة الحوزة العلمية في قم نصه كالتالي: (س ١٤ شكك أحدهم بالروايات الواردة في كون نور فاطمة عليها السلام قد خلق قبل أن يخلق الله الأرض والسماء، ما رأيكم بذلك؟ علماً أن التشدد السندي لا يخرج بعض الروايات من دائرة الاعتبار، كما نرى ذلك في رواية سدير الصيرفي التي يذكرها الشيخ الصدوق في معاني الأخبار)

الجواب:

(لا ريب أن الله تعالى خلق نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام قبل أن يخلق العالم و آدم، فقد كانوا أنواراً وأشباحاً بظل العرش، والروايات في ذلك متظافرة بل متواترة ولا مجال للتشكيك في ذلك، راجع البحار ج ٢٥ ص ١٥، ٢٥؛ ج ٢٨ ص ٤٥، وبالنسبة لخصوص فاطمة الزهراء سلام الله عليها (راجع البحار ج ٤٣ ص ٤٤ ح ٣)^(١).

10- الإمام الأكبر محمد الحسين آل كاشف الغطاء

يصف الأئمة في أبيات شعر له فيقول:

يا كعبة لله إن حجت لها الأملاك فعرشه ميقاتها
أنتم مشيئته التي خلقت بها الأشياء بل ذرئت بها ذراتها

أنا في الورى قال لكم إن لم أقل ما لم تقله في المسيح غلاتها^(١) حيث يجعل كاشف الغطاء الأئمة كعبة تحج إليها الملائكة وجعل عرش الرحمن هو ميقاتها، وجعلهم هم مشيئة الله وقدرته التي خلقت بها الأشياء، بل وقطع على نفسه عهداً أن يقول في الأئمة ما لم تقله غلاة النصرانية في المسيح عليه السلام، ولعله بهذه الأوصاف قد وصل إلى ما أراد، والله المستعان.

11 - العلامة جعفر التستري

يقول في كتابه الخصائص الحسينية: (اعلم أن الله جل جلاله لم يزل متفرداً ولم يكن مخلوق ولا زمان ولا مكان، فلما ابتداءً بخلق أفضل المخلوقات اشتق من نوره نور علي وفاطمة والحسن والحسين - عليهم السلام - وجعل لهم محال متعددة وعوالم مختلفة كما يظهر من مجموع الروايات المعتبرة فمنها: قبل خلق العرش، ومنها: بعده خلق آدم، ومنها: بعده أنوار تارة وأشباح نور تارة، وظلال وذرات وأنوار في الجنة تارة، وعمود نور وأقذف في ظهر آدم عليه السلام تارة، وفي أصابع يده الأخرى، وفي جبينه تارة، وفي جبين كل جد من الأجداد من آدم عليه السلام إلى والد النبي صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله بن عبد المطلب، وفي جبين كل جدة عند الحمل ممن هو في صلبه من حواء، إلى أم النبي آمنة بنت وهب. ثم إن أنوارهم محال متعددة قدام العرش، وفوق العرش، وتحت العرش، وحول العرش، وفي كل حجاب من الحجب الاثني عشر، وفي البحار الأنوار، وفي السرادقات ولبقاتهم في كل محل مدة مخصوصة. فمدة وجودهم قبل خلق العرش أربعمئة ألف وعشرون ألف، وزمان كونهم حول العرش خمسة عشر ألف عام قبل خلق آدم عليهم السلام، وزمان كونهم تحت العرش اثنا عشر ألف سنة قبل آدم، وليس المقام مقام هذه التفاصيل فإنه يحتاج إلى كتاب مستقل، إنها المقصود بيان خصائص الحسين عليه السلام في نوره وامتياز نوره من الأنوار

١- ديوان شعراء الحسين - محمد باقر النجفي ص ١٢ ط طهران ١٣٧٤ هـ

في جميع هذه العوالم والحالات في الظلال والأشباح والذرات، وحين تجسّمه بالشجرة في الجنة والقرط في أذن الزهراء عليها السلام وهي في الجنة في إحدى هذه العوالم.

نقول: إنّ هذه الأنوار في هذه العوالم مصدرها نور النبي صلى الله عليه وآله وسلم وامتيازته كون نوره من نوره، فإنه من حسين وحسين منه، وحين افتراقهما قد كان لنور الحسين عليه السلام خصوصية في أن رؤيته كان موجبا للحنن^(١).

ويقول تحت عنوان (في أنّ الله خصه - عليه السلام - بخصائص الكعبة) بعد مقارنة بين مقام وزيارة الحسين وبين الكعبة ما نصه: (التاسعة: جعل طوافه ركناً من أركان الإسلام فقال ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧] ومن لم يأت به نقص ركناً من أركان الإسلام، والحسين - عليه السلام - قد جعلت زيارته ركناً من أركان الإسلام والإيمان، فقد ورد في الحديث أنّ تارك زيارته منتقص الإيمان قاطع لحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورحمه وقد عرق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفي رواية ليس بشيعة، وفي رواية إن كان من أهل الجنة فهو من ضيفانهم، وفي رواية تارك حقاً من حقوق الله ولو حج ألف حجة، وفي رواية محروم من الخير، وفي رواية بعد أن سمع أحدهم - عليهم السلام - أنّ جماعة من الشيعة تأتي عليهم السنة والسنن لا يزورونه، قال: حظهم أخطئوا وعن ثواب الله زاغوا وعن جوار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تباعدوا)^(٢).

ويقول تحت العنوان نفسه أيضاً (الثالثة عشرة: جعله مطافاً للناس وجعل ثواب الطواف جزئياً بالنسبة إلى أشواطه وخطواته، وقد زادت فضيلة زيارة الحسين عليه السلام على ذلك أضعافاً كثيرة كما تبين في عنوان الزيارة).

١- الخصائص الحسينية (محل نوره بعد خلقه) ص ٢٨-٢٩

٢- الخصائص الحسينية ص ٢٩٣

الرابعة عشرة: جعله مطافاً للملائكة كما ورد أنه لما بنى جبرائيل الكعبة بأمر الله طافت حولها الملائكة وهم سبعون ألف ملك كانوا يحرسون الخيمة التي أنزلت من الجنة وبنيت على قواعد البيت التي بناها الملائكة قبل خلق آدم، ورفعت قواعدها بازاء الضراح والبيت المعمور والعرش، ولما نحى الخيمة وبنى جبرائيل البناء الثاني وطافت الملائكة حوله نظر آدم وحواء إليهم فانطلقا وطافا سبعة أشواط، والحسين عليه السلام قد كان مطافاً للملائكة حين كان نوراً مع الأنوار المحدقة بالعرش وكان شفيحاً للملائكة^(١).

وتحت العنوان نفسه أيضاً: (التاسعة عشرة: أنّ الكعبة مطاف الأنبياء من آدم إلى خاتم النبيين عليهم السلام كما دلت عليه الروايات الكثيرة المتواترة. وقد ثبت مثل ذلك للحسين عليه السلام بالنسبة إلى جسده تارة وبالنسبة إلى رأسه الشريف وبالنسبة إلى قبره المنيف)^(٢).
ويؤكد التستري على أنّ مرقد الحسين حرم كسائر بيوت الله بل هو عند الشيعة أعظم حرمة من الكعبة بحسب الروايات الشيعية الكثيرة.

يقول التستري: (الثلاثون: أنّ الله خلق مكة واتخذها حرماً قبل دحو الأرض، ولكن قد ورد في كربلاء عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: اتخذ الله أرض كربلاء حرماً آمناً مباركاً قبل أن يخلق الله أرض الكعبة ويتخذها حرماً بأربعة وعشرين ألف عام، وأنه إذا زلزل الله تبارك وتعالى الأرض وسيرها رفعت كما هي بتربتها نورانية صافية فجعلت في أفضل روضة من رياض الجنة، وأفضل مسكن في الجنة لا يسكنه إلا النبيون والمرسلون، أو قال: أولو العزم من الرسل وأنها لتزهر بين رياض الجنة كما يزهر الكوكب الدرّي بين الكواكب لأهل الأرض)^(٣).

١- المصدر ص ٢٩٦

٢- المصدر ص ٣٠٠

٣- المصدر ص ٣٠٦

ويقول أيضاً: (الواحدة والثلاثون: أن مكة قد تكلمت وتفاخرت بكرامة الله لها فقالت: من مثلي وقد بني بيت الله على ظهري، يأتيني الناس من كل فج عميق. ولكربلاء فضل على ذلك أنها تفاخرت فأوحى الله إليها أن كفي وقرى ما فضل ما فضلت به فيما أعطيت أرض كربلاء إلا بمنزلة الإبرة غمست في البحر فحملت، ولولا تربة كربلاء ما فضلتك، ولولا من تضمنته أرض كربلاء ما خلقتك ولا خلقت البيت الذي به افتخرت فقري واستقري وكوني دنية متواضعة ذليلة مهينة غير مستكفة ولا مستكبرة لأرض كربلاء وإلا سخت بك وهويت بك في نار جهنم ...). إلى آخر كلامه^(١).

ويقول تحت عنوان (ما أعطي للأنبياء من الحسين عليه السلام) ما نصه: (المقصد الرابع: فيما أعطي الأنبياء بالحسين عليه السلام اعلم أنه قد أعطي جميع الأنبياء من الحسين عليه السلام شيئين: الأول: أنه أسوة لهم. فكان كل واحد منهم إذا أصابته مصيبة تأسى بالحسين عليه السلام وصبر عليها تأسياً بالحسين عليه السلام ولذا قال علي عليه السلام يوماً للحسين عليه السلام يا أبا عبد الله أسوة أنت قدماً.

الثاني: أن كل ما وقع يعني في شدة فقد حصل الفرج له عند التلفظ باسم الحسين عليه السلام وفي ذلك روايات:

الأول: في قبول توبة آدم عليه السلام حين علمه الله الأسماء الخمسة فكانت الاستجابة عند قوله بحق الحسين.

الثاني: في سكون سفينة نوح عليه السلام حين أوحى إليه أن يتوسل بالخمس فكان الاستواء على الجودي عند قوله وبحق الحسين.

الثالث: في استجابة دعاء زكريا عليه السلام حين قال فهب لي من لدنك ولياً فعلمه الأسماء الخمسة فحصلت البشارة بيحيى عند قوله بحق الحسين.

الرابع: في نجاة يونس من بطن الحوت فإنه دعا بحق الخمسة وحصل نبذه بالعراء عند قوله بحق الحسين.

الخامس: في كشف الضر عن أيوب عليه السلام فإنه حصل عند دعائه متوسلاً بالخمسة ونودي بقوله اركض برجلك هذا مغتسل بارد عند قوله بحق الحسين عليه السلام.

السادس: حصول الفداء لإسماعيل فإنه قد ورد أنّ المراد بذبح عظيم هو الحسين عليه السلام ولذلك معنى لا يلزم منه كون إسماعيل أعلى رتبة.

السابع: في خروج يوسف عليه السلام من غيابة الجب فإنه حصل بالتوسل بالخمسة وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه عند قوله (وبحق الحسين عليه السلام).

الثامن: في خروج يوسف من السجن فإنه لما توسل بالخمسة بعد بضع سنين فلما قال (وبحق الحسين) جاء صاحب السجن وقال يا يوسف أيها الصديق أفتنا إلى آخر القصة.

التاسع: في تفريج الغم ليعقوب عليه السلام فإنه لما ضاق عليه الأمر قال: رب أما ترحميني، ذهبت عيناى ونور عيني فأوحى الله إليه (قل: اللهم إني أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين أن ترد علي عيني) فبمجرد التلطف بالحسين جاء البشير وارتد بصيراً^(١).

وهكذا قارن التستري بين أنبياء الله الذين اصطفاهم لحمل رسالاته وبين الحسين ابن بنت رسول الله، وفرق بين أن يكون الرجل قريباً من رسول الله وكونه سيد شباب أهل الجنة وله من الفضائل ما له وبين أن يقارن بنبي واحد فضلاً عن جميع الأنبياء كما حلا للتستري أن يقارن.

والحقيقة أنّ التستري لم يكتف بمقارنة الإمام الحسين بأنبياء الله عليهم الصلاة والسلام وبأولي العزم من الرسل بل تعدى ذلك إلى مقارنة بين ما لله رب العباد من القدسية والعظمة سبحانه وبين ما لموت الحسين شهيداً من قدسية حيث يقول تحت عنوان (في خصوصية عطاياه عليه السلام) ما نصه: (الأول: إنّ من صفات الله ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ وله خمس معان، وقد أُعطي

الحسين عليه السلام ما يناسب ذلك، فإن من شيء إلا وقد بكى لمصيبته ولكن لا نفقه بكاءهم فبكاء كل شيء بحسب حاله، ولا ينحصر في تقاطر الدمع من العين، فبكاء السماء تقاطر الدم، وبكاء الأرض أن كل حجر يُرفع يرى تحته دم، وبكاء السمك خروجها من الماء، وبكاء الهواء إظلامها، وبكاء الشمس كسوفها، وبكاء القمر خسوفه كما ورد كل ذلك في الروايات^(١).

ولا يخفى على القارئ اللبيب أن التستري فيما نقلناه عنه قد أتعب من بعده في أن يأتي بغلو مشابه أو أكبر، اللهم إلا التصريح بالوهية الأئمة أو أنهم أبناء الله أسوة بالنصارى القائلين بأن المسيح عليه السلام ابن الله الإنسي.

الخلافة والإمامة

(أيها الناس؛ إنَّ أحقَّ الناس بهذا الأمر أقواهم عليه، وأعلمهم بأمر الله فيه، فإنَّ شغب شاغب استعتب، فإنَّ أبي قوتل).

ولعمري لئن كانت الإمامة لا تنعقد حتى تحضرها عامة الناس؛ ما إلى ذلك من سبيل، ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها؛ ثم ليس للشاهد أن يرجع، ولا للغائب أن يختار).

نهج البلاغة

الخلافة والإمامة

إنّ وجود نظام يكفل للمجتمع كيانه ويحفظه من الفوضى ضرورة لازمة لاستمراره وبقائه وحفظ كيانه من الاندساس.

يوضح ابن خلدون ماهية هذا النظام في مقدمته (فصل ٢٥ - ص ٢٣٨) فيقول: (قوانين سياسية مفروضة يُسلّمها الكافة وينقادون إلى أحكامها، فإذا خلت الدولة من مثل هذه السياسة لم يستتب أمرها ولم يتم استيلاؤها ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾).

والمسلمون بشتى توجهاتهم المذهبية ومشاربهم الفكرية مجمعون على أهمية وجود النظام وكونه ضرورة لا غنى عنها، بل كل من لديه مسحة عقل لا يجادل في هذا أصلاً.

ولذلك تجد أنّ الخلاف السني الشيعي حول قضية الإمامة ليس منصباً على ضرورة وجود إمام يقود الأمة أو عدم وجوده، إذ كلا الفريقين يرى وجود إمام وقائد للأمة الإسلامية أمراً لا بد منه ولا محيص عنه، لكن مفترق الطريق بين الفريقين منصب على نمط هذه الإمامة.. هل لها القدسية التي أعطها الله عز وجل للنبوّة بحيث يكون أمر الحاكم تماماً لو كان النبي عليه الصلاة والسلام موجوداً، لا يخالف، ولا يعارض، ولا يُتصور فيه الخطأ ولا حتى النسيان أم أنها لا تعدو أن تكون ضرورة دينية واجتماعية لحفظ نظام المجتمع الإسلامي؟ ... هل تنحصر باثني عشر رجلاً منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى قيام الساعة أم أنها غير محددة الحكام بحسب حاجة الأمة والتغيرات السياسية التي تحوطها وتتجدد معها؟ ... هل تنعقد بالنص الإلهي على أشخاص محددين أم بنظام الشورى الإسلامي وبضوابط شرعية تكفل أن لا يتصدر الحكم إلا من هو أهل له؟

هنا يكمن الخلاف، وهنا تتشعب القضية بل وتصل إلى طريق مسدود يوم أن تنتقل القضية المتنازع عليها من إطار الخلاف الفقهي إلى إطار الخلاف العقائدي بحيث تصير الإمامة أصلاً لقبول أعمال العباد عند خالفهم، وأصلاً في معرفة الدين، وأصلاً في تقييم صحابة الرسول وزوجاته وخلفاء المسلمين وعلماء الأمة والفتوحات الإسلامية!!

فقضية تنصيب خليفة على المسلمين لا تعدو عند أهل السنة والجماعة أن تكون ضرورة اجتماعية لحفظ دين المجتمع وكيانه كما قرر ذلك جمع من علمائهم.

ولكنها عند الشيعة الاثني عشرية لها شأن آخر، يصفها كاشف الغطاء بأنها (منصب إلهي كالنبوة)^(١)، ويقول عنها نعمة الله الجزائري: (الإمامة العامة التي هي فوق درجة النبوة والرسالة)^(٢) ويقول آية الله هادي الطهراني: (الإمامة أجل من النبوة)^(٣).

بل إن الإمامة ليست من أصول الدين فحسب ولا ركناً من أركانه بل جاءت روايات شيعية لتجعل ولاية الأئمة الاثني عشر أعظم أركان الإسلام!

روى الكليني بسند موثق عن أبي جعفر قال: (بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية، فأخذ الناس بأربع، وتركوا هذه - يعني الولاية)^(٤).

١- أصل الشيعة وأصولها ص ٢١١

٢- زهر الربيع ص ١٢

٣- ودائع النبوة ص ١١٤

٤- الكافي ١٨/٢ (كتاب الإيمان والكفر - باب دعائم الإسلام - حديث رقم (٣))، علّق صاحب الشافي شرح الكافي على الحديث فقال (موثق كالصحيح) والحديث الموثق معتبر عند الشيعة كما هو الحال في درجة الحديث الحسن عند أهل السنة.

وورد الحديث بذاته بسند آخر مع زيادة (قلت (أي الراوي): وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل)^(١).

ووردت رواية ثالثة بنحو الرواية الأولى مع زيادة تقول: (فرخص لهم في أشياء من الفرائض الأربع ولم يُرخص لأحد من المسلمين في ترك ولايتنا، لا والله ما فيها رخصة)^(٢) بل وصلت الأخبار إلى أكثر من هذا حينما قالت: (عُرج بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم مائة وعشرين مرة من مرة إلا وقد أوصى الله عز وجل فيها النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالولاية لعلّي والأئمة عليهم السلام أكثر مما أوصاه بالفرائض)^(٣)!

هذه الروايات الشيعية ومثيلاتها في كتب الشيعة ساهمت بشكل مباشر في جعل مسألة الإمامة النصية مسألة إيمان أو كفر، فبات المسلم معرضاً للاتهام بالكفر لمجرد اختلافه مع الشيعة الإمامية في عقيدة الإمامة التي يعتقدونها!

ولذا رأينا بعض كبار علماء الشيعة الإمامية السابقين واللاحقين يصرّحون بهذه الحقيقة المرّة بكل جرأة واندفاع.

يقول ابن بابويه القمي في رسالته (الاعتقادات): (واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه كمن جحد نبوة جميع الأنبياء، واعتقادنا فيمن أقر بأمر المؤمنين

١- الكافي ١٨/٢ (كتاب الإيثار والكفر - باب دعائم الإسلام - حديث رقم (٣))، وهو حديث صحيح السند كما صرح بذلك علماء الشيعة (انظر الشافي شرح الكافي ٥/٥٩)، وقد ورد الحديث في (تفسير العياشي ١/١٩١، البرهان ١/٣٠٣، بحار الأنوار ١/٣٩٤)

٢- الكافي ٢/٢٢، قال المجلسي في مرآة العقول ٤/٣٦٩ (حديث صحيح)، والخصال ص ٦٠٠ (باب الواحد إلى المائة) حديث رقم (٣).

٣- بحار الأنوار ٢٣/٦٩

وأنكر واحداً من بعده من الأئمة أنه بمنزلة من أقر بجميع الأنبياء وأنكر نبوة محمد صلى الله عليه وآله^(١).

ويقول يوسف البحراني في موسوعته (الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة): (وليت شعري أي فرق بين من كفر بالله سبحانه وتعالى ورسوله وبين من كفر بالأئمة عليهم السلام مع ثبوت كون الإمامة من أصول الدين)^(٢).

ويقول المجلسي في موسوعته الحديثية بحار الأنوار ٢٣ / ٣٩٠ (اعلم أن إطلاق لفظ الشرك والكفر على من لم يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليهم السلام وفضل عليهم غيرهم يدل أنهم مخلدون في النار).

وهذا الشعب الكبير يسير الفريقان في خطين متوازيين، لا يلتقيان!!

١- الاعتقادات ص ١٠٤

٢- الحدائق الناضرة ١٨ / ١٥٣

المرجعيات ولغة التكفير

قد يتصور القارئ الكريم سنياً كان أو شيعياً بأن مثل هذه التصريحات التكفيرية لغير الشيعة المذكورة آنفاً باتت اليوم في طي النسيان، نقلتها بالأمس كتب صفراء يعلوها الحماس غير المنضبط الذي ما لبث أن تنحى عنها اليوم متجهاً نحو الاعتدال.

لكن الواقع يحكي شيئاً آخر... إن هذا الصوت التكفيري الإقصائي الذي وقفنا على بعض أطرافه كان ولا يزال جزء لا يتجزأ من النسيج العقدي الإمامي، ولن يستطيع الشيعة التخلص منه إلا بالاعتراف بأن مسألة الخلافة وإمامة الإثني عشر لا تستحق أن تكون بحال من الأحوال مسألة مفصلة بين إيمان وكفر وإنما هي قضية اجتهادية في أحسن أحوالها.

فإن لم يحن الوقت بعد لتخطي أحقاد الماضي وإلى الارتقاء بمستوى الحوار بين الطرفين بحيث لا تطغى لغة العاطفة على لغة الدليل، فمتى يحن الوقت؟!!

إنه لمن المحزن أن تجد الحوزات العلمية التي يفترض فيها أن تقود شيعة اليوم نحو الوحدة الإسلامية أو لنقل نحو تقليل حدة الصراع بين أهل السنة والشيعة، تُصر وبكل ما أُوتيت من قوة على اجترار أحقاد الماضي وعلى المضي - قُدماً على خطى السابقين في تكفير الخصوم واستحلال حُرماهم بغيبة وسباب ولعن وبراءة وما إلى ذلك!

يقول آية الله العظمى أبو القاسم الخوئي في تقرير أبحاثه كما في (مصباح الفقاهة في المعاملات): (ثبت في الروايات والأدعية والزيارات جواز لعن المخالفين، ووجوب البراءة منهم، وإكثار السب عليهم واتهامهم والوقعة فيهم: أي غيبتهم، لأنهم من أهل البدع والريب. بل لا شبهة في كفرهم لأن إنكار الولاية والأئمة حتى الواحد منهم، والاعتقاد بخلافة غيرهم وبالعتائد الخرافية كالجر ونحوه يوجب الكفر والزندقة، وتدل عليه الأخبار المتواترة الظاهرة في كفر منكر

الولاية، وكفر المعتقد بالعقائد المذكورة وما يشبهها من الضلالات. ويدل عليه أيضاً قوله عليه السلام في الزيارة الجامعة (ومن جحدكم كافر)، وقوله عليه السلام فيها أيضاً: (ومن وحده قُبل عنكم)، فإنه ينتج بعكس النقيض أنّ من لم يقبل عنكم لم يوحد، بل هو مشرك بالله العظيم!!^(١). وهذه النظرة التكفيرية الضيقة وبأخلاقيات اللعن والسباب للمسلمين المخالفين تنشئ أجيالاً من المعممين الحانقين على الأمة، المتعاملين في الظاهر بالتقية وحسن المدارات، والمضميرين في السريرة بالبغض والرغبة بالانتقام.

ويقول آية الله العظمى محمد الحسيني الشيرازي في موسوعته (الفقه) ما نصه: (غير الإثني عشرية من فرق الشيعة كالزيدية والواقفية والفظحية إذا لم يكونوا ناصيين ومعادين لسائر الأئمة ولا سايبين لهم طاهرون^(٢))، وكذا المخالفون.

أقول [الكلام للشيرازي]: دلت نصوص كثيرة على كفرهم، منها ما عن المفضل بن عمر قال: دخلت على أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام وعلي ابنه في حجره - إلى أن قال - قلت: هو صاحب هذا الأمر من بعدك؟ قال: نعم، من أطاعه رشد، ومن عصاه كفر). وعن أبي حمزة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: منا الإمام المفروض طاعته من جحده مات يهودياً أو نصرانياً)).

١- مصباح الفقاهة ١/ ٥٠٤ (حرمة الغيبة مشروطة بالإيمان).

٢- الحكم بطهارة فئة لا يعني الحكم بإسلامها عند مراجع التقليد كما بين ذلك الشيرازي نفسه حيث يقول في موسوعته (الفقه ٤/ ٢٣٩): (لا تلازم بين النجاسة والكفر، إذ لم يدل دليل شرعي أو عقلي على أنّ كل نجس كافر، وإن سلمنا العكس، وإن كل كافر نجس، فإنّ الموجبة الكلية لا تنعكس كنفسها، إلا إذا كان هناك دليل من الخارج على التساوي نحو كل ناطق إنسان على اصطلاح الأصوليين من التساوي الكلي بينهما).

ثم ساق الشيرازي روايات كثيرة في تكفير المخالفين تأكيداً لما ذهب إليه من تكفير غير الإثني عشرية^(١).

وليت الأمر يقف عند هذا الحد، فحتى منسك الحج الذي يُفترض فيه أن يكون فرصة للوحدة والالتقاء والأخوة الإسلامية يصير هؤلاء على جعله فرصة للفرقة وللتكفير! ففي كتاب (مناسك الحج) لآية الله العظمى فاضل اللنكراني وآية الله العظمى ميرزا جواد التبريزي^(٢) وآية الله العظمى وحيد خراساني تتفاجئ وأنت تتصفح الكتاب بدعاء (الزيارة الجامعة) والذي فيه: (... ومن خالفكم فالنار مثواه ومن جحدكم كافر ومن حاربكم مشرك، ومن رد عليكم في أسفل درك من الجحيم)^(٣).

إن أولئك الذين يكفّرهم هؤلاء المراجع هم مسلمون موحدون، ذنبهم الوحيد الذي ارتكبه أنهم لم يعتقدوا ما اعتقده الشيعة الإثني عشرية في الأئمة الإثني عشر، ولهذا يكفّرون وتُستحل أعراضهم باللعن تارة وبالسباب تارة أخرى.

المفارقة المضحكة والمبكية في آن واحد أن تجد هؤلاء المراجع هم من أكثر الناس انتقاداً للإرهاب والإرهابيين والتكفير والتكفيريين في بياناتهم وتصريحاتهم الإعلامية، وكأتمهم بمنى عن الإرهاب الفكري وعن الفكر التكفيري في إطروحاتهم وفتاويهم!

١- الفقه ٤/ ٢٥٩

٢- الملفت للنظر أن (مناسك الحج) لكل من فاضل اللنكراني وجواد التبريزي اللذان نقلت عنهما هما باللغة الفارسية ويحتويان على بعض الزيادات التي ليست في (مناسك الحج) المنشور باللغة العربية لهما مثل الزيارة الجامعة الكبيرة)، ولا أدري أيندرج هذا تحت باب (التقية المداراتية) كما يراها علماء الشيعة أم أنها غير مقصودة.

٣- مناسك الحج للنكراني ص ٢٥٠ ومناسك الحج للتبريزي ص ٣٠٧ ومناسك الحج لو حيد خراساني

وما عشت أراك الدهر عجباً!

خطوات نحو إصلاح ما أفسدته الطائفية

إنّ الحقيقة واضحة جلية، لا تحتاج إلى نقاشات مطوّلة تستهلك طاقات الأمة ويُحار فيها الفريقان (السنة والشيعة) إثباتاً ونفيّاً.

لقد كان الشعور يراودني منذ أن دخلت هذا المعترك بأنّ الخط الفاصل بين الحق والباطل والذي تُعرف به الحقيقة من غيرها موجود لا خفاء فيه، ولكننا في غمرة التعصب المذهبي وغياب الموضوعية والتربّي على التراشق بالتهم غفلنا عن إدراكه.

وإذا كان الله عز وجل قد وضع بيننا كمسلمين وبين أهل الكتاب وسائر أهل الملل معايير وأسساً يتفق عليها الطرفان وتقام بها الحجة الظاهرة لأهل الإسلام على الأمم الكافرة، فإنه من غير المعقول أن تُطالب الأمة بالوحدة دون إيجاد أسسٍ تتحد عليها ومعيارٍ يُعرف به الحق من الباطل؟!!

ومن يتصفح القرآن ويعيش مع آياته العظام ويراه وهو يناقش النصراني واليهودي ويراه وهو يناقش عابد الصنم وعابد القبر والدواب يدرك لأول وهلة بأنّ الله عز وجل لا يترك الحقيقة معيّنة يتخبط الناس في طلبها وسلوك طريقها بل يرسم حداً فاصلاً بين الحق والباطل.

وإذا كان الله عز وجل عالم الغيب والشهادة بعلمه الأزلي قد علم أننا سنختلف كأمة مسلمة إلى سنة وشيعة، أيظنّ به أن يتركنا دون وضوح تام بين الحق الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام وبين الباطل الذي أحدثته الأهواء والعصبيات؟ حاشا رب العزة ذلك.

إذا أين الطريق؟ وأين الحق في قضية كقضية الإمامة إذا كنا كسنة وشيعة لا نشق بأوثق كتب الحديث عند الطرفين؟

فلا الشيعة يؤمنون بصحة روايات أهل السنة ولا أهل السنة يؤمنون بصحة روايات الشيعة.

إنَّ خيطاً واحداً كان ولا يزال هو الحجة القاطعة التي يُجسّم بها مثل هذه الخلافات العقائدية، ذلك هو (القرآن الكريم) الذي أمر الله تعالى المؤمنين بالتمسك به بقوله ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] ووصفه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: (كتاب الله هو حبل الله، من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة)^(١).

وروى الحر العاملي في (وسائل الشيعة ٦/ ١٦٨) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله: (إنَّ هذا القرآن مادبة الله فتعلموا مآدبته ما استطعتم، إنَّ هذا القرآن حبل الله وهو النور البين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه).

وفي نهج البلاغة للإمام علي: (وإنَّ الله سبحانه لم يعظ أحداً بمثل هذا القرآن، فإنه حبل الله المتين وسببه الأمين)^(٢).

وقد ذكر الإمام الرضا يوماً القرآن فعظّم الحجة فيه والآية والمعجزة في نظمه قال: هو حبل الله المتين وعروته الوثقى وطريقته المثلى المؤدي إلى الجنة والمنجي من النار، لا يخلق (٣) على الأزمنة ولا يغث على الألسنة لأنه لم يجعل لزمان دون زمان بل جعل دليل البرهان والحجة على كل إنسان ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾^(٤) تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿١١﴾^(٥).

فهذه بضعة أحاديث وآثار من كتب الطائفتين تؤكد وبوضوح بالغ بأن المراد بحبل الله في الآية الكريمة هو (القرآن الكريم)، وأنَّ العصمة من الضلالة والانحراف إنما تكون بالتمسك به. ولهذا كان القرآن الكريم ولا يزال هو الحجة الفاصلة بين الفرق والمذاهب العقائدية المتناحرة.

١- صحيح ابن حبان ١/ ٣٣٠، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

٢- راجع (من خطبة له يحذر من متابعة الهوى)

٣- خلق الثوب أي بلي.

٤- عيون أخبار الرضا ١/ ١٣٧

(إن من مميزاته الظاهرة الجليلة أنه يجعل صاحبه قادراً على نقض الحجج الباطلة بسهولة منقطعة النظير ومن أقرب طريق.

ولن يحتاج - بعد - إلى كثرة الردود والتفريعات والمناقشات التي لا يحسنها إلا المختصون أو المتدربون، والتي ضيقت الحق على عامة الناس لأنهم يتصورون أن معرفته منوطة بالعلماء فقط، فإذا رأى أحد العوام أنه قد انهزم في نقاش أو حصر في مسلك ضيق وبان له تهافت حججه قال: علماؤنا أعلم ولا بد أن لهم ردوداً لا أعرفها وينهي نقاشه باقتراح مؤداه عرض الأمر على أحد أولئك العلماء من أجل حسمه ومعرفة القول الفصل فيه، وهو لا يدري أن مرجعية المسلم في أصول دينه وأساسياته قرآنية وليست بشرية.

وهكذا تضيع معالم الحق وتشوش صورته في ذهنه ما دام هذا الهاجس في نفسه، لأنه يتصور أن الحق مع من غلب في النقاش، مع أن هذا ليس شرطاً مطّرداً لأن الغلب قد يكون للأعلم بأساليب الجدل، لا للأعلم بالحق!

وإلى هذا أشار الإمام مالك رحمه الله تعالى حين جاءه رجل يقول له: هلم أجادلك. قال: فإن غلبتك؟ قال: أتبعك. قال: فإن غلبتني؟ قال: تتبني. قال: فإن جاء رجل ثالث فغلبنا؟ قال: نتبعه! فقال الإمام: هذا أمر يطول، أفكلما جاءنا رجل أجدل من رجل اتبعناه! أنت رجل شك فاذهب إلى رجل شك مثلك^(١).

لماذا لم يُذكر الأئمة في القرآن؟

لقد أخبر الله تعالى في كتابه الكريم أنه نزل على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم القرآن تبيانا لكل شيء، فقال عز من قائل ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

ويبين في موضع آخر من كتابه العزيز أنه لم يفرط في هذا الكتاب من شيء فقال ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

فما من قضية أصولية يقوم عليها الدين إلا نص عليها القرآن الكريم وبيّنها أحسن بيان^(١). وما أجمل قول الإمام الصادق: (إن الله تبارك وتعالى أنزل في القرآن تبيان كل شيء، حتى والله ما ترك شيئا يحتاج إليه العباد، حتى لا يستطيع عبداً أن يقول: لو كان هذا أنزل في القرآن، إلا وقد أنزله الله فيه)^(٢).

فإن كان الأمر كذلك فإن المرء ليتساءل عن سند عقيدة (الإمامة)، فكتاب الإسلام العظيم (القرآن) تذكر فيه مرات وتؤكد كرات الأصول التي يقوم عليها دين الإسلام، ولا ذكر فيه لشأن الأئمة الاثني عشر أو الإمامة من بعد الرسول رغم دعوى الشيعة الإثني عشرية كون الإمامة من الأصول بل من أعظم الأصول!

١- فلنا أصولية على اعتبار أن القرآن الكريم اعتنى بتأسيس الأصول دون تفصيل الفروع، فإن كلام الله تعالى حق فلما أخبر أنه ما فرط في الكتاب من شيء وقد علمنا أن أغلب الفروع لا نص عليها في كتاب الله تعالى، علمنا أن المراد بالآية (أصول المسائل) لا فروعها.

٢- الكافي ١/ ٥٩ (باب الرد إلى الكتاب والسنة) - حديث رقم (١) وتفسير القمي ٢/ ٤٥٢

أوليس من العجيب أن يتحدث القرآن عن الجهاد تارة وعن السلم تارة أخرى ويناقش القضايا الأخلاقية ويفصل في بعض الفقهيات كطريقة الوضوء والتميم ويصنّف أنواع المحرّمات من الطعام والشراب ثم يتجاهل إمامة الاثني عشر التي يصفها آل كاشف الغطاء بأنها (منصب إلهي كالنبوة)؟!!

وكأنّي بالإمام علي بن أبي طالب وهو يرد على الخوارج في استدلالاتهم العقائدية التي لم ينطق بها القرآن يرد كذلك على الذين جعلوا إمامة الاثني عشر أعظم شيء في الدين وفضلوا الأئمة على المرسلين، في حين أنّ القرآن لم ينطق بها ولم يتطرق إليها!

يقول الإمام علي بن أبي طالب (أم أنزل الله سبحانه ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه؟! أم كانوا شركاء له، فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى؟! أم أنزل الله سبحانه ديناً فقصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن تبليغه وأدائه، والله سبحانه يقول ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ وفيه تبيان كل شيء)^(١).

١- نهج البلاغة ص ٦١ رقم (١٨) (ومن كلام له عليه السلام في ذم اختلاف العلماء في الفتيا)

الإمام والإمامة في القرآن الكريم

(الإمام في اللغة لفظ مشترك بين ثلاثة معان هي:

١- القدوة. ٢- الكتاب. ٣- الطريق

جاء في (مختار الصحاح) للرازي:

(الإمام): الصقع من الأرض والطريق، قال الله تعالى ﴿وَإِنَّمَا لِبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر:

٧٩].

و(الإمام): الذي يُقتدى به، وجمعه (أئمة).

وقوله تعالى ﴿وَكُلٌّ شَيْءٌ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢] قال الحسن: في كتاب

مبين.

فأصل معنى اللفظ ما يؤتم به ويُتبع.

وبما أن (القدوة والكتاب والطريق) تشترك في هذا المعنى لذا أُطلق عليها هذا اللفظ.

فالقدوة من يؤتم به ويُتبع محققاً كان أم مبطلاً، والطريق يتبعه السالك ليصل إلى غايته، وكذلك

الكتاب تتبع ألفاظه وسطوره ومقاصده للوصول إلى المراد.

ويُعرف المراد من اللفظ المشترك من كلام المتكلم بقرائن يشير لها المتكلم في كلامه وإلا لم يكن

الكلام فصيحاً بل مُبهماً مشكلاً.

مثال: لو أخذنا لفظ (العين) كمثال، نجده في أصله اللغوي مشتركاً بين عدة معان منها:

العين الباصرة والجالسوس وعين الماء.

تقول: ذهبت إلى طبيب العيون.

وأمسكنا بعين للعدو.

وشربنا من عين صافية.

لا يصح حمل (العين) في اللفظ الأول على الجاسوس ولا في الثاني على عين الماء ولا عين الإنسان في اللفظ الثالث للقرائن اللفظية المانعة من ذلك والحاملة على تفسير (العين) الأولى بعين الإنسان، والثانية بالجاسوس، والثالثة بعين الماء، اللهم إلا عند غير العقلاء أو المعاندين.

أرأيت ما قصد يوسف عليه السلام بكلمة (الرب) في قوله الذي حكاه الله عنه ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢] وقوله ﴿أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقَى رَبَّهُ حَمْرًا﴾ [يوسف: ٤١]، هل يحتمل السياق وقرائنه أن نفسّر لفظ (الرب) هنا بغير الملك؟! وبنظرة استقرائية لكتاب الله تعالى نجد أنّ لفظ (الإمام) قد ذكر وأريد به معنى (الشخص المقتدى به) في آيات عدة هي:

قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

وقوله ﴿وَاجْعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِبَايَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

وقوله ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

وقوله ﴿فَقَتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٢].

وقوله ﴿وَاجْعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ [القصص: ٤١].

فالإمام هنا معناه واحد وهو القدوة في الخير أو الشر.

وقد أتى لفظ (الإمام) بمعنى (الكتاب) بعدة آيات أخر كما في قوله تعالى ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ

مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [هود: ١٧] وقوله ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١]

وقرنته الصارفة لمعنى اللفظ هنا إلى الكتاب هو تمة الآية نفسها التي تقول ﴿فَمَنْ أُوْقِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾^(٦٦)، وقد جاء في أول السورة قوله سبحانه ﴿وَكُلٌّ لِّإِنسَانٍ أَلْمَنَهُ طَبِيرُهُ فِي عُنُقِهِ^ط وَخُرِجَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾^(٦٧) أقرأ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا^(٦٨) [الإسراء: ١٣ - ١٤]، وهو بالضبط كقوله تعالى ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً^ع كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٦٩) [الجاثية: ٢٨].

أما المعنى الثالث للإمام فهو بمعنى (الطريق) كما في قوله تعالى ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ﴾^(٧٠) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ^(٧١) [الحجر: ٧٨ - ٧٩] أي إن آثار قرى قوم شعيب وقرى قوم لوط المذكورتين قبلهم لطريق واضح، يأتمون به في سفرهم، ويهتدون به إلى غايتهم^(٧٢).

فهذه ثلاثة معانٍ للإمام في القرآن لا رابع لها فيه.

أما المعنى الرابع الذي هو (شخص معصوم مُعين من قبل الله تعالى المفترض الطاعة على الخلق) فهو معنى مخترع لا وجود له في لغة العرب ولا اصطلاح القرآن. إنه من السهل على أحدنا أن يجمع كل آية في القرآن تضمنت كلمة (إمام) أو (أئمة) ويجعلها دليلاً على الإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإن كانت الآية تتحدث عن أنبياء سابقين أو رجالاً لا علاقة لهم بالأئمة الاثني عشر لا من قريب ولا من بعيد. ومتى ما ألزم نفسه هذا المنهج في احتجاجه واستنباطه فإن هذا المنهج لا بد أن يكون سارياً في كل الآيات التي تتكلم عن الأئمة، لا أن تكون هناك انتقائية للنصوص.

١- المنهج القرآني الفاصل بين أصول الحق وأصول الباطل ص ١٢٠ بتصرف

فالله عز وجل الذي ذكر لفظ (إمام) و(أئمة) في القرآن الكريم استخدم اللفظ ذاته في المؤمن والكافر، فقال ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا^ط وَكَانُوا بِبَايِعَتِنَا يُوقِنُونَ^ط﴾ [السجدة: ٢٤] وقال واصفاً الكفار الملعونين ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ^ط وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ^ط﴾ [القصص: ٤١].

فلو كان لفظ (أئمة) علماً على الأوصياء، ومنصب إلهي من الله تعالى لما جاز استخدام اللفظ ذاته في صنف ممن يدعون إلى النار.

وحق لنا أن نسأل: لماذا لم يصرح القرآن الكريم بأن علياً وصي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كي لا يُترك المجال لأحد أن يفتح فمه وينكر الإمامة النصبية بعد رسول الله؟

أوليس من العجيب أن يُظن في الله تعالى أنه قد جعل من قوله ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا^ط وَكَانُوا بِبَايِعَتِنَا يُوقِنُونَ^ط﴾ [السجدة: ٢٤] التي تتحدث عن بني إسرائيل دليلاً على إمامة الأئمة الإثني عشر بعد محمد عليه الصلاة والسلام!!؟
أيعجز رب العزة على أن ينزل آية واضحة وصریحة في الإمامة بعد رسول الله، تكون حجة على منكر الإمامة!!؟

إنّ الذين يستدلون بهذه الآيات على إمامة الأئمة الإثني عشر هم أنفسهم الذين يرفضون القياس في الفقه بحجة أنّ (أول من قاس ابليس)^(١)، فما بالهم يقيسون في العقيدة وفي القرآن؟!
وخلاصة الأمر أن يُقال:

إنّ الإمامة التي يذهب إليها الشيعة الإثني عشرية لا وجود لها في كتاب الله أبداً، ولما عجز الإماميون عن إثباتها لجأوا إلى التأويلات الباطنية والتلاعب في كتاب الله وضرب بعضه ببعض من أجل سد هذه الثغرة الكبيرة.

والإمامة شرعاً لا تخلو أن تكون إحدى ثلاث: إما إمامة علم أو إمامة هدى أو إمامة اقتداء. فأما إمامة العلم فثابتة لأئمة أهل البيت كما هي ثابتة لغيرهم من أهل العلم والتقوى قديماً وحديثاً، فإن إمامة العلم ليست حكراً على فئة دون أخرى أو قبيلة دون أخرى.

وأما إمامة الهدى فإن الله تعالى لم يشترط الله تعالى فيها العصمة، فقد جعلها الله تعالى في بني إسرائيل إذ يقول ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤] بل جعلها لكل مستضعف كما قال عز من قائل ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥].

وأما إمامة الاقتداء فقد نص تعالى على أنه جعلها في إبراهيم عليه السلام وهو نبي معصوم وجعلها كذلك في أتباعه المؤمنين وهم غير معصومين لكنهم مؤمنين طائعين فقال عز من قائل ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرءُؤُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [المتحنة: ٤].

ولو كانت حكراً على المعصومين لما أمر الله تعالى جميع عباده بأن يطلبوها ويتطلعوا إليها وما كان ليطلب منهم ما لا يمكن أن ينالوه، إذ يقول ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

القرآن وعقيدة الإمامة الشيعية

من يتأمل كتاب الله الكريم الذي جعله الله نوراً تهتدي به العقول والقلوب، سيجد أنّ الإيمان بكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين يحصل به مقصود الإمامة في حياته وبعد مماته.

(فالذي يؤمن بأنّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم هو رسول الله حقاً وأنّ طاعته واجبة، إن قيل بأنه يدخل الجنة استغنى عن مسألة الإمامة ولم يلزمه طاعة سوى الرسول عليه الصلاة والسلام، وإن قيل لا يدخل الجنة إلا باتباعه الإمام كان هذا خلاف نصوص القرآن الكريم، فإنه سبحانه وتعالى أوجب الجنة لمن أطاع الله ورسوله في غير موضع من القرآن ولم يعلق دخول الجنة بطاعة إمام أو إيمان به أصلاً كمثل قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

وقوله تعالى ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣]^(١).

ولو كانت الإمامة أصلاً للإيمان الذي لا يقبل الله عمل العبد إلا به كما تقول الروايات الشيعية، لذكر الله عز وجل الإمامة في تلك الآيات وأكد عليها لعلمه بحصول الخلاف فيها بعد ذلك، ولا أظن أحداً سيأتي ليقول لنا بأن الإمامة في الآيات المذكورة ضمناً تحت طاعة الله وطاعة الرسول لأنّ في هذا تعسفاً في التفسير بل يكفي بياناً لبطلان ذلك أن نقول بأن طاعة الرسول في حد ذاتها هي طاعة للرب الذي أرسله، غير أنّ الله عز وجل لم يذكر طاعته وحده سبحانه ويجعل

طاعة الرسول مندرجة تحت طاعته بل أفردتها لكي يؤكد على ركنين مهمين في عقيدة الإسلام (طاعة الله، وطاعة الرسول)، وإنما وجب ذكر طاعة الرسول بعد طاعة الله كشرط لدخول الجنة لأن الرسول مبلّغ عن الله وأن طاعته طاعة لمن أرسله أيضاً، ولما لم يثبت لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جانب التبليغ عن الله، فإن الله عز وجل علّق الفلاح والفوز بالجنان بطاعة رسوله والتزام أمره دون الآخرين.

وتمت دليل قاطع يقطع على الشاك دربه ويزيل عنه الشك وهو قول الله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۗ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].

فإن الله عز وجل أمر المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله وطاعة أولي الأمر منهم، لكنه جعل الرد عند التنازع إلى الله والرسول دون أولي الأمر، لأن الله عز وجل هو الرب، والرسول هو المبلّغ عن الله وهو معصوم لا يخطئ في بيان الحق عند التنازع، أما أولي الأمر فليسوا بمعصومين وإلا لجعل الله الرد إليهم، لكن الله عز وجل أظهر هذه الآية أنهم كسائر الناس يرجعون في التنازع إلى كتاب الله وسنة نبيه، وقد يكونون خصوماً لأحد ويكون الحق معه حين الرد إلى كتاب الله وسنة نبيه.

فأين يذهب القائلون بنظرية الإمامة من دلالة هذه الآية الكريمة؟! ولماذا يتعمدون اجتزاء الآية الكريمة عند الاستدلال بها فيذكرون الجزء الأول الدال على وجوب طاعة الله وطاعة الرسول وطاعة أولي الأمر، ويتعمدون إغفال الجزء الثاني من الآية الذي يهدم نظريتهم؟!!

القول بالإمامة الإلهية بعد النبي طعن في ختم نبوته

تأملت كثيراً الروايات الشيعية التي تتحدث عن الأئمة وفضائلهم وتفكرت في الحكمة التي من أجلها جعل الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين ثم تساءلت ما إذا كان الأئمة الاثنا عشر- هم (أبواب الله والسبل إليه)^(١) و(حُجُب الرب والوسائط بينه وبين الخلق)^(٢) و(لا يدخل الجنة إلا من عرفهم)^(٣) وأنهم (حفظت الشرع والقوامون عليه، حالهم في ذلك حال النبي)^(٤) وأنه (لا يجوز الرد عليهم، والراد عليهم راد على الرسول، والراد على الرسول كالراد على الله تعالى)^(٥) وأنّ (الأحكام الشرعية الإلهية لا تُستقى إلا من نمير مائهم ولا يصح أخذها إلا منهم)^(٦) وأنهم (يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسول)^(٧) وأنّ (الأئمة لم يفعلوا شيئاً إلا بعهد من الله عز وجل وأمر منه لا يتجاوزونه)^(٨) وأنّ (الملائكة تدخل بيوتهم وتطأ بسطهم وتأتيهم بالأخبار)^(٩) وأنهم (يقدرون على إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وجميع

١- عقائد الإمامية للمظفر ص ٦٩

٢- بحار الأنوار ٢٣ / ٩٧

٣- بحار الأنوار ٢٣ / ٩٧

٤- عقائد الإمامية للمظفر ص ٦٧

٥- عقائد الإمامية للمظفر ص ٦٧

٦- نفس المصدر

٧- الكافي ١ / ٢٥٥ فيه ٤ أحاديث

٨- الكافي ١ / ٢٧٩ فيه ٤ أحاديث

٩- الكافي ١ / ٣٩٣ فيه ٤ أحاديث

معجزات الأنبياء)^(٣) و(أنّ الجن خدامهم ويظهرون لهم ويسألونهم عن معالم دينهم)^(٤) وأنّ عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله وأنهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها)^(٥) و(أنه ليس شيء من الحق في يد الناس إلا ما خرج من عند الأئمة)^(٦) فما معنى أن يكون محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين إذا كانت صلاحيات النبي كلها مستمرة بعده؟! ما معنى أن يكون رسول الله خاتم الأنبياء وهناك رجال بعده معصومون وملهمون وواجبوا الاتباع ولهم من المعجزات الدالة على إمامتهم ما للنبي من معجزات تدل على نبوته بل أعظم من هذا!

ولماذا نصّ القرآن على عقيدة ختم النبوة ما دام الأمر كذلك؟!!

هل القضية هي مجرد إيقاف استخدام مصطلح (نبي) واستبداله بمصطلح (إمام) بحيث لا يبقى فرق بين النبي والإمام إلا بالاسم فقط؟! إن علماء الشيعة يدركون بأنّ إضفاء قدسية كهذه على الأئمة وإعطاءهم هذه المزايا التي لم تُعرف إلا في الأنبياء يجعل التفريق بينهم صعباً للغاية!!

يقول محمد رضا المظفر في كتابه عقائد الإمامية (نعتقد أنها (أي الإمامة) كالنبوة لطف من الله تعالى، فلا بد أن يكون في كل عصر إمام هاد يخلف النبي في وظائفه من هداية البشر وإرشادهم إلى ما فيه من الصلاح والسعادة في الشأئين، وله ما للنبي من الولاية العامة على الناس لتدبير شؤونهم ومصالحهم وإقامة العدل بينهم ورفع الظلم عنهم والعدوان من بينهم)^(٧).

١- بحار الأنوار ٢٦/٣١٩-٣٣٤

٢- بحار الأنوار ٢٦/١٣-٢٤ ومثله في الكافي ١/٣٩٤ فيه ٧ أحاديث

٣- الكافي ١/٢٢٧

٤- الكافي ١/٣٩٩

٥- عقائد الإمامية ص ٦٥

ويقول محمد كاشف الغطاء في كتابه (أصل الشيعة وأصولها): (إنَّ الإمامة منصب إلهي كالنبوة فكما أنَّ الله يختار للنبوة من يشاء فكذلك يختار للإمامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه)^(١).

وقد وردت رواية في الكافي تحصر الفرق بين النبوة والإمامة في طريقة الوحي، فعن الإمام الرضا قال: (الفرق بين الرسول والنبى والإمام: أنَّ الرسول الذي ينزل عليه جبرائيل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي، وربما رأى في منامه نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام والنبى ربما سمع الكلام وربما رأى الشخص ولم يسمع، والإمام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص)^(٢) وقال صاحب الشافي شرح أصول الكافي (الحديث صحيح إسناده)^(٣).

وروى الكليني عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (الأئمة بمنزلة رسول الله إلا أنهم ليسوا بأنبياء ولا يحل لهم من النساء ما يحل للنبي فأما ما خلا ذلك فهم بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)^(٤)!!

وقال المجلسي تعليقا على هذه الرواية: (يدل ظاهراً على اشتراكهم مع النبي صلى الله عليه وآله في سائر الخصائص سوى ما ذكر)^(٥).

إزاء هذه الأحاديث الصريحة التي تعد الفرق بين النبي والإمام شيئاً لا يُذكر ولا يؤثر سلباً أو إيجاباً على الناس الذين أرسل إليهم النبي أو الإمام، لا يسع عالماً من كبار علماء الشيعة وهو

١- أصل الشيعة وأصولها ص ٢١١

٢- الكافي ١/ ١٧٦ (باب الفرق بين الرسول والنبي والمحدث) - حديث رقم (٢).

٣- الشافي شرح أصول الكافي ٣/ ٢٩

٤- الكافي ١/ ٢٧٠ (باب في أنَّ الأئمة بمن يشبهون ممن مضى وكراهية القول) - حديث رقم (٧).

٥- بحار الأنوار ٢٧/ ٥٠

المجلسي إلا أن يصرح بقوله (ولا نعرف جهة لعدم اتصافهم^(١) بالنبوة إلا رعاية خاتم الأنبياء، ولا يصل إلى عقولنا فرق بين النبوة والإمامة)^(٢).

فاتصاف الأئمة بالإمامة بدلاً من النبوة كما يراه عالم من كبار علماء الشيعة بلغت مرتبته عندهم حد إطلاقهم عليه لقب (شيخ الإسلام) ليس إلا رعاية لمقام محمد عليه الصلاة والسلام النبي الخاتم فحسب!!

وعلى هذا المنوال ترى التصريحات الشيعة عند علماء الإثني عشرية في هذا الباب. فقد صرح الشيخ المفيد في كتابه (أوائل المقالات) ص ٤٩-٥٠ بهذه الحقيقة قائلاً: (منع الشرع من تسمية أئمتنا بالنبوة دون أن يكون العقل مانعاً من ذلك)!!! فهو يرى أنه لولا الشرع لأطلق الشيعة الإثني عشرية على الأئمة الإثني عشر لفظة (النبي) دون أدنى حرج إذ العقل يجوزه!

وقد صرح صدر الدين الشيرازي في كتابه (الحجة) بها هو أضع إذ يقول وبكل جرأة: (فيجب أن لا تنقطع الإمامة التي هي والنبوة حقيقة واحدة بالذات متغايرة بالإعتبار عن ذريته، بل لا بد أن لا ينقطع معنى النبوة وما يجري مجراه عن وجه الأرض أبداً)^(٣)!! إذاً ما أهمية عقيدة ختم النبوة طالما أن الوظائف والخصائص التي اختص بها الأنبياء دون الناس من عصمة وتبليغ عن الله ومعجزات وغيرها لم تتوقف بوفاة خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم بل امتدت من بعده متمثلة باثني عشر رجلاً!! ناقشت في هذه القضية كثيراً من الشيعة ولم أجد إجابة مقنعة أرضي بها فضولي على الأقل، إلا أن أحد طلبة الحوزة أجباني بقوله بأن الفرق هو أن الأئمة لا يُوحى إليهم.

١- أي الأئمة

٢- بحار الأنوار ٢٨/٢٦

٣- كتاب الحجة ص ٥١

وإذا كان الأمر كذلك فماذا يعني ما ترويه كتب الحديث الشيعية من أن الأئمة لا يفعلون شيئاً إلا بعهد من الله وأمر لا يتجاوزونه، أليس هذا وحياً؟!

وماذا عن الروايات السابقة التي تنص على نزول الوحي على الإمام وتحصر الفرق بين النبي والإمام في طريقة الوحي فقط أو حلية النساء؟!

وماذا عن الروايات الكثيرة التي تحكي مناجاة الله تعالى للإمام علي والروايات التي تحكي نزول جبريل عليه السلام بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام على فاطمة الزهراء لتبليغها ما يحدث من أمور إلى قيام الساعة (وهو ما يعرف بمصحف فاطمة) والذي تذكر الروايات أنه كان يملأه جبريل عليه السلام على الإمام علي بن أبي طالب^(١)!! أليست كل هذه الروايات تتحدث عن وحي صريح بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام؟!

بل روى الكليني عن الإمام جعفر الصادق في تفسيره لقوله تعالى ﴿فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ قوله: (...إنه لينزل في ليلة القدر إلى ولي الأمر تفسير الأمور سنة سنة يؤمر فيها في أمر نفسه بكذا وكذا وفي أمر الناس بكذا وكذا...) ^(١)، أليس هذا وحياً؟!

١- روى الكليني في الكافي بسند صححه المجلسي عن أبي عبيدة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام بعض أصحابنا عن الجفر فقال: هو جلد ثور مملوء علماً، قال له: فالجامعة؟ قال: تلك صحيفة طولها سبعون ذراعاً في عرض الأديم مثل فخذ الفالج، فيها كل ما يحتاج الناس إليه، وليس من قضية إلا وهي فيها حتى أرش الخدش، قال: فمصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: فسكت طويلاً ثم قال: إنكم لتبحثون عمّا تريدون وعمّا لا تريدون، إن فاطمة مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمسة وسبعين يوماً وكان دخلها حزنٌ شديد على أبيها، وكان جبرئيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها، وكان علي عليه السلام يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة عليها السلام. (انظر الكافي ١/ ٢٤١ حديث رقم (٥) ومراة العقول ٣/ ٥٩).

٢- الكافي - كتاب الحجّة - (باب في شأن ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وتفسيرها) - رواية رقم (٣).

ولماذا نختلف في توجيه النصوص وبين يدينا روايات واضحة من الأئمة أنفسهم تبين الفرق بين الإمام والنبى؟

روى الكليني عن الأحول قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الرسول والنبى والمحدث، قال: الرسول الذى يأتيه جبرئيل قبلاً^(١) فيراه ويكلّمه فهذا الرسول، وأما النبى فهو الذى يرى فى منامه نحو رؤيا إبراهيم ونحو ما كان رأى رسول الله صلى الله عليه وآله من أسباب النبوة قبل الوحي حتى أتاه جبرئيل عليه السلام من عند الله تعالى بالرسالة، وكان محمد صلى الله عليه وآله حين جمع له النبوة وجاءته الرسالة من عند الله يحيئه بها جبرئيل ويكلّمه بها قبلاً، ومن الأنبياء من جمع له النبوة ويرى فى منامه ويأتيه الروح ويكلّمه ويحدثه من غير أن يكون يرى فى اليقظة، وأما المحدث فهو الذى يحدث فيسمع، ولا يعاين ولا يرى فى منامه^(٢)، صححه المجلسي فى مرآة العقول^(٣).

وروى الكليني كذلك حديثاً مشابهاً له عن إسماعيل بن مرار قال: كتب الحسن بن العباس المعروف إلى الرضا عليه السلام: جعلت فداك، أخبرني ما الفرق بين الرسول والنبى والإمام؟ قال: فكتب أو قال: الفرق بين الرسول والنبى والإمام، أنّ الرسول الذى ينزل عليه جبرئيل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي وربما رأى فى منامه نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام، والنبى ربما سمع الكلام وربما رأى الشخص ولم يسمع، والإمام هو الذى يسمع الكلام ولا يرى الشخص^(٤)، والروايات فى هذا كثيرة^(٥).

١- أي عياناً ومقابلة

٢- الكافي ١/ ١٧٦ - كتاب الحجّة - (باب الفرق بين الرسول والنبى والمحدث) - حديث رقم (٣).

٣- مرآة العقول ٢/ ٢٨٩

٤- الكافي ١/ ١٧٦ - كتاب الحجّة - (باب الفرق بين الرسول والنبى والمحدث) - حديث رقم (٢).

٥- انظر: الكافي ١/ ١٧٦ وبحار الأنوار وغيرها

وبهذا يتبين الفرق بين الأنبياء والرسول والأئمة في الوحي، فكلهم يُوحى إليهم ولكن الاختلاف إنما يكون في نمط وطريقة الإيحاء، وسواء كان الوحي عن طريق جبريل عليه السلام أو بسماع صوت فكل هذا وحي، والناس حينما تتبع نبياً أو رسولاً أو حتى إماماً لا تهتم بالطريقة التي جاء بها الوحي بل بكونه وحياً من الله والناس ملزمة باتباعه وإلا كانوا بذلك عاصين للموحي إليه وبالتالي عاصين لله عز وجل، فأى فائدة جنيناها من اعتقاد ختم نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذا كانت المسألة كذلك!!؟

وليت المسألة تقتصر على ما سبق، بل إنك لتجد أن مقام الأئمة عند الشيعة أعلى وأسمى من مقام الأنبياء باستثناء محمد عليه الصلاة والسلام كما دلّت على ذلك الروايات المستفيضة عن الأئمة المعصومين وأقوال كبار علماء الإمامية السابقين واللاحقين.

يقول المجلسي أيضاً: (اعلم أن ما ذكره رحمه الله^(١) من فضل نبينا وأئمتنا صلوات الله عليهم على جميع المخلوقات وكون أئمتنا أفضل من سائر الأنبياء هو الذي لا يرتاب فيه من تتبع أخبارهم عليهم السلام على وجه الإذعان واليقين، والأخبار في ذلك أكثر من أن تُحصى.. وعليه عمدة الإمامية ولا يابى ذلك إلا جاهل بالأخبار^(٢)). وقد صنف علماء الإمامية في هذا مصنفات كثيرة^(٣).

١- يعني (ابن بابويه القمي)

٢- بحار الأنوار ٢٦/٢٩٧-٢٩٨

٣- مثل كتاب تفضيل الأئمة على الأنبياء، وكتاب تفضيل علي عليه السلام على أولي العزم من الرسل (كلاهما لهاشم البحراني، المتوفى سنة ١١٠٧)، وتفضيل الأئمة على غير جدهم من الأنبياء لمحمد كاظم الهزار، وتفضيل أمير المؤمنين علي على من عدا خاتم النبيين لمحمد باقر المجلسي.. وللמיד: انظر الذريعة

وهي المقالة التي قررها الخميني في كتابه الحكومة الإسلامية بقوله (إنَّ من ضروريات مذهبنا أنَّ لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل)^(١).

وإذا كانت المساواة بين الإمام والنبى بحد ذاتها كفيلة بنسف عقيدة ختم النبوة، فكيف إذا كانت أعظم من مقام النبوة!!؟

إنَّ تعارضاً صارخاً كهذا بين عقيدة الإمامة وعقيدة ختم النبوة يجلي بكل وضوح بطلان عقيدة الإمامة ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

نصوص شيعية اشترطت العدل في الحاكم لا العصمة

إنّ من يستقرئ التراث الشيعي الاثني عشري وتطوره التاريخي عبر العصور يدرك لا محالة أنّ القول بنظرية عصمة الإمام إنما هو نتيجة متأخرة لتطورات طرأت على الحركات الشيعية القائمة آنذاك، أو جدها تيار مغالٍ وجد طريقه لبث سموه بين أتباع أهل البيت.

إنّ من يتناسى الكتب التي ألفها علماء الشيعة الاثني عشرية دعماً لفكرة العصمة ويبحث بتجرد في التراث الشيعي الذي نقله هؤلاء العلماء بأنفسهم سيجد روايات كثيرة لا يروق لعلماء الشيعة اليوم النظر فيها وتأملها بحيادية.

فقد روى الطوسي في (تهذيب الأحكام) وابن بابويه القمي في (علل الشرائع) عن الإمام جعفر الصادق عن أبيه عليه السلام أنه قال: ذُكرت الحورية عند علي عليه السلام، قال: إن خرجوا على جماعة أو إمام عادل فقاتلوهم وإن خرجوا على إمام جائر فلا تُقاتلوهم فإنّ لهم في ذلك مقالاً^(١).

وأنت ترى أنّ الرواية لا تشير لا من قريب ولا من بعيد إلى العصمة وإنما تتكلم بكل وضوح عن العدل والجور.

فلماذا لم يقل الإمام علي: إن خرجوا على إمام معصوم فقاتلوهم وإن خرجوا على غيره فلا تقاتلوهم، أو قال: إن خرجوا على الأئمة الاثني عشر فقاتلوهم وإن خرجوا على غيرهم فلا تقاتلوهم؟

١- تهذيب الأحكام ٦/ ١٤٥ (باب قتال أهل البغي من أهل الصلاة) - حديث رقم (٧) وعلل الشرائع

٢/ ٦٠٣ - حديث رقم (٧١).

وفي هذا يذكر الشيخ الرضي في نهج البلاغة أن الإمام علياً لما اجتمع الناس وشكوا له ما نقموه على عثمان وسألوه مخاطبته واستعبابه دخل عليه فقال: (إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي وَقَدْ اسْتَسْفَرُوا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ وَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ مَا أَعْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ وَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ لَا تَعْرِفُهُ، إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ، مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْءٍ فَنَخْبِرَكَ عَنْهُ وَلَا خَلَوْنَا بِشَيْءٍ فَنُبَلِّغُكَهُ، وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَمَا صَحَبْنَا، وَمَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَلَا ابْنُ الْخَطَّابِ بِأَوْلَى بِعَمَلِ الْحَقِّ مِنْكَ وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَشَيْبَةَ رَحِمٍ مِنْهُمَا وَقَدْ نَلْتِ مِنْ صِهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالَا ۗ) فَاللَّهُ اللَّهُ فِي نَفْسِكَ فَإِنَّكَ وَاللَّهِ مَا تُبْصِرُ مِنْ عَمَى وَلَا تُعْلَمُ مِنْ جَهْلٍ، وَإِنَّ الطَّرِيقَ لَوَاضِحَةٌ وَإِنَّ أَعْلَامَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ، فَاعْلَمُ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ هُدًى وَهَدَى فَاقَامَ سُنَّةَ مَعْلُومَةٍ وَأَمَاتَ بَدْعَةَ مَجْهُولَةٍ وَإِنَّ السُّنَنَ لَنَيْرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ وَإِنَّ الْبِدْعَ لظَاهِرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ، وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضَلَّ بِهِ فَأَمَاتَ سُنَّةَ مَأْخُودَةٍ وَأَحْيَا بَدْعَةَ مَثْرُوكَةٍ^(١).

وكلام الإمام علي هاهنا واضح وضوح الشمس ولا يحتاج إلى بيان.

أما النوري الطبرسي فقد روى في (مستدرک الوسائل) عن الإمام علي الهادي قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَنَّةً اذْخَرَهَا لثَلَاثٍ: إِمَامٌ عَادِلٌ وَرَجُلٌ يَحْكُمُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ فِي مَالِهِ وَرَجُلٌ يَمْشِي لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ فِي حَاجَةٍ قُضِيَتْ لَهُ أَوْ لَمْ تُقْضَ)^(٢).

وَرَوَى أَيْضاً عَنِ الْإِمَامِ عَلِيِّ أَنَّهُ قَالَ: (عَلَيْكُمْ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَعَ كُلِّ إِمَامٍ عَادِلٍ، فَإِنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ)^(٣).

١- لا أدري أين الشيعة من هذا التصريح الهام الذي يبين فيه علي بن أبي طالب فضل عثمان بن عفان

ومصاهرته لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه!؟

٢- نهج البلاغة ص ٢٣٤ رقم (١٦٤) (ومن كلام له (ع) لما اجتمع الناس إليه وشكوا ما نقموه على عثمان).

٣- مستدرک الوسائل ١٢/٤٠٨ وكتاب المؤمن ص ٥٣

وروى ابن بابويه في (ثواب الأعمال) عن الإمام جعفر الصادق قال: (ثلاثة يدخلهم الله الجنة بغير حساب إمام عادل و تاجر صدوق و شيخ أفنى عمره في طاعة الله)^(٢).

وروى أيضاً عن الإمام جعفر الصادق قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إنّ في الجنة درجة لا ينالها إلا إمام عادل أو ذو رحم و وصول أو ذو عيال صبور)^(٣).

وروى أيضاً عن الإمام جعفر الصادق عن أبيه عن جده عن الإمام علي بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في وصيته له (يا علي، أربعة لا ترد لهم دعوة إمام عادل و والد لولده و الرجل يدعو لأخيه بظهر الغيب و المظلوم يقول الله جل جلاله و عزتي و جلالي لأنتصرن لك و لو بعد حين)^(٤).

وروى أيضاً عن سلمة بن كهيل رفعه عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: سبعة في ظل عرش الله عز وجل يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل و شاب نشأ في عبادة الله عز وجل، و رجل تصدق بيمينه فأخفاها عن شماله.. إلى آخر الحديث^(٥).

وروى ابن قتال النيسابوري عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (أحب الناس يوم القيامة و أقربهم من الله مجلساً إمام عادل، إنّ أبغض الناس إلى الله و أشدهم عذاباً إمام جائر)^(٦).

١- مستدرك الوسائل ١٦/١١ و بحار الأنوار ٥٠/٩٧

٢- ثواب الأعمال ص ١٣٣ (ثواب الإمام العادل و التاجر الصدوق و الشيخ الذي يفنى عمره في طاعة الله تعالى)

٣- الخصال ص ٩٣ (في الجنة درجة لا ينالها إلا ثلاثة) الخصال ص ٩٣ (في الجنة درجة لا ينالها إلا ثلاثة)

٤- الخصال ص ١٩٧ (أربعة لا ترد لهم دعوة)

٥- الخصال ص ٣٤٣ و معدن الجواهر ص ٥٨ (باب ذكر ما جاء في سبعة)

٦- روضة الواعظين ص ٤٦٦

وفي رواية (إنّ أقرب الناس إلى الله تعالى وأحبهم إليه وأدناهم منه مجلساً يوم القيامة إمام عادل)^(١).

إنّ كل هذه الروايات الشيعية المتظافرة كافية بحد ذاتها لإثبات أنّ أئمة أهل البيت كانوا يشترطون في إمام المسلمين العدل لا العصمة.

الأحلام لا تصلح لأن تكون دستوراً

الحديث عن خليفة معصوم ليس نبياً ولا رسولاً يعود بذاكرتي إلى ما قرأته قديماً عن المدينة الفاضلة التي لم ولن توجد إلا في مخيلة أفلاطون.

فمن السهل على المرء أن يعيش في برج عاجي، يجول بفكره هنا وهناك ويعيش جنة أرضية في مخيلته تؤنسه في وحشته وتسلي نفسه ويريح بها ضميره، خصوصاً إذا ما كان يتقلب في مجتمعات عاشت على المظالم منذ زمن بعيد⁽¹⁾، من حقه أن يريح فكره ويعيش حلمه، ولسنا نلومه على ذلك، لكن أن يفرض هذه الأحلام على الناس جميعاً ويكفر من لا يعيش معه هذا الخيال وذاك الوهم، جاعلاً آماله وظنونه جزءاً لا يتجزأ من الدين يوالي ويعادي الناس عليه، فهذا ما يحتاج منا إلى وقفة تأمل.

تُرى لو جاز للأئمة الاثني عشر أن يتولوا الخلافة، أترى هؤلاء الناس الذين يعتقدون فيهم العصمة ولا يجوزون عليهم الخطأ ويدندنون حول هذا الكلام ليل نهار، أتراهم سيصمدون على رأيهم هذا إذا ما رأوا من هؤلاء الأئمة ما لا ينبغي أن يحصل أم أنه سرعان ما تنشئ المعارضة لبعض القرارات والأحكام؟

١- ولذا أرجح أن سبب نشوء نظرية العصمة كان ردة فعل لمظالم وقعت على معتدلي الشيعة آنذاك من جهة السلطة الحاكمة ومن جهة غلو النواصب في الطعن في الإمام علي وأهل البيت بالإضافة إلى مقتل الأئمة والعلماء من أهل البيت فوجد المتطرفون والغلاة طريقاً لبت غلوهم، ولعل حرص بعض الحكام الأمويين والعباسيين على إبراز أنفسهم كظل الله في الأرض، وادعاءهم أنهم الأحق بالخلافة من غيرهم سبب رئيسي لتطرف شيوعي مقابل جعل الخلافة حقاً لاثني عشر فاضلاً من أهل البيت دون سائر الناس بل دون سائر أهل البيت وجعل العصمة شرطاً في الخلافة وادعى العصمة في الإثني عشر. باستخدام نصوص لا تثبت بصلته إلى موضوع العصمة كآية التطهير وحديث الكساء كما سيأتي.

هذا الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب - وهو إمام معصوم عند الإمامية - لما تولى الخلافة زمنًا يسيرًا، وصالح معاوية بن أبي سفيان على الخلافة ماذا فعل فيه شيعته الذين يزعمون عصمته؟ نادوه بـ(يا مذل المؤمنين)^(١)، ومنهم من طعنه في فخذه، ومنهم من اكتفى بالاعتراض بالقول دون الفعل، ومنهم بلا شك من سخط عليه لكنه لم يملك التصريح بالمعارضة والعصيان. هذا هو الواقع الذي يرفضه أرباب النظرية الإمامية، مع أنه واقع ملموس، سطرته كتب الفريقين السنة والشيعة.

ولله در الإمام الشيعي الزيدي المنصور بالله (المتوفى ٦١٤ هـ) إذ يقول مبيّنًا تهافت نظرية الإمامة عند الإثني عشرية: (وأما قولهم: إنّ المكلفين يكونون مع وجود الإمام أقرب إلى القيام بما كلفوه، فقول غير سليم وقياس لا يستقيم بل لا يمتنع في المشاهدة كونهم أبعد مع وجوده من فعل الطاعة، وأقرب إلى فعل المعصية كما كان في أيام علي والحسن والحسين سلام الله عليهم، فإنّ الناس ارتكبوا في أيامهم من الآثام، وحلوا من عقد الإسلام ما لم يكن قبل ذلك ولا بعده. وهذا الحسن بن علي عليه السلام نهض في شيعته أبيه وأجناده فثاروا به فجرحوه ونهبوا بيت ماله وسلبوا أمهات أولاده، وصغروا عظيم حقه، حتى تمكّن منه عدوه، واستولى على الأمر من ليس من أهله.

وكذلك الحسين بن علي عليه السلام أناخ بإزاء شيعته أبيه بعد استدعائهم له، وإنفاذهم للرسول المتواترة إليه لإزعاجه ووعدهم له النصر، والقيام بما يجب من حقه، وتقلد أكثرهم البيعة، والعقد الوثيق في ملازمة طاعته فقادوا الخيول، وأرخوا الكتائب حتى أحاطوا به من كل جانب، وحاولوه

١- صرّح بهذه الحقيقة أحد كبار علماء الشيعة الإثني عشرية وهو ابن شعبة الحراني في كتابه (تحف العقول عن آل الرسول عليهم السلام ص ٣٠٨) فقال: (اعلم أنّ الحسن بن علي عليهما السلام لما طعن واختلف الناس عليه، سلّم الأمر لمعاوية فسلمت عليه الشيعة: عليك السلام يا مذل المؤمنين. فقال عليه السلام: "ما أنا بمذل المؤمنين ولكني معز المؤمنين).

من كل وجه حتى سفكوا دمه، وحصدوا بشفار السيوف وشبا الأسنة جميع من حضره من أهل بيته سلام الله عليهم بضعة عشر غلاماً ممن له مرتكض في رحم فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأى قرب تراه إلى الطاعة، وأي بعد تراه من المعصية، والأمر كما يعلمه العقلاء بالضد من ذلك، بعدوا من الطاعة وقربوا من المعصية مع وجود الإمام المعصوم المعلوم لإمامة ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ولده) إلى أن قال ناقداً اعتقاد الإثني عشرية إمام القائم المنتظر الغائب: (فإن قدّروا رئيساً ظاهر الأمر مبسوط اليد، فهذه صفة لا توجد في إمامهم الذي ادعوا إمامته، لأنهم ذكروا أنّ الخوف شرّده حتى لم يقرّ به قرار، ولا تلقته دار، وزاد خوفه على خوف الخائفين وهربه على هرب الهارين) إلى أن قال: (بل ذكر علماءهم الكبار في كتبهم المحصّلة أنّ الإمام ما منعه من الظهور لأوليائه إلا مخافة أن يظهر أمره إلى الظلمة بسعاية بعض السعاة فيهلكه، فلذلك تكتم من الولي ومن العدو. فأى هيبة والحال هذه تمنع المكلفين من القبيح من إمام هذه صورته؟! ^(١)).

فالنظرية في واد وواقع الأئمة الاثني عشر في واد آخر، ومن يستقرئ التاريخ الشيعي الخالص أو يستعين بكتاب جيد في هذا الباب ككتاب (تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه) ^(٢) للأستاذ أحمد الكاتب، سيدرك بالفعل تهاوي النظرية الإمامية أمام حقائق النصوص الشيعية ذاتها.

١- المجموع المنصوري (رسالة العقد الثمين في أحكام الأئمة المهديين) ١/ ٣٨٩-٣٩٠

٢- رغم الانتقادات اللاذعة التي نالت الكتاب ومؤلفه من قبل خصومه إلى حد استخدام سلاحي التهريب من جهة وتشويه السمعة والتشكيك في المصداقية من جهة أخرى إلا أنّ الكتاب يُعتبر وثيقة تاريخية هامة بحق، وانتصاراً للصوت الشيعي المعتدل على الصوت المغالي التكفيري، ولا يُدرك ذلك إلا القارئ المنصف المتحرر من التعصب المذهبي، فالروايات التاريخية الكثيرة التي أشار إليها الكاتب والتي زخرت

لقد أنك المتكلمون الذين اخترعوا مثل هذه النظريات الأمة بقضايا كانت في غنى عنها، فأورثوها فرقة واختلافاً تجرعت مرارته فترات من الزمن ولا زالت تتجرعه. فمتى دخل على الأمة الجدل في القرآن هل هو مخلوق أم غير مخلوق؟ ومتى دخل على الأمة الجدل في صفات الله بين تعطيل وتحريف قابله تكييف وتمثيل وتشبيهه الله بخلقه؟ إن لم يكن علم الكلام وراء هذا كله.

ونظرية عصمة الأئمة هي إحدى تلك الإفرازات، قامت على أسس عقلية نطق بها بعض المتكلمين ثم انصرفوا بعد رسمها إلى الاستدلال عليها من كتاب الله وسنة رسوله، وبدلوا في ذلك الجهد والطاقة.

آمنوا بالنظرية ثم راحوا يبحثون عن الدليل، في حين أن ديننا يدعونا إلى البحث عن الدليل ثم الإيمان بما يأتي به الدليل لا الإيمان بما يمليه علينا الهوى ثم البحث عن ما يسعف ذلك الهوى. ولعل من أبرز التحديات الفعلية التي واجهت هؤلاء المتكلمين هو موقف أهل البيت من نظرية العصمة التي يزعمها متكلمو الشيعة فيهم.

فقد خطب الإمام علي بن أبي طالب الناس في مسجد الكوفة قائلاً: (فلا تكفؤا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل، فإني لست في نفسي بفوق أن أخطيء ولا آمن ذلك من فعلي إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني)^(١).

وأكد في خطبة أخرى وهو يتحدث الإمام علي عن الخارجي الخريت بن ناجية ومحاولاته السابقة لدفع الإمام لقتل واعتقال عدد من زعماء المعارضة، أن من الواجب على الناس الوقوف في وجه إمامهم ومنعه إذا أراد هو أن يفعل ذلك، مذكريه بالله عز وجل!

بها كتب الشيعة الإثني عشرية تؤكد بما ليس فيه مجال للشك بأن نظرية الإمامية هي نظرية دخيلة على منهج آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

١- نهج البلاغة ص ٣٣٥ رقم (٢١٦) (ومن خطبة له عليه السلام خطبها بصفين)

ولم يكن الإمام علي بن أبي طالب ليقول هذا للناس لو كان هناك اعتقاد سائد لدى شيعة بعصمته، وذلك لأن هالة العصمة تحتم أن يضع الإمام نفسه فوق النقد وأن يحرم على المعارضة نقده أو التجرد عليه بتوجيه النصح والمشورة له، وهذا ما لم يكن يفعله الإمام علي الذي ضرب أروع الأمثلة في حسن القيادة وطلب مشورة المحكومين وإعطائهم دورهم السياسي في تقويم حاكمهم.

ويستعرض الإمام علي في موضع آخر صفات الحاكم وشروطه فلا يذكر من بينها (العصمة) فيقول: (... إنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم وإمامة المسلمين: البخيل، فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل، فيضلهم بجهله، ولا الجافي، فيقطعهم بجفائه، ولا الخائف للدول، فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة)^(١).

ويقول في خطبة أخرى: (أيها الناس: إن أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه)^(٢).

وينقل الصدوق في (أماليه) قصة عن فاطمة الزهراء تنافي نظرية العصمة التي كان يقول بها المتكلمون، فروى أن الإمام علي بن أبي طالب أنفق ذات مرة أموال مزرعة باعها حتى لم يبق لديه درهم واحد، فاحتجت فاطمة الزهراء على ذلك وأمسكت بثوبه، فنزل جبريل وأخبر النبي

١- نهج البلاغة ص ١٨٩ رقم (١٣١) (ومن كلام له عليه السلام وفيه يبين سبب طلبه الحكم ويصف الإمام الحق).

٢- نهج البلاغة ص ٢٤٧ رقم (١٧٣) (ومن خطبة له عليه السلام في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن هو جدير بأن يكون للخلافة وفي هوان الدنيا).

بذلك، فذهب إليها وقال: ليس لك أن تمسكي بشيابه ولا تضربي على يديه فقالت: إني أستغفر الله ولا أعود أبداً^(١).

كما يذكر الشيخ الرضي في (خصائص الأئمة): أن الإمام الحسن استعار قطيفة من بيت المال فبلغ ذلك الإمام علي فغضب وذهب إلى بيت الإمام الحسن فوجد القطيفة في منزله فأخذ بطرفها يجرها وهو يقول له: النار يا أبا محمد، النار النار يا أبا محمد، حتى خرج بها^(٢).

وكذلك لم يشر الإمام الحسين إلى موضوع العصمة في رسالته التي أرسلها إلى أهل الكوفة مع سفيره مسلم بن عقيل، وإنما طرح ضرورة اتصاف الحاكم بشروط التقوى والالتزام بالعمل بالكتاب والدين، فقال: (فلعمري ... ما الإمام إلا العامل بالكتاب الحابس نفسه على الله القائم بالقسط والدائن بدين الله)^(٣).

وينقل الإمام الباقر حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حول شروط الحاكم فلا يذكر منها العصمة، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تصلح أمتي إلا لرجل فيه ثلاث خصال: ورع يحجزه عن معاصي الله وحلم يملك به غضبه وحسن الولاية على من يلي حتى يكون لهم كالوالد الرحيم - وفي رواية أخرى - حتى يكون للرعية كالأب الرحيم)^(٤) مما يشير إلى أن الإمامة تصلح لعامة الناس بهذه الشروط.

وفي الكافي عن ابن عمّار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كان في وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام أن قال: يا علي، أوصيك في نفسك بخصال فاحفظها عنّي، ثم قال: اللهم أعنه، أما الأولى: فالصدق ولا تخرجنّ من فيك كذبة أبداً، والثانية: الورع ولا

١- أمالي الصدوق (المجلس الحادي والسبعون) ص ٥٥٥

٢- خصائص الأئمة ص ٧٨

٣- الإرشاد للمفيد ٣٩ / ٢

٤- الكافي ١ / ٤٠٧ (باب ما يجب من حق الإمام على الرعية وحق الرعية على الإمام) - حديث رقم (٨).

تجترئ على خيانة أبدأ، والثالثة: الخوف من الله عز ذكره كأنك تراه، والرابعة: كثرة البكاء من خشية الله يبني لك بكل دمعة ألف بيت في الجنة، والخامسة: بذلك مالك ودمك دون دينك، والسادسة: الأخذ بسنتي في صلاتي وصدقتي. أما الصلاة فالخمسون ركعة وأما الصيام فثلاثة أيام في الشهر: الخميس في أوله والأربعاء في وسطه والخميس في آخره..^(١)، قال المجلسي في مرآة العقول: حديث صحيح^(٢).

فمن الملاحظ أن هذه الوصية النبوية موجهة لعلي بن أبي طالب بذاته لقول النبي (يا علي أوصيك في نفسك بخصال)، وما كانت تلك الوصايا أن توجه لمعصوم وبالذات الأولى منها. وهو ما اعترف به المجلسي في مرآة العقول ١٨٠/٢٥ فقال: (قوله صلى الله عليه وآله: (أوصيك بنفسك) أي هذه أمور تتعلق بنفسك لا بمعاشره الناس).

١- الكافي ٧٩/٨ (وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأئمة المؤمنين) - حديث رقم (٣٣).

٢- مرآة العقول ١٨٠/٢٥

نهج البلاغة ينقض عقيدة الإمامة التي يعتقدها الشيعة الاثنا عشرية

حتى كتاب نهج البلاغة الذي يستشهد به الشيعة الاثنا عشرية على الإمامة في بعض مقتطفاته هو نفسه أول من يقدح في عقيدة الإمامة التي يتبناها ذلك الفكر وينقضها.

لقد قالها الإمام علي بن أبي طالب بكل وضوح: (دعوني والتمسوا غيري، فإننا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول. وإن الآفاق قد أغامت، والمحجة قد تنكرت. واعلموا أي إن أجبتمكم ركبت لكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً، خير لكم مني أميراً!)^(١).

ولو كانت إمامة علي بن أبي طالب منصوصاً عليها من الله عز وجل لما جاز للإمام تحت أي ظرف من الظروف أن يقول للناس (دعوني والتمسوا غيري) أو أن يقول (أنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً)، كيف والناس تريده وجاءت لتبايعه؟!

حاول أيها القارئ أن تسترجع معي قول كاشف الغطاء: (إن الإمامة منصب إلهي كالنبوة) لتتخيل نبياً من أنبياء الله يقول للناس (دعوني والتمسوا لكم نبياً غيري، أنا لكم مرشداً أو وزيراً خير لكم من أن أكون نبياً)!

أيُعقل هذا؟ أيجوز هذا؟ ألا يُعتبر هذا رداً لأمر الله - إن جاز لنا أن نقول إن الإمامة من الله لا بالشورى والبيعة - ؟!

ولذلك لا تعجب أيها القارئ من ظهور فرقة متطرفة اسمها (الكاملية) كانت في البداية تتولى علياً وتجه ثم ما لبثت أن انقلبت على عقبيها وكفّرت مدّعية أنه بدّل وأحدث في الدين!

١- نهج البلاغة ص ١٣٦ رقم (٩٢) (ومن كلام له عليه السلام لما أراده الناس على البيعة بعد قتل عثمان).

يقول المؤرخ الشيعي (النوبختي) في كتابه (فرق الشيعة): (وشدّت فرقة من بينهم يُقال لها الكاملية، فأكفرت علياً عليه السلام، وجميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، أكفروا علياً بتركه الوصية، وتخليته الولاية، وتركه القتال على ما عهد إليه رسول الله صلى الله عليه وآله)^(١)!

فالكاملية رغم أنها أكثر تطرفاً وضلالاً من الفرق الشيعية التي كفّرت الصحابة على العموم واستثنت علياً ونفراً يسيراً لا يتجاوزون السبعة إلا أنها أكثر واقعية، لأنها طبقت المذهب بحذافيره، فالمذهب يرفع من شأن الإمامة إلى حد الإيثار والكفر، ومقولة الإمام علي في نهج البلاغة فيها تساهل كبير في قضية الخلافة بل وتخلٍ عنها، والمنصف سيجد نفسه أمام أمرين: إما أن يرى بعينه الغلو الفاحش في الإمامة عند الاثني عشرية ويدرك أنّ الإمام علياً كان بعيداً كل البعد عن هذه المغالاة، وإما أن يكون مع الكاملية فيكفّر الكل، يكفّر من غضب الخلافة ومن تساهل فيها ورفضها وهي من أعظم أركان الدين!

وقد ناقشت أحد علماء الشيعة في هذه القضية بالذات في مجلس خاص جمعني وإياه مع زميلين أحدهما سني والآخر شيعي، وكان هذا العالم يحاول قدر المستطاع أن يجد العذر للإمام علي في تلفظه بهذه الكلمات - وهو في الحقيقة لا يعتذر للإمام وإنما يعتذر لنظرية الإمامة التي وُضعت بهذا النص على المحك الفعلي - فكان مما قاله: إنّ الإمام علياً لم يرفض الخلافة وإنما أراد أن يذكرهم بغضب الخلفاء ومظلوميته (على حد قوله)، فقلنا له: كان بإمكانه أن يُعبّر عن فكرته هذه بطريقة أخرى، لكن كلامه كان واضحاً في بيان أنه لا ينظر للإمامة على أنها من الله وإنما يتكلم عنها على أساس بشري، ثم قلنا له: لا يجوز للنبي أن يرفض اعتراف الناس بنبوته مطالباً إياهم باختيار آخر بحجة أنه يريد تذكيرهم بحادثة معينة أو بظلم وقع عليه، والإمامة عندكم منصب إلهي كالنبوة، فكيف جاز للإمام علي أن يعلن التنازل عنها أو رفضها؟!!

ألا يُعد هذا كفراً ورداً لأمر الله تعالى؟!!

فلم يجينا بشيء وانتقل بنا إلى موضوع آخر، كعادة من نتحاور معهم في هذا الشأن، فتراهم يقفزون من موضوع إلى آخر، فتأتيه بحجة في موضوع الإمامة فيذهب بك بعيداً نحو أم المؤمنين عائشة وخروجها في موقعة الجمل، فترد عليه بالحجج فيقفز بك فجأة إلى أبي هريرة ورواياته في السنة، وهكذا تدور العجلة!

وإذا ما عاد الحديث عن نهج البلاغة وما فيه من الحجج الباهرة الداحضة لفكرة (الوصية) والإمامة الإلهية، فإننا سنقف وقفة تأمل عند قول الإمام علي في النهج:
(أيها الناس؛ إن أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه، وأعلمهم بأمر الله فيه، فإن شغب شاغب استعتب، فإن أبي قوتل، ولعمري لئن كانت الإمامة لا تنعقد حتى تحضرها عامة الناس؛ ما إلى ذلك من سبيل، ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها؛ ثم ليس للشاهد أن يرجع، ولا للغائب أن يختار)^(١).

فليست الإمامة حكراً على اثني عشر من دون سائر الخلق بل في كلام الإمام علي ما يؤكد أن أحق الناس بإمامة المسلمين أقواهم على إقامة حكم الله تعالى وأعلمهم بدين الله تعالى مطلقاً، وليست العبرة بأشخاص منصوص عليهم سلفاً.
وفي تمة خطبته يرد رداً قاصماً على كل من يطعن في خلافة أبي بكر الصديق بحجة أن البعض تخلف عنها في البداية كما يفعل بعض المتعصبين اليوم، فيقول: (ولعمري لئن كانت الإمامة^(٢) لا

١- نهج البلاغة ص ٢٤٧ رقم (١٧٣) (ومن خطبة له عليه السلام في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن هو جدير بأن يكون للخلافة).

٢- يلاحظ هنا أن الإمام علي لم يكن يفرق بين (الإمامة) و(الخلافة) كما يفعل الشيعة اليوم، فيرون أن الإمامة منصب إلهي كالنبوة وأن الخلافة حكم فحسب، بل نص على أن الإمامة خاضعة للبيعة ولاختيار الناس وليست منصباً إلهياً.

تعتقد حتى تحضرها عامة الناس؛ ما إلى ذلك من سبيل، ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها، ثم ليس للشاهد أن يرجع ولا للغائب أن يختار).

ويقول في النهج أيضاً كلاماً أكثر صراحة وأشد وضوحاً: (إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يردّ، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسمّوه إماماً كان ذلك لله رضا، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى)^(١).

وقد أثار الإمام علي هذه العبارة حقائق جديدة بالاهتمام حيث يجعل:

أولاً: الشورى للمهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويدهم الحل والعقد.

ثانياً: اتفاقهم على شخص سبب لمرضات الله وعلامة لموافقته سبحانه وتعالى إياهم.

ثالثاً: لا تعتقد الإمامة في زمانهم دونهم، وبغير اختيارهم.

رابعاً: لا يرد قولهم ولا يخرج عن حكمهم إلا المبتدع الباغي المتبع غير سبيل المؤمنين.

فأين هم الشيعة الاثني عشرية عن هذه التصريحات الهامة؟!

١- نهج البلاغة ص ٣٦٦ رقم (٦) (ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية).

عندما يمتزج وهم الإمامة النصية بالخرافة الحسية!

من يتصفح الكتب المصنّفة في الولاية والإمامة بكل تجرد وعقلانية يجد العجب العجاب.
حكايات وبراهين تمجها العقول ولا ترتضيها الفطر، حكايات أشبه ما تكون بقصص (ألف
ليلة وليلة) فكيف تكون عقائد يوالي ويعادي الإنسان عليها الناس، ويظن أنها من الإسلام!
خذ عندك هذه الروايات واحكم بنفسك:

عن علي عليه السلام أنه قال: (إن الله عرض أمانتي وولايتي على الطيور، فأول من آمن بها
البزاة البيض والقنابر، وأول من جحدها البوم والعنقاء، فلعنهما الله تعالى من بين الطيور، فأما
البوم فلا تقدر أن تظهر بالنهار لبغض الطيور لها وأما العنقاء فغابت في البحار لا ترى، وإن الله
عرض أمانتي على الأرضين فكل بقعة آمنت بولايتي جعلها طيبة زكية، وجعل نباتها وثمرتها
حلوا عذبا، وجعل ماءها زلالاً، وكل بقعة جحدت إمامتي وأنكرت ولايتي جعلها سبخاً،
وجعل نباتها مرّاً علقماً، وجعل ثمرها العوسج والخنظل، وجعل ماءها ملحاً أجاجاً^(١).
فأمثال هؤلاء الرواة كذبوا على الإمام علي وكذبوا على الطيور ونسبوا إليها مثل هذا الهراء،
فكيف لا يسهل عليهم الكذب على أبي بكر وعمر وغيرهم من الصحابة وتكبير قضية الخلاف
يوم السقيفة وجعلها مسألة إيمان وكفر!

ومما روته هذه الكتب أنّ حمراً لكعب بن الأشرف شهد أنّ علياً ولي الله ووصي رسوله^(٢).
وأنّ كلب رجل من أهل الذمة عض اثنين من الصحابة فشكيا أمره إلى رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم، فأمر بقتله.

١- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ١٤١/٢ وبحار الأنوار ٢٣/٢٨١ و٤١/٢٤٥ و٦١/٤٧

٢- تفسير الإمام العسكري ص ٩٦-٩٧ وبحار الأنوار ١٧/٣٠٦

تقول الرواية: (ثم قام صلى الله عليه وآله وسلم وقمنا معه حتى أتى منزل الرجل، فبادر أنس فدق الباب فقال: من بالباب؟ فقال أنس: النبي صلى الله عليه وآله وسلم ببابكم، قال: فأقبل الرجل مبادراً ففتح بابه وخرج إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله^(١)، ما الذي جاء بك إليّ ولست على دينك؟ ألا كنت وجهت إليّ كنت أجيبك، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لحاجة إلينا أخرج كلبك فإنه عقور وقد وجب قتله، فقد خرق ثياب فلان وخذش ساقه وكذا فعل اليوم بفلان، فبادر الرجل إلى كلبه وطرح في عنقه حبلاً وجره إليه وأوقفه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما نظر الكلب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال بلسان فصيح بإذن الله تعالى: السلام عليك يا رسول الله، ما الذي جاء بك ولم تريد قتلي؟ قال: خرقت ثياب فلان وفلان وخذشت ساقيهما، قال: يا رسول الله، إن القوم الذين ذكرتهم منافقون نواصب يبغضون ابن عمك علي بن أبي طالب^(٢) ولولا أنهم كذلك ما تعرضت لهم ولكنهم جازوا يرفضون علياً ويسبونونه فأخذتني الحمية الأبية والنخوة العربية^(٣) ففعلت بهم^(٤)).

ومن ذلك ما روي عن قنبر مولى أمير المؤمنين عليه السلام قال: كنت عند أمير المؤمنين (ع) إذ دخل رجل فقال: يا أمير المؤمنين، إني أشتهي بطيخاً، قال: فأمرني أمير المؤمنين (ع) بشراء بطيخة فوجّهت بدرهم فجاءونا بثلاث بطيخات فقطعت واحداً فإذا هو مُرٌّ، فقلت: مُرٌّ يا أمير المؤمنين،

١- يهودي ويقول (بأبي أنت وأمي يا رسول الله)!!

٢- سبحان الله، جعلوا الكلاب أيضاً تؤمن بالولاية!

٣- تعجبني هذه النخوة العربية، كلب وعنده نخوة عربية!

٤- الروضة في فضائل أمير المؤمنين لشاذان القمي ص ٢٠٢-٢٠٣ (حديث علي ولي الله) ومدينة المعاجز لهاشم البحراني ١/ ٢٦١-٢٦٢ (قصة الكلب الذي خرق ثوب الناصب لأمير المؤمنين) - رواية رقم

فقال: ارم به، من النار وإلى النار، قال: فقطعت الثاني فإذا هو حامض، فقلت: حامض يا أمير المؤمنين، فقال: ارم به، من النار وإلى النار، قال: فقطعت الثالث فإذا هو مَدُودَةٌ، فقلت: مَدُودَةٌ يا أمير المؤمنين، فقال: ارم به، من النار وإلى النار.

قال: ثم وُجِهْتُ بدرهم آخر فجاءونا بثلاث بطيخات فوثبت على قدمي فقلت: أعفني يا أمير المؤمنين عن قطعه، كأنه تأثم بقطعه.

فقال له أمير المؤمنين: اجلس يا قنبر فإنها مأمورة، فجلست فقطعت فإذا هو حلو.

فقلت: حلوا يا أمير المؤمنين فقال: كل وأطعمنا.

فأكلت ضلعاً وأطعمته ضلعاً وأطعمت الجليس ضلعاً.

فالتفت إليّ أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا قنبر، إن الله تبارك وتعالى عرض ولايتنا على أهل السماوات وأهل الأرض من الجن والإنس والشمس وغير ذلك فما قبل منه ولايتنا طاب وطهر وعذب، وما لم يقبل منه خبث وردي وتنت^(١).

وروى الإمام الرضا فيما يزعمون عن أبيه عن جده أن أمير المؤمنين عليه السلام أخذ بطيخة ليأكلها فوجدها مرّة فرمى بها، وقال: بعداً وسحقاً، فقيل له: يا أمير المؤمنين، وما هذه البطيخة؟ فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله تبارك وتعالى أخذ عقد مودتنا على كل حيوان ونبات، فما قبل الميثاق كان عذباً طيباً وما لم يقبل الميثاق كان ملحاً زعاقاً^(٢).

ومن ذلك ما رواه المجلسي في بحار الأنوار أن علي بن عاصم الأعمى الكوفي قال: دخلت على أبي محمد العسكري (ع)، فقال لي: يا علي بن عاصم، انظر إلى ما تحت قدميك، فإنك على بساط قد جلس فيه كثير من النبيين والمرسلين والأئمة الراشدين، قال: فقلت: يا سيدي، لا أنتعل ما دمت

١- مستدرک الوسائل ١٦/٤١٣ والاختصاص ص ٢٤٩ وبحار الأنوار ٢٧/٢٨٢ ومدينة المعاجز ١/٤٢٠

٢- وسائل الشيعة ٢٥/١٠٣ (باب كراهة أكل البطيخ المر) - حديث رقم (١) وعلل الشرائع ٢/٤٦٤ (باب

النوادر) ومختصر بصائر الدرجات ص ٢٢٢-٢٢٣ ومسنند الإمام الرضا ١/٢٣٤

في الدنيا إكراماً لهذا البساط، فقال: يا علي، إنّ هذا النعل الذي في رجلك نعل نجس ملعون لا يقر بولايتنا^(١).

فحتى الحيوانات والجهادات لم تسلم من الكذب عليها ومن اتهمها ببغض أهل البيت أو برفض ولايتهم!

فلا تعجب حينئذ إن جاء هؤلاء بالآلاف الروايات المكذوبة في أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة بشكل عام، ما دام غير البشر ليسوا بمؤمنين من الكذب عليهم ومن اتهمهم بما هو باطل!

مناقشة أدلة الإمامة عند الشيعة الإثني عشرية

إنّ فضائل أهل البيت كثيرة ونصيب الإمام علي بن أبي طالب منها كبير، ولا يجحد فضائله أو فضائلهم إلا ناصبي حاقد أو جاهل لا يعرف لهم حقهم ومكانتهم.

لكن الاعتقاد بفضلهم والتدين بحبهم أمر، والاستدلال بهذه الفضائل على عصمة بعضهم ووجوب امتداد الخلافة في إثني عشر- رجلاً منهم وتفضيلهم على أنبياء الله تعالى بما فيهم أولى العزم من الرسول ما عدا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أمر آخر لا يمت بصلة إلى تلك الفضائل المحكية في حقهم وإلى بطولاتهم التي سطرها لهم التاريخ.

فلمحبة أهل البيت ولفضائلهم ضوابط تحكمها وتحدد مسارها وإلا لقال كل قائل ما يخلو له باسم حب أهل البيت!

ولهذا كان الإمام علي بن الحسين يقول: (أحبونا حب الإسلام لله عز وجل، فإنه ما برح بنا حبكم حتى صار علينا عاراً)^(١).

لقد ضاق الإمام زين العابدين ذرعاً بأولئك المغالون الذين أضفوا على حب آل البيت معاني لا يرتضيها أهل البيت أنفسهم.

والحديث عن الإمامة وعصمة الأئمة ومعجزاتهم ومناقشة هذه المواضيع بات اليوم كالحديث عن المسيح عليه السلام وطبيعته البشرية.

إنّ مناقشة أدلة الإمامة عند الشيعة الإثني عشرية تعود بي زمناً طويلاً إلى أيام مضت كنت مهتماً فيها بمناظرات الداعية الإسلامي المتميز أحمد ديدات ومؤلفاته.

فقد كان (أحمد ديدات) رحمه الله يستنكر على بعض القساوسة المناظرين له فكرة نعيشها اليوم مع كثير من المتعصبين من أرباب الفرق والجماعات المنتسبة للإسلام.

كان القساوسة يطرحون بنوة المسيح - المدعاة - لله عز وجل بأسلوب (إما أن يكون المسيح ابناً لله كما نؤمن نحن وإما أنك تنسب إليه الجنون أو التجديف لادعائه ما لا يحق له أو تنسب إليه السحر لإنيانه بخوارق عادات لا يأتيها بشر) هكذا يقولون!

فيضعك هؤلاء في الزاوية، ويمارسون عليك الإرهاب الفكري، إما أن تقول بقولهم وإلا جعلوك عدواً للمسيح عليه السلام بحجة أنك تنسب إليه التجديف والكذب أو السحر! وعند هذا الطرح العجيب يتساءل ديدات (ولماذا هذه الافتراضات الثلاث؟! لماذا لا يكون عبداً رسولاً، لماذا لا يكون نبياً عظيماً من أنبياء بني إسرائيل فحسب؟!)، لماذا تريد أن تجعلني في الزاوية (إما أن أكون مغالياً في الشخصية التي أتكلم عنها أو أكون عدواً لها؟! لا وسط بين القولين).

وبالأسلوب ذاته يمكن لك أن تتصور محاوراً يريد نقاش موضوع عصمة الأئمة والإمامة النصية بعد رسول الله ستجد بلا شك عند استعراضك للأدلة ونقاشك العميق معه في هذه القضية أن الحوار سيقف عند قضية عاطفية بحثة في النهاية! هل أنت ناصبي تعادي الأئمة؟ هل تشكك في مصداقية أهل البيت؟ وما يشابه هذه الاتهامات... وربما تساقطت عليك الحجارة من كل حذب وصوب وأنت لا تدري، مع أن النقاش لا يحتمل كل هذا.

وقد مرت بي هذه التجربة بالفعل، أناقش من خلال القرآن والسنة والعقل وأفاجئ بأن الرد الفوري عليّ هو الاتهام لي بأني ناصبي!!

وهل كلمة ناصبي هيئة حتى تُطلق على كل أحد؟ وهل نقاشي لإطروحة عصمة الأئمة أو الرجعة وما شابهها يعني أنني لا أحب أهل البيت؟!

لو كان حب أهل البيت يعني الغلو فيهم لرضي أهل البيت بأن يُقال عنهم آلهة من دون الله،
ولأثنى أهل البيت على من غلوا فيهم بدلاً من التحذير منهم..

من الأفضل أبو بكر أم علي؟

طلب مني أحد الأصدقاء الشيعة المناقشة في مسألة المفاضلة بين الإمامين أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

فأجبتة بأن مناقشة مثل هذه المسائل ليس بالأمر الصعب لكن الخلاف بين أهل السنة والشيعة الإثني عشرية أكبر من أن يُحصَر في المفاضلة بين أبي بكر وعلي، والأولى أن يُبدأ بجوهر الخلاف بدل الانهماك في مثل هذه المسائل، فليس من المهم من كان أفضل ومن كان أقل فضلاً إذا كنا نعتز بفضل الإثنين^(١)، فكلاهما قد مات، والخلافة قد انتهت، ومن غير المعقول أن نبقى بعدهم مئات السنين ونحن ندندن حول مسألة من الأحق بالخلافة أو من الأفضل فيهما ما دام الذين نتكلم عنهما قد فارقوا الدنيا ولاقوا ربهما عز وجل منذ أكثر من ألف وثلثمائة سنة!!

إنّ الإسلام أعلى وأجل من أن يختزل في مثل هذه الإطروحات، والصحابة وآل البيت أعظم وأجل من أن يُنظر إليهم كما ينظر مشجع كرة القدم إلى فريقه أو إلى منتخبه الوطني!

ولله در الدكتور علي الوردي - وهو مفكر شيعي معتدل - إذ يُصور مأساة بعض المتمذهبين بقوله: (سألني بعض الأجانب عن هذا النزاع بين علي وعمر، ما هو مصدره ومنشؤه؟ وهذا السؤال له أهميته الاجتماعية. فالأجانب حين يقرأون تاريخ الإسلام الأول يجدون الصفاء تاماً بين

١- النقاش في المفاضلة قد يكون مُجْدٍ إن كان الحديث بين فئتين متفقتين على فضل وصلاح من تتم المفاضلة بينهما، بينما يعتقد الشيعة الإثني عشرية أنّ الإمام علي معصوم وأنه منصوب من الله تعالى إماماً على خلقه، أما أبو بكر الصديق فمرتد منقلب على عقبه أو في أحسن أحواله ضال مغتصب للخلافة، ولهذا فالمسألة عند الشيعة الإثني عشرية ليست مفاضلة بين إثنين مشهود لهما بالإيمان والصلاح بل بين مؤمن ومرتد أو وصي وضال، فما فائدة الحديث عن المفاضلة بين أبي بكر وعلي حينئذ؟!

علي وعمر، فقد تزوج عمر من ابنة علي، وتولى أصحاب علي الولايات المهمة في عهد عمر، وكان عمر يستشير علياً في كثير من القضايا ويمدحه، كذلك كان علي يمدح عمر في حياته وبعد مماته كما جاء في نهج البلاغة.

فما هو السبب الذي جعلهما متباعدين بعد موتها بينما كانا في حياتهما متقاربين تقارباً واضحاً). ثم يقول: (كنت أزور ذات مرة معامل فورد في مدينة ديترويت، ثم عرجت بعد ذلك على زيارة الحي العربي الذي كان قريباً منها. وقد اندهشت حين وجدت نزاعاً عنيفاً ينشب بين المسلمين هناك حول علي وعمر، وكانت الأعصاب متوترة والضغائن منبوشة. وكنت أتحدث مع أحد الأمريكيين حول هذا النزاع الرقيق، فسألني الأمريكي عن علي وعمر: هل هما يتنافسان الآن على رئاسة الحكومة عندكم كما تنافس ترومن وديوي عندنا؟ فقلت له: إن علياً وعمر كانا يعيشان في الحجاز قبل ألف وثلاث مئة سنة. وهذا النزاع الحالي يدور حول أيهما أحق بالخلافة!

فضحك الأمريكي من هذا الجواب حتى كاد يستلقي على قفاه، وضحكت معه ضحكاً فيه معنى البكاء، وشر البلية ما يُضحك!)^(١).
نعم.. شر البلية ما يُضحك، طاقات الأمة تُهدر، وأجيال تتناحر، لكن علي ماذا؟ علي مثل هذه التفاهات!^(٢)

١- مهزلة العقل البشري ص ٢٤٦

٢- وقد أحسن الإمام ابن عبد البر فيما ذكره في (الاستذكار ١٤ / ٢٤١) حيث يقول: (وقد أجمع علماء المسلمين أن الله تعالى لا يسأل عباده يوم الحساب: من أفضل عبادي؟ ولا هل فلان أفضل من فلان؟ ولا ذلك مما يُسأل عنه أحدٌ في القبر، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد مدح خصالاً وحمد أوصافاً، من اهتدى إليها حاز الفضائل، ويقدر ما فيه منها كان فضله في ظاهر أمره على من لم يتلها، ومن قصر عنها لم يبلغ في الفضل منزلة من ناله).

لم يكن هاجس الصحابة في زمانهم إثبات من الأفضل على الآخر بل رأينا أبا بكر الصديق يتولى الخلافة ويقول على المنبر: (أما بعد فإني قد وُلّيت عليكم ولست بخيركم)^(١) ورأينا علي بن أبي طالب تُعرض عليه الخلافة فيقول (أنا لكم وزيراً خيراً لكم مني أميراً)^(٢) ويخطب على منبر الكوفة فيقول: (خير هذه الأمة أبو بكر ثم عمر)^(٣) ورأينا عمر بن الخطاب يقول (يرحم الله أبا بكر ما سبقته إلى خير قط إلا سبقني إليه)^(٤) وهكذا.

كل رجل منهم كان يدفع الفضل عن نفسه، وينسبه إلى صاحبه إذ كان هاجسهم العمل وخدمة هذا الدين لا المفاضلة والافتخار على بعضهم البعض.

وإني أقول هذا وأنا أعلم أنّ من الناس من سيقراً كلامي هذا غير آبه به، فالقضايا الهامشية التي ننتقد التركيز عليها وإثارها هي أكبر قضايا الإسلام عنده!

ولهؤلاء أهدي لهم الحوار اللطيف الذي دار بين الحسين بن إسماعيل المحاملي وأبو بكر الداودي في المفاضلة بين أبي بكر وعلي رضي الله عنهما.

١- صفة الصفوة ١/ ٢٦٠

٢- نهج البلاغة- (٩٢) (ومن خطبة له (ع) لما أريد على البيعة بعد قتل عثمان رضي الله عنه).

٣- مسند أحمد - حديث رقم (٨٣٦) و(٨٣٧) بسند صحيح شعيب الأرنؤوط، وقد أشار ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة ١/ ١٧٨ إلى مظان الرواية في الكتب بألفاظها المتعددة راداً على المشككين فيها أو الزاعمين أنها جاءت من طريق التقية، بينما نص ابن تيمية في منهاج السنة النبوية ١/ ٣٠٨ على أنه (قد تواتر عنه رضي الله عنه أنه كان يقول على منبر الكوفة: (خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر) روى ذلك عنه من أكثر من ثمانين وجهاً ورواه البخاري وغيره، ولهذا كانت الشيعة المتقدمون كلهم متفقين على تفضيل أبي بكر وعمر كما ذكر ذلك غير واحد).

٤- مسند أحمد - حديث رقم (٤٣٤٠)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

فقد ذكر ابن الجوزي في كتابه (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم) أن أبا بكر الداودي قال يوماً في مجلس قد جمعه مع الحسين بن إسماعيل: والله ما تقدر تذكر مقامات علي مع هذه العامة، فقال له الحسين بن إسماعيل: أنا والله أعرفها، مقامه ببدر وأحد والخندق ويوم خيبر، قال: فإن عرفتها فينبغي أن تقدّمه على أبي بكر وعمر، قلت: قد عرفتها ومنه قدّمت أبا بكر وعمر عليه، قال: من أين؟ قلت: أبو بكر كان مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم على العريش يوم بدر، مقامه مقام الرئيس، ينهزم به الجيش، وعليّ مقامه مقام مبارز، والمبارز لا ينهزم به الجيش، وجعل يذكر فضائله وأذكر فضائل أبي بكر، فقلت: لا تنكر لهما حقاً، ولكن الذين أخذنا عنهم القرآن والسنن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قدّموا أبا بكر فقدّمناه لتقديمهم، فالتفت أحمد بن خالد فقال: ما أدري لم فعلوا هذا؟ قلت: إن لم تدر فأنا أدري، قال: لم فعلوا؟ فقلت: إن السؤدد والرياسة في الجاهلية كانت لا تعدو منزلتين، إما رجل كانت له عشيرة تحميه وإما رجل كان له فضل مال يفضل به، ثم جاء الإسلام فجاء باب الدين، فمات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وليس لأبي بكر مال، ولم تكن تيم لها مع عبد مناف ومخزوم تلك الحال^(١)، فإذا بطل اليسار الذي كانت ترأس به قريش أهل الجاهلية، فلم يبق إلا باب الدين فقدّموه له، فأفحم الداودي^(٢).

أقول: قد أحسن الحسين المحاملي فيما ذكره لكن بقي الإشارة إلى مسائل أخرى.

إنّ الشيعة الإثني عشرية يقارنون بين الإمامين أبي بكر وعلي فيقولون: إنّ علياً أول الناس إسلاماً ولذا فهو أحق من أبي بكر بالخلافة.

١- يقصد أنّ قبيلة أبي بكر الصديق، لم تكن لها رياسة و سطوة و نفوذ ك رياسة و نفوذ و سطوة عبد مناف و مخزوم، ومع هذا قدّم الصحابة أبا بكر الصديق وهو رجل بلا مال ولا نفوذ.

٢- المنتظم ٢٢ / ١٤ (ترجمة الحسين بن إسماعيل بن محمد المحاملي المتوفى سنة ٣٣٠هـ)

لقد تتبعت أقوال المؤرخين في المسألة فوجدتهم قد اختلفوا في أول الناس إسلاماً اختلافاً لا يُمكن الترجيح فيه ترجيحاً تاماً، وسواء أكان إسلام أبي بكر متقدماً على إسلام علي أو العكس، فإنّ هذا لن يغيّر شيئاً.

فالتاريخ يشهد بأنّ الإمام علياً كان صغير السن في بداية البعثة النبوية^(١)، وعطاء الصبي ليس كعطاء الكبير، فالصبي قد يُستعان به في قضاء بعض الحوائج التي يطبقها الصغار لكنه لا يتصور فيه أن تقام على يديه دعوة أو نصرّة دين، وإنما يُتصور ذلك في الكبار بقدر ما لديهم من العطاء والصمود، ولهذا جاء في حديث عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه وهو يحكي قصة إسلامه ما يدل على هذا المعنى حيث يقول: (كنت وأنا في الجاهلية أظن أنّ الناس على ضلالة وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يجبر أخباراً فقعدت على راحلتي فقدمت عليه، فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مستخفياً جُراًء^(٢) عليه قومه، فتلطّفت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت^(٣)؟ قال: أنا نبي، فقلت: وما نبي؟ قال: أرسلني الله، فقلت: وبأيّ شيء أرسلك؟ قال: أرسلني بصلّة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله لا يُشرك به شيء، قلت

١- لم يبرز دور الإمام علي في مساندة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الفترة المكية إلا بنومه في فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبيل الهجرة النبوية أي بعد ١٣ سنة تقريباً من البعثة، وقلة عطاء الإمام علي في بداية البعثة لم يكن لتقصيره رضي الله عنه في مساندة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكن حداثة السن لها دورها الذي لا ينبغي تجاهله، ولهذا لما شبّ ساند النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند الهجرة بالنوم في فراشه وإيham الكفار بأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يخرج للهجرة، ثم ظهر دوره جلياً في المدينة كما هو معلوم ففاق بجهاده ونصرته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم الكثير من الصحابة، لكن المنصف الذي يعرف لعلي حقه وفضله وجهاده وتضحيته لن ينسى حق وفضل وجهاد وتضحية أبي بكر وبالذات في بداية البعثة التي كانت بالنسبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والإسلام أشد وأصعب الأيام التي عاشها.

٢- جمع جريء وكبرى وبرآء من الجراءة، وهي: الإقدام والتسلط.

٣- ولم يقل: من أنت، لأنه سأله عن صفته لا عن ذاته، والصفات مما لا يُعقل.

له: فمن معك على هذا؟ قال: حر وعبد - قال ومعه يومئذ أبو بكرٍ وبلالٌ ممن آمن به-، فقلت: إني مُتَّبِعُكَ، قال: إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترى حالي وحال الناس؟ ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني...^(١) وفي مسند أحمد (قلت: الله أرسلك، قال: نعم، قلت: بأي شيء أرسلك؟ قال: بأن يوحد الله ولا يُشرك به شيء، وكسر الأوثان وصلة الرحم، فقلت له: من معك على هذا، قال: حر وعبد أو عبد وحر، وإذا معه أبو بكر بن أبي قحافة وبلال مولى أبي بكر)^(٢).

فلم يقل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعمر بن عبسة وهو يعرض عليه الإسلام بأنه يتقوى بطفل في دعوته لهذا الدين، لأنَّ الطفل ضعيف لا يتقوى به ولا يُنتصر به عند عامة العقلاء، اللهم إلا عند أهل العناد والمكابرة والتعصب المقيت، فهؤلاء لهم مقاييس أخرى لا تخضع لدين ولا لعقل ولا لمنطق!

ولهذا لم يذكر التاريخ للإمام علي في بداية البعثة النبوية أمراً تنتصر به الدعوة الإسلامية في بداية ظهورها سوى مساندة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تكسير بعض الأصنام سرّاً^(٣)، وهي

١- صحيح مسلم - كتاب فضائل القرآن وما يتعلق به - باب إسلام عمرو بن عبسة - حديث رقم (٨٣٢).

٢- مسند أحمد - حديث رقم (١٧٠٦٠)، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

٣- فقد روى أحمد في مسنده (حديث رقم ٦٤٤) عن أبي مريم عن علي رضي الله عنه أنه قال: (انطلقت أنا والنبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى أتينا الكعبة، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اجلس، وصعد على منكبي، فذهبت لأنفض به، فرأى مني ضعفاً، فنزل، وجلس لي نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: اصعد على منكبي، قال: فصعدت على منكبيه، قال: فنهض بي، قال: فإنه يُجِيل إليّ أني لو شئت لملت أفق السماء، حتى صعدت على البيت، وعليه تمثال صُفر أو نحاس، فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله، وبين يديه ومن خلفه، حتى إذا استمكنت منه قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اقذف به، فقذفت به، فتكسر كما تتكسر القوارير، ثم نزلت، فانطلقت أنا ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نستبق حتى تواريها بالبيوت، خشية أن يلقانا أحد من الناس)، والرواية إسناده ضعيف كما قرر ذلك جمع من العلماء

مسألة لا يمكن أن تقارن بمجابهة أبي بكر الصديق للكفار وجهاً لوجه في أكثر من موطن، حين يدافع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم^(١) أو ينفق أمواله في سبيل الله لعتق رقاب المعذنين في الله كبلال الحبشي وأمه حمامة وعامر بن فهيرة^(٢) وأم عبيس^(٣) وزنيرة^(٤) والنهدية وابتها^(٥) وجارية بني مؤمّل وجارية بني عدي رضي الله عنهم.

لقد تحمّل أبو بكر من الإهانة بمكة بعد العناء والعذاب في الله عز وجل، والصبر على أعداء الله والسكون على الإقامة بالجوار بعد أن كان يذمّ وَيَشْفَعُ في الناس، ولا يستطيع أحد دفعه. فمن ذلك أنه قام يوماً خطيباً عند الكعبة يدعوهم إلى الله تعالى وإلى اتباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فضربه المشركون ضرباً شديداً، ومن ضربه عتبة بن ربيعة حيث جعل يضربه على وجهه بنعلين مخصوفتين حتى ما يُعرف وجهه من أنفه^(٦). حتى جاء بنو تيم يتعادون، فأجلوا عنه ضاربيه وحملوه في ثوب إلى منزله، ولا يشكون في موته، لكن الله تعالى حفظه.

منهم الشيخ شعيب الأرناؤوط، ففيها (أبو مريم الثقفي) وهو مجهول، و(نعيم بن حكيم) قال عنه النسائي: ليس بالقوي، وقال ابن سعد: لم يكن بذاك.

١- ففي حديث البخاري (بينما النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة ابن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبيه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟).

٢- صحابي جليل شهد بدرًا وأحدًا وقُتل يوم بئر معونة شهيداً.

٣- كانت فتاة لبني تيم بن مرة فأسلمت فاستضعفها المشركون وعذبوها فاشتراها أبو بكر وأعتقها، وقد كُنيت بابنها عبيس بن كريز.

٤- كانت من السابقات إلى الإسلام وقد كان أبو جهل يعذبها لأجل إيمانها فاشتراها أبو بكر وأعتقها.

٥- كانت لامرأة من بني عبد الدار، وقد كانت تحلف بالله أن لا تعتقها أبداً، فاشتراها أبو بكر وأعتقها.

٦- البداية والنهاية ٣/ ٣٩-٤٠

أقول هذا وأنا أعلم أنّ هناك عقولاً جوفاء ستتهمني مباشرة بالنصب أو بالإساءة للإمام علي وعدّ ما شئت من تهم، لأنّ المشكلة الحقيقية التي تعترني هذا النوع من النقاش هي أنك تتناقش مع عقول لا تريد أن تفهم، وإنما برّجت منذ أمد بعيد على أن ترى الإمام علياً فوق مستوى البشرية، وأن لا تقبل الحقيقة كما هي ولا ترضخ حتى للتاريخ الذي لا يحايي أحداً من الناس.

إنّ التاريخ ليشهد بأنّ أول من أسلم من الصحابة ونصر الإسلام بنفسه وأهله وماله هو أبو بكر الصديق، فكان أول من صدّقه حين كذّبه الناس، وواسى رسولنا الكريم بنفسه وماله، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم وهو يخاطب الصحابة: (إنّ الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي)^(١).

أما المسارعة إلى الإسلام وعدم التردد فتفوق فيها الإمام أبو بكر الصديق رضي الله عنه على الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وفي هذا يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (ما عرضت الإسلام على أحد إلا كانت له عنده كبوة وتردد غير أبي بكر^(٢))، فإنه لم يتلعثم^(٣).

١- رواه البخاري - كتاب فضائل الصحابة - باب (لو كنت متخذاً خليلاً) - حديث رقم (٣٤٦١) وسنن البيهقي الكبرى - باب شهادة أهل العصية - حديث رقم (٢٠٨٨٤).

٢- قال ابن كثير في البداية والنهاية ١/ ١٢١: (فإنّ الحق الظاهر لا يحتاج إلى روية ولا فكر ولا نظر بل يجب اتباعه والانقياد له متى ظهر ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مادحاً للصديق: (ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له كبوة غير أبي بكر فإنه لم يتلعثم)، ولهذا كانت بيعته يوم السقيفة أيضاً سريعة من غير نظر ولا روية لأنّ أفضليته على من عداه ظاهرة جلية عند الصحابة رضي الله عنهم، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أراد أن يكتب الكتاب الذي أراد أن ينص فيه على خلافته فتركه، وقال: (يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر)).

٣- الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما برواية البلاذري في أنساب الأشراف ص ٢١ ودلائل

أما الإمام علي فقد روى ابن إسحاق أنه جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد إسلام خديجة رضي الله عنها، فوجدهما يصليان، فقال علي: ما هذا يا محمد؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (دين الله الذي اصطفاه لنفسه، وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحده وإلى عبادته، وتكفر بالللات والعزى)، فقال له علي: هذا أمر لم أسمع به من قبل اليوم، فلست بقاض أمراً حتى أحدث أبا طالب، فكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يفشي سره، قبل أن يستعلن أمره، فقال له: (يا علي، إذا لم تسلم فإتكم)، فمكث علي تلك الليلة، ثم إن الله أوقع في قلب علي الإسلام، فأصبح غادياً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حتى جاءه فقال: ما عرضت عليّ يا محمد؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وتكفر بالللات والعزى، وتبرأ من الأنداد، ففعل عليّ وأسلم^(١).

والغريب أن الشيعة الإثني عشرية على غلوهم المعروف في الإمام علي قد رووا ترده رضي الله عنه في قبول الإسلام أول مرة، وطلبه من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الإمهال قائلاً: (إنّ هذا مخالف دين أبي، وأنا أنظر فيه)^(٢).

فإذا ثبت من طريق الفريقين أنّ أبا بكر قد أسلم طوعاً ودون تردد وتلعثم وأنّ علياً رضي الله عنه طلب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إعطاءه فرصة للتفكير لأنّ دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم جديدة بالنسبة له، فعن أي مفاضلة يتكلم الشيعة الإثني عشرية؟! على أنّي أقولها وبضرس قاطع: إنّ إسلام أبي بكر قبل علي أو إسلام علي قبل أبي بكر، لن يجعل أحدهما مستحقاً للخلافة على الآخر، فالخلافة وقيادة الناس لها شروطها ومؤهلاتها وليس من هذه المؤهلات أن يكون الرجل قد أسلم قبل الذين سيحكمهم بيومين أو ثلاثة!

١- أسد الغابة ١/ ٧٩٠ والبداية والنهاية ٣/ ٣٤

٢- سعد السعود ص ٢١٦ للعلامة الشيعي أبو القاسم علي بن موسى المعروف بابن طاووس

أما مبيت الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان في نهاية الفترة المكية فليس بأفضل من هجرة الإمام أبي بكر الصديق رضي الله عنه مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة بما صاحبها من مخاطر ومشقة وعناء.

ولذلك ذكر الله تعالى فضيلة نصرته أبي بكر الصديق للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بالهجرة في القرآن الكريم فقال ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۗ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ولم يذكر مبيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالفراش، لأنَّ خروج أبي بكر الصديق مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيه مخاطرة بالحياة ومشقة ومطاردة أما المبيت فلم يكن كذلك إذ أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما في روايات المبيت قد أخبر الإمام علي رضي الله عنه بأنه لن يمسه سوء.

قال ابن إسحاق: (فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم قال لعلي بن أبي طالب: نم على فراشي وتسج بردي هذا الحضرمي الأخضر فتم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم) (١). فأخبره الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام بأنه لن يمسه مكروه.

وهو ما يقرّ به كبار علماء الشيعة الإثني عشرية في كتبهم عند تقريرهم لهذه المسألة.

يقول الشيخ جعفر السبحاني - وهو من كبار علماء الشيعة الإثني عشرية المعاصرين - : (روى المحدثون أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أراد الهجرة خلف علي بن أبي طالب عليه السلام بمكة لقضاء ديونه ورد الودائع التي كانت عنده، وأمره ليلة خرج إلى الغار وقد أحاط

المشركون بالدار أن ينام على فراشه فقال صلى الله عليه وآله وسلم له: يا علي، اتشح ببردي الحضرمي الأخضر ثم نم على فراشي فإنه لا يخلص إليك منهم مكروه إن شاء الله عز وجل، ففعل ذلك عليه السلام^(١).

ونصّ على ذلك أيضاً الشيخ محمد باقر الخرسان في تعليقه عبارة: (أنا وقيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنفسي في الغار) من كتاب الاحتجاج للطبرسي^(٢).

فهل تستوي تضحية من يعلم يقيناً بأن القوم لن يمسوه بسوء بمن أقدم على الموت بنفسه وعرض أهله للخطر والهلاك معه في رحلة الهجرة^(٣)؟

وإذا ضُمن إلى ذلك كله ما يعتقده الشيعة الإثني عشرية في الإمام علي من أنه إمام منصوب عليه كوصي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بحديث الدار^(٤) وأن الوصي لا يكون وصياً إلا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإن هذا مُلزمٌ للشيعة الإثني عشرية بأن يعترفوا بأن تضحية الإمام علي رضي الله عنه في المبيت بفراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تقارن بتضحية أبي بكر رضي الله عنه في رحلة الهجرة.

١- مفاهيم القرآن (العدل والإمامة) ١٠/ ٢٢٩

٢- هامش ص ١٦٠ من كتاب الاحتجاج

٣- فقد كانت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها تأتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبا بكر في الغار كل مساء بالطعام، وكان عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنه يتسمع للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبا بكر ما يقوله الناس عنهما في النهار، فيأتيهما به بالليل في الغار، ثم يرجع إلى مكة في السحر ليصبح مع قريش، وكانت مهمة عامر بن فهيرة وهو مولى أبي بكر رضي الله عنه يرعى غنم أبي بكر في النهار ثم يُريحها عليهما في الغار إذا أمسى ليطعما من ألبانها ويزيل بمسيره بالغنم آثار أقدام عبد الله بن أبي بكر لئلا يلحظ المشركون أثره عند الغار (راجع: فتح الباري ١٥/ ٩١-٩٢ والسيرة النبوية لابن إسحاق)

٤- يعتبر حديث الدار أحد أبرز النصوص التي يستدل بها الشيعة الإثني عشرية على إمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه النصية وسيأتي الحديث عنه تفصيلاً.

بل إننا نستطيع إلزام الشيعة الإثني عشرية بالإقرار بأنّ علياً رضي الله عنه قد بات في فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو مطمئن النفس إلى أنّ أحداً لن يمسه بسوء دون حتى أن يحتاج إلى طمأنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم له، كيف لا وهم يزعمون بأنّ الأئمة يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم^(١)، وأنهم يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء^(٢)، وأنه لا يُغسل الإمام ولا يدفنه إلا إمام مثله^(٣)، والإمام علي رضي الله عنه لم يكن إذ ذاك قد تزوج أصلاً^(٤) حتى يغسله إمام من أبنائه إذا ما قتله المشركون، فهو وفقاً لنظرية الإمامية يعلم علم اليقين أنه لن يمسه سوء!

-
- ١- وهو أحد أبواب كتاب الكافي للكليني وبصائر الدرجات للصفار وبحار الأنوار للمجلسي وغيرهم، وقد ذكر الكليني تحت هذا الباب ثمانين رواية، وذكر الصفار في بصائر الدرجات ص ٥٠٠ أربع عشرة رواية بينما اكتفى المجلسي في بحار الأنوار ٢٧/ ٢٨٥-٢٨٧ بذكر ستة روايات.
 - ٢- وهو أحد أبواب كتاب الكافي للكليني وقد ذكر فيه ست روايات، أما المجلسي- فذكر في هذا الشأن اثنتان وعشرون رواية شيعية كلها تؤكد هذا المعنى وهذا الاعتقاد (انظر: بحار الأنوار ٢٦/ ١٠٩-١١٧ تحت عنوان (وأنه عرض عليهم ملكوات السموات والأرض ويعلمون علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة).
 - ٣- وهو أحد أبواب بحار الأنوار للمجلسي- ٢٧/ ٢٨٨ (باب أنّ الإمام لا يغسله ولا يدفنه إلا إمام، وبعض أحوال وفاتهم عليهم السلام) وقد ذكر فيه سبع روايات.
 - ٤- الثابت أنّ علياً رضي الله عنه تزوج فاطمة رضي الله عنها في السنة الثانية من الهجرة كما نقل ذلك الذهبي في السير ٢/ ١١٩ في ترجمته لفاطمة رضي الله عنها حيث نصّ على أنّ الزواج كان سنة اثنتين من الهجرة بعد وقعة بدر، وقال صاحب (عون المعبود ٦/ ١١٤): تزوجها علي رضي الله عنه في السنة الثانية من الهجرة في شهر رمضان وبنى عليها في ذي الحجة، فيما يرى الشيخ المفيد - وهو من كبار علماء الإمامية - أنّ الزواج كانت ليلة خميس سنة ثلاث من الهجرة النبوية كما نقل ذلك المجلسي- في البحار ٤٣/ ٩٢، وعلى كل الأحوال فإنّ الزواج لم يتم إلا بعد الهجرة بستين أو أكثر.

فإن قائل: إن الإمام علي بن أبي طالب أشجع الصحابة وعدد مآثره العظيمة في خيبر وغيرها، مستدلاً بذلك على أحقيته بالخلافة من أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

أجبت بقولي: لا ريب بأن الإمام علياً من أشجع الصحابة وأربطأهم جأشاً، فمنازلاته في المعارك تشهد له بذلك، لكننا نتكلم عن مؤهلات خلافة وحكم، فالإمام علي تميّز بكونه محارب من الطراز الأول، فهو من هذه الناحية قد تفوق على أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولا ريب، لكن الخلافة والحكم لا يحتاجان إلى جندي محارب حتى يُستشهد ببطولات الإمام علي وتميزه في القتال وإنما يحتاجان إلى قيادة فاعلة وذات سيادة، وفي هذه تفوق أبي بكر الصديق على علي بن أبي طالب، فإنّ أبا بكر الصديق وهو من قبيلة (تيم) الضعيفة التي لا تمثل بالنسبة لقريش الكثير استطاع أن يقود المسلمين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وظهور أمر مسيلمة الكذاب والأسود العنسي- وسجاح وأمّاهم فانتصر- وأعطى للجزيرة العربية الثبات والاستقرار بعد انفلات الأمر وظهور حركات المرتدين المذكورة، بينما لم يستطع الإمام علي وهو من بني هاشم الذين لهم ثقلهم السياسي والقبلي في العرب أن يسيطر على الأوضاع عند اختلاف المسلمين فيما بينهم إثر مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، هذا أمر واقعي سطره التاريخ ولا بد لنا أن نتمعن فيه، إنّ الإمام علي قد تفوق على الإمام أبي بكر في المبارزة والقتال لكنه لم يتفوق عليه في القدرة على قيادة الأمة واحتواء التيارات السياسية المتنافسة في المجتمع الإسلامي وجمعها على كلمة واحدة، هذه هي الحقيقة دون تجميل أو محاباة.

أما مسألة الشجاعة فمن الذي قال بأنّ الشجاعة يُمكن أن تقاس بالقتال فقط؟

(إنّ الشجاعة ليست بكثرة قتل اليد ولا قوة البدن، فإنّ نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أشجع الخلق كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كنا إذا احمرّ البأس ولقي القوم القوم كنا نتقي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكان يكون أقرب إلى القوم منا.

وقد انهزم أصحابه يوم حنين وهو على بغلة يسوقها نحو العدو، ويتسمى بحيث لا يُخفي نفسه ويقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

ومع هذا فلم يقتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده إلا واحداً وهو أبي بن خلف، قتله يوم أحد.

وكان في الصحابة من هو أكثر قتلاً من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وإن كان لا يفضل عليهم في الشجاعة، مثل البراء بن مالك أخي أنس بن مالك، فإنه قتل مئة رجل مبارزة غير من شرك في دمه.

ولم يقتل أحد من الخلفاء على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا العدد، بل ولا حمزة سيد الشهداء - وهو أسد الله ورسوله - لم يقتل هذا العدد، وهو في الشجاعة إلى الغاية^(١). وثبات أبي بكر الصديق وحده مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بداية البعثة حيث لم يكن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الرجال سواه، وثباته بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ تنزل الناس إلى حد حسمه الأمر بالوقوف خطيباً في الناس قائلاً: (أيها الناس، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت) كله يؤكد أهلية أبي بكر الصديق لتولي قيادة الأمة الإسلامية على غيره، وهو ما فعله المهاجرون والأنصار دون تردد.

هذه بعض الردود التي ارتبتيها في حسم مسألة المفاضلة مع ما أشعر به من الضيق من الاسترسال في مثل هذه الأمور التي لا تفيد ولا تنفع، يكفيني أنهما فاضلان مؤمنان نصر الإسلام

١- جامع المسائل لتقي الدين ابن تيمية ص ٢٤٧-٢٤٩ بتصرف

حين خذله الآخرون، قدّموا أنفسهم وأهليهم وأموالهم في سبيل نصره هذا الدين، فما ينفعني بعد ذلك من كان أفضل منها من الآخر!

الإمامية أضعف حجة قرآنية من أهل الكتاب^(١)

لقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تدل في ظاهرها على صحة دين أهل الكتاب من اليهود والنصارى وغيرهم كالصابئة. وقد احتجوا بها على عدم وجوب إسلامهم وشرط متابعتهم لنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم. وهي أقوى في دلالتها بمراتب كثيرة من الآيات التي احتج بها الإمامية على إثبات أصل (الامامة).

ومع ذلك فلا نرى لهم -أي اليهود والنصارى- فيها حجة على ما يقولون بل نجزم بأنهم صرفوا معاني الآيات إلى غير معانيها الحقيقية!
من هذه الآيات:

١- قول الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصْرَى وَالصَّٰدِقِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

إنّ ظاهر هذه الآية يدل على صحة دين اليهود والنصارى. إذ لم يشترط للنجاة يوم القيامة إلا الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح. دون الإيمان بنبوّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وغير ذلك من شروط الإسلام. فهل لأي دليل من أدلة (الامامة) التي احتجوا بها مثل هذه القوة والوضوح في الدلالة على المراد!؟

أما موضع الخلل في الاستدلال بهذه الآية، فيكمن في عزلها عن الآيات المحكمة التي تشترط الإسلام ومتابعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والتي من شأنها أن تجعل الآية خاصة بمن مات

١- المنهج القرآني الفاصل بين أصول الحق وأصول الباطل ص ١٣٢-١٣٨ بتصرف

ولم يبلغه الإسلام، مع أن هذا القيد غير موجود في الآية وإنما يتبين من إرجاعها إلى الأصل. وهو الآيات المحكمة (أم الكتاب).

ولنا أن نسأل فنقول: هل يوجد في القرآن كله نص واحد يدل بظاهره دلالة واضحة على (إمامة) علي رضي الله عنه أو الإثني عشر كدلالة نص هذه الآية في ظاهرها على صحة دين اليهود والنصارى والصابئين. التي لولا وجود آيات أخرى محكمة تقيدها، لكانت نصاً صريحاً في نجاتهم وصحة دينهم؟!

٢- قوله تعالى ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤] وقوله تعالى ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

قال اليهود والنصارى: نحن أهل الذكر فنحن المرجع والأصل فكيف نكون كفاراً؟! ولا شك أن سياق الآية يدل على أن المقصود بـ (أهل الذكر) أهل الكتاب. لأن قريشاً استدلت على بطلان نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بشريته. وأنه يأكل الطعام ويمشي في الأسواق. فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧] وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٧﴾ [الأنبياء: ٧ - ٨]. أي تستطيعون- إن لم تكونوا تعلمون- أن تسألوا أهل الكتاب (الذكر) فيخبروكم هل الأنبياء بشر أم لا؟

فقوله ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ يساوي قوله ﴿فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾. وقوله ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ يساوي قوله ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ وقد جاء قبلها مباشرة قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ

الطَّيِّبَاتِ ﴿يونس: ٩٣﴾. وهذا مدح. بل قال الله: ﴿أَوْلَمَ يَكُنْ هُمْ ءَايَةً أَنْ يَعْلَمَهُرُ عُلَمَتُؤَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٧].

إنّ هذه الآية أقوى دلالة وأليق بما قال اليهود والنصارى منها بما قاله الإمامية من أنّ مقصود الله فيها بـ(أهل الذكر) هم (الأئمة الإثني عشر)! إذ لا علاقة بين منطوق الآية وذكر (الأئمة) البتة، ولا قرينة تدل عليهم فيها لا من قريب ولا بعيد!

ولو اختلف اليهود والنصارى مع (الإمامية) في هذه الآية: أيها أحق بها وأولى؟ لكان الرجحان واضحاً في جانب اليهود والنصارى. ونحن نقول للإمامية: استخلصوا حقكم في الآية من اليهود والنصارى. ثم احتجوا بها على ما تريدون!!

٣- قوله تعالى ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧ و ١١٢] مرتين في القرآن، وفيها تنصيب على أفضليتهم واختيارهم على العالمين.

وقوله تعالى أيضاً في سورة الدخان ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ ۗ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَحْضَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الدخان: ٣٠-٣٢] ففي هذه الآيات تنصيب على اختيارهم وتفضيلهم على العالمين.

أليس فيه حجة لهم على أنهم شعب الله المختار؟! فلماذا لا نقر لهم بذلك؟ سؤال نوجهه إلى (الإمامية) الذين فضلوا أنفسهم على الأمة. وعلى العالمين. وليس عندهم من نص قرآني بذلك، متشابه ولا غير متشابه. وأي رد يصلح أن يكون رداً على اليهود، يكون رداً على غيرهم من باب أولى!

تصور لو أن الله قال: ("يا شيعة علي" اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتم علي العالمين) أو قال: (ولقد نجينا "الإمامية" من العذاب المهين ولقد اخترناهم على علم على العالمين) ماذا سيقولون؟ ألن يجعلوا الحق في اتباع مذهبهم ويستدلوا بهذه الآيات على أحقية هذا المذهب؟ إن المنطق العلمي الاستدلالي يقضي بأنه حتى لو قال - سبحانه - ذلك لما كان لهم به من حجة. لأن القول نفسه لم يصلح حجة اليهود. الذين نزل فيهم. فكذلك لو نزل في غيرهم. فكيف والله تعالى لم يقل مثله في حق الإمامية ولم يشر إلى ذلك أدنى إشارة؟!

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ [الجاثية: ١٦]. ضع بدل "بني إسرائيل" لفظ "الإمامية" أو "بني علي" وتصور ماذا ستكون النتيجة؟!

﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾ [غافر: ٥٣]. تخيل أن الله تعالى قال: (وأورثنا شيعة علي الكتاب)؟!

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف: ١٣٧].

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ ۖ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٣ - ٢٤]. ولو جاء ذكر الإمامية بدل بني إسرائيل لقالوا: هذا نص في (الإمامة) و(الأئمة)^(١).

١- إن هذا الذي نقوله ليس افتراضات ذهنية مجردة. بل هو عين ما فعله علماء الإمامية منذ زمن بعيد!

فمن ذلك ما رواه الكليني في كتاب (الكافي) منسوباً لـ(الأئمة). وهذا بعضه:

١. عن أبي جعفر (ع) قال: نزل جبريل (ع) بهذه الآية هكذا: ((إن الذين ظلموا (آل محمد) لم يكن الله

ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً)) ١/ ٤٢٤

٢. عن أبي جعفر (ع) قال: نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية هكذا: ((فأبى أكثر الناس (بولاية علي) إلا كفوراً)). ونزل جبريل (ع) بهذه الآية هكذا: ((وقل الحق من ربكم (في علي) فمن شاء فليؤمن ومن شاء

فليكفر إننا أعتدنا للظالمين (آل محمد) ناراً)) ١/ ٤٢٥

والحقيقة أن الإمامية احتجوا بهذا النص دليلاً على (الإمامة) مع أنه في حق بني إسرائيل!!
 ٤- قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾
 [المائدة: ١٢].

تصور لو أن الله قال: (ولقد أخذنا ميثاق "آل محمد" وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً). ماذا سيقولون؟

سيقولون: هذه الآية نص في الأئمة الاثني عشر. وأن الأئمة منصوص عليهم في الكتاب!
 ولكن الآية نص في بني إسرائيل. وليس لبني إسرائيل فيها حجة.
 فهل عند الإمامية نص قرآني بقوة هذه الآية ووضوحها ودالاتها؟!
 ولقد ذكر الله تعالى أنه اختار امرأة منهم وفضلها على نساء العالمين، هي مريم ابنة عمران.
 ورزقها بولد من دون زوج. وجعله نبياً كما قال سبحانه ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرُومُ إِنَّ اللَّهَ
 اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢] وأنزل في حقها
 الكثير من الآيات مصرحة باسمها كقوله سبحانه ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا
 فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِحْسَانُ﴾ [التحريم:
 ١٢].

كل هذا لا يشفع لليهود، وليس فيه حجة لهم لأنهم مقطوعو الصلة بذلك السلف الصالح كما
 قال تعالى ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا

٣. عن أبي جعفر (ع) قال: نزل جبريل (ع) بهذه الآية على محمد صلى الله عليه وآله وسلم هكذا: ((بئسما

اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله (في علي) بغياً)) ٤١٧/١

٤. عن جابر قال: نزل جبريل (ع) بهذه الآية على محمد هكذا: ((وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا (في

علي) فاتوا بسورة من مثله)) ٤١٧/١ ومثل هذا الكفر الصريح في كتاب (الكافي) وأمثاله كثير!

نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾
 تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾
 [البقرة: ١٣٣ - ١٣٤].

وقال ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة: ٦٨] وأوله الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ومتابعته.
 إن الألقاب والانتساب لا ينفع صاحبه دون عمل ومتابعة لمن انتسب إليه كما قال الرب جل
 وعلا ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ [آل عمران: ٦٨] وليس الذين أحبوه، أو
 انتسبوا إليه.

فحب اليهود ليعقوب وانتسابهم إليه، وحبهم لداود وموسى وسليمان وغيرهم. وحب
 النصارى للمسيح وانتسابهم إليه ليس بنافعهم لانقطاعهم عن المنهج والتعاليم التي جاء بها
 هؤلاء الأنبياء الكرام عليهم السلام: قال تعالى ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا﴾.
 هذا هو الانتساب الأجوف الذي لا قيمة له. لذلك عقب الله عليه بقوله ﴿قُلْ بَلَّ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
 حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥].

إن الله يريد الملة والدين الصحيح. أما الاسم والنسب فلا قيمة له عنده.
 ومع هذا كله انتقل إلينا هذا المرض الخطير فصار فينا من يتعصب للأسماء والطوائف، ويفخر
 بالانتساب إلى مشاهير الملة دون العمل بها دعوا إليه، وجاهدوا من أجله. وهذا ليس بنافعهم بل
 هو ضار بهم: في الدنيا تفرقة وتمزقا وفتنا. وفي الآخرة خسرا مبينا.
 إن الانتساب إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم نفسه لن ينفع صاحبه من دون عمل واتباع كما
 قال سبحانه ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ [آل عمران: ٣١].

فحب الله تعالى نفسه لا وزن له عنده من دون اتباع صحيح لما أنزل على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

فما بالك بالانتساب إلى من هو دون محمد صلى الله عليه وآله وسلم كالإمام علي أو غيره وادعاء حبه والتعصب له؟!!

ولو افترضنا أن الله تعالى أمر بذلك صراحة فلا شك أنه لم يقصد الانتساب المجرد عن المتابعة. فكيف إذا كان المنتسب مخالفاً لصريح القرآن منهجاً وتطبيقاً. وأول ذلك اتباع المشابهات وترك المحكمات؟!!

آية ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾

لا يكاد يطرح موضوع الإمامة في كتب الشيعة الإمامية عادة إلا مقروناً بالاستدلال بقوله تعالى ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۗ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۗ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۗ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

وتأتي بعد ذلك النظرية الإمامية للآية لتحاول من خلالها إثبات إمامة الأئمة الاثني عشر- وبطلان إمامة من سواهم.

قد تتساءل كيف؟ ومن حقه أن تتساءل طالما لم تر في النص ما يدل على إمامة الاثني عشر من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لكن النظرية الإمامية صاغت استدلالها بالآية من خلال الجزئية الأخيرة منها (لا ينال عهدي الظالمين).

تقول النظرية: إنه لا ينال الإمامة ظالم، والذنب ظلم، وما دام الأمر كذلك فيتعين أن يكون خليفة المسلمين معصوماً عن اقتراف الذنوب والخطايا حتى ينال عهد الله (الإمامة) بل ينبغي لإمام المسلمين فوق هذا كله أن لا يخطئ ولا يسهو ولا ينسى، ولا يتحقق هذا إلا في الأئمة الاثني عشر.

قال الطبرسي في تفسيره (مجمع البيان): (واستدل أصحابنا بهذه الآية على أن الإمام لا يكون إلا معصوماً عن القبائح، لأن الله سبحانه نفى أن ينال عهده الذي هو الإمامة ظالم، ومن ليس بمعصوم فقد يكون ظالماً إما لنفسه، وإما لغيره)^(١).

وفي تقرير هذه مسألة عصمى الإمام وتحديد مفهوم الإمامة في الآية الكريمة يقول الشيخ جعفر السبحاني - وهو من كبار علماء الشيعة الاثني عشرية المعاصرين -: (والاستدلال بالآية على

عصمة الامام، يتوقف على تحديد مفهوم الإمامة الواردة في الآية والمقصود منها غير النبوة وغير الرسالة، فأما الأول فهو عبارة عن منصب تحمّل الوحي، والثاني عبارة عن منصب ابلاغه إلى الناس. والإمامة المعطاة للخليل في أخريات عمره غير هذه وتلك، لأنّه كان نبياً ورسولاً وقائماً بوظائفها طيلة سنين حتّى خوطب بهذه الآية، فالمراد من الإمامة في المقام هو منصب القيادة، وتنفيذ الشريعة في المجتمع بقوة وقدرة. ويعرب عن كون المراد من الامامة في المقام هو المعنى الثالث، قوله سبحانه ﴿أَمْرٌ تَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ۖ﴾. فالإمامة التي أنعم بها الله سبحانه على الخليل وبعض ذريته هي الملك العظيم الوارد في هذه الآية. وعلينا الفحص عن المراد بالملك العظيم، إذ عند ذلك يتضح أنّ مقام الامامة، وراء النبوة والرسالة، وأنّها هو قيادة حكيمة، وحكومة إلهية، يبلغ المجتمع بها إلى السعادة^(١).

وقد فات الشيخ السبحاني أنّ ابراهيم عليه السلام نفسه لم يكن ملكاً في يوم من الأيام كبعض آله عليهم السلام!

فإنّ يوسف عليه السلام قد نال الملك العظيم كما قال الله تعالى في كتابه المجيد ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ١٠١].

وإنّ داود عليه السلام قد نال الملك العظيم كما في قوله تعالى ﴿وَأَتَيْنَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٥١] ويقول سبحانه ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠].

وإنّ سليمان عليه السلام قد نال أعظم ملكاً لم ينله أحد من بعده كما حكى الله تعالى عن سليمان أنّه قال ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ۗ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

فإن كان تفسير الآية كما يدّعي السبحاني فإن أولى الناس بنيل هذا الملك العظيم نصاً وعقلاً وواقعاً هو إبراهيم عليه السلام نفسه الذي جعله الله بنص الآية إماماً للناس لكن أبى الله تعالى إلا أن يخيب آمال أرباب النظرية الإمامية الإثني عشرية.

فإنهم يعجزون عن إثبات نيل إبراهيم عليه السلام الإمامة التي يدّعونها ويحاولون إثباتها من هذه الآية، ولن يستطيعوا إثباتها حتى ولو اجتمعت الإنس والجن لذلك وكان بعضهم لبعضٍ ظهيراً.

ولنا في نقد استدلالهم بهذه الآية على الإمامة النصية بل وجعلها مرتبة أعلى وأجل من النبوة والرسالة عدة وقفات:

الوقفة الأولى: لا يصلح الاستدلال بالمشابهات في إثبات العقائد!

فإن الآية الكريمة ليست محكمة وقطعية بحيث لا يختلف فيها إثبات بل وقع في كل جزئية منها خلاف كبير دوّنته كتب التفسير على اختلافها واختلاف مشارب واتجاهات كاتبها. وقد عرّف الطوسي المحكم والمتشابه بقوله: (فالمحكم هو ما علم المراد بظاهره من غير قرينة تقترن إليه ولا دلالة تدل على المراد به لوضوحه، نحو قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ لأنه لا يحتاج في معرفة المراد به إلى دليل. والمتشابه: ما لا يعلم المراد بظاهره حتى يقترن به ما يدل على المراد منه. نحو قوله ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ فإنه يفارق قوله ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ لأنّ إضلال السامري قبيح، وإضلال الله بمعنى حكمه بأنّ العبد ضال ليس قبيح بل هو حسن^(١).

فالخوض في التشابهات زلة ومهلكة، وأداة للخلاف يتسع بها إلى حيث يشاء الله، (فإن أكثر الاختلافات الواقعة في الفروع^(١) إنما نشأت من الخوض في التشابهات التي يضطر الناظر فيها إلى الاستمداد بالرأي المتلون السيال الذي لا يقف على حد ولا على حال) على حد قول الشيخ عبد الله الجزائري في التحفة السنوية ص ٦.

وإنما سبيل المؤمن البصير في التعامل مع الآيات المتشابهات أن يسلك فيها القاعدة الشرعية الأصيلة القائلة: (إن الآيات المتشابهات إذا وردت وجب ردها إلى الآيات المحكمات)^(٢).

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران: ٧]، (فإنه يُعلم منها: أن التشابهات مستمسك أهل الفتنة، دون أهل الفهم والعلم والمعارف والمحققين مثلاً)^(٣).

فإن عاند معاند وشاغب مشاغب، زاعماً أن الآية صريحة وقطعية في الدلالة على الإمامة التي اصطلحت عليها الشيعة الإثني عشرية مخالفة بذلك جميع طوائف المسلمين ألزمناه باحدى الاحتمالات التفسيرية القوية للإمامة المذكورة في الآية، والتي لن يجد في دفعها وإثبات بطلانها مستنداً سوى الهذيان والافتراضات الواهية!

فإن تفسير الإمامة المذكورة في الآية بكونها إمامة النبوة لا يُقارن أبداً بدعوى الشيعة الإثني عشرية الظنية، وإليك بيان هذه الأدلة:

أولاً: إن دعوى نيل نبي الإمامة بعد أن لم تكن عنده دعوى فاسدة كاسدة لا تليق بالأنبياء، فالأنبياء هم أئمة لأقوامهم يأتمون بهم في كل ما يأمرون به وينهون عنه، ومن المحال أن يُراد

١- إذا كان هذا حال الفروع وأثرها أقل بكثير من أصول الدين فكيف بالأصول والعقائد؟!

٢- حقائق التأويل للشريف الرضي ص ٢٧٧

٣- تحريرات في الأصول لمصطفى الخميني ٦/ ٣٣٢

بالإمامة هنا وجوب الاتباع لأن كل نبي لا بد أن يكون مطاعاً كما قال الله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤].

فكل رسول إمام ولا بد - وإلا كيف كان رسولاً؟ - وليس كل إمام رسولاً.

فالإمام وصف لازم للرسالة وليست شيئاً خارجاً عنها حتى يصح القول بأن الرسول يمكن أن يتدرج به الحال فيكون رسولاً أول الأمر ثم يكون من بعد إماماً أو لا يكون. إذ بمجرد أن يكون العبد رسولاً يكون إماماً لأن الإمامة من الأوصاف اللازمة للرسالة.

وذلك كقوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ [الأحزاب: ٤٥ - ٤٦].

فإن الشاهد والمبشر والنذير والداعي والسراج المنير ليست مناصب مستقلة عن النبوة، وإنما هي أوصاف لازمة لكل رسول، فإذا كان النبي كذلك كان إماماً ولا بد. ولذلك فرق الله تعالى بين داود وإبراهيم عليهما السلام في الخطاب.

فقال لداود عليه السلام ﴿يَنْدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦] بينما قال لإبراهيم عليه السلام ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، لأن داود عليه السلام كان خليفة وحاكماً متصرفاً، وإبراهيم عليه السلام لم يكن كذلك.

ولا بأس بالاستئناس بكلام للمحقق الأردبيلي - وهو من كبار علماء الشيعة الإثني عشرية - في شرحه لقوله تعالى ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۗ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ يذهب فيه إلى أن الإمامة المذكورة لغوية لا اصطلاحية حيث يقول: (والإمام: المقتدى به

في أفعاله وأقواله، وهو أحد معنيي الإمام في مجمع البيان وفي الكشاف هو اسم لمن يؤتم به كالإزار لما يؤتزر به، يعني يأتون بك في دينهم^(١).

وهذا يكون قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ جملة مفسرة للجملة السابقة وهي قوله تعالى ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ فتكون إمامة النبوة هي إحدى تلك الابتلاءات التي ابتلي بها ثم تتابعت بقية الابتلاءات كبناء البيت العتيق وذبح ولده والصبر على إلقاءه بالنار وغيرها.

ولا عجب في هذا، فإنَّ الابتلاء كما يكون بالضرأ فإنه يكون بالسراء كذلك.

ثانياً: أن الله تعالى قد قال في كتابه الكريم واصفاً الإمامة التي نالها إبراهيم عليه السلام وذريته من بعده ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [العنكبوت: ٢٧] ولم يقل (الإمامة والكتاب)، وهذه قرينة قوية قد تصلح لتفسير الآية.

ومن غير المعقول أن يكون لدى هؤلاء الأنبياء ما هو أعظم من النبوة (أي الإمامة في المنظور الشيعي الإثني عشري) ثم لا يذكرون بها.

وقد ذكر الشيخ عبد الله دشتي - وهو من علماء الشيعة المعاصرين - في كتابه (الإمامة في جذورها القرآنية) ما يؤكد المعنى الذي ذهبنا له في تفسير الإمامة بإمامة النبوة من دون أن يشعر بذلك إذ يقول: (ومن الآيات التي صرحت في اختيار الله الأنبياء من ذرية إبراهيم عليه السلام قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾) ومثله قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾. والواضح أن الذين أوتوا الكتاب هم من المحسنين من ذريته. وأما المنطلق

الذي يذكره القرآن لانتقال تلك الإمامة إلى ذرية إبراهيم عليه السلام فتتضح من قوله تعالى ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۗ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۗ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة: ١٢٤]، حيث دعا إبراهيم ربه لتكون الإمامة في عقبه وذريته، وقد قبل الله تعالى ذلك وبيّن له اختصاصها بغير الظالمين منهم، وقد صرح القرآن بانقسام ذريته إلى محسن وظالم في قوله تعالى ﴿وَدَثَرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٣﴾ وَبَرَكَتْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٢﴾﴾ [الصافات: ١١٢ - ١١٣]، بل إن الله تعالى قد صرح بأن الأمر باقٍ في عقبه بقوله ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾ [الزخرف: ٢٨] (١).

فلاحظ هذا النسيج المترابط بين دعوة إبراهيم عليه السلام ربه عز وجل أن تكون الإمامة في ذريته وإجابة الله تعالى له بأنه لن ينالها الظالمون من ذريته وإنما سينالهم المستحقون لها ثم إشارة الله تعالى إلى مباركته على إبراهيم عليه السلام واصطفاه جملة من ذريته بالنبوة والكتاب.

ولاحظ هذا التجانس العجيب بين قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۗ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ وبين قوله عن ذريته ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ فالجعل في الآيتين واحد والإجابة على طلب إبراهيم عليه السلام في جعل الإمامة في ذريته كان بالنبوة!

قال الإمام ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾: (فكل نبي أرسله الله وكل كتاب أنزله الله بعد إبراهيم ففي ذريته صلوات الله وسلامه عليه) (١).

بل تأمل وصف الله تعالى لإسحاق ويعقوب عليهما السلام بالإمامة في قوله ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۗ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿١١٣﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ ۗ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا

١- الإمامة في جذورها القرآنية ص ٥٠-٥١

٢- تفسير القرآن العظيم ١/ ٢٢٧

إِلَيْهِمْ فَعَلَّ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ﴿٧٢﴾ [الأنبياء: ٧٢ - ٧٣] وتكراره الحديث عنهم في سورة مريم باستبدال كلمة (الإمامة) بكلمة (النبوة) حيث يقول عز من قائل ﴿فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۗ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾﴾ [مريم: ٤٩] فإنه مُشعرٌ بأن الإمامة المذكورة هي إمامة النبوة، فهناك نصٌّ على أنهم أئمة يُوحي إليهم وهنا نصٌّ على كونهم أنبياء.

ومما يزيد هذا كله بياناً ما ورد في سورة الأنعام في ذكر إبراهيم عليه السلام وذريته حيث ترى بجلاء أن الإمامة التي جعلت في ذرية إبراهيم هي إمامة النبوة حيث يقول تعالى ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٧﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۗ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۗ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۗ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۗ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَأَيُّوبَ ۗ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ ۗ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٩١﴾ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۗ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۗ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَتُّوْلَآءٍ ۗ فَفَقَدُوا مَا كَانُوا يَلْسُوْنَ بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام: ٨٣ - ٨٩].

فقد ختم الله تعالى الحديث عنهم بقوله ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾^(١) ولو كانت الإمامة مرتبة فوق النبوة وقد نالها إبراهيم عليه السلام وذريته المعصومين من بعده (١) لذكروا بهذا الوصف، فإنَّ الأسماء المذكورة في الآية كلها أسماء أنبياء معصومين! وإزاء ذلك لم يجد عالماً كبيراً من علماء الشيعة الإثني عشرية كآية الله العظمى محمد باقر الصدر سوى الاعتراف بأنَّ الإمامة المذكورة في حق الأنبياء في الآيات هي إمامة النبوة.

يقول محمد باقر الصدر في كتابه (الإسلام يقود الحياة): (والإمامة ظاهرة ربانية ثابتة على مر التاريخ وقد اتخذت شكلين ربانيين: أحدهما شكل النبوة التابعة لرسالة النبي القائد فقد كان في كثير من الأحيان يخلف النبي الرسول أنبياء غير مرسلين يكلفون بحماية الرسالة القائمة ومواصلة حملها. وهؤلاء أنبياء يوحى إليهم، وهم أئمة بمعنى أنهم أوصياء على الرسالة وليسوا أصحاب رسالة ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾^ط وكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عِبْدِينَ ﴿٧٧﴾، ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾^ط وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٧٨﴾ والشكل الآخر هو الوصاية بدون نبوة وهذا هو الشكل الذي اتخذته رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأمر من الله تعالى فعين أوصيائه الإثني عشر...^(٢)).

وهو اعتراف صريح من هذا العالم الشيعي الكبير بأنَّ الإمامة في الآيات محمولة على معنى النبوة، فالأنبياء الذين نص الله تعالى على إمامتهم هم أنبياء يجرسون رسالة من سبقهم ويدعون

١- لا عن الشرك والظلم والكبائر والصغائر فحسب بل عن منزهون في معتقد الشيعة الإثني عشرية عن الخطأ البشري والسهو والنسيان، ومع ذلك لم يُذكر في حقهم أنهم نالوا مرتبة فوق النبوة وفقاً لنظرة الشيعة الإثني عشرية لقوله تعالى ﴿لَا يَبَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٣).

٢- الإسلام يقود الحياة ص ١٩٦-١٩٧

إليها، وأن الإمامة بالمعنى الذي يفهمه الشيعة الإثني عشرية خاصة بأئمة أهل البيت الإثني عشر لا غيرهم.

وقد سبقه إلى هذا مير علي الخائري الطهراني في تفسيره لقوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٢] إذ يقول: (والمراد بهذه الإمامة النبوة)^(١).

ثالثاً: هناك من علماء الشيعة الإثني عشرية من أذعن للحق فصدع به مبيناً أن الإمامة في الآية الكريمة هي النبوة أو الرسالة صراحة أو ضمناً، ومن هؤلاء:

*المحقق الحلي حيث يقول في كتابه (المسلك في أصول الدين) عن عصمة النبي: (وأما قبل النبوة فهو معصوم عن تعمد المعصية صغيرة كانت أو كبيرة، ويدل عليه من القرآن قوله ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾).

ويقول في (الرسالة الماتعية): (وإذا عرفت أن الأنبياء نصبوا لإرشاد الخلق، وجب أن يكونوا معصومين من الذنوب كبيرها وصغيرها لأنهم قدوة الخلق، فلو جاز وقوع الخطأ منهم لحمل ذلك على أتباعهم فيه. ويدل على ذلك من القرآن قوله تعالى ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾)^(٢).

رابعاً: أن دعوى تقدم الابتلاء على الإمامة وأنها حصلت كجزاء على النجاح في الابتلاء لا يستقيم لغة، فإنه لو كان الأمر كذلك لقال الله عز وجل (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن فقال إني جاعلك للناس إماماً) فيؤتى بالفاء كرابطة ليكون ما قبلها (وهو الابتلاء) سبباً لما بعدها (وهي الإمامة)، وبعد وجود (الفاء) يترجح كون العبارة تفسيراً وليس جزءاً لما قبلها.

ومما يؤيد ذلك أن الجملة إذا جاءت جزءاً لجملة تقدمت عليها، ولم تتأخر عنها.

١- مقتنيات الدرر ١٧٢/٧

٢- المسلك في أصول الدين ص ويليه الرسالة الماتعية ص ٣٠٣-٣٠٤

أما إذا تأخرت عنها فهي سبب أو تفسير لما قبلها.

فالجملتان المتأخرتا التفسيرية كقوله تعالى ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحْنَهَا﴾ ﴿٤٤﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٤٥﴾ [النازعات: ٣٠ - ٣١]، فجملة (أخرج) تفسير لجملة (دحاها).

وأما السببية فكقوله تعالى ﴿خُدُوهُ فَغُلُوهُ﴾ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٦٨﴾ لماذا؟ ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٦٩﴾ وَلَا يَخْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٧٠﴾ [الحاقة: ٣٠ - ٣٤].

فجملة ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ سبب لما قبلها من قوله ﴿خُدُوهُ فَغُلُوهُ﴾، فالجملة الجزائية تتقدم على الجملة السببية.

فتأخير قوله ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ مع انعدام حرف (الفاء) يضعف كونها جزءاً لما قبلها، وأن ما قبلها سبب لها^(١).

خامساً: أن تفسيرنا للإمامة في الآية بأنها النبوة لا يتعارض مع كون إبراهيم عليه السلام نبياً قبل هذا البلاغ، لاحتمالين اثنين لا يخرج الحق منهما إن شاء الله تعالى:

الاحتمال الأول: أن يكون المراد أنه عليه السلام كان نبياً مكلماً يدعو إلى الله تعالى لكنه لم يكن مأموراً إذ ذاك بالبلاغ العام كحال نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم قبل نزول قوله تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ﴿٢١٤﴾ [الشعراء: ٢١٤] فكان إخبار الله تعالى بأنه سيجعله إماماً للناس يأتون به في أمر دينهم ودنياهم كنحو أمر الله تعالى نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بإنذار قومه وبالتصدي للدعوة جهرة بعد كانت خفية مرهونة بأشخاص محددين.

الاحتمال الثاني: أن يقال إنه عليه السلام كان نبياً مكلماً يأتى به قومه الذين بُعث فيهم فوسَّع الله تعالى دائرة إمامته بهذا الخطاب بحيث شملت من بُعث فيهم ومن آمن برسالته إلى يوم القيامة،

١- المنهج القرآني الفاصل بين أصول الحق وأصول الباطل ص

فقال عليه السلام شرف الإمامة لمن بعده في مسائل عدة كالتوحيد^(١) والولاء البراء^(٢) وإمامة الحج^(٣) وبعض السنن النبوية التي شرعها لقومه ولجميع من جاء بعده كسنن الفطرة المعروفة^(٤).

١- سيأتي الحديث عنه في (الوقف الثانية)

٢- كما قال تعالى في سورة الممتحنة آية ٤-٦ ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ۗ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۗ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۗ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۖ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾﴾.

٣- كما قال تعالى في سورة الحج آية ٢٧ ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾، فلا يُذكر الحج إلا ويُذكر إبراهيم عليه السلام فهو الرفع لقواعد بيت الله والمؤذن للحج ليأتى الناس كلهم به في مناسكهم فكان أول من أتم به هو ابنه إساعيل عليه السلام ثم الناس جميعاً كما قال تعالى في سورة البقرة آية ١٢٧-١٢٩ ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۗ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۗ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۗ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ وسورة إبراهيم آية ٣٥-٤٠ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۗ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۗ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمُ مَا تُخْفِي وَمَا تُخْفِي ۗ وَمَا تَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ۗ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۗ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾﴾.

٤- فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (خمس من الفطرة: الختان والاستحداد وتقليم الأظفار ونتف الإبط وقص الشارب) وهي سنن إبراهيم عليه السلام العتيقة التي سنها للناس.

الوقفه الثانية: لقد عدد آية الله العظمى المنتظري في كتابه (نظام الحكم في الإسلام ص ١٠٩) الشروط الواجب توفرها بالخليفة فذكر ثمانية اتفق الفقهاء عليها وستة أخرى اختلفوا فيها. لكن الملفت للنظر هو استشهاد هذا المرجع الشيعي الكبير بقوله تعالى ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ على اشتراط (العدالة) في إمام المسلمين، بينما تكلم عن اشتراط (العصمة) في الإمام دون استشهاد ولا إشارة إلى هذه الآية الكريمة مكتفياً ببعض الروايات الشيعية الدالة على اشتراط العصمة!

يقول المنتظري: (٣- العدالة، فلا ولاية للظالم والفاسق على المسلمين، ويدل عليه مضافاً إلى حكم العقل، الآيات والروايات الكثيرة:

١ - قال تعالى ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۗ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۗ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۗ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ فكل ما يخالف الحق يصحح أن يطلق عليه الظلم، فكل فاسق ظالم، وكل منحرف عن الحق كذلك (١).

وغير خافٍ عنك أن استشهاد المنتظري بهذه الآية على شرط العدالة دون العصمة دالٌّ على اعتقاده بأن الآية ليست بدالة على اشتراط العصمة في إمام المسلمين، وكفى بذلك إلزاماً للمتعصبين.

أما آية الله الشيخ محمد آصف المحسني فقد أعلن بكل صراحة أن الشرط الذي تضمنته الآية بيقين هو العدالة وليس العصمة فيقول في كتابه (صراط الحق في أصول الدين) عند كلامه عن الآية: (لكن القدر المتيقن من دلالة الآية الكريمة هو اشتراط العدالة في الإمام من أول عمره إلى

آخره، إذ العدالة تكفي لأن يصدق عليه أنه غير ظالم، ولذا لا يصدق على الأخيار وأفاضل العلماء الأبرار أنهم ظالمون صدقاً عرفياً، وكلام الله أيضاً منزل على فهمهم^(١).

الوقفه الثالثة: الآية ذكرت منقبة لإبراهيم عليه السلام فقلبها الشيعة الإثني عشرية إلى منقصة! لقد ادعى الشيعة الإثني عشرية بأن في الآية دلالة صريحة على كون الإمامة أعظم من النبوة. وفي هذا يقول آية الله العظمى كاظم الحائري في كتابه (الإمامة وقيادة المجتمع): (إن الذي يبدو من الروايات أن مقام الإمامة فوق المقامات الأخرى - ما عدا مقام الربوبية طبعاً التي يمكن أن يصل إليها إنسان) ويقول في موضع آخر: (فمقام الإمامة - إذن - فوق مقام النبوة)^(٢). وهو ما يؤكد آية الله ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره (الأمثل) بقوله: (فمنزلة الإمامة أفضل مما ذكر، بل أسمى من النبوة والرسالة)^(٣)!

ومما يزيده هذه تقارير بياناً ما رواه الكليني في الكافي عن الإمام جعفر بن محمد أنه قال: (إن الله تبارك وتعالى اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبياً، وإن الله اتخذ نبياً قبل أن يتخذه رسولاً، وإن الله اتخذ رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً، وإن الله اتخذ خليلاً قبل أن يجعله إماماً، فلما جمع له الأشياء قال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، قال: فمن عظمها في عين إبراهيم قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾، قال: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، قال: لا يكون السفهه إمام التقي)^(٤).

١- صراط الحق في أصول الدين ٣/ ٩٧

٢- الإمامة وقيادة المجتمع ص ٢٦ و ٢٩

٣- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ١/ ٣٧٢

٤- الكافي - كتاب الحجّة - باب (طبقات الأنبياء والرسل والأئمة عليهم السلام) - رواية رقم (٢).

وهنا إشكال لطيف يرد على دعوى الشيعة الإثني عشرية أن إبراهيم عليه السلام كان نبياً ثم ارتقى فصار رسولاً ثم ارتقى فصار إماماً، وهو إشكال لا يتنبه له إلا من فتح الله تعالى على قلبه وبصره^(١).

فبتأمل الفرق بين الإمام والنبى والرسول والذي ورد بروايات شيعية عن الأئمة المعصومين في معتقد الإمامية، نلاحظ مفارقة عظيمة بين الارتقاء المزعوم في حق إبراهيم عليه السلام وبين ما ينص عليه الأئمة المعصومين!

فقد روى الكليني عن إسماعيل بن مزار قال: كتب الحسن بن العباس المعروف في إلى الرضا عليه السلام: جعلت فداك، أخبرني ما الفرق بين الرسول والنبى والإمام؟ قال: فكتب أو قال: الفرق بين الرسول والنبى والإمام أن الرسول الذي ينزل عليه جبرئيل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي وربما رأى في منامه نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام، والنبى ربما سمع الكلام وربما رأى الشخص ولم يسمع، والإمام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص^(٢).

وروى محمد بن الحسن الصفار عن بريد العجلي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الرسول والنبى والمحدث، قال: الرسول الذى تأتبه الملائكة ويعاينهم وتبلغه عن الله تبارك وتعالى، والنبى الذى يرى في منامه فهو كما رأى، والمحدث الذى يسمع كلام الملائكة وينقر في أذنه وينكت في قلبه).

وعنه عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزوجل ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا

﴿قلت: ما هو الرسول من النبى؟ قال: النبى هو الذى يرى في منامه ويسمع الصوت ولا

١- حدثني عنه الأخ الفاضل عبد الملك الشافعي في احدى لقاءاتي معه.

٢- الكافي ١/ ١٧٦ - كتاب الحجّة - (باب الفرق بين الرسول والنبى والمحدث) - حديث رقم (٢).

يعاين الملك، والرسول يعاين الملك ويكلمه، قلت: فالإمام ما منزلته؟ قال: يسمع الصوت ولا يرى ولا يعاين...^(١) والروايات في هذا كثيرة^(٢).

فوفقاً لهذه الروايات فإنّ الفرق بين الرسول والنبي والإمام أنّ الرسول يرى الملك ويكلمه وربما رأى في منامه أحياناً وأنّ النبي يسمع صوت الملك لكنه لا يراه في أغلب الأحوال^(٣) وربما رأى في منامه أحياناً أما الإمام فإنه يسمع صوت الملك لكنه لا يراه ولا يعاينه أبداً! فعلى دعوى الشيعة الإثني عشرية بأنّ إبراهيم عليه السلام كان نبياً رسولاً ثم صار إماماً فإنّ ذلك يعني أنّ إبراهيم عليه السلام كان نبياً يرى في منامه ويسمع كلام الملك، ثم ارتقى إلى منصب أعلى وأسمى وهو الرسالة فصار يرى في منامه ويسمع كلام الملك ويراه عياناً، ثم ارتقى إلى منصب أعلى وأسمى - على دعوى الشيعة بأنّ الإمامة أعلى وأسمى من النبوة والرسالة - فصار يسمع كلام الملك ولا يرى في منامه ولا يرى الملك!!

فهل كانت الإمامة بالنسبة لإبراهيم عليه السلام ارتقاء - كما يزعم الشيعة الإثني عشرية - أم أنها صارت انحذاراً إلى مرتبة فقد بسببها إبراهيم عليه السلام مزيتين في الفضل كانتا له وهما (رؤية الملك عياناً والرؤية في المنام) كما نصت على ذلك الروايات الشيعية؟!

إنّ هذا التساؤل المحير الذي لا يعرف له العقلاء جواباً، قد حير أيضاً آية الله الشيخ محمد آصف محسني إذ يصرّح في كتابه (مشرعة بحار الأنوار) في معرض حديثه عن إمامة إبراهيم عليه السلام بهذا قائلًا: (... لكن في الروايات الواردة في حق الإمام أنه يسمع الصوت ولا يرى الشخص، والرسول يرى الشخص، فاعطاء الإمامة بهذا المعنى لا يمكن للرسول. وهذا السؤال

١- الروايتان من بصائر الدرجات للصفار - باب في الفرق بين الأنبياء والرسول والأئمة عليهم السلام -

رواية رقم (١) و(٢).

٢- انظر: الكافي ١/١٧٦ وبحار الأنوار وغيرها

٣- ففي رواية الكافي المذكورة آنفاً أنّ النبي (ربما رأى الشخص ولم يسمع).

ذكرناه في الجزء الثالث من صراط الحق الذي أَلْفَنَاهُ في أيام شبابنا في النجف الأشرف ولم أفز على جوابه لحد الآن، وما أوتينا من العلم إلا أقل من القليل^(١).

الوقففة الرابعة: لقد ادّعى الشيعة الإثني عشرية أنّ الإمامة التي هي (قيادة المجتمع) هي منزلة أعظم من النبوة، ونسبوا إلى الإمام الصادق قوله: (إنّ الله تبارك وتعالى اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبياً، وإنّ الله اتخذ نبياً قبل أن يتخذه رسولاً، وإنّ الله اتخذ رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً، وإنّ الله اتخذ خليلاً قبل أن يجعله إماماً، فلما جمع له الأشياء قال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، قال: فمن عظمها في عين إبراهيم قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾^(٢)، وهم لأجل هذه الإمامة المعظمة والمصروفة عن آل البيت قد أقاموا الدنيا ولم يقعدوها، وكفروا لأجل ذلك الصحابة ومن والاهم^(٣)، بينما نجد أنّ الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه نفسه يشبه الإمامة التي يفضلونها على النبوة بـ(النعال) كما في الخطبة رقم (٣٣) من (نهج البلاغة) والتي يقول فيها عبد الله بن عباس: (دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذئ قار وهو يخصف نعله، فقال لي: ما قيمة هذا النعل؟ فقلت: لا قيمة لها، فقال عليه السلام: والله لهي أحب إلي من إمرتكم إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً).

بل شبهها بـ(عفطة عنز!) إذ يقول في الخطبة الشقشقية في معرض تحسره على الخلافة^(٤): (أما والذي فلق الحبة. وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود الناصر. وما أخذ الله على

١- مشرعة بحار الأنوار ١ / ٢٧١

٢- تقدم تخريجه

٣- كما سبق بيانه تحت عنوان (المرجعيات ولغة التكفير) فراجع.

٤- يرى علماء أهل السنة كذب هذه الخطبة سنداً وامتناً، إذ ليس لها إسناد صحيح ولا حتى عند الشيعة الإثني عشرية أنفسهم! وأما المتن ففيه من النكارة ما فيه، لكنها من الخطب الشهيرة التي اعتقد صحتها الشيعة الإثني عشرية جيلاً بعد جيل، ولذلك صح الاستشهاد بها كدليل ملزم.

العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم. لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها. ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز).

يقول المرتضى في (الرسائل ٢/ ١١٣): (والعرب تقول: عفطت الناقة تعفط عفطاً وعفيطاً وعفطاناً فهي عافطة، وهو نثرها بأنفها كما ينثر الحمار. ويقال: عفطت ضرطت. وكلا من المعنيين تحتملها اللفظة في هذا الموضع).

فكيف عظمت الإمامة في عين إبراهيم عليه السلام وحقرت في عين علي بن أبي طالب رضي الله عنه؟!

وكيف تكون المنزلة التي هي أدنى من النعل أو عفطة العنز هي تلك المنزلة التي يراها الإمامية أنها أعظم من النبوة؟!

الوقفه الخامسة: ما المراد بالظلم في الآية الكريمة؟ وهل الخطيئة مانعة من نيل الإمامة؟ لقد اشترط أرباب الشيعة الإثني عشرية للإمامة أن لا يقع من الإنسان ذنب ولو لبرهة من حياته وإن تاب وأصلح! وجعلوا الذنب والخطأ مانعاً من الإمامة، وبتدبير يسير للكتاب والسنة النبوية نلاحظ أن الحق بخلاف ما ذهبوا إليه.

فهذا آدم عليه السلام قد وقع في الخطيئة كما قال الله تعالى ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [البقرة: ٣٥].

فالأكل من الشجرة يجعل الأكل من الظالمين كما نصت على ذلك الآية وكما نص الله تعالى على ذلك بقوله ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٢١﴾﴾ [طه: ١٢١]، وقد أكل آدم عليه السلام منها ولذلك اعترف هو وحواء بوقوع الظلم منها فائلين ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].

فكيف على قواعد الإمامية يستقيم هذا مع إمامته، والنص على خلافته بقوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]؟!

فإن كل خليفة منصوص عليه شرعاً هو إمام شرعي واجب الاتباع ولا بد.

لقد نال آدم عليه السلام العهد لما تاب وأناب كما قال الله تعالى ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۗ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]، فهو ليس من الظالمين الذين لا يناهم عهد الله وإن صدرت منه خطيئة أعقبتها توبة.

ولذلك اصطفاه الله تعالى كما اصطفى غيره من الأنبياء والمرسلين لإمامة الناس فقال عز من قائل ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣].

وكذلك داود عليه السلام الذي صرح الله تعالى به (جعلته) خليفة في قوله ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦]، جاءت هذه الآية فيه بعد أن ذكر الله تعالى عنه ارتكاب الخطيئة.

فقد تحدثت الآيات عن قصة الخصمين اللذين تسورا عليه المحراب، وانتهت بقول الله تعالى ﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّهٗ فَأَسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَحَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۗ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ۗ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٢٥﴾﴾ [ص: ٢٤ - ٢٥].

قال الطوسي: (قال أصحابنا: كان موضع الخطيئة أنه قال للخصم ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ من غير أن يسأل خصمه عن دعواه، وفي آداب القضاء ألا يحكم بشيء ولا يقول حتى يسأل خصمه عن دعوى خصمه)^(١).

وكذلك سليمان عليه السلام، قال الله تعالى عنه ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ [ص: ٣٤-٣٥].

وقبلها ذكر الله تعالى قصة انشغاله بالخيال حتى فاتته صلاة العصر، وجاء في رواية لابن بابويه القمي عن الإمام جعفر الصادق أنه قال: إن سليمان بن داود عليه السلام عرض عليه ذات يوم بالعشي الخيل فاشتغل بالنظر إليها حتى توارت الشمس بالحجاب فقال للملائكة: ردوا الشمس عليّ حتى أصلي صلاتي في وقتها^(١).

فالتوبة بعد الخطيئة لا تحرم العبد من الفضل أو الفضيلة بل ترتفع فيه فيكون أقرب من الله عز وجل الذي ﴿مُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَمُحِبُّ الْمَتَّطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ولولا الذنب لما حصلت التوبة والتطهير الذي به ينال العبد حب الرب.

(ومن المعلوم أنه قد يكون التائب من الظلم أفضل ممن لم يقع منه، ومن اعتقد أن كل من لم يكفر ولم يُذنب أفضل من كل من آمن بعد كفره واهتدى بعد ضلاله وتاب بعد ذنوبه، فهو مخالف لما عُلم بالاضطرار من دين الإسلام، فمن المعلوم أن السابقين أفضل من أولادهم^(٢)، وهل يُشبهه أبناء المهاجرين والأنصار بأبائهم عاقل؟!)

١- من لا يحضره الفقيه ١/١٢٩ وراجع إن شئت أيضاً: تفسير التبيان للطوسي ٨/٥٦٠ وتفسير الصافي للفيض الكاشاني ٤/٢٩٨ وتفسير كنز الدقائق للعلامة المشهدي ١١/٢٣١-٢٣٤ وتفسير القمي

٢٣٤/٢

٢- مع أن أولادهم قد وُلدوا على الإسلام وتربوا عليه بينما السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار كانوا على الشرك ثم اعتنقوا الإسلام.

إنَّ أول ما يُبطل دعوى مفسري الشيعة الإثني عشرية بأنَّ المراد بـ(الظالمين) في الآية الكريمة مطلق من صدر عنه ظلم ما من شرك أو معصية وإن كان منه في برهة من عمره ثم تاب وأصلح، أنها دعوى بلا دليل.

إنَّ (الظالمين) جمع (ظالم) والظالم اسم للمتلبس بالظلم المقيم عليه أما من تاب وانخلع منه فلا يُسمى ظالماً وإلا لم يدخل أحد من التائبين الجنة لأنهم (ظالمون)، والله تعالى يقول ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨] وتوعدهم بالعذاب فقال ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩] ومثله في القرآن كثير.

فكيف يصح أن يُقال: (إنَّ المراد بالظالمين في هذه الآية مُطلق من صدر عنه ظلم ما من شرك أو معصية وإن كان في برهة من عمره ثم تاب وأصلح)؟! إذن كل المسلمين في النار!

إنَّ التائب من الذنب في شرعنا كمن لا ذنب له، والله تعالى يقول ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].

إنها ليست سوى محاولة يائسة لإخراج أبي بكر الصديق وغيره من الصحابة من شرف الإمامة واستحقاق الإمامة بدعوى أنهم كانوا مشركين فهم من (الظالمين) وإن تابوا وجاهدوا وضحوا من أجل الإسلام والمسلمين!

ولعله يكفي حجة على من يستدل بآية ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ على الإمامة، أن تذكره بقول الله تعالى عن نبيه إبراهيم عليه السلام ﴿وَوَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ۗ مُبِينٌ﴾ [الصافات: ١١٢-١١٣].

ففي هذه الآيات الكريبات إجابة واضحة على من يدعي أنَّ المراد من الآية مطلق الذنب!

فإن الله عز وجل ذكر في الآيات الكرييات أنه قد بارك على إبراهيم وإسحاق عليهما السلام ثم ذكر بأن من ذريتهما من هو محسن ومن هو ظالم لنفسه مبین، فأبي عاقل يستطيع الادعاء بأن المراد هو أن من ذريتهما من هو معصوم ومن هو كباقي الصالحين يعصي ويتوب!

بل المراد هو أن منهم من هو صالح عادل، ومنهم من هو طالح ظالم قد بان ظلمه وشركه. ودلائل ذلك كثيرة في بني إسرائيل الذين وُجد فيهم الصالحون المتقون، ووجد فيهم قتلة الأنبياء ومحرفو الكتب السماوية والمعاندون المكذبون لله ورسله.

فإذا علمت هذا كله، فاعلم أن المراد بقوله تعالى ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ أن لا ينال عهد الله تعالى مشرك.

وفي هذا يقول العلامة ابن قيم الجوزية: (وقال لإمامهم وشيخهم إبراهيم خليله ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿٣٤﴾ أي لا ينال عهدي بالإمامة مشرك، ولهذا أوصى نبيه محمداً أن يتبع ملة إبراهيم وكان يعلم أصحابه إذا أصبحوا أن يقولوا أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد وملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين، فملة إبراهيم التوحيد ودين محمد ما جاء به من عند الله قولاً وعملاً واعتقاداً، وكلمة الإخلاص هي شهادة أن لا إله إلا الله وفطرة الإسلام هي ما فطر الله عليه عباده من محبته وعبادته وحده لا شريك له والاستسلام له وعبودية وذللاً وانقياداً وإنابة) (١).

وهو ما نصت عليه روايات الشيعة الإثني عشرية أيضاً وتصريحات بعض علمائهم. روى محمد بن الحسن الصفار في (بصائر الدرجات) عن هشام بن سالم ودرست بن أبي منصور الواسطي عنهما عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أنهما قالوا: (الأنبياء والمرسلون على أربع طبقات) إلى أن قال: (وقد كان إبراهيم نبياً وليس بإمام حتى قال الله ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾

قَالَ وَمَنْ ذُرِّيَّتِي ﴿۱﴾ بأنه يكون في ولده كلهم ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ أي من عبد صنماً أو وثناً ﴿۱﴾.

وفي كتاب (الاحتجاج) للطبرسي في حديث طويل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال: (إذ كان الله قد حظر على من ماسه الكفر تقلد ما فوضه إلى أنبيائه وأوليائه، بقوله لإبراهيم ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ أي المشركين، لأنه سمى الظلم شركاً بقوله ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٢﴾ فلما علم إبراهيم عليه السلام أن عهد الله تبارك وتعالى اسمه بالامامة لا ينال عبدة الأصنام، قال ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ ﴿٣﴾).

وفي الأمالي للطوسي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أنا دعوة أبي إبراهيم. فقلنا: يا رسول الله، وكيف صرت دعوة أبيك إبراهيم؟ قال: أوحى الله عز وجل إلى إبراهيم إني جاعلك للناس إماماً، فاستخف إبراهيم الفرح، فقال: يا رب، ومن ذريتي أئمة مثلي؟ فأوحى الله عز وجل إليه أن يا إبراهيم، إني لا أعطيك عهداً لا أفي لك به. قال: يا رب، ما العهد الذي لا تنفي لي به؟ قال: لا أعطيك لظالم من ذريتك. قال: يا رب، ومن الظالم من ولدي الذي لا ينال عهدك؟ قال: من سجد لصنم من دوني لا أجعله إماماً أبداً، ولا يصح أن يكون إماماً. قال إبراهيم ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ ﴿٤﴾ رَبِّ إِنِّي أَخْلَلْتُ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ﴿٥﴾).

١- بصائر الدرجات للصفار ص ٣٩٣ (باب في الفرق بين الأنبياء والرسل والأئمة عليهم السلام ومعرفتهم و صفتهم) رواية رقم (٢٠) والكافي للكليني ١/ ١٧٤ (باب طبقات الأنبياء والرسل والأئمة عليهم السلام) رواية رقم (١)

٢- الاحتجاج للطبرسي ١/ ٣٧٣ و تفسير نور الثقلين للحويزي ٢/ ٥٤٦

٣- الأمالي للطوسي ص ٣٧٨-٣٧٩

وفي هذا يقول ابن شهر آشوب في (مناقب آل أبي طالب ١/ ٢١٣) ما نصه: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ فقال إبراهيم من عظم خطر الإمامة عنده ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ قال ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، وفي خبر إنه قال: ومن الظالم من ولدي؟ قال: من سجد لصنم من دوني، فقال إبراهيم ﴿وَأَجْبُنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾.

وقال الحافظ شمس الدين يحيى بن الحسن الأسدي الحلبي في كتابه (العمدة) ما نصه: (ونظيره في استحقاق الإمامة، لأنه يستحقها على طريق استحقاق النبي صلى الله عليه وآله للنبوّة سواء، بدليل قوله سبحانه وتعالى لإبراهيم عليه السلام ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ والظلم هاهنا هو الشرك، وحد الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، والمشرك قد وجه عبادته إلى غير مستحقها، وهو عبادة الأصنام، وهي غير مستحقة للعبادة)^(١).

وقال في (خصائص الوحي المبين): (وكذلك من عبد الأصنام من ولد إبراهيم عليه السلام لم ينف عنهم النسب، وإنما نفى عنهم استحقاق الإمامة على مقتضى نفي الوحي العزيز للإمامة عن من عبد الأصنام بدليل قوله تعالى ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾)^(٢).

وقال أيضاً: (فقال تعالى مجيباً له ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ وأراد بالظلم هنا عبادة الأصنام وأنّ من عبد الأصنام لا يكون إماماً ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عٰبِدِينَ﴾^(٣)).

١- العمدة ص ١٧٣

٢- خصائص الوحي المبين ص ١٣٧

وكل هذا يلتقي التقاء واضحاً مع ما نص عليه كتاب الله تعالى من اعتناء إبراهيم عليه السلام بقضية التوحيد ونبد الشرك بشكل خاص، فقد كان إبراهيم عليه السلام إمام الموحدين كلهم، ولذلك كان اليهود والنصارى يتنازعون إمامة إبراهيم عليه السلام لهم فقال لهم رب العالمين ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران: ٦٧ - ٦٨].

ولذا كثيراً ما ترى أنبياء الله يشيرون إلى إبراهيم عليه السلام وإلى ملته، في إشارة منهم إلى تلك الإمامة الدينية.

فهذا يوسف عليه السلام يقول لصاحبه في السجن ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [يوسف: ٣٨].

وهذا يعقوب عليه السلام وهو على فراش الموت يجمع بينه ليسألهم عن التوحيد اقتداءً بأبيه إبراهيم عليه السلام الذي جمعه وإخوته ليحضرهم على التمسك بالدين كما أخبر الله تعالى عنه بقوله ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ أَمْ

١- كانت الآية في الأصل (إنّ في هذا لبلاغاً لقوم يعقلون)، فلعل المؤلف قد وهم إذ لا وجود لمثل هذه الآية المزعومة في المصحف كله! فافتضى الأمر مني تعديل الآية كما هي في كتاب الله تعالى، والغريب أنه قد كررها في كتابه أربع مرات وفي مواضع متفرقة دون التنبيه لمثل هذا الخطأ الشنيع!

كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ
وَاللَّهَ ءَابَاءَنَا وَإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٠﴾ [البقرة: ١٣٠]
- [١٣٣].

وحتى محمد صلى الله عليه وآله وسلم مأمور من الله تعالى باتباع ملة إبراهيم عليه السلام إمام
التوحيد كما قال الله تعالى ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنْ
الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣].

فأين هذا كله مما يدعيه الشيعة الإثني عشرية في أن المراد بالظلم في الآية الكريمة هو الذنب؟!
ولماذا أغفلوا ما ترويه تفاسيرهم من كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإمامين الباقر
والصادق وهم يزعمون أنهم أتباع العترة الطاهرة والمدافعون عن تعاليمهم؟!
إنه الهوى وما يفعله في أصحابه!

آية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾

لعل من أبرز ما يستدل به علماء الشيعة على إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والنص عليه من الله هو قوله تعالى ﴿ وَيُؤْتُونَ الصَّلَاةَ يُقِيمُونَ الذِّكْرَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ وَرَسُولُهُ اللَّهُ وَلِيُّكُمْ إِنَّمَا رَاكِعُونَ وَهُمْ الزَّكَاةُ ﴾ [المائدة: ٥٥] حتى اشتهر تسميتها عند الشيعة الاثني عشرية باسم (آية الولاية).

ووجه استدلال الشيعة الاثني عشرية بالآية كما يقول الحلي (يتوقف على مقدمات:

أحدها أن لفظ (إنما) للحصر، وذلك معلوم عند أهل اللغة.

الثانية: أن المراد بالولي هنا المتصرف، والمستحق لوصف الأولى، وهو معلوم من أهل اللغة حيث يقال: فلان ولي المرأة لمن هو أولى بالعقد، ويصفون العصبية بأنهم أولياء الدم، لأنهم أولى بالمطالبة.

الثالث: أن المراد بذلك هو علي عليه السلام ويدل عليه وجوه:

أحدها: اتفاق المفسرين على أنها نزلت فيه عليه السلام.

الثاني: أنها تدل على ثبوت الإمامة لمن اجتمعت فيه صفة إتيان الزكاة حين الركوع ولم يتصف بذلك غير علي عليه السلام لما تصدق بخاتمته في صلاته حال الركوع بالإجماع.

الثالث: قد بينا أنها ليست عامة في حق المؤمنين كافة، وإلا لكان كل واحد ولي نفسه وهو محال

وكل من خصها ببعض المؤمنين قال: المراد بها علي عليه السلام^(١).

فما مدى صحة ما ذهبت إليه النظرية الإمامية الاثنا عشرية؟

المناقشة:

١- أنوار الملكوت في شرح الياقوت ٢٢٥-٢٢٦ وكشف المراد ص ٢٨٩ له، وإعلام الوري للطبرسي ص ١٦٨

قول الحلبي بأن المفسرين متفقون على أن الآية نزلت في علي بن أبي طالب^(١) يفتقد إلى الدقة على أقل أحواله، حيث لا اتفاق بين المفسرين على أن الآية نزلت في علي بن أبي طالب، ولو أن الحلبي قال: (قال بعضهم أنها نزلت فيه) لكان ذلك أدق وأصوب.

فقد ذكر القرطبي في تفسيره لآية أكثر من سبب نزول ولم يجزم بأن الآية نزلت في علي دون الآخرين ممن ذكرهم، بل ذكر القرطبي ما يوجب نفي أن تكون الآية قد نزلت في علي دون غيره بنقله رواية عن الإمام الباقر وقد سُئِلَ عن معنى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هل هو علي بن أبي طالب؟ فقال: علي من المؤمنين، يذهب إلى أن هذا لجميع المؤمنين^(٢).

وأما الرازي فقد ذكر عدة أقوال في سبب نزول الآية ثم تعرض إلى رواية التصديق بالخاتم فنفي صحتها لقرائن ودلائل كثيرة^(٣)، والحال كذلك في تفسير ابن كثير^(٤)، وقد ذكر البيضاوي في تفسيره القول بنزولها في علي بصيغة التمريض^(٥).

أما الطبري فذكر في تفسيره روايات تؤكد نزولها في عبادة بن الصامت كما سيأتي، وذكر كذلك ما روي أنها نزلت في الإمام علي، وقد عبر عن اختلاف العلماء في سبب نزول الآية بقوله (وأما قوله ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ فَإِنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ اختلفوا في المعنى به)^(٦)، وكذلك هو الحال في تفسير البغوي^(٧).

١- قال عبد الحسين شرف الدين الموسوي في المراجعات ص ٢٥٨ (على أن نزولها في علي مما أجمع عليه المفسرون)!!

٢- تفسير القرطبي ٦/٢٠٧-٢٠٩

٣- تفسير الرازي ١٢/٢٦-٢٧

٤- تفسير القرآن العظيم ٢/٩٨-١٠٠

٥- تفسير البيضاوي ٢/٣٤٠

٦- تفسير الطبري ٦/٢٨٨

وأما الواحدي فعلى ما عُرف عنه من عدم العناية بالحديث كحال الثعالبي وأبي السعود إلا أنه قد نقل في أسباب نزول الآية سببين مختلفين فقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ نزلت لما هجر اليهود من أسلم منهم فقال عبد الله بن سلام: يا رسول الله، إن قومنا قد هجرونا وأقسموا ألا يجالسونا فنزلت هذه الآية، فقال: رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين أولياء، وقوله ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ يعني صلاة التطوع^(١) وذكر سبباً ثانياً لنزول الآية وهو تصدق علي بن أبي طالب رضي الله عنه بخاتم من ذهب وهي رواية مردودة كما سيأتي.

وأما ابن الجوزي فقال في تفسيره زاد المسير: (اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال..). ثم ذكر الأقوال الأربعة^(٢).

وذكر الشوكاني في تفسير الآية قولين: الأول: أنها نزلت في عبادة بن الصامت، والثاني: أنها نزلت في علي بن أبي طالب دون ترجيح^(٣).

وفي هذا دلالة قاطعة على أن ادعاء إجماع أو اتفاق المفسرين على أنها نزلت في علي بن أبي طالب كذب على هؤلاء المفسرين.

وغاية ما ينقله علماء الشيعة الاثني عشرية عن المفسرين الذين تبنا الرأي في نزولها في علي بن أبي طالب دون غيره، فهو مذكور في تفسير الثعالبي^(٤) وأبي السعود وغيرهما.

١- تفسير البغوي ٤٧/٢

٢- تفسير الواحدي ٣٢٥ / ١

٣- زاد المسير ٣٨٢ / ٢

٤- فتح القدير ٥٣ / ٢

٥- ويُقال له الثعلبي على اختلاف العلماء في إطلاق التسميتين عليه.

والثعالبي وأبو السعود على فضلها وجلالة قدرهما لا خبرة لهما بالصحيح والسقيم من الأحاديث، ولذا كثر في تفسيريهما الروايات الضعيفة والموضوعة، فهما حاطبا ليل، لا يميزان بين الرطب واليابس.

والمتكلم والمفسر والمؤرخ ونحوهم إذا نقل نقلاً مجرداً بلا إسناد ثابت لم يُعتمد عليه حتى يأتي بإسناد الحديث فيُحكم عليه صحة وضعفاً.

ورواية تصدق الإمام علي بن أبي طالب بالخاتم المذكورة قد ناقشها كثير من العلماء، وحسبي أن أشير إلى ما ذكره في ذلك محقق تفسير القرطبي.

قال الشيخ عبد الرزاق المهدي عن الرواية (باطلة. أخرجها الطبراني كما في المجمع ١٧/٧ من حديث عمار بن ياسر، وقال الهيثمي: وفيه من لم أعرفهم. وأخرجها الواحدي ٣٩٧ بسنده عن ابن عباس، وفيها الكلبي متهم بالكذب، وكذا محمد بن مروان السدي الصغير، وأخرجها الطبراني ١٢٢١٥ عن السدي من قوله، وهذا معضل^(١)).

وقال أيضاً: (وكذلك أنّ الواحدي في روايته عن ابن عباس أنّ علياً تصدق بخاتمه الذي هو من ذهب. نعم هكذا ذكره في الأسباب ص ١٤٩ وهذا لا يكون. لأنّ الذهب حرام، والآية غير منسوخة حتى نقول كان في أول الإسلام، بل هي محكمة تتكلم عن توجيهات قرآنية لا عن أحكام فقهية.. وأيضاً في الآثار هذه أنّ الرجل صار يسأل الناس في المسجد والناس ما بين راعع وساجد، وهذا أيضاً يؤدي إلى رفع الصوت في المسجد، أو هو من باب إنشاد الضالة وغيره في المسجد، وهو منهي عنه^(٢)).

ويقول ابن كثير: (وليس يصح شيء منها بالكلية لضعف أسانيدها وجهالة رجالها)^(٣).

١- قاله في هامش ص ٢٠٨ من تفسير القرطبي ٦/٢٠٨

٢- هامش ص ٤٨٤ من الجزء الثاني لتفسير نظم الدرر للبقاعي بتحقيق عبد الرزاق المهدي.

٣- تفسير القرآن العظيم ٢/٩٩

على أن في رواية تصدق الإمام علي بخاتمه ما يدعو للعجب والاستغراب.

فالإمام علي كان فقيراً في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بالكاد يملك قوت يومه وكسوة أهله حتى اشتكت من ذلك فاطمة الزهراء عليها السلام كما هو معروف في كتب الشيعة الاثني عشرية قبل كتب أهل السنة، فمن أين بلغ ماله الحول حتى يخرج منه الزكاة؟! ثم إن الأصل في الزكاة أن يبدأ بها المزكي لا أن ينتظر الفقراء حتى يأتونه ويسألونه حقهم في ماله، وليس الإمام علي بالذي يحتفظ بالزكاة عنده ويحجزها عن فقراء المدينة أو عن أهل الصفة الذين سكنوا المسجد النبوي والذين يراهم ليلاً ونهاراً حين دخوله بيته وحين خروجه منه.

وقد سأل الإمام جعفر الصادق إسحاق بن عمار يوماً: يا إسحاق، كيف تصنع بزكاة مالك إذا حضرت؟ قال: يأتوني إلى المنزل فأعطيهم. فقال له: ما أراك يا إسحاق إلا قد أذلت المؤمنين، فإياك إياك، إن الله تعالى يقول (من أذل لي ولياً فقد أصد لي بالمحاربة)^(١).

أما أنا فأبرئ الإمام علياً أن يكون ممن يذل المؤمنين بحبسه الزكاة عنهم حتى يطلبوها هم.. وأبرئه من الانشغال عن الصلاة وهو الخاشع الطائع... وأبرئه من رواية كهذه لا تصح لا سنداً ولا تُعقل معني، وعليك أن تكون منصفاً وتنتصف للإمام علي من هذه الروايات التي تسيء له أكثر مما تمتدحه.

وفضائل علي بن أبي طالب كثيرة ومثله غني عن هذه الروايات السقيمة التي تضع صاحبها ولا ترفعه.

وبالمقابل وجدنا أن رواية عبادة بن الصامت التي أخرجها الطبري في تفسيره وغيره من المفسرين صحيحة السند، وبهذا يظهر كونها سبب نزول الآية الكريمة.

١- الأماي لشيخ الطائفة الطوسي ص ١٩٥ حديث رقم (٣٣٢) والأماي للمفيد ص ١٧٧ المجلس الثاني والعشرون - حديث رقم (٧).

وذلك أنه لما خانت بنو قينقاع الرسول صلى الله عليه وآله ذهبوا إلى عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وأرادوه أن يكون معهم فتركهم وعاداهم وتولى الله ورسوله، فأنزل الله تبارك وتعالى قوله ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿١﴾﴾ أي والحال أنهم خاضعون في كل شؤونهم لله تبارك وتعالى، ولذلك قال الله تبارك وتعالى في أول الآيات ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]. يعني عبد الله بن أبي بن سلول لأنه كان مالياً لبني قينقاع، ولما حصلت الخصومة بينهم وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم والاهم ونصرهم ووقف معهم وذهب إلى النبي صلى الله عليه وآله يشفع لهم، أما عبادة بن الصامت رضي الله عنه وأرضاه فإنه تبرأ منهم وتركهم فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ثم عقب تبارك وتعالى بذكر صفة المؤمنين وهو عبادة بن الصامت ومن سار على دربه ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

ومما يؤكد كونها نازلة في عبادة بن الصامت رضي الله عنه وفي المناق عبد الله بن أبي بن سلول وبني قينقاع سياق الآيات لمن تدبرها، فإنه تعالى قد قال ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١] فهذا نهي عن موالاته اليهود والنصارى.

ثم قال ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ خَشِيَ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدْمِينًا

﴿٢٧﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهْتُولَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ^١ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ^٢ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَسِرِينَ ﴿٢٨﴾ [المائدة: ٥٢ - ٥٣] فهذا وصف الذين في قلوبهم مرض، الذين يوالون الكفار كالمنافقين، ثم قال ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ^٣ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ مُّحِبِّهِمْ^٤ وَمُحِبُّوهُمْ^٥ أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ^٦ يُجَاهِدُونَ^٧ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ^٨ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ^٩ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ [المائدة: ٥٤] فذكر فعل المرتدين وأنهم لن يضرروا الله شيئاً، وذكر من يأتي به بدلهم، ثم قال ﴿إِنَّا وَلِيُّكُمْ^{١٠} اللَّهُ وَرَسُولُهُ^{١١} وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٣٠﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ^{١٢} وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٣١﴾ [المائدة: ٥٥ - ٥٦] فتضمن هذا الكلام ذكر أحوال من دخل في الإسلام من المنافقين، ومن يرتد عنه، وحال المؤمنين الثابتين عليه ظاهراً وباطناً^(١).

وتجدر الإشارة إلى أن الآية على فرض كونها قد نزلت في الإمام علي فإنه لا دلالة فيها على معنى الإمامة أو الإمارة.

فالولاية (بالفتح) المذكورة في الآية هي ضد العداوة، والاسم منها (مولى، وولي) بينا الولاية (بالكسر) تعني الإمارة، والاسم منها (والي، ومتولي)، والآية إنما ذكرت لفظ (ولي)، وفي هذا إثبات النصر والمحبة لا الإمارة، فكيف تُتجاهل هذه الحقيقة اللغوية هكذا بكل بساطة؟! فلفظ (الولي) تشترك فيه معان كثيرة... ولا يمكن أن يُراد من اللفظ المشترك معنى معين إلا بقرينة خارجية والقرينة هاهنا من السياق (يعني ما سبق هذه الآية) فهو مؤيد لمعنى الناصر لأن الكلام في تقوية قلوب المؤمنين وتسليتها، وإزالة الخوف عنها من المرتدين^(١).

١- مختصر المنهاج ٢/٦١٦

٢- مختصر التحفة ص ١٤٢

ولو كان المراد من الآية الإمارة لقال الله (إنما يتولى عليكم الله ورسوله والذين آمنوا) بدل ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ فإنه لا يُقال لمن ولي عليهم وال أنهم (تولوه) بل يُقال: (تولى عليهم)، وهذا ظاهر لمن يعرف العربية.

وتفسير قوله تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ﴾ بالإمارة لا يتفق مع وصف الله تعالى نفسه بأنه ولي المؤمنين، فإنَّ الله عز وجل لا يُوصف بأنه أمير المؤمنين على عباده أو خليفتهم أو أنه إمامهم!! لأنه سبحانه وتعالى خالقهم ورازقهم وربهم ومليكنهم، له الخلق والأمر، فالولاية هنا تعني النصره والمحبة، فإنَّ الله عز وجل يتولى عباده المؤمنين فيحبهم ويحبونه، ويرضى عنهم ويرضون عنه، وكذلك الحال في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي المؤمنين الذين عبّر الله عز وجل عنهم بـ (الذين آمنوا) سواء كان علي بن أبي طالب أو غيره.

فهذه هي الولاية المقصودة في الآية، ومن يأبى إلا الإصرار على أنها في الإمامة فنحن نطالبه بأن يستبدل لفظ (وليكم) بـ (إمامكم) أو (خليفتم) ويرينا هل يستقيم له المعنى.

وللألوسي كلام نفيس في هذا الموضوع يقول فيه: (وجه استدلال الشيعة بخبر (من كنت مولاه فعلى مولاه) أنّ المولى بمعنى الأولى بالتصرف وألوية التصرف عين الإمامة ولا يخفى أنّ أول اللفظ في هذا الاستدلال جعلهم المولى بمعنى الأولى، وقد أنكر ذلك أهل العربية قاطبة بل قالوا: لم يجيء مفعول بمعنى أفعل أصلاً ولم يجوز ذلك إلا أبو زيد اللغوي متمسكاً بقول أبي عبيدة في تفسير قوله تعالى ﴿هِيَ مَوْلَانِكُمْ﴾ أي أولى بكم، ورُدَّ بأنه يلزم عليه صحة (فلان مولى من فلان) كما يصح (فلان أولى من فلان) واللازم باطل إجماعاً، فالملزوم مثله، وتفسير أبي عبيدة بيان لحاصل المعنى يعنى النار مقرم ومصيركم والموضع اللائق بكم وليس نصاً في أنّ لفظ المولى ثمة بمعنى الأولى.

والثاني: لو سلمنا أنّ المولى بمعنى الأولى ليلزم أن يكون صلته بالتصرف بل يحتتمل أن يكون المراد أولى بالمحبة وأولى بالتعظيم ونحو ذلك، وكم جاء الأولى في كلام لا يصح معه تقدير

التصرف كقوله تعالى ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ
 ءَامَنُوا﴾ [آل عمران: ٦٨] على أن لنا قريبتين على أن المراد من الولاية من لفظ المولى أو الأولى
 بالمحبة إحداهما ما روينا عن محمد بن إسحاق في شكوى الذين كانوا مع الأمير كرم الله تعالى
 وجهه في اليمن كبريد الأسلمي وخالد بن الوليد وغيرهما ولم يمنع صلى الله عليه وآله وسلم
 الشاكين بخصوصهم مبالغة في طلب موالاته وتلطفاً في الدعوة إليها كما هو الغالب في شأنه صلى
 الله عليه وآله وسلم في مثل ذلك، وللتلطف المذكور افتتح الخطبة صلى الله عليه وآله وسلم بقوله
 (ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم)، وثانيهما قوله عليه الصلاة والسلام على ما في بعض الروايات
 (اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) فإنه لو كان المراد من (المولى) المتصرف في الأمور أو الأولى
 بالتصرف لقال عليه الصلاة والسلام (اللهم وال من كان في تصرفه وعاد من لم يكن كذلك)،
 فحيث ذكر صلى الله عليه وآله وسلم المحبة والعداوة فقد نبه على أن المقصود إيجاب محبته كرم الله
 تعالى وجهه والتحذير من عداوته وبغضه لا التصرف وعدمه، ولو كان المراد الخلافة لصرح صلى
 الله عليه وآله وسلم بها، ويدل لذلك ما رواه أبو نعيم عن الحسن المثنى بن الحسن السبط رضى الله
 تعالى عنهما أنهم سألوه عن هذا الخبر هل هو نص على خلافة الأمير كرم الله تعالى وجهه فقال:
 لو كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أراد خلافته لقال: (أيها الناس، هذا ولي أمرى والقائم
 عليكم بعدى فاسمعوا وأطيعوا) ثم قال الحسن: (أقسم بالله سبحانه أن الله تعالى ورسوله صلى الله
 عليه وآله وسلم لو آثرا علياً لأجل هذا الأمر، ولم يُقدّم علي كرم الله تعالى وجهه عليه، لكان أعظم
 الناس خطأً.

وأيضاً ربما يستدل على أن المراد بالولاية المحبة بأنه لم يقع التقييد بلفظ بعدي والظاهر حيثئذ
 اجتماع الولايتين في زمان واحد ولا يتصور الاجتماع على تقدير أن يكون المراد أولوية التصرف
 بخلاف ما إذا كان المراد المحبة، وتمسك الشيعة في إثبات أن المراد بالمولى الأولى بالتصرف باللفظ
 الواقع في صدر الخبر على إحدى الروايات وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم (ألست أولى

بالمؤمنين من أنفسهم)، ونحن نقول المراد من هذا أيضاً (الأولى بالمحبة) يعنى (ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم بالمحبة) بل قد يقال (الأولى) ههنا مشتق من الولاية بمعنى المحبة والمعنى (ألست أحب إلى المؤمنين من أنفسهم) ليحصل تلاؤم أجزاء الكلام ويحسن الانتظام ويكون حاصل المعنى هكذا (يا معشر المؤمنين إنكم تحبوننى أكثر من أنفسكم فمن يحبني يحب علياً، اللهم أحب من أحبه وعاد من عاداه).

ثم يقول: (ولو فرضنا كون الأولى في صدر الخبر بمعنى الأولى بالتصرف، فيحتمل أن يكون ذلك لتنبية المخاطبين بذلك الخطاب ليتوجهوا إلى سماع كلامه صلى الله عليه وآله وسلم كمال التوجه، ويلتفتوا إليه غاية الالتفات فيقرر ما فيه من الإرشاد أتم تقرر، وذلك وكما يقول الرجل لأبنائه في مقام الوعظ والنصيحة (ألست أباكم) وإذا اعترفوا بذلك يأمرهم بما قصده منهم ليقبلوا بحكم الأبوة والبنوة ويعملوا على طبقها فقله عليه الصلاة والسلام في هذا المقام (ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم) مثل (ألست رسول الله تعالى إليكم) أو (ألست نبيكم) ولا يمكن إجراء مثل ذلك فيما بعده تحصيلاً للمناسبة، ومن الشيعة من أورد دليلاً على نفي المحبة، وهو أن محبة الأمير كرم الله تعالى وجهه أمر ثابت في ضمن آية والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، فلو أفاد هذا الحديث ذلك المعنى كان لغواً، ولا يخفى فساده ومنشؤه أن المستدل لم يفهم أن إيجاب محبة أحد في ضمن العموم شيء وإيجاب محبته بالخصوص شيء آخر، والفرق بينهما مثل الشمس ظاهر، ومما يزيد ذلك ظهوراً أنه لو آمن شخص بجميع أنبياء الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام ولم يتعرض لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم بخصوصه بالذكر لم يكن إيمانه معتبراً.

وأيضاً لو فرضنا اتحاد مضمون الآية والخبر لا يلزم اللغو بل غاية ما يلزم التقرير والتأكيد وذلك وظيفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقد كان عليه الصلاة والسلام كثيراً ما يؤكد مضامين القرآن ويقررها بل القرآن نفسه قد تكررت فيه المضامين لذلك ولم يقل أحد إن ذلك من

اللغو والعياذ بالله تعالى، وأيضا التنصيص على إمامة الأمير كرم الله تعالى وجهه تكرر مراراً عند الشيعة فيلزم على تقدير صحة ذلك القول اللغوي ويجل كلام الشارع عنه^(١).

ولفظ الركوع المذكور في الآية يُراد به الخضوع كقوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨] والمراد أي اخضعوا واستسلموا لأمر الله تبارك وتعالى.

يقول الطبري (وأما تأويل - أي تفسير - الركوع فهو الخضوع لله بالطاعة، يُقال منه ركع فلان لكذا وكذا إذا خضع له، ومنه قول الشاعر:

بيعت بكسر - لتيم واستغاث بها
من الهزال أبوها بعدما ركعا
يعني: بعدما خضع من شدة الجهد والحاجة)^(٢).

وقال الراغب الأصفهاني (الركوع: الانحناء فتارة يُستعمل في الهيئة المخصوصة في الصلاة كما هي وتارة في التواضع والتذلل إما في العبادة وإما في غيرها)^(٣).

(وكانت العرب تُسمي من آمن بالله تعالى ولم يعبد الأوثان راعياً، ويقولون: ركع إلى الله أي اطمأن إليه خالصاً...)^(٤).

ولذلك ذكر الله عز وجل في الآية الركوع في حال الزكاة بعد ذكره لإقامة الصلاة مع أن الركوع إنما يكون في الصلاة لا الزكاة، ومن هنا ظهر أن المراد بأنهم يؤتون الزكاة وهم خاضعون مستسلمون لله، إذ المرء قد يشح عن أداء الزكاة ويستكثر أن يخرج من ماله للفقراء، والذي يخضع

١- تفسير روح المعاني ٦/ ١٩٥-١٩٩

٢- جامع البيان للطبري (تفسير قول الله تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ من سورة البقرة).

٣- المفردات في غريب القرآن ص ٢٠٢

٤- أساس البلاغة للزنجشري المعتزلي ١/ ٣٦٨

لله ويستسلم لأحكامه ويقبل بقلبه وبجوارحه على أدائها يكون حينئذ خاضعاً مستسلماً لله وهو المراد من الآية.

ويُضاف إلى هذا كله أنّ قول الحلي بأنّ (إنما) في الآية تفيد الحصر لن يخدم النظرية الإمامية أبداً. فالحصر كما يلزم أهل السنة من جهة إخراجهم أبا بكر وعمر وعثمان من استحقاق الخلافة ويحصر الاستحقاق في علي وحده، فالحصر كذلك يلزم الشيعة أيضاً.

فالأداة (إنما) إن أفادت الحصر فذلك يعني أحد أمرين: إما حصر الخلافة في علي فقط ونفي إمامة غيره حتى الأحد عشر الذين تنص عقيدة الشيعة على إمامتهم لأنّ الحصر لن يخرج أبا بكر وعمر وعثمان فقط ويدخل غيرهم وإنما يُخرج الجميع، وفي هذا بطلان إمامة كل من هم سوى الإمام علي بن أبي طالب، وهذا ما لا يطيقه أرباب النظرية الإمامية.

أو أنها تحصر الخلافة فيمن يؤدي الزكاة وهو راعع وهذا أعظم من الأول لأمرين اثنين وهما:

أ- يستطيع كل أحد أن يؤدي الزكاة وهو راعع فهل أهلية إمامة المسلمين مقيدة بهذا؟! هل كل من يؤدي الزكاة وهو راعع يستحق بمقتضى فعله هذا أن يكون خليفة للمسلمين؟!؟

ب- لم يثبت عن الأئمة الأحد عشر الباقين أنهم تصدقوا أو أدوا الزكاة وهم راععون، وفي ذلك نفي لإمامتهم، بل على فرض صحة الرواية في تصدق علي وهو راعع، فإننا نعلم أن التوافق بين كون الإمام علي يؤدي الصلاة وبين دخول الفقير إلى المسجد وطلبه الزكاة أمر لا يتكرر إلا بمحض الصدفة لا أن يتكرر لاثني عشر رجلاً إلا إذا قصد تعمد تكرار هذا المشهد!!

فالنص قد حُمِّل بالفعل أكثر مما يجتمل، معناه واضح جلي والسياق الذي أتى فيه أوضح، وسبب النزول المعروف في عبادة بن الصامت يزيده وضوحاً فلماذا لا نستسلم للحقيقة؟

آية التطهير وحديث الكساء

تعتبر آية التطهير من أهم أدلة الشيعة الإثني عشرية على عصمة الأئمة، بل أستطيع القول بأنها أهمها على الإطلاق.

فقد استدل علماء الشيعة الإثني عشرية بقول عز وجل ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١) في سورة الأحزاب آية ٣٣، وحديث الكساء الذي رواه مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم غداة وعليه مرطٌ مرحلٌ من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء عليٌّ فأدخله، ثم قال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١)).

وما رواه الترمذي عن عمر بن أبي سلمة - ربيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم - قال: (لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١) في بيت أم سلمة فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء، وعليٌّ خلف ظهره فجلله بكساءٍ ثم قال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً). قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنت على مكانك، وأنت على خير)^(١) على عصمة أصحاب الكساء وتنزيهم عن الذنوب صغيرها وكبيرها بل عن الخطأ والنسيان البشري!

١- صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة - باب (فضائل أهل بيت النبي) - حديث رقم (٢٤٢٤).

٢- جامع الترمذي - كتاب تفسير القرآن - باب (ومن سورة الأحزاب) - حديث رقم (٣٢٠٥) ثم قال: (هذا حديث غريب من هذا الوجه من حديث عطاء عن عمر بن أبي سلمة)، قلت: والحديث ضعيف السند لضعف (محمد بن سليمان بن عبد الله الأصبهاني)، فقد قال عنه أبو حاتم: لا بأس به، يكتب حديثه

ثم جعلوا من آية التطهير وحديث الكساء نقطة انطلاق للقول بعصمة باقي الأئمة الإثني عشر!

والغريب أنهم استبعدوا نسل الإمام الحسن من القول بالعصمة وكذا نسل الإمام الحسين سوى تسعة من أبناءه فقط، أثبتوا لهم العصمة ذاتها!

فما مدى دلالة آية التطهير وحديث الكساء على عصمة الأئمة الإثني عشر والزهراء فاطمة رضي الله عنها؟

المناقشة:

أولاً: حديث الكساء المذكور قد روي بعدة صيغ بعضها صحيح والآخر ضعيف، فروي عن جمع من الصحابة هم أم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين أم سلمة وأبو سعيد الخدري والبراء بن عازب وسعد بن أبي وقاص ووائللة وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم أجمعين إلا أنه لم ترد زيادة رفض النبي صلى الله عليه وآله وسلم إدخال أم سلمة في الكساء إلا في روايات أم سلمة وأبي سعيد الخدري فقط!

وعند تأمل الروايات الواردة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في هذا الشأن نلاحظ أنها كلها مروية عن عطية العوفي، وعطية العوفي ضعيف الحديث عند عامة علماء الجرح والتعديل، فقد ضعفه سفيان الثوري^(١) وابن عيينة^(٢) وهشيم^(٣) ويحيى القطان^(٤) وأحمد^(٥) ويحيى بن معين^(٦)

ولا يحتج به، وقال النسائي: ضعيف، وقال ابن عدي: مضطرب الحديث، قليل الحديث، ومقدار ما له قد أخطأ في غير شيء منه!

١- وقال أحمد كما في العلل (رقم ٤٥٠٢): (وكان سفيان _ يعني الثوري _ يضعف حديث عطية).

٢- فقد أسند أبو داود كما في سؤالات الآجري (١/٢٣٨ رقم ٣٠٨) أن الشافعي قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: (عطية، ما أدري ما عطية!). وانظر: مناقب الشافعي للبيهقي (١/٥٤٩)

وأبوحاتم وأبوزرعة الرازيان^(٥) وأبوداود^(٦) والنسائي^(٧) والساجي^(٨) وابن خزيمة^(٩) وابن حبان^(١٠) وابن عدي^(١١) والدارقطني^(١٢) والبيهقي^(١) والذهبي^(٢).

- ١- فقال أحمد كما في العلل (رقم ١٣٠٦): (كان هشيم يضعف حديث عطية) وانظر (التاريخ الصغير ٢٦٧/١).
- ٢- وقال البخاري كما في التاريخ الكبير (٤/ رقم ٢٠٤١): (كان يحيى يتكلم فيه) وانظر: التاريخ الكبير (٣٦٠/٥) والصغير (١/٢٦٧).
- ٣- قال عبدالله بن الإمام أحمد كما في العلل (رقم ١٣٠٦): سمعت أبي ذكر عطية العوفي فقال: (هو ضعيف الحديث).
- ٤- كما في رواية ابن الجنيد (رقم ٢٣٤): (كان ضعيفاً في القضاء ، ضعيفاً في الحديث)، وقال في رواية أبي الوليد بن أبي الجارود كما في الضعفاء للعقيلي (٣/٣٥٩): (كان عطية العوفي ضعيفاً)، وقال في رواية ابن أبي مريم كما في الكامل (٧/٨٤): (ضعيف إلا أنه يكتب حديثه).
- ٥- كما في الجرح والتعديل (٣/١ رقم ٢١٢٥): (ضعيف، يكتب حديثه، وأبونضرة أحب إلي منه) وقال أبوزرعة الرازي: (لين).
- ٦- كما في سؤالات الآجري (١/٢٦٤ رقم ٣٧٦): (ليس بالذي يُعتمد عليه).
- ٧- كما في الضعفاء والمتروكون (رقم ٤٨١): (ضعيف).
- ٨- كما في تهذيب التهذيب: (ليس بحجة).
- ٩- كما في صحيحه (٤/٦٨): (في القلب من عطية بن سعد العوفي).
- ١٠- كما في المجروحين (٢/١٧٦) بعد أن ذكر قصته مع الكلبي: (فلا يحل الاحتجاج به، ولا كتابة حديثه إلا على جهة التعجب).
- ١١- كما في الكامل (٧/٨٥): (ولعطية عن أبي سعيد (الخدري) أحاديث عداد ، وعن غير أبي سعيد، وهو مع ضعفه يكتب حديثه).
- ١٢- كما في السنن (٤/٣٩): (ضعيف) وفي العلل (٤/٦): (مضطرب الحديث).

أما روايات أم سلمة رضي الله عنها فأغلبها من طريق عطية العوفي أيضاً، ويليه شهر بن حوشب وهو ضعيف أيضاً^(٣) إلا أن لشهر رواية هامة جداً تعارض رواية أم سلمة المذكورة إذ ذكر دخول أم سلمة رضي الله عنها في الكساء بعد خروج أهل الكساء منه.

١- قال البيهقي كما في السنن الصغير (٢/١٠١) وفي المعرفة (٦/١٤٤): (ضعيف)، وقال كما في السنن الكبرى (٨/١٢٦): (لا يحتج بروايته).

٢- ورجح الذهبي كما في السير (٥/٣٢٥) أنه: (ضعيف الحديث) وانظر: الميزان (٥/١٠٠) بل قال كما في المغني في الضعفاء (٢/٤٣٦): (تابعي مشهور، مجمع على ضعفه).

٣- قال ابن حبان في (المجروحين ١/٣٦١): (كان ممن يروي عن الثقات المعضلات وعن الأثبات المقلوبات).

وقال شعبة: (لقيت شهراً فلم أعتد به). (الكاشف ١/٤٩٠)

وقال النسائي في (الضعفاء والمتروكين ١/٥٦): (ليس بالقوي).

وكان يحيى بن سعيد لا يحدث عنه. (الجرح والتعديل ٤/٣٨٢)

وقد سئل ابن عون عن حديث شهر وهو قائم على أسكفة الباب فقال: (إن شهراً تركوه، إن شهراً تركوه). (ضعفاء العقيلي ٢/١٩١)

وقد قال عنه ابن عدي في (الكامل في الضعفاء ٤/٣٩) بعد تتبع أحاديثه: (عامه ما يرويه هو وغيره من الحديث فيه من الإنكار ما فيه وشهر هذا ليس بالقوي في الحديث وهو ممن لا يحتج بحديثه ولا يتدين به).

وقال ابن حجر العسقلاني في (تقريب التهذيب ١/٢٦٩): (صدوق كثير الإرسال والأوهام)، ولعل ابن حجر قد استشف من توثيق بعض الأعلام لشهر بأن شهراً صدوق في نفسه لكن الاضطراب والخلل في أدائه لما يحفظ، ولا بد هنا أن نستصحب قاعدة معروفة لدى علماء الحديث هي (إن الجرح المفسر - مقدم على التعديل)، وشهر موصوف حديثه بالنعارة كما رأيت.

فعن شهر قال: سمعت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين جاء نعي الحسين بن علي، لعنت أهل العراق، فقالت: قتلوه قتلهم الله، غرّوه وذلّوه لعنهم الله، فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاءته فاطمة غُدّية برمة قد صُنعت له فيها عصيدة تحملها في طبق لها، حتى وضعتها بين يديه فقال لها: أين ابن عمك؟ قالت: هو في البيت، قال: اذهبي فادعيه واتيني بابنيه، قال: فجاءت تقود ابنيها كل واحد منها بيد، وعلي يمشي في إثرهما، حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأجلسها في حجره وجلس علي على يمينه وجلست فاطمة على يساره، قالت أم سلمة: فاجتنب كساء خبيرياً كان بساطاً لنا على المنامة في المدينة فلّفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جميعاً فأخذ بشماله طرفي الكساء وألوى بيده اليمنى إلى ربه عز وجل، قال: اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، قلت: يا رسول الله، أأنت من أهلك؟ قال: بلى فادخلي في الكساء، فدخلت في الكساء بعدما قضى دعاء لابن عمه علي وابنيه وابنته فاطمة^(١).

وبهذا ثبتت لأم سلمة شهادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لها بأنها من أهل بيته لما سألته أم سلمة (أأنت من أهلك؟ قال: بلى) وبأن أن صرفه إياها عن دخول الكساء لسببين ظاهرين: أولهما: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أراد الدعاء لأصحاب الكساء (علي وفاطمة والحسن والحسين) لأن نساءه مشار إليهن في الآية.

١- مسند أحمد والطبراني في المعجم الكبير وفضائل الصحابة لأحمد ٢/٨٥٢ حديث رقم (١١٧٠) وقد حسّنه وصي الله عباس في فضائل الصحابة، والصواب عندي تضعيفه كما ذهب إلى ذلك الشيخ شعيب الأرنؤوط لضعف (شهر بن حوشب) فهو صدوق كثير الأوهام في أحسن أحواله، لكن تبقى الرواية حجة على الذين يستدلون بحديث عمر بن أبي سلمة السابق، فليس هذا بأسوأ سنداً من ذلك.

الثاني: أنه من غير المناسب أن تدخل أم سلمة الكساء وفيه الإمام علي، فقال لها النبي عليه الصلاة والسلام: أنت من أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو أنت على خير أو مكانك أنت على خير، فلما دعا لأهل الكساء وأخرجهم منه أدخلها فيه تطيباً لخاطرها. وهذا ما رجحه المباركفوري في تحفة الأحوذى ٤٨/٩ بقوله: (يحتمل أن يكون معناه: أنت على خير وعلى مكانك من كونك من أهل بيتي ولا حاجة لك في الدخول تحت الكساء، كأنه منعها عن ذلك لمكان علي).

ثانياً: اختلف في المراد بآية التطهير، فقيل: نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنهن من أهل بيته بدلالة الكتاب والسنة ولأن سياق الآيات لا يحتمل إلا ذلك.

وقيل: بل هم أصحاب الكساء (علي وفاطمة والحسن والحسين) ودليل هؤلاء (حديث الكساء) والخطاب في الآية، فقالوا: إن الخطاب في الآية يصلح للذكور لا الإناث لأن الله تعالى قد قال ﴿عَنْكُمْ﴾ و﴿يُطَهَّرُكُمْ﴾ ولو كان للنساء خاصة لقال (عنكن) و﴿يطهركن﴾.

وجواب هذا الإشكال أن يقال: (إن من أساليب اللغة العربية التي نزل بها القرآن أن زوجة الرجل يطلق عليها اسم الأهل، وباعتبار لفظ الأهل مخاطب مخاطبة الجمع المذكر، ومنه قوله تعالى في موسى ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾، وقوله ﴿سَأَتِيكُمْ﴾، وقوله ﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ﴾، والمخاطب امرأته؛ كما قاله غير واحد، ونظيره من كلام العرب قول الشاعر:

فإن شئت حرمت النساء سواكم وإن شئت لم أطعم نقاحاً ولا برداً

ويُضاف إلى ذلك كون الخطاب في الآية الكريمة يباثل قول الله تعالى لسارة زوجة إبراهيم عليه السلام ﴿قَالُوا أَتَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [هود: ٧٣]، فإن الله تعالى قال ﴿عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ مع أن المخاطب هي سارة لكن لما كان المراد بالخطاب بيت إبراهيم عليه السلام فدخل في ذلك إبراهيم عليه السلام وزوجته فعبر عن ذلك بلفظ ﴿عَلَيْكُمْ﴾، ولما كان الخطاب في آية التطهير موجهاً لنساء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذكر في الخطاب

الموجه لمن بيوتهن، فقال تعالى ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ وجاءت الإشارة إلى إرادة الله تعالى تطهير هذه البيوت، ذُكر معهن رب البيت وسيده وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم فعبر عن ذلك بلفظ ﴿عَنْكُمْ﴾ و ﴿يُطَهِّرُكُمْ﴾، وقد أجمع أهل اللسان العربي على تغليب الذكور على الإناث في الجموع ونحوها.

ولهذا لما كانت الآية نازلة في نساء النبي (أمهات المؤمنين) وفي إرادة تطهيرهن، جمع النبي عليه الصلاة والسلام أصحاب الكساء وهم من خواص أهل البيت، ليدعو لهم بأن ينالهم التطهير الذي نال أمهات المؤمنين قائلًا (اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً) طالباً من الله عز وجل أن ينالهم هذا الفضل، فحرصت أم سلمة بعد أن رأت رسول الله قد جمع علياً وفاطمة والحسن والحسين أن تكون معهم وتنال بركة دعاء النبي عليه الصلاة والسلام وكان ذلك قبل أن يدعو النبي عليه الصلاة والسلام وأن يقرأ الآية موضحاً سبب طلبه لهم، فقالت أم سلمة: (وأنا معهم يا رسول الله)، قال: (إنك على خير) إذ لا حاجة لأم سلمة في أن يدعو لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يُذهب الله عنها الرجس طالما أنّ الآية نزلت فيها وفي باقي نساء النبي عليه الصلاة والسلام، وهذا من أبرز الدلائل على كون الآية نازلة فيهن لا في أصحاب الكساء الذين حرص النبي عليه الصلاة والسلام على الدعاء لهم، ولو كانت الآية نازلة فيهم لما جمعهم الرسول عليه الصلاة والسلام وقال فيهم ما قال.

يقول القرطبي: (فالأيات كلها من قوله ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لِّأَزْوَاجِكَ﴾ إلى قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ منسوق بعضها على بعض فكيف صار في الوسط كلام منفصل لغيرهن؟! وإنما هذا شيء جرى في الأخبار أنّ النبي عليه السلام لما نزلت عليه هذه الآية دعا علياً وفاطمة والحسن والحسين، فعمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى كساء فلفه عليهم ثم ألوى بيده إلى السماء فقال (اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم

تطهيراً) فهذه دعوة من النبي صلى الله عليه وسلم لهم بعد نزول الآية أحب أن يدخلهم في الآية التي خوطب بها الأزواج ومن وافقه فصيرها لهم خاصة وهي دعوة لهم خارجة من التنزيل^(١).

فإن قال قائل: إن كان ما تذكرونه من نزول الآيات في نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم صحيحاً فكيف يتفق ذلك مع ما رواه الإمام أحمد في مسنده (١٠٧/٤) بسند صحيح عن شداد أبي عمار قال دخلت على واثلة بن الأسقع وعنده قوم فذكروا علياً فلما قاموا قال لي: ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت: بلى، قال: أتيت فاطمة رضي الله تعالى عنها أسألها عن علي قالت توجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست أنتظره حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه علي وحسن وحسين رضي الله تعالى عنهم أخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فأدنى علياً وفاطمة فأجلسهما بين يديه واجلس حسناً وحسيناً كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه أو قال كساء ثم تلا هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق؟

والجواب أن يُقال:

إن نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم هم المرادون بالآية الكريمة لكن لما كان قرابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحق منهم بهذا الوصف أشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتلك الأحقية بقوله (وأهل بيتي أحق)^(٢).

يقول الحافظ ابن كثير في (تفسيره ٦٣٦/٣): (ولكن إذا كان أزواجه من أهل بيته فقرابته أحق بهذه التسمية كما تقدم في الحديث (وأهل بيتي أحق)، وهذا ما يشبه ما ثبت في صحيح مسلم أن

١- تفسير القرطبي ١٤/١٨٣

٢- قد سبق الكلام تحت عنوان (من هم آل البيت؟) عن دخول أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مسمى (آل البيت) دخولاً فرعياً بخلاف قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين هم أصل رسول الله وعصيته.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم فقال: (هو مسجدي هذا) فهذا من هذا القبيل، فإن الآية إنما نزلت في مسجد قباء كما ورد في الأحاديث الأخرى، ولكن إذا كان ذلك أسس على التقوى من أول يوم فمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أولى بتسميته بذلك والله أعلم).

ويقول ابن تيمية في (جامع المسائل): (وقد روى الإمام أحمد والترمذي وغيرهما عن أم سلمة أن هذه الآية لما نزلت أدار النبي صلى الله عليه وآله وسلم كساءه على علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً). وسنته تُفسر كتاب الله وتبينه، وتدل عليه وتُعبّر عنه، فلما قال: (هؤلاء أهل بيتي) مع أن سياق القرآن يدل على أن الخطاب مع أزواجه - علمنا أن أزواجه وإن كنّ من أهل بيته كما دل عليه القرآن، فهؤلاء أحق بأن يكونوا أهل بيته، لأن صلة النسب أقوى من صلة الصهر. والعرب تُطلق هذا البيان للاختصاص بالكمال لا للاختصاص بأصل الحكم، كقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (ليس المسكين بالطوّاف الذي ترده اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان، وإنما المسكين الذي لا يجد غني يُغنيه ولا يُتفطن له فيُتصدّق عليه، ولا يسأل الناس إلفاً)^(١).

يبيّن بذلك أن هذا مختص بكمال المسكنة، بخلاف الطوّاف فإنه لا تكمل فيه المسكنة لوجود من يُعطيه أحياناً، مع أنه مسكين أيضاً.

ويقال: هذا هو العالم، وهذا هو العدو، وهذا هو المسلم، لمن كُمل فيه ذلك، وإن شاركه غيره في ذلك وكان دونه.

١- أخرجه الإمام أحمد في المسند (حديث رقم ١٠٠٦٩) ونص الحديث كالتالي: (ليس المسكين بالطوّاف الذي ترده التمرة والتمرتان والأكلة والأكلتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غني يُغنيه ولا يسأل الناس إلفاً)، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

ونظير هذا الحديث ما رواه مسلم في صحيحه^(١) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه سُئِلَ عن المسجد الذي أُسِسَ على التقوى، فقال: (مسجدي هذا) يعني مسجد المدينة. مع أن سياق القرآن في قوله عن مسجد الضرار ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ مُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨] يقتضي أنه مسجد قباء، فإنه قد تواتر أنه قال لأهل قباء: (ما هذا الطهور الذي أثنى الله عليكم به؟) فقالوا: لأننا نستنجي بالماء. لكن مسجده أحق بأن يكون مؤسساً على التقوى من مسجد قباء، وإن كان كلٌّ منهما مؤسساً على التقوى، وهو أحق أن يقوم فيه من مسجد الضرار، فقد ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه (كان يأتي قباء كل سبت راكباً وماشياً)^(٢). فكان يقوم في مسجده القيام الجامع يوم الجمعة ثم يقوم بقباء يوم السبت، وفي كل منهما قد قام في المسجد المؤسس على التقوى.

ولما بين سبحانه أنه يريد أن يذهب الرجس عن أهل بيته ويطهرهم تطهيراً، دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأقرب أهل بيته وأعظمهم اختصاصاً به، وهم علي وفاطمة رضي الله عنهما وسيدا شباب أهل الجنة، جمع الله لهم بين أن قضى لهم بالتطهير، وبين أن قضى لهم بكمال دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فكان في ذلك ما دللنا على أن إذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم نعمة من الله ليسبغها عليهم، ورحمة من الله وفضل لم يبلغوهما بمجرد حولهم وقوتهم، إذ لو كان كذلك

١- في كتاب الحج - باب بيان المسجد الذي أسس على التقوى - حديث رقم (١٣٩٨) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

٢- أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة - باب (إتيان مسجد قباء ماشياً وراكباً) - حديث رقم (١١٩٤) ومسلم في صحيحه - كتاب النكاح - باب (فضل مسجد قباء وفضل الصلاة فيه وزيارته) - حديث رقم (١٣٩٩).

لاستغنا بهما عن دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كما يظن من يظن أنه قد استغنى في هدايته وطاعته عن إعانة الله تعالى له وهدايته إياه.

وقد ثبت أيضاً بالنقل الصحيح^(١) أنّ هذه الآيات لما نزلت قرأها النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أزواجه، وخيّرهن كما أمره الله، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة، ولذلك أقرهنّ ولم يُطلّقهن حتى مات عنهن. ولو أردن الحياة الدنيا وزينتها لكان يُمتّعن ويُسرّهن كما أمره الله سبحانه وتعالى، فإنه صلى الله عليه وآله وسلم أخشى الأمة لربها وأعلمهم بحدوده.

ولأجل ما دلت عليه هذه الآيات من مضاعفة الأجور ورفع الوزر بلغنا عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين وقرة عين الإسلام أنه قال: إني لأرجو أن يُعطي الله للمحسن منا أجرين، وأخاف أن يجعل على المسيء منا وزرين^(٢).

ويقول الزركشي- في (البرهان في علوم القرآن ٢/ ١٩٧): (وقد يكون اللفظ مقتضياً لأمر ويحمل على غيره لأنه أولى بذلك الاسم منه وله أمثلة منها:

تفسيرهم السبع المثاني بالفاحة مع أن الله تعالى أخبر أن القرآن كله مثاني.

ومنها قوله عن أهل الكساء (هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً) وسياق القرآن يدل على إرادة الأزواج وفيهن نزلت ولا يمكن خروجهن عن الآية، لكن لما أريد دخول غيرهن قيل بلفظ التذكير ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ ﴿٣٣﴾ فعلم أنّ هذه الإرادة شاملة لجميع أهل البيت الذكور والإناث بخلاف قوله ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ﴾ ودل أنّ علياً وفاطمة أحق بهذا الوصف من الأزواج).

١- أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب (سورة التفسير) - حديث رقم (٤٧٨٥، ٤٧٨٦) ومسلم في كتاب الطلاق - باب (بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية) - حديث رقم (١٤٧٨) عن جابر بن عبد الله.

٢- جامع المسائل - المجموعة الثالثة ص ٧٤-٧٦

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذى أسس على التقوى هو مسجدي هذا وهو يقتضي أن ما ذكره أحق بهذا الاسم من غيره، والحصر المذكور حصر الكمال كما يقال هذا هو العالم العدل وإلا فلا شك أن مسجد قباء هو مؤسس على التقوى وسياق القرآن يدل على أنه مراد بالآية).

ثالثاً: الرجس المذكور في آية التطهير هو الشك

فهناك روايات صحيحة السند عند الشيعة عن أئمة آل البيت تثبت أن ما ذهب إليه علماء الشيعة في تفسير (الرجس) المذكور في الآية يخالف تفسير أئمة أهل البيت أنفسهم! فقد روى الكليني في الكافي ١٨٢ / ٢ عن زرارة عن أبي جعفر (ع) قال: سمعته يقول: إن الله عز وجل لا يوصف وكيف يوصف؟ وقال في كتابه ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ فلا يوصف بقدر إلا كان أعظم من ذلك، وإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يوصف وكيف يوصف عبد احتجب الله عز وجل بسبع وجعل طاعته في الأرض كطاعته [في السماء] فقال: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ ومن أطاع هذا فقد أطاعني ومن عصاه فقد عصاني، وفوض إليه، وإنا لا نوصف وكيف يوصف قوم رفع الله عنهم الرجس وهو الشك، والمؤمن لا يوصف وإن المؤمن ليلقى أخاه فيصافحه فلا يزال الله ينظر إليهما والذنوب تتحات عن وجوههما كما يتحات الورق عن الشجر).

قال عنه المجلسي: حسن كالصحيح (مرآة العقول ٧٠-٧٢ / ٩) وصححها كذلك الشيخ

هادي النجفي في كتابه (ألف حديث في المؤمن) ص ٢٧٦

ويلاحظ هنا أن الإمام الباقر (أبو جعفر) قد فسر المراد من إذهاب الرجس فقال (وهو

الشك).

وروى الكليني أيضاً في الكافي ١ / ٢٨٧ ما نصه - في حديث طويل -:

(فلما مضى علي لم يكن يستطيع علي ولم يكن ليفعل أن يدخل محمد بن علي ولا العباس بن علي ولا واحداً من ولده إذا لقال الحسن والحسين: إن الله تبارك وتعالى أنزل فينا كما أنزل فيك فأمر بطاعتنا كما أمر بطاعتك وبلغ فينا رسول الله صلى الله عليه وآله كما بلغ فيك وأذهب عنا الرجس كما أذهب عنك، فلما مضى علي عليه السلام كان الحسن عليه السلام أولى بها لكبره، فلما توفي لم يستطع أن يدخل ولده ولم يكن ليفعل ذلك والله عز وجل يقول: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ فيجعلها في ولده إذا لقال الحسين أمر الله بطاعتي كما أمر بطاعتك وطاعة أبيك وبلغ في رسول الله صلى الله عليه وآله كما بلغ فيك وفي أبيك وأذهب الله عني الرجس كما أذهب عنك وعن أبيك، فلما صارت إلى الحسين عليه السلام لم يكن أحد من أهل بيته يستطيع أن يدعي عليه كما كان هو يدعي على أخيه وعلى أبيه، لو أرادا أن يصرفا الأمر عنه ولم يكونا ليفعلنا ثم صارت حين أفضت إلى الحسين عليه السلام فجرى تأويل هذه الآية ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ ثم صارت من بعد الحسين لعلي بن الحسين، ثم صارت من بعد علي بن الحسين إلى محمد بن علي عليه السلام. وقال: الرجس هو الشك، والله لا نشك في ربنا أبداً^(١). فلا يصح حينئذ تفسير الرجس بغير ما فسره أئمة أهل البيت أنفسهم والإدعاء فيهم ما لم يدعوه في أنفسهم!!

رابعاً: هناك روايات شيعية تؤكد عدم عصمة الأئمة، فمن افترض دلالة الآية على عصمة أهل الكساء فأين هو من هذه النصوص الشيعية الملزمة؟
والنصوص كثيرة لكنني حسبي أن أذكر منها ما يلي:
١- قول الإمام علي في دعائه (اللهم اغفر لي ما أنت أعلم به مني فإن عدت فعد علي بالمغفرة، اللهم اغفر لي ما وأيت من نفسي ولم تجد له وفاء عندي، اللهم اغفر لي ما تقربت به إليك بلساني ثم

١- صححه المجلسي في مرآة العقول (٣/٢١٣)

خالفه قلبي، اللهم اغفر لي رمزات الألفاظ وسقطات الألفاظ وسهوات الجنان وهفوات اللسان^(١).

فأثبت الإمام علي أنه كسائر الأئمة والصالحين والفضلاء يذنب ويخطئ ويزل ويسهو، وأن كونه فاضلاً وعظيماً ومجاهداً وإماماً لا يعني أنه لا يخطئ ولا يسهو ولا يذنب، لكن المتعصبة لا يقبلون هذا منه بل يريدون صورة أخرى رسموها بأنفسهم وألزموا بها الإمام علي والمؤمنين!

٢- قول الإمام علي في (نهج البلاغة) لأنصاره: (فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل، فإنني لست في نفسي بفوق أن أخطئ، ولا آمن ذلك من فعلي إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني)^(٢).

٣- قول الإمام علي في (نهج البلاغة) أيضاً:

(الحمد لله الذي لم يصبح بي ميتاً ولا سقيماً، ولا مضروراً على عروقي بسوء ولا مأخوذاً بأسوء عملي، ولا مقطوعاً دابري، ولا مرتداً عن ديني، ولا منكراً للرب ولا مستوحشاً من إيماني، ولا ملتبساً عقلي، ولا معذباً بعذاب الامم من قبلي.

أصبحت عبداً مملوكاً ظالماً لنفسي. لك الحجة علي ولا حجة لي، لا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتني ولا أتقي إلا ما وقيتني اللهم إني أعوذ بك أن أفتقر في غناك أو أضل في هداك، أو أضام في سلطانتك، أو اضطهد والأمر لك، اللهم اجعل نفسي - أول كريمة تنتزعها من كرائمي وأول وديعة ترتجعها من ودائع نعمك عندي، اللهم إنا نعوذ بك أن نذهب عن قولك أو نفتتن عن دينك، أو نتابع بنا أهواؤنا دون الهدى الذي جاء من عندك)^(٣).

١- نهج البلاغة - رقم (٧٨) - (ومن كلمات كان يدعو بها عليه السلام)

٢- نهج البلاغة - رقم (٢١٦) - (من خطبة له بصفين)

٣- نهج البلاغة - رقم (٢١٥) - (ومن دعاء كان يدعو به عليه السلام كثيراً)

وفي هذا الدعاء لفئة هامة لأولئك الذين ادّعوا أنّ الإمامة لا تنبغي إلا لمعصوم وأنّ المراد بقوله تعالى ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ أي لا ينال عهدي المذنبين، فهذا الإمام علي يصفه نفسه بأنه أصبح ظالماً لنفسه، والمراد بالظلم هنا الذنب والتقصير في حق الله، وأمام متعصبة الشيعة أمرين: إما أن يعترفوا بخطأ تفسيرهم للآية فينهدم بهذا ركن من أركان الإمامة عندهم، وإما أن يخطئوا الإمام علي ويدّعون أنه لم يُحسن الكلام عن نفسه! وأنهم أعرف به من نفسه!

أما المنصفون فسيقولون: إنّ علياً وأبا بكر وعمر وطلحة والزبير وعثمان وسعد وعمار وغيرهم كلهم يخطئون ويصيبون، لكن بحار حسناتهم وتضحياتهم غمرت ذنوبهم وأخطائهم.

فلماذا نغلو فيمن نحب، والله ينهانا عن الغلو في الدين؟

٤- دعاء الإمام علي: (ما أهنني ذنب أمهلت بعده حتى أصلي ركعتين)^(١)، وهو اعتراف صريح من الإمام أنه كسائر الصالحين والأتقياء يذنب ويتوب.

٥- وروى الميرزا النوري في (مستدرك الوسائل) عن الحجة القائم (صلوات الله عليه)، في حديث قال: (كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول في سجدة الشكر: يا من لا يزيدك إلحاح الملحين الاجوداً وكرماً، يا من له خزائن السماوات والأرض، يا من له ما دق وجل، لا تمنعك إساءتي من إحسانك إليّ، أسألك أن تفعل بي ما أنت أهله، وأنت أهل الجود والكرم والعفو، يا الله يا الله، افعل بي ما أنت أهله، وأنت قادر على العقوبة وقد استحققتها، لا حجة لي عندك، ولا عذر لي عندك، أبوء إليك بذنوبي كلها، وأعترف بها، كي تعفو عني، وأنت أعلم بها مني، بؤت إليك، بكل ذنب أذنبته، وكل خطيئة أخطأتها، وكل سيئة عملتها، يا رب اغفر وارحم، وتجاوز عما تعلم، إنك أنت الأعز الأجل الأكرم)^(٢).

١- نهج البلاغة - رقم (٢٩٩) - (غريب كلامه المحتاج إلى تفسير)

٢- مستدرك الوسائل ١٣٢ / ٥

٦- ومن ذلك أيضاً ما روى أحد كبار رواة الشيعة (أبو مخنف الأزدي) في قصة مقتل الإمام الحسين حين ذكر تفاصيل قصة ذهاب الإمام الحسين إلى العراق فذكر ما جرى بين ابن عباس وبين الإمام الحسين من النصيح له في أن لا يخرج إلى العراق، فقال: (ثم قال ابن عباس: لقد أقررت عين ابن الزبير بتخليتك إياه والحجاز والخروج منها، وهو يوم لا ينظر إليه أحد معك، والله الذي لا إله إلا هو لو أعلم أنك إذا أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع علي وعليك الناس أطعتني لفعلت ذلك)^(١).

ولو كان ابن عباس (ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) وأحد رجالات الإمام علي بن أبي طالب يعتقد بعصمة الإمام الحسين لما خاطبه بهذا الأسلوب، ولما أشار عليه بالذهاب إلى اليمن^(٢) وخطأ رأي الإمام الحسين في اختيار العراق.

٧- ذكر الشيخ الرضي في كتابه (خصائص الأئمة) أن بعض عمال الإمام علي قد أنفذوا إليه فيما أنفذوه من مال الفيء قطعاً غلاظاً، وكان عليه السلام يفرق كل شئ يحمل إليه من مال الفيء لوقته ولا يؤخره، وكانت هذه القطف قد جائته مساء، فأمر بعدها ووضعها في الرحبة ليفرقها من الغد، فلما أصبح عدها فنقصت واحدة فسأل عنها فقيل له: أن الحسن بن علي عليهما السلام، استعارها في ليلته على أن يردها اليوم، فهورول عليه السلام مغضباً إلى منزل الحسن بن علي عليهما السلام وهو يهيمهم وكان من عادته أن يستأذن على منزله إذا جاء، فهجم بغير إذن، فوجد القطيفة في منزله فأخذ بطرفها يجرها وهو يقول: النار يا أبا محمد، النار النار يا أبا محمد، النار حتى خرج بها)^(٣).

ولو كان الإمام علي يعتقد العصمة في ابنه الإمام الحسن لما خشي عليه من النار وخطأه على فعله وهو معصوم (لا يذنب بل لا يخطئ ولا يسهو عند الشيعة الاثني عشرية!).

١- مقتل الحسين (ع) لأبي مخنف الأزدي ص ٦٥

٢- كما في بعض الروايات

٣- خصائص الأئمة للشريف الرضي ص ٧٨

وبهذا يتضح أنّ الشيعة لا يتبعون منهج أئمة أهل البيت القائم على الاعتدال بل يستحسنون أموراً من عند أنفسهم ثم يعتقدونها دون بينة ولا برهان!

٨- وصية الإمام علي قبل وفاته للإمام الحسن تدل على عدم عصمته:

فقد ذكر الشيخ الرضي أيضاً في كتابه (خصائص الأئمة) ص ١١٧ وصية الإمام علي لابنه الإمام الحسن وفيها: (واعلم يا بني أنك خلقت للآخرة لا إلى الدنيا، وللغناء لا للبقاء، وأنت لفي منزل قلعة، ودار بلغة، وطريق من الآخرة، وأنت طريد الموت الذي لا ينجو منه هاربه ولا يفوته طالبه، وإياك أن توجف بك مطايا الطمع فتوردك مناهل الهلكة، وإن استطعت ألا تكون بينك وبين الله تعالى ذو نعمة فافعل).

وقال له: (ظلم الضعيف أفحش الظلم، وربما كان الداء دواء، والدواء داء، وربما نصح غير الناصح، وغش المستنصح. وإياك والاتكال على المنى، فإنها بضائع النوكى)^(١).

وقال: (لا تتخذن عدو صديقك صديقاً فتعادي صديقك. إحمض أخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة. وإن أردت قطعة أخاك فاستبق له من نفسك بقية ترجع إليها. لا يكونن أخوك على قطيعتك أقوى منك على صلته، ولا يكونن على الاساءة أقوى منك على الإحسان. لا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فإنه يسعى في مضرتك ونفعك وليس جزاء من سرك أن تسوئه).

وقال: (يا بني وإياك ومشاورة النساء، فإن رأيهن إلى أفن، وعزمهن إلى وهن، واقصر- عليهن حجبهن فهو خير لهن).

ووالله إنه لا يُعقل أن ينصح الإمام علي ابنه الحسن مثل هذه الوصية إلا وهو يرى أن ابنه ليس بمعصوم، وإلا فلم يوصيه بتذكر الآخرة والخشية من الذنوب وآفات النفوس كالطمع والظلم والاتكال على المنى، ومن الخطأ في اختيار الأصدقاء والتعامل مع الناس ومن مشورة النساء إن كان يعلم أنه معصوم من الذنوب بل ومن الخطأ والسهو والنسيان؟!!

٩- روى ابن بابويه القمي (الصدوق) عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله حين حج حجة الوداع خرج في أربع بقين من ذي القعدة حتى أتى مسجد الشجرة فصلى بها ثم قاد راحلته حتى أتى البيداء فأحرم منها وأهل بالحج وساق مائة بدنة وأحرم الناس كلهم بالحج لا يريدون عمرة، ولا يدرون ما المتعة، حتى إذا قدم رسول الله مكة طاف بالبيت وطاف الناس معه ثم صلى ركعتين عند مقام إبراهيم واستلم الحجر ثم أتى زمزم فشرب منها وقال لولا أن اشق على امتي لاستقيت منها ذنوباً أو ذنوبين ثم قال ابدؤا بما بدء الله عز وجل به فأتى الصفا فبدأ به ثم طاف بين الصفا والمروة سبعاً، فلما قضى - طوافه عند المروة قام فخطب أصحابه وأمرهم أن يخلوا ويجعلوها عمرة وهو شئ أمر الله عز وجل به فأحل الناس.

إلى أن قال: (وأقبل علي عليه السلام من اليمن حتى وافى الحج فوجد فاطمة عليها السلام قد أحلت ووجد ريح الطيب، فانطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله مستفتياً ومحرضاً على فاطمة عليها السلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي بأي شئ أهلت؟ فقال أهلت بما أهل النبي صلى الله عليه وآله، فقال: لا تحل أنت، وأشركه في هديه وجعل له من الهدى سبعا وثلاثين ونحر رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثاً وستين نحرها بيده، ثم أخذ من كل بدنة بضعة فجعلها في قدر واحد ثم أمر به فطبخ فأكلا منها وحسوا من المرق، فقال: قد أكلنا الآن منها جميعاً، فالمتعة أفضل من القارن السايق الهدى وخير من الحج المفرد، وقال: إذا استمتع الرجل بالعمرة، فقد قضى ما عليه من فريضة المتعة. وقال ابن عباس: دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة^(١).

ولو كانت فاطمة الزهراء رضي الله عنها معصومة لما أنكر عليها الإمام علي بن أبي طالب وذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مستفتياً ومحرضاً عليها (كما في الرواية)، فإنَّ

١- علل الشرائع ص ١٢٤ (باب العلة التي من أجلها لم يتمتع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالعمرة إلى الحج) ومثله مع اختلاف ألفاظ يسيرة (من لا يحضره الفقيه ٢/ ٢٣٧ باب حج نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونزول المتعة).

المعصوم لا يُخالف الشرع فكيف جاز للإمام علي أن يظن ذلك في فاطمة إن كانت بالفعل معصومة؟!

١٠- أما علي بن الحسين (زين العابدين) وسائر الأئمة الإثني عشر فمع أنهم ليسوا من أهل الكساء لكن الشيعة الإثني عشرية يذهبون إلى عصمتهم وإلى دخولهم في التطهير الذي ذكرته الآية دون غيرهم من آل البيت، مع ثبوت روايات شيعية كثيرة نافية لعصمتهم.

ففي الصحيفة السجادية الجامعة لأدعية الإمام علي بن الحسين (زين العابدين) التي جمعها الشيخ محمد باقر نجل الشيخ المرتضى الموحد الأبطحي الأصفهاني) ما نصه:

(في المناجاة عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام، قال: كان من دعاء علي بن الحسين عليهما السلام: إلهي، إن كنت عصيتك بارتكاب شيء مما نهيتني، فإني قد أطعتك في أحب الأشياء إليك، الإيمان بك، منا منك به علي لا مناً مني به عليك. وتركت معصيتك في أبغض الأشياء إليك أن أجعل لك شريكاً، أو أجعل لك ولداً أو نداً. وعصيتك على غير مكابرة، ولا معاندة، ولا استخفاف مني بربوبيتك ولا جحود لحقك، ولكن استزلني الشيطان بعد الحجّة علي والبيان. فإن تعذبني فبذنوبي غير ظالم لي، وإن تغفر لي، فبجودك ورحمتك يا أرحم الراحمين)^(١).

وفيها أيضاً دعاء آخر للإمام زين العابدين يقول فيه: (أسألك أن تغفر عني، وتغفر لي، فلست بريئاً فأعتذر، ولا بذّي قوة فأنتصر، ولا مفر لي فأفر، وأستقبلك عثرتي، وأتصل إليك من ذنوبي التي قد أوبقتني وأحاطت بي فأهلكتنني، منها فررت إليك رب تائباً، فتب عليّ، متعوذاً فأعذني، مستجيراً فلا تحذلني، سائلاً فلا تحرمني، معتصماً فلا تسلمني، داعياً فلا تردني خائباً. دعوتك يا رب مسكيناً مستكيناً، مشفقاً، خائفاً، وجلاً فقيراً مضطراً إليك، أشكو إليك يا إلهي ضعف نفسي- عن المسارعة فيما وعدته أولياءك، والمجانبة عما حذرته أعداءك، وكثرة همومي ووسوسة نفسي.. إلهي لم تفضحني بسريرتي، ولم تهلكني بجريرتي، أدعوك فتجيبني وإن كنت بطيئاً حين تدعوني،

١- الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين (جمع الأبطحي) ص ٤٩٧

وأسألك كلما شئت من حوائجي، وحيث ما كنت وضعت عندك سري، فلا أدعو سواك، ولا أرجو غيرك، لبيك لبيك، تسمع من شكائ إليك، وتلقى من توكل عليك، وتخلص من اعتصم بك، وتفرج عمن لا ذك بك. إلهي فلا تحرمني خير الآخرة والاولى لقله شكري، واغفر لي ما تعلم من ذنوبي، إن تعذب فأنا الظالم المفرط المضيع الآثم المقصر المضجع المغفل حظ نفسي، وإن تغفر فأنت أرحم الراحمين^(١).

ونحن نقول: إن الإمام زين العابدين إمام من أئمة التقوى والدين، لا نظن فيه اقراراً بالموبقات، لكن النص شاهد على جواز وقوع المعصية منه كسائر الأتقياء الأنقياء، وإن كان الظن بمثل هذا الإمام الجليل قلة المعاصي والآثام لما عُرف عنه من العبادة والتقوى، والأتقياء يشفقون من صغائر ذنوبهم ما لا يشفق منه إجلالاً لله تعالى، وفي الحديث (إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه، فقال به هكذا)^(٢).

وفي المصدر ذاته أيضاً تحت عنوان (دعاؤه عليه السلام في المناجاة) ما نصه:

(إلهي أسألك أن تعصمني حتى لا أعصيك، فإني قد بهت وتحيرت من كثرة الذنوب مع العصيان، ومن كثرة كرمك مع الاحسان، وقد أكلت لساني كثرة ذنوبي، وأذهبت عني ماء وجهي، فبأي وجه ألقاك وقد أخلقت الذنوب وجهي؟! وبأي لسان أدعوك وقد أخرست المعاصي لساني؟! وكيف أدعوك وأنا العاصي؟! وكيف لا أدعوك وأنت الكريم؟! وكيف أفرح وأنا العاصي؟! وكيف أحزن وأنت الكريم؟! وكيف أدعوك وأنا أنا؟! وكيف لا أدعوك وأنت أنت؟! وكيف أفرح وقد عصيتك؟! وكيف أحزن وقد عرفتك؟! وأنا أستحيي أن أدعوك وأنا مصر- على الذنوب، وكيف بعد لا يدعو سيده؟! وأين مفره وملجأه إن يطرده؟! إلهي، بمن أستغيث إن لم تقلني عثرتي؟! ومن يرحمني إن لم ترحمني؟! ومن يدركني إن لم تدركني؟! وأين الفرار إذا ضاقت

١- المصدر نفسه ص ٣٧٧

٢- رواه البخاري - كتاب الدعوات - باب التوبة - حديث رقم (٦٣٠٨)

لديك أمنيته؟ إلهي، بقيت بين خوف ورجاء، خوفك يميّنتني، ورجاؤك يحييني. إلهي، الذنوب صفاتنا، والعمو صفاتك. إلهي، الشيبة نور من أنوارك، فمحال أن تحرق نورك بنارك. إلهي، الجنة دار الأبرار، ولكن عمرها على النار، فيا ليتني إذا حرمت الجنة لم أدخل النار^(١).

وقال المجلسي أيضاً: (ومنها المناجاة الخمس عشرة لمولانا علي بن الحسين صلوات الله عليهما وقد وجدتها مروية عنه عليه السلام في بعض كتب الأصحاب رضوان الله عليهم: المناجاة الأولى مناجاة التائبين [ليوم الجمعة]: بسم الله الرحمن الرحيم، إلهي ألبستني الخطايا ثوب مذلتني، وجللني التباعد منك لباس مسكنتني، وأمات قلبي عظيم جنايتي فأحيه بتوبة منك يا أملي وبغيتي ويا سؤلي ومنيته، فوعزتكم ما أجد لذنوبي سواك غافراً، ولا أرى لكسري غيرك جابراً، وقد خضعت بالإنابة إليك، وعنوت بالاستكانة لديك، فإن طردتني من بابك فبمن ألوذ؟ وإن رددتني عن جنابك فبمن أعود؟ فوا أسفاً من خجلتي واقتضاحي، ووالهفاً من سوء علمي واجتراحي. أسألك يا غافر الذنب الكبير، ويا جابر العظم الكسير، أن تهب لي موبقات الجرائر، وتستر عليّ فاضحات السرائر، ولا تخلني في مشهد القيامة من برد عفوك وغفرك ولا تعرني من جميل صفحك وسترك، إلهي ظلل على ذنوبي غمام رحمتك، وأرسل عليّ عيوي سحاب رأفتك، إلهي هل يرجع العبد الأبق إلا إلى مولاه، أم هل يجيره من سخطه أحد سواه، إلهي إن كان الندم على الذنب توبة، فإنني وعزتك من النادمين، وإن كان الاستغفار من الخطيئة حطة فإنني لك من المستغفرين، لك العتبي حتى ترضي، إلهي بقدرتك على تب علي، وبحلمك عني أعف عني، وبعلمك بي ارفق بي. إلهي أنت الذي فتحت لعبادك باباً إلى عفوك سميته التوبة فقلت: "توبوا إلى الله توبة نصوحاً" فما عذر من أغفل دخول الباب بعد فتحه، إلهي إن كان قبح الذنب من عبدك، فليحسن العفو من عندك، إلهي ما أنا بأول من عصاك فتبت عليه، وتعرض لمعروفك فجدت عليه، يا مجيب المضطر، يا كاشف الضر، يا عظيم البر، يا عليماً بما في السر، يا جميل السر، استشفعت بجودك وكرمك إليك

وتوسلت بحنانك وترحمك لديك، فاستجب دعائي، ولا تخيب فيك رجائي وتقبل توبتي، وكفر خطيئتي بمنك ورحمتك يا أرحم الراحمين^(١).

أما الإمام جعفر الصادق فقد روى ابن بابويه القمي (الملقب بالصدوق) عنه أنه كان يدعو بهذا الدعاء: (إلهي كيف أدعوك وقد عصيتك، وكيف لا أدعوك وقد عرفت حبك في قلبي، وإن كنت عاصياً مددت إليك يداً بالذنوب مملوءة، وعيناً بالرجاء ممدودة، مولاي أنت عظيم العطاء، وأنا أسير الأسراء، أنا أسير بذنبي مرتين بجرمي، إلهي لئن طالبتني بذنبي لأطالبنك بكرمك، ولئن طالبتني بجريرتي لأطالبنك بعفوك، ولئن أمرت بي إلى النار لأخبرن أهلها أنني كنت أقول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، اللهم إنَّ الطاعة تسرك، والمعصية لا تضرك، فهب لي ما يسرك، واغفر لي ما لا يضررك، يا أرحم الراحمين^(٢)).

ومثل هذا الكلام لا يقوله من هو معصوم عن الذنوب صغيرها وكبيرها، فإنَّ الإمام الصادق إنما يسأل الله تعالى أمراً جائز الوقوع، لا أمراً يستحيل وقوعه منه!

وروى المجلسي في (بحار الأنوار ١٨٢/٩١) عن الحسين بن علي الأهوازي عن أبيه علي بن مهزيار قال: سمعت مولاي موسى بن جعفر صلوات الله عليه يدعو بهذا الدعاء وهو دعاء الاعتقاد: (إلهي إنَّ ذنوبي وكثرتها قد غبرت وجهي عندك، وحجبتني عن استئصال رحمتك، وباعدتني عن استنجاز مغفرتك، ولولا تعلقي بالآثك، وتمسكي بالرجاء لما وعدت أمثالي من المسرفين، وأشباهي من الخاطئين، بقولك ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۗ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٢١﴾ وحادرت القانطين من رحمتك فقلت: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ ﴿٢٢﴾ ثم ندبتنا برحمتك إلى

١- بحار الأنوار ١٤٢/٩١

٢- الأمالي للصدوق ص ٤٣٨

دعائك فقلت: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾. إلهي، لقد كان ذل اليأس علي مشتملاً، والقنوط من رحمتك بي ملتحفاً، إلهي، قد وعدت المحسن ظنه بك ثواباً، وأوعدت المسئ ظنه بك عقاباً، اللهم وقد أسبل دمعي حسن ظني بك في عتق رقبتني من النار، وتغمد زللي وإقالة عثرتي، وقلت وقولك الحق لا خلف له ولا تبديل ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِئْمَانِهِمْ﴾ ذلك يوم النشور إذا نفخ في الصور وبعثت القبور).
ومثل هذه الروايات كثير لمن أراد التتبع.

خامساً: اعتراف العلامة الشيعي الكبير (الشهيد الثاني)^(١) بأن رواة الأئمة وشيعتهم لم يكونوا يعتقدون عصمة أئمتهم!

يقول آية الله العظمى محمد المهدي بحر العلوم الطباطبائي في (الفوائد الرجالية): (قد حكى جدي العلامة -قدس سره- في كتاب الايمان والكفر^(٢) عن الشهيد الثاني - طاب ثراه - : أنه احتمل الاكتفاء في الإيـان بالتصديق بإمامة الأئمة - عليهم السلام - والاعتقاد بفرض طاعتهم، وإن خلا عن التصديق بالعصمة عن الخطأ. وادعى أن ذلك هو الذي يظهر من جل روااتهم وشيعتهم، فإنهم كانوا يعتقدون أنهم - عليهم السلام - علماء أبرار، افترض الله طاعتهم، مع عدم

١- ترجم له الحر العاملي في (أمل الآمل ١ / ٨٥) قائلاً: (الشيخ الأجل زين الدين بن علي بن أحمد بن محمد بن جمال الدين بن تقي الدين بن صالح [تلميذ العلامة] العاملي الجبعي الشهيد الثاني، أمره في الثقة والعلم والفضل والزهد والعبادة والورع والتحقيق والتبحر وجلالة القدر وعظم الشأن وجمع الفضائل والكمالات أشهر من أن يذكر، ومحاسنه وأوصافه الحميدة أكثر من أن تحصى. وتحصر، ومصنفاته كثيرة مشهورة).

٢- كتاب الايمان والكفر المسمى (تحفة الغري) - مخطوط - للعلامة محمد ابن السيد عبد الكريم الطباطبائي البروجردي، الذي هو جد بحر العلوم الأدنى لأبيه.

اعتقادهم العصمة فيهم، وأنهم (عليهم السلام) مع ذلك كانوا يحكمون بإيمانهم وعدالتهم - قال - : (وفي كتاب أبي عمرو الكشي جملة من ذلك))^(١).

فإذا كان هذا هو اعتقاد رواة وشيعة الأئمة الذين عاصروهم فلم لم يقتفِ شيعة (ما بعد عصر الغيبة) أثرهم فارتاحوا وأراحوا!

إنّ هذا يذكرني بقول العلامة المامقاني في (تنقيح المقال): (إنّ القدماء^(٢) كانوا يعدون ما نعدّه اليوم من ضروريات مذهب الشيعة غلواً وارتفاعاً، وكانوا يرمون بذلك أوثق الرجال كما لا يخفى على من أحاط خبراً بكلماتهم)^(٣).

فالمذهب يتطور على مر الزمان... فما كان بالأمس غلواً وانحرافاً بات بعد زمن من ضروريات المذهب التي لا تقبل التشكيك!

سادساً: يكفي في الرد على الإثني عشرية في قولهم بوجوب عصمة الإمام أن نذكر ما قاله الإمام المنصور بالله (٦١٤هـ) - وهو أحد كبار علماء الزيدية - في كتابه (العقد الثمين في أحكام الأئمة الهادين ص ٤٠١): (إنّ الإمامية مع تشددها في العصمة وإثباتها، جوّزت على الأئمة عليهم السلام ارتكاب المحظورات تقية، والفتوى بغير الحق، والفتاوى المتناقضة في الحكم الواحد، ومداهنة الظالمين، والاستقامة لنفوذ أحكامهم عليه وعلى أشياعهم، وهذه حال المعصومين عند الإمامية، والزيدية لا يرون بعصمة الإمام، وأئمتهم كذلك لا يدينون بذلك، وهم لا ينفذون ظلم ظالم، ولا ينزلون على حكم غاشم، يرى قائمهم ملء الأرض جنوداً بشطر عينه، ويقدم إلى الموت بعد التيقن لموافاة حينه، يلقي الرماح باسمياً والصفاح ضاحكاً.

١- الفوائد الرجالية ٣/ ٢١٩-٢٢٠

٢- يريد بذلك القميين وابن الغضائري وغيرهم من علماء الشيعة القدماء

٣- تنقيح المقال ٣/ ٢٣ الحجريّة

وذلك مشهور لا يحتاج إلى برهان، ولا تعلم منه المعاصي سراً ولا جهراً، فانظر إلى هذين الأمرين ما أعجبهما! روى المعاصي على أئمتهم كرمهم الله عنها وشرف أقدارهم عن حكايتهم فيهم، وقالوا: لا بد من العصمة فيهم.

وهؤلاء أئمة الزيدية لا تطور المعاصي ديارهم، ولا تنكسر من مهابة الظالمين أبصارهم بل روعاتهم منهم كل يوم مجددة، وسيوفهم عليهم مجردة، وهم لهم شجى في الحلو لا يسيغه السلسال، وقذى في العيون تصغر عنه الأجدال، فكيف يبعدون من هذه حاله عن الإمامة، وينفون عنه السلامة، ويوجبون عقد الإمامة والنص بالزعامة لمن لم يدعها، ولا يلتزم أحكامها ولا ينفذها بل نفذت أحكام الظالمين عليه في نفسه وأشياعه وأعوانه وأتباعه وأضافوا إليه تغيير الأحكام ولبس الحلال بالحرام، قالوا: والتقية تميز ذلك!).

فإن التناقض في موضوع العصمة لا يقف عند سوء الاستدلال بالنصوص وتحميلها ما لا تحتمل بل يتعدى ذلك إلى الواقع التاريخي والروائي الشيعي وفوق هذا كله النسيج البنائي للمذهب الذي يفترض التقية في أفعال الأئمة ومهابتهم للظالمين ومسالمتهم له وغيرها من الموبقات والتي من شأنها أن تفرض عدم جواز الائتمام بالأئمة الإثني عشر.

سابعاً: التطهير من الرجس لا يعني إثبات العصمة

فكما أن كلمة (الرجس) لا يراد بها ذنوب الإنسان وأخطائه في الاجتهاد وإنما يراد بها لغة القدر والتن والنجاسات المعنوية والحسية^(١)، ويراد بها شرعاً معنى خاص هو (الشرك) كما في روايات الأئمة المذكورة آنفاً وبعض أقوال المفسرين أو يراد بها شرعاً (العذاب) كما ذهب إلى ذلك بعض العلماء، فإن كلمة (التطهير) أيضاً لا تعني إثبات العصمة لمن وقع عليه التطهير.

١- قال الشوكاني في (إرشاد الفحول ١/ ١٢٤): (لا يخفاك أن كون الخطأ رجس لا يدل عليه لغة ولا شرع، فإن معناه في اللغة القدر ويطلق في الشرع على العذاب كما في قوله سبحانه ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رَجْسٌ وَعَظْبٌ﴾ وقوله ﴿مِن رَّجْزِ أَيْمُنٍ﴾ والرجز الرجس).

فإن الله عز وجل يريد تطهير كل المؤمنين وليس أهل البيت فقط، وإن كان أهل البيت هم أولى الناس وأحقهم بالتطهير.

فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم عن صحابة رسوله ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٦] وقال عز من قائل ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣] وقال ﴿إِنَّ اللَّهَ تُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَتُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فكما أخبر الله عز وجل بأنه يريد تطهير أهل البيت أخبر كذلك بأنه يريد تطهير المؤمنين، فإن كان في إرادة التطهير وقوع للعصمة لحصل هذا للصحابة ولعموم المؤمنين الذين نصت الآيات على إرادة الله عز وجل تطهيرهم.

وقد قال الله تعالى أيضاً عن لوط عليه السلام ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢] ولم تكن ابتنا لوط عليه السلام معصومتين مع أنهما من آل الذين وُصفوا بالتطهير.

وقد قال تعالى عن رواد مسجد قباء من الصحابة ﴿فِيهِ رِجَالٌ تُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا^٤ وَاللَّهُ تُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]، ولم يكن هؤلاء معصومين من الذنوب بالاتفاق.

وقال تعالى عن أهل بدر وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ رِجْسَ الشَّيْطَانِ﴾ [الأنفال: ١١] ولم يكن في هذا إثبات لعصمته مع أنه لا فرق يُذكر في الألفاظ بين قول الله تعالى عن أهل البيت ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ وبين قوله عن أهل بدر ﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ رِجْسَ الشَّيْطَانِ﴾، فالرجز والرجس متقاربان، وإذهاب الرجس مشترك، لكن الهوى هو الذي جعل من الآية الأولى دليلاً على العصمة دون الأخرى!

والعجيب في علماء الشيعة أنهم يتمسكون بالآية ويصرفونها إلى أصحاب الكساء ثم يصرفون معناها من إرادة التطهير إلى إثبات عصمة أصحاب الكساء ثم يتناسون في الوقت نفسه آيات

أخرى نزلت في إرادة الله عز وجل لتطهير الصحابة بل هم بالمقابل يقدرحون فيهم ويقولون بانقلابهم على أعقابهم مع أن الله عز وجل نص على إرادة تطهيرهم بنص الآية، مفارقات عجيبة يُجار فيها العقل ولا تجد لها إلا إجابة واحدة، إنه التعصب وما يفعله في أصحابه.

ثامناً: إرادة التطهير لا تعني بالضرورة وقوع التطهير

ما ذكرته آنفاً يستند إلى أن المعنى من إرادة الله للتطهير وقوع التطهير، وقد يكون المراد من الآية الأمر بلزوم طاعة الله حتى يقع التطهير.

وسياق الكلام الموجه لثناء النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يتضمن توجيهاً إلهياً لمن بفعل أمور واجتناب أخرى^(١)، وبين الله عز وجل أنه يريد منهن التزام هذه التوجيهات ليذهب عنهن الرجس بمقتضى أمره لهم، وبامثالهم لأمر الله وحفظهم لوصاياه يحصل التطهير، وهذا النمط من الخطاب استخدمه الله عز وجل في آخرين كما في قوله تعالى للمؤمنين ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [المائدة: ٦] وقوله تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [النساء: ٢٦] وقوله تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ تَخَفَّ عَنْكُمْ﴾ [النساء: ٢٨] فالإرادة هنا متضمنة للأمر والمحبة والرضا لا أنها حصلت فعلاً، ولو كان الأمر كذلك لتطهر كل من أراد الله طهارته، وأبسط مثال يوضح ذلك هو أن الله عز وجل يريد على سبيل المثال للبشر كلهم أن يدخلوا الجنة وهذه الإرادة هي إرادة محبة، وهناك إرادة له سبحانه كونية قدرية في هذا الشأن وهي أنه سيكون

١- وما يؤكد أن الآية لا تنص على وقوع التطهير بل على إرادة التطهير أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حرص على أن يلحق أصحاب الكساء ما لحق زوجاته أمهات المؤمنين اللاتي نزلت فيهن الآية وفي إرادة تطهيرهن ما رواه الترمذي بسند فيه ضعف من أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يمرُّ بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج لصلاة الفجر يقول: (الصلاة يا أهل البيت، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾)، إذ بالمحافظة على الفرائض وبطاعة الله يحصل التطهير، والحديث وإن كان ضعيفاً ولا يُحتج فيه إلا أنه قد يصلح كشاهد على الأقل على ما ذكرناه.

من البشر مؤمن وكافر وأنه ليس كل البشر سيدخلون الجنة، لأن الله سبحانه وتعالى أعطى البشر الحرية في عمل الخير أو الشر لكي يحصل العدل بمجازاته، ولو كان الإنسان مجبوراً على الخير فقط لما كان من العدل مجازاته أصلاً لأنه لو أراد الشر ما وجد إلى ذلك سبيلاً، إرادة الله إدخال البشر كلهم إرادة محبة ولكن لا يلزم تحققها لأن الله نفسه لم يوجب حدوثها.

تاسعاً: دعاء النبي عليه الصلاة والسلام يحسم القضية

هل يصح لطالب خاض اختبارات الجامعة أن يدعو الله عز وجل أن ينجحه في اختباره بعد ظهور النتيجة وحصوله على الشهادة؟! بلا شك لا.

فآية التطهير لو كان فيها ما يدل على وقوع التطهير لأهل الكساء لما قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتغطيتهم بالكساء والدعاء لهم بقوله: (اللهم إن هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس!)!

بل في هذا دلالة واضحة على أن الآية نزلت في نساء النبي عليه الصلاة والسلام وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أراد أن ينالهم هذا الإخبار الرباني عن التطهير فجمعهم وجللهم بالكساء ودعا لهم فتقبل الله دعاءهم لأنهم أهل لذلك بلا ريب.

عاشراً: الاستدلال بالآية على عصمة أصحاب الكساء لا يخلو من العجب لأمر بديهي يعرفه كل أحد وهو أن حديث الكساء يذكر فاطمة الزهراء رضوان الله عليها كطرف من الأطراف الذين نزلت فيهم الآية، والشيعنة الاثنا عشرية يقولون بأن الله عز وجل أضاف على الأئمة صفة العصمة لاحتياج المهمة المناطة بهم لذلك وهي إمامة الناس وتحكيم شرع الله، والسؤال: إذا كان الأمر كذلك فهل السيدة فاطمة نبيه أو من الأئمة لكي تُضفى عليها صفة العصمة؟! وما الغاية التي لأجلها أضيفت لها العصمة؟ هل كل من يحبه الله وله مقام عند الله يكون معصوماً؟

إنَّ الله عز وجل لما أضفى صفة العصمة على الأنبياء أضفاها عليهم لأنهم مبلغو الوحي وأمناء الرسالة السماوية، ولو أننا قبلنا عصمة الأئمة دون أن نناقشها، فإنَّ ما لا يمكن تقبله لا عقلاً ولا شرعاً أن يتصف بالعصمة من ليس بنبي ولا حتى إمام!!

وإذهاب (الرجس) حتى لو دل على العصمة فإنه لا يدل على استحقاق الإمامة بحال من الأحوال، ونحن بصدد البحث عن دليل على الإمامة، فإن قيل بأنَّ من مستلزمات الإمامة العصمة وأنَّ من كان معصوماً وجبت إمامته، قيل: وماذا تقول في فاطمة الزهراء التي هي أحد أصحاب الكساء؟ أتستطيع تطبيق نفس المبدأ عليها والقول بأنها من الأئمة؟

فإن قال: (لا) وهي الإجابة الوحيدة التي سيستطيع أن يجيب بها، قيل له: قال الله تعالى ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥] فإما أن تطبق ما تدّعيه مائة بالمائة أو تقر ببطلانه، لكن التشبث بالدليل بما يوافق الهوى وطرح ما يخالفه ما هو في الحقيقة إلا تلاعب بالقرآن الكريم وبسنة رسوله الكريم، وما أرى من يسلك هذا الطريق يطلب الحق وهو يدّعي ما يدّعيه، ويجره التعصب إلى الإصرار على الخطأ في فهم دين الله.

آية المباهلة^(١)

تعتبر آية المباهلة التي نزلت في وفد نجران وهي قول الله عز وجل ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١] إحدى أهم أدلة الشيعة الاثني عشرية على الإمامة، ويرى الإثنا عشرية أنّ وجه دلالة الآية على إمامة علي بن أبي طالب أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم جعله مثل نفسه بقوله ﴿أَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ لأنه أراد بقوله ﴿أَبْنَاءَنَا﴾ الحسن والحسين عليهما السلام وبقوله ﴿نِسَاءَنَا﴾ فاطمة وبقوله ﴿أَنْفُسَنَا﴾ نفسه ونفس علي عليهما السلام... وإذا جعله مثل نفسه وجب أن لا يدانيه ولا يقاربه في الفضل أحد).
وقبل مناقشة هذه الدعوى:

لي مع هذه الآية الكريمة حادثة لا تُنسى..

فقد اتصل بي أحد الأصدقاء يدعوني لحضور حوار سيتم بين شابين أحدهما سني والآخر شيعي في إحدى الديوانيات حول الخلاف بين السنة والشيعة الاثني عشرية، فرحبت بذلك وذهبت على أمل أن يكون النقاش علمياً وأن لا تعكره أجواء التعصب.

وقد كان المحاور السني قريباً من الديوانية فحضر قبل المحاور الشيعي الذي كنا نتظره، فعرفني المحاور السني على أحد الجالسين وأخبرني بأنه مؤذن في أحد المساجد وذكر لي اسم عائلة

١- سُميت آية المباهلة بهذا الاسم كما يقول ابن كثير في تفسيره ١/ ١٨٠ (لأنّ كل محق يود لو أهلك الله المبطل المناظر له، ولا سيما إذا كان في ذلك حجة له في بيان حقه وظهوره، وكانت المباهلة بالموت، لأنّ الحياة عندهم عزيزة عظيمة لما يعلمون من سوء ما لهم بعد الموت).

شيعة عريقة في التشيع هي عائلة هذا الشاب، وقد كان صاحبنا هذا ممن يقوم بتمثيل دور الشبيه في الحسينية قبل أن يتحول إلى أهل السنة.

فانتقلت مباشرة إلى الأخ ورَّحبت به وسألته عن سبب انتقاله إلى أهل السنة ودار بيننا حديث عن الصعوبات التي واجهها بسبب تسننه.

لكن الشاهد من هذا كله، حوار دار بينه وبين أحد علماء الشيعة حول هذه الآية بالذات.

قال الأخ: ذكرت لابن عمي يوماً أنّ من عقائد الشيعة الاثني عشرية تفضيل الإمام علي على الأنبياء، فاستنكر هذا وقال لي: أنا شيعي ولا أعرف هذا الكلام، فقلت له: لأنك عامي ولا تعرف كل العقائد أما أنا فمطلع على هذه الأمور.

يقول: فاتفقنا على أن يحسم الأمر بيننا أحد علماء الشيعة الاثني عشرية على أن أخاطبه بصفتي شيعي اثني عشري كما كنت في السابق حتى لا يتوجس من قصدي من السؤال.

يقول: فسألت الشيخ (من أفضل الإمام علي عليه السلام أم الأنبياء عليهم السلام؟).

فأجاب الشيخ: الإمام علي عليه السلام أفضل من الأنبياء جميعاً سوى محمد صلوات الله وسلامه عليه.

فنظرت إلى ابن عمي وهو بجانبني وقلت: رأيت؟ كلامي كان صحيحاً.

ثم قلت للشيخ: ما الذي جعل الإمام علياً أفضل من الأنبياء سوى محمد عليه الصلاة والسلام؟

فقال: آية المباهلة، لأنّ الله عز وجل قد جعله نفس محمد صلى الله عليه وآله وسلم بقوله

﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾.

يقول: فوقع في قلبي أن أقول للشيخ: لكنّ الله عز وجل قد قال في كتابه المجيد مخاطباً الكفار

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ

رُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨] فهل يُقال بأنّ كفار مكة هم نفس رسول الله، لأنّ الله قد قال ﴿رُسُوكَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾.

يقول: فصمت الشيخ.

ثم ذكر لي بعد ذلك ما دار بينه وبين الشيخ حول النظرة إلى أبي بكر وعمر وحوادث آخر. ثم قدم المحاور الذي كنا نتظره فأنهينا حديثنا الجانبي ورحبنا بالضيف وابتدأ النقاش. إنّ آية المباهلة لا مستند فيها على ما يدّعيه الشيعة الاثني عشرية في موضوع الإمامة لعدة أسباب:

أولاً: أنه على كثرة المعاني والمرادفات لكلمة (نفس) التي تستدل بها الإمامية على دلالة النص في خلافة علي بن أبي طالب لا يوجد معنى حقيقي أو مجازي يدل على الخلافة.

قال الزبيدي: (قال ابن خالويه: النفس الأخ، قال ابن بري: وشاهده قوله تعالى ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١] وفسر ابن عرفة قوله تعالى ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢] أي بأهل الإيمان وأهل شريعتهم^(١).

قال الدهلوي: (معنى (ندع أنفسنا) نحضر أنفسنا، وأيضاً لو قررنا الأمير - أي الإمام علياً - من قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمصداق (أنفسنا)، فمن نقره من قبل الكفار لمصداق (أنفسكم) في أنفس الكفار مع أنهم مشتركون في صيغة (ندع) ولا معنى لدعوة النبي إياهم وأبناءهم بعد قوله (تعالوا)^(٢).

١- تاج العروس ١٦ / ٥٧٠

٢- مختصر التحفة الاثني عشرية ص ١٥٦

وقوله تعالى ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ مثل قوله تعالى ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢] نزلت في أم المؤمنين عائشة في حادثة الإفك، فإن الواحد من المؤمنين من أنفس المؤمنين والمؤمنات.

وكذلك قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِّن دِينِكُمْ﴾ [البقرة: ٨٤] أي لا يُخرج بعضكم بعضاً، فالمراد بالأنفس الإخوان: إما في النسب وإما في الدين^(١).

قلت: وقد قال الله عز وجل عن رسوله الكريم ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] والحجة في هذه الآية على الإمامية ظاهرة في قوله تعالى ﴿أَنْفُسَنَا﴾ على معنى المماثلة والتطابق، فهذه الآية تتكلم عن رسول الله وعن كفار مكة، وتقول ﴿مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ فمن ذا الذي يقول بأن نفس رسول الله ك(أنفس) كفار مكة - عياداً بالله - !!؟

وهنا تظهر المزاجية في تفسير آية المبالغة حين يتجاهل علماء الشيعة كل هذه النصوص ثم يأتون إلى هذه الآية الكريمة فيبالغون في معناها إلى حد قولهم بأنّ علياً هو نفس محمد صلى الله عليه وآله وسلم سوى النبوة!

ولعلي أشير هنا إلى رواية شيعية تبين أنّ إطلاق لفظ أنفسنا على الأخ أو القريب أو أرباب الفتنة الواحدة شيء متعارف عليه عند الناطقين بالعربية.

روى الكليني عن الإمام جعفر الصادق أنه قال: بعث أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن العباس إلى ابن الكواء وأصحابه وعليه قميص رقيق وحلّة، فلما نظروا إليه قالوا: يا ابن عباس، أنت خيرنا في أنفسنا وأنت تلبس هذا اللباس، فقال: وهذا أول ما أخاصمكم فيه ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ

١- مختصر منهاج السنة ١/١٦٧-١٦٨ بتصرف

زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴿١٠﴾ وقال ﴿يَبْنَئِي ۖ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴿١١﴾﴾^(١).

فهل بعد هذه الدلائل القرآنية وبعد هذه الرواية الشيعية من كلمة يقولها المغالي؟

ثانياً: اعترف أحد أقطاب الشيعة وهو الشيخ الرضي أن قوله تعالى ﴿أَنْفُسَنَا﴾ لا يعني أن علياً رضي الله عنه هو نفس رسول الله كما يقول الشيعة.

يقول الشيخ الرضي في كتابه (حقائق التأويل في مشابه التنزيل) ص ١١٣ في تفسير الآية الكريمة: (قال بعض العلماء: إن للعرب في لسانها أن تخبر عن ابن العم اللاصق والقريب المقارب بأنه نفس ابن عمه، وأن الحميم نفس حميمه، ومن الشاهد على ذلك قول الله تعالى ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّقَابِ﴾ [الحجرات: ١١] أراد تعالى: ولا تعيبوا إخوانكم المؤمنين، فأجرى الأخوة بالديانة مجرى الأخوة في القرابة، وإذا وقعت النفس عندهم على البعيد النسب كانت أخلق أن تقع على القريب السبب، وقال الشاعر: كأننا يوم قُرى إنما نقتل إيانا.

أراد: كأننا نقتل أنفسنا بقتلنا إخواننا، فأجرى نفوس أقاربه مجرى نفسه، لشوابك العصم ونوائط اللحم وأطيظ الرحم، ولما يخلج من القربى القربية، ويتحرك من الأعراق الوشيحة، فأما قول الله تعالى في النور ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ فيمكن أن يجري هذا المجرى، لأنه جاء في التفسير: أن معنى ذلك فليسلم بعضكم على بعض لاستحالة أن يسلم الإنسان على نفسه، وإنما ساع هذا القول، لأن نفوس المؤمنين تجري مجرى النفس الواحدة، للاجتماع في عقد الديانة، والخطاب بلسان الشريعة، فإذا سلم الواحد منهم على أخيه كان كالمسلم على نفسه، لارتفاع الفروق واختلاط النفوس) انتهى كلامه.

١- الكافي ٦/ ٤٤١ - كتاب الزي والتجمل - باب اللباس - حديث رقم (٦).

وبهذا يتضح أنه لا حجة لدى الشيعة في دعواهم أنّ في هذه الآية ما ينص على المساواة بين رسول الله وعلي رضي الله عنه وأرضاه، فلفظ (النفوس) يُطلق في لغة العرب على البعيد النسب كما يُطلق على القريب، وليس في ذلك دلالة على الإمامة من قريب ولا بعيد!

ثالثاً: أنّ دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً وفاطمة والحسين جاءت من جهة القرابة لا لإظهار الإمامة أو النص عليها، إذ إنّ المباهلة إنما تحصل الرغبة والرغبة والشعور بصدق الداعي بجمعه نفسه وأهله الذين تحن إليهم النفوس بطبيعة الحال ما لا تحن إلى غيرهم من الأبعدين في الهلاك^(١).

ففيها مجال التضحية أكثر وضوحاً من مجال إضفاء الفضائل أو الإمامة، ففي التضحية تُقدّم الأنفس والأبناء والنساء ولكن لا يُقدّمون للخلافة^(٢)!

رابعاً: قول الشيعة الإمامية إنّ الآية تدل على المساواة بينه وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا النبوة، كلام لا يُسلم له أبداً، إذ أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يساويه أحد في أمور الدين لا علي ولا غيره، فأين مقام رسول الله وكماله البشري من سائر الناس؟ إنّ الإمام علياً نفسه لا يرتضي ما يقول الشيعة الإمامية عنه، والمنصف العاقل يدرك هذه القضية بكل وضوح.

روى الكليني في الكافي أنّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام سئل (يا أمير المؤمنين، أفنبي أنت؟، فقال: ويلك، إنما عبد من عبيد محمد صلى الله عليه وآله وسلم)^(٣)، يريد بذلك عبد الطاعة والخدمة لا عبد الخضوع والذل.

١- انظر منهاج السنة ٧/ ١٢٥-١٢٦

٢- أثر الإمامة في الفقه الجعفري وأصوله ص ٤٩ بتصرف

٣- الكافي - كتاب التوحيد - باب الكون والمكان - رواية رقم (٥)

فإذا كان هذا هو مقام الإمام علي من صريح كلامه الذي يرويه عنه الشيعة الإثني عشرية، وهو ما ينص العقل عليه وعلى كل أحد أنه تابع لرسول الله إن أطاع سنته وهدية دخل الجنة وإن عصاه دخل النار، فكيف يجروء أهل الغلو على مقولتهم الآثمة أن علياً هو نفس محمد عليه الصلاة والسلام سوى النبوة فقط!

وهل كمال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم البشري ككمال علي البشري في نبوته صلوات الله وسلامه عليه أو حتى قبل نبوته؟!

هل يدعي هؤلاء أنه لا فرق بين رسول الله قبل النبوة وبين علي بن أبي طالب، وأن النبوة حينما جاءت لم تجد فرقاً بين محمد عليه الصلاة والسلام وبين علي بن أبي طالب، لكن الاختيار وقع على محمد عليه الصلاة والسلام هكذا لحكمة ربانية لا نعلمها لا لكونه أكمل وأفضل وأشرف مقاماً وأعظم خلقاً واستحقاقاً من علي بن أبي طالب؟!

إن الشيعة الاثني عشرية اليوم يغضبون من متعصبة أهل السنة الذين ينسبون إليهم القول بأن جبريل أخطأ في إنزال النبوة على محمد وأنها كانت ستنزل على علي!، وهذا باطل والشيعة الاثنا عشرية بريئون من هذا القول^(١)، لكنهم في الوقت ذاته يساوون بين نفس رسول الله ونفس علي بن أبي طالب، ويستثنون النبوة، وكأنهم يقولون من حيث لا يشعرون أن الله عز وجل لم يصطف محمداً عليه الصلاة والسلام لتمييزه عن سائر الخلق إذ أن علياً نفسه بالضبط لكن جاءت المشيئة الإلهية بأن يكون هو النبي وأن يكون علي وصياً له!

وقد قال المجلسي تعليقاً على حديث (إن الله اتخذ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عبداً قبل أن يتخذ نبياً، وإن علياً عليه السلام كان عبداً ناصحاً لله عز وجل) ما نصه: (والغرض أن هذا

١- إن الفرقة التي ادعت ذلك في الإمام علي بن أبي طالب هي فرقة (الغرابية) وهي فرقة شيعية قديمة يغلب على الظن أنها انقرضت منذ زمن بعيد، لكن حدثني بعض الثقات عن معرفتهم لأشخاص يتبنون هذا الفكر، فلعلمهم من بقايا هذه الفرقة البائدة.

الكمال الذي كان حاصلًا لنبينا قبل بعثته ونبوته، قد كان لعلي عليه السلام وكان في جميع الكمالات مشاركاً مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم سوى النبوة فقد أخذتم بولاية من هو هكذا^(١).
رحمك ربي... إلى أي ضلالة يقودنا الغلو من حيث لا نشعر...

آية ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾

واستدل الشيعة الإثني عشرية بما رواه ابن جرير الطبري في (تفسيره ١٣/ ٧٢) وابن عساكر في تاريخه (١٢/ ١٥٤) عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (أنا المنذر وعلي الهادي، بك يا علي يهتدي المهتدون بعدي) على أنّ الإمام علياً هو وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والإمام من بعده. ولمعرفة المراد بالآية الكريمة ومدى صحة استدلال الشيعة الإثني عشرية بهذا النص، فلا بد لنا في ذلك من طريقتين:

أولهما: يكون بالنظر إلى ألفاظ الآية الكريمة ومدى دلالتها على الإمام علي أو على غيره. وثانيهما: يكون بالنظر في سنة النبي عليه الصلاة والسلام الثابتة الصحيحة، فإن ثبت فيها أنّ المراد بالآية علي بن أبي طالب أو غيره أخذنا بذلك دون تردد.

فأما الطريق الأول، فمن الجلي أنّ الآية لا تدل بألفاظها على أنّ المراد بالهادي هو علي بن أبي طالب أو غيره من الصحابة كأبي بكر أو عمر أو عمار أو أبي ذر أو غيرهم.

وأما الطريق الثاني فبالنظر إلى الرواية السابقة نلاحظ التالي في سند الحديث:

- ١- أنّ أحد رواة السند وهو (معاذ بن مسلم) مجهول
- ٢- أنّ في السند (الحسن بن الحسين الأنصاري العرني الكوفي) وهو متهم.

قال عنه ابن عدي: (لا يشبه حديثه حديث الثقات)

وقال ابن حبان: (يأتي عن الأثبات بالملزقات، ويروي المقلوبات)!

٣- اختلاط عطاء بن السائب.

٤- في رواية الحاكم في المستدرک (٣/ ١٢٩-١٣٠) وابن عساکر في تاريخه (١٢/ ١٥٤) جاء النص باللفظ التالي: (قال علي: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنذر، وأنا الهادي) وفي الرواية: (حسين الأشقر) وهو متروك الحديث.

ومما يُنتقد في هاتين الروایتين (الأولى والثانية) أمور منها:

أولاً: أنّ قوله (بك يهتدي المهتدون بعدي) يعني أنّ كل من اهتدى من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيالإمام علي بن أبي طالب، وفي هذا إجحاف بحق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي هو قدوة وهداية للناس في حياته وبعد وفاته، فهو القائل عليه الصلاة والسلام (قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها. لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك)^(١)، فكيف لا يكون الرسول عليه الصلاة والسلام مصدر هداية بعد وفاته، بينما يكون علياً مصدر هداية للأمة في حياته ومن بعد وفاته!

فكأنّ الرسول عليه الصلاة والسلام عند هؤلاء منذر فقط وليس بهادٍ، وإنما الهادي هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه!

وكون رسول الله هادياً مما لا يُحتاج إلى إثبات أو تدليل أصلاً لكنني أشير بهذا إلى قول الله تعالى عن نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

ولذلك يُقال هؤلاء المجادلون: إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد آمن به خلق كثير واهتدوا به ودخلوا الجنة بذلك، وأغلبهم لم يسمعوا من علي كلمة واحدة يهتدون بها أو من أبي بكر أو غيرهما، وكذلك لما فُتحت الأمصار ودخل الناس في دين الله أفواجاً واهتدوا بهذا الدين وبما علموه من كلام الله وكلام رسوله لم يكن هؤلاء قد سمعوا من الإمام علي بن أبي طالب بلاغاً خاصاً يهتدون به بل اهتدوا بما علموه من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

١- سنن ابن ماجه - كتاب السنة - باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين - حديث رقم (٤٣).

فهل يُقال عنهم مهتدون أم ضالون؟ فإن قيل (مهتدون) كان ذلك كافياً في إبطال الرواية، وإن قيل (ضالون) كان هذا خلاف ما دل عليه كتاب الله وسنة نبيه وإجماع المسلمين.

كما أنّ في الرواية إجحاف واضح بحق باقي الصحابة الذين اهتدى على أيديهم خلق لا يُحصون عدداً.

فالرواية يُكذبها الواقع بلا ريب، فقد فتح الصحابة البلدان وانتشر العلم على يدي عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وعبد الله بن عباس وغيرهم فاهتدى الناس لسنة نبيه وعرفوا تعاليم دينهم من خلال هؤلاء الصحابة، فما الذي جعل الهداية حكرًا على الإمام علي رضي الله عنه دون هؤلاء؟! هؤلاء؟!!

ثانياً: قوله تعالى ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ نكرة في سياق الإثبات، وهذا لا يدل على شخص معين دون غيره، فدعوى دلالة هذه الآية على علي بن أبي طالب أو أبي بكر أو عمر أو غيرهم باطلة ما دام النص القرآني لا يدل على ذلك، وما دامت الرواية المذكورة في هذا الشأن لا تصح سنداً ولا متناً.

ثالثاً: قال الشيخ محمد بن الحسن الحلي (الملقب بابن العلامة) في كتابه (إيضاح الفوائد في شرح إشكالات القواعد) ما نصه: (نسبة الإرشاد إلى الأنبياء ونسبة التكميل إلى الأوصياء إشارة إلى قوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ وجعل النبي للتبليغ والوصي للتكميل!)^(١).

وأقول: أي قلة حياء هذه في أن يُنسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه ترك مهمة إكمال الدين لغيره؟!!

ثم أين ابن العلامة وأمثاله من المتجاسرين على مقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

[المائدة: ٣]؟! فقد تم الدين وأكمل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإنكار كمال الدين على يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنكار لما عُلِمَ من الدين بالضرورة، وتكذيب صارخ لكتاب الله تعالى الذي نص على ذلك، والقائل بذلك كافر بإجماع المسلمين.

رابعاً: استدل بعضهم بما أخرجه عبد الله بن أحمد في (زوائد المسند ١/ ١٢٦) عن السدي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في تفسير الآية (المنذر والهادي: رجل من بني هاشم) على أنه دليل واضح على أن المراد بالهادي في الآية هو الإمام علي بن أبي طالب، وهو استدلال غريب عجيب ينبي عن قلة فهم للآية وللحديث معاً!

فالله تعالى في الآية الكريمة يصف رسوله الكريم بأنه منذر فيقول ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾ و(أنت) هنا لا تخاطب علياً أو أبا بكر أو غيرهما وإنما تخاطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والرواية تجعل (المنذر والهادي) شخصاً واحداً هو رجل من بني هاشم، وهل يختلف إثنان في أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو المنذر؟ بلا شك لا، وهل يختلف إثنان أن رسول الله من بني هاشم؟ بلا شك لا، إذن من هو الهادي؟ هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلا شك.

ويكون حينئذ قول الرواية (رجل من بني هاشم) كنحو قول النبي عليه الصلاة والسلام عن نفسه قبل وفاته بفترة (إن الله سبحانه خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله)^(٥٢٤) وقد كان عليه الصلاة والسلام يعني بذلك نفسه الشريفة لكنه لم يصرح بذلك لحكمة يعلمها هو صلى الله عليه وآله وسلم.

هذا على فرض قبول الرواية، وإلا فالسدي المذكور في الرواية وإن كان هو (السدي الكبير) إلا أنه يُتَحَفَظُ على رواياته كثيراً.

(٥٢٤) صحيح البخاري - كتاب الصلاة - باب الخوخة والممر في المسجد - حديث رقم (٤٦٦).

قال عنه أبو زرعة: لين الحديث، وقال أبو حاتم: يُكتب حديثه لكن لا يُتج به، وقال عبد الرحمن مهدي: ضعيف، وقال يحيى بن معين: ضعيف، وهو متهم بالتفسير عند الشعبي وإبراهيم النخعي.

خامساً: اختلفت أقوال المفسرين في المراد بقوله تعالى ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ على قولين: فذهب ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والضحاك وعكرمة والنخعي إلى أن المراد بالهادي هو (الله تعالى).

وذهب الحسن وعطاء وقتادة وأبو الضحى إلى أن المراد بالهادي هو (النبي صلى الله عليه وآله وسلم).

وكلا القولين صحيح باعتبار ما يُراد من الآية، فإن أُريد بالهداية هنا (هداية السداد والتوفيق) فهذه لا تكون إلا لله عز وجل.

فيكون معنى الآية: (إنما عليك الإنذار، وعلينا الهداية).

وإن أُريد بالآية (هداية الإرشاد والتبليغ) فهذه واقعة في حق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دون غيره.

ولعله مما يُقوي قول القائلين بأن الهادي هو الله تعالى، التشابه الكبير بين قوله تعالى ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] وهي الآية التي نتكلم عنها، وبين قوله تعالى في السورة نفسها ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ﴾ [الرعد: ٢٧]، فكان الآية هذه مفسرة للأخرى، والله تعالى أعلى وأعلم.

مناقشة ما يُستدل به على الإمامة من السنة النبوية

الف: حديث غدیر خم

يعتبر حديث الغدير أهم أدلة الشيعة على خلافة الإمام علي على الإطلاق، ولا يرتاب أحد في أن هذا الحديث من أبرز مناقب الإمام علي، فيكفيه فضلاً وشرفاً رضوان الله عليه أن تُقال في مثله هذه الكلمات العظيمة، ولسنا نناقش هل الحديث من مناقب فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أم لا، لأن هذا أمر مفروغ منه، ومحسوم من الطرفين (السنة والشيعة)، لكن نقاشنا يدور حول دلالة الحديث على الإمامة بالمعنى الذي تذهب إليه الشيعة الاثني عشرية.

وحديث غدیر خم رواه ابن ماجة في السنن بسنده عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: (أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجته التي حج، فنزل في بعض الطريق، فأمر الصلاة جامعة، فأخذ بيد علي رضي الله عنه، فقال: أأست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: أأست أولى بكل مؤمن من نفسه؟، قالوا: بلى، قال: فهذا وليُّ من أنا مَوْلَاهُ، اللهم والِ من والاه، اللهم عادِ من عاداه^(١)).

المناقشة:

سُمِّي الحديث باسم حديث الغدير لوقوع مكانه عند غدیر خم، ويبعد غدیر خم عن الجحفة ميلان^(٢) أو (ثلاثة أميال من الجحفة يسرة عن الطريق، وهذا الغدير فيه عين وحوله شجر كثير ملتف وهي الغيضة التي تسمى خم)^(١).

١- سنن ابن ماجة - كتاب السنة - باب (في فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) - حديث رقم (١١٦).

٢- معجم البلدان ١١١/٢

وقد حدد آية الله لطف الله الصافي الكلبايكاني المسافة بين مكة وبين الجحفة في رسالته العملية (مناسك الحج) بـ «مائتين وعشرين كيلو متراً تقريباً»^(١).

والمأمل لحديث الغدير وملابساته يعلم علم اليقين أنه ليس في الحديث دلالة على معنى الخلافة بل المعنى المراد هو النصر والمحبّة، وإليك بيان ذلك:

أولاً: غدير خم يبعد عن مكة ما يقارب المائتين وعشرين كيلو متراً أو أكثر أو أقل بقليل، فإن كان مراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تنصيب علي بن أبي طالب إماماً من بعده، فلم لم يعلن ذلك في حجة الوداع أو يوم عرفة إذ فيها من اجتماع المسلمين والفضيلة ما لا يتأتى في غيرهما؟

والقول بأن الجحفة أو غدير خم مفترق طرق الحجيج جهل أو بالأحرى محض كذب على الشرع، لأن مجتمع الحجيج هو مكة ومفترقهم هو مكة أيضاً، وكيف يجوز لعاقل أن يتصور أن يكون مفترق الحجيج بعيداً عن مكة أكثر من مائتين وعشرين كيلو متراً؟

ولذلك لم يكن مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في طريق عودته إلى المدينة إلا أهل المدينة ومن كان على طريق المدينة فقط، ولو أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يوصي بالإمامة من بعده فإنه لا يعقل أن ينتظر تفرق الناس من بعد الحج بين ماكث في مكة وعائد إلى اليمن أو الطائف، ثم يعلن بعد ذلك عن هذه القضية الهامة في منطقة تبعد عن مكة المكرمة كل هذا البعد، فلا ينصت إلى خطبته إلا أهل المدينة ومن كان على دربهم فقط؟!!

ثانياً: حديث الغدير لم يأت من فراغ بل لسبب وعلّة لا ينبغي إغفالها.

فقد أرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه خلف خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى اليمن ليخمس الغنائم ويقبض الخمس.

١- معجم ما استعجم ٢/ ٣٦٨

٢- مناسك الحج ص ٦١

لكن قسمة الخمس كانت سبباً في إثارة الجيش على الإمام علي بن أبي طالب.
 روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي بريدة قال: أبغضت علياً بغضاً لم يبغضه أحد قط، قال:
 وأحببت رجلاً من قريش لم أحبه إلا على بغضه علياً، قال: فبعث ذلك الرجل على خيل فصحبته
 ما أصحبه إلا على بغضه علياً، قال: فأصبنا سبباً، قال: فكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم ابعث إلينا من يحمسه، قال: فبعث إلينا علياً، وفي السبي وصيفة هي أفضل من السبي
 فخمس، وقسم فخرج رأسه مغطى، فقلنا: يا أبا الحسن ما هذا؟ قال: ألم تروا إلى الوصيفة التي
 كانت في السبي، فإني قسّمت وخمسّت، فصارت في الخمس ثم صارت في أهل بيت النبي صلى الله
 عليه وآله وسلم ثم صارت في آل علي ووقعت بها، قال: فكتب الرجل إلى نبي الله صلى الله عليه
 وآله وسلم، فقلت: ابعثني فبعثني مصداقاً، قال: فجعلت أقرأ الكتاب وأقول: صدق، قال:
 فأمسك يدي والكتاب، وقال: أتبغض علياً؟ قال: قلت: نعم، قال: فلا تبغضه وإن كنت تحبه
 فازدد له حباً، فوالذي نفس محمد بيده لنصيب آل علي في الخمس أفضل من وصيفة، قال: فما كان
 من الناس أحد بعد قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحب إليّ من علي^(١).

وفي رواية عن بريدة أيضاً أنه مرّ على مجلس وهم يتناولون من علي، فوقف عليهم فقال: إنه قد
 كان في نفسي على عليّ شيء، وكان خالد بن الوليد كذلك، فبعثني رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم يعني في سرية عليها علي فأصبنا سبباً، قال: فأخذ علي جارية من الخمس لنفسه، فقال خالد
 بن الوليد: دونك، قال: فلما قدمنا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم جعلت أحدثه بما كان، ثم
 قلت: إنّ علياً أخذ جارية من الخمس، قال: وكنت رجلاً مكباباً، قال: فرفعت رأسي، فإذا وجه
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد تغير، فقال: من كنت وليه فعلي وليه^(٢).

١- مسند أحمد - حديث رقم (٢٣٠١٧) بسند حسن

٢- مسند أحمد - حديث رقم (٢٣٠٧٨) وفضائل الصحابة ٢/ ٨٥٧ - حديث رقم (١١٧٧)، قال الشيخ

شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وفي رواية عن بريدة أيضاً أنه قال: غزوت مع علي اليمن فرأيت منه جفوة فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذكرت علياً فتنقصته فرأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتغير فقال: يا بريدة، ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه^(١).

ولم يكن هذا الأمر هو الأمر الوحيد الذي أثار الناس على الإمام علي بن أبي طالب آنذاك. فلما كانت حجة الوداع، رجع علي من اليمن ليدرك الحج مع النبي صلى الله عليه وسلم، وساق معه الهدى^(٢)، واستخلف على الجند رجلاً من أصحابه، فكسا ذلك الرجل كل رجل حلة البزّ دون إذن علي بن أبي طالب، فلما قدم عليهم علي انتزعها منهم فسخط الناس عليه. قال ابن إسحاق في السيرة: (لما أقبل علي رضي الله عنه من اليمن ليلقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة تعجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واستخلف علي جنده الذين معه رجلاً من أصحابه فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حلة من البز الذي كان مع علي رضي الله عنه، فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم فإذا عليهم الحلل، قال: ويلك ما هذا؟ قال: كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس، قال: ويلك، انزع قبل أن تنتهي به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: فانتزع الحلل من الناس فردها في البز، قال: وأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم)^(٣).

قال الواقدي: قال أبو سعيد الخدري - وكان معه في تلك الغزوة -: وكان علي عليه السلام ينهانا أن نركب إبل الصدقة، فسأل أصحاب علي عليه السلام أبا رافع أن يكسوهم ثياباً فكساهم

١- مسند أحمد - حديث رقم (٢٢٩٩٥)، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

٢- ذكر مسلم في صحيحه في كتاب الحج - باب (حجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم) - حديث رقم (١٢١٨).

٣- السيرة لابن هشام ٤/٦٠٣

ثوبين ثوبين، فلما كانوا بالسدره داخلين مكة، خرج علي عليه السلام يتلقاهم ليقدم بهم فيتزلمهم، فرأى علي أصحابنا ثوبين ثوبين على كل رجل، فعرف الثياب فقال لأبي رافع: ما هذا؟ قال: كلموني ففرقت من شكائتهم، وظننت أنّ هذا يسهل عليك، وقد كان من كان قبلك يفعل هذا بهم، فقال: رأيت إبائي عليهم ذلك وقد أعطيتهم!، وقد أمرتك أن تحتفظ بها خلقت، فتعطيهم!، قال: فأبى علي عليه السلام أن يفعل ذلك حتى جرّد بعضهم من ثوبيه، فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شكوا، فدعا علياً فقال: ما لأصحابك يشكونك؟ فقال: ما اشتكيتهم، قسمت عليهم ما غنموا وحبست الخمس حتى يقدم عليك وترى رأيك فيه، وقد كانت الأمراء يفعلون أموراً، فيُنقلون من أرادوا من الخمس، فرأيت أن أحمله إليك لترى فيه رأيك، فسكت النبي صلى الله عليه وآله وسلم^(١).

ومما أثار الجيش أيضاً ما ذكره الواقدي في المغازي عن عمر بن علي أنه قال: (وجمع علي عليه السلام ما أصاب من تلك الغنائم فجزأها خمسة أجزاء فأفرع عليها، فكتب في سهم منها (الله)، فخرج أول السهم سهم الخمس ولم ينفل أحداً من الناس شيئاً، فكان من قبله يعطون أصحابهم - الحاضر دون غيرهم - من الخمس، ثم يخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلا يرده عليهم، فطلبوا ذلك من علي عليه السلام فأبى، وقال: الخمس أحمله إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيرى فيه رأيه، وهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوافي الموسم ونلقاه ويصنع فيها ما أراه الله، فانصرف راجعاً، وحمل الخمس وساق معه ما كان ساق فلما كان بالفتق وقد تجلّى سخط الجيش على علي بن أبي طالب فيما رواه الترمذي في جامعه عن عمران بن حصين قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جيشاً واستعمل عليهم علي بن أبي طالب فمضى في السرية فأصاب جارية فأنكروا عليه، وتعاهد أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله

١- مغازي الواقدي ٣/ ١٠٨٠

٢- المصدر السابق

عليه وآله وسلم فقالوا: إذا لقينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبرناه بما صنع علي، وكان المسلمون إذا رجعوا من السفر بدءوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسلموا عليه ثم انصرفوا إلى رحالهم، فلما قدمت السرية سلموا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقام أحد الأربعة فقال: يا رسول الله، ألم تر إلى علي بن أبي طالب صنع كذا وكذا، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قام الثاني فقال مثل مقالته فأعرض عنه ثم قام الثالث فقال مثل مقالته فأعرض عنه ثم قام الرابع فقال مثل ما قالوا، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والغضب يعرف في وجهه، فقال: ما تريدون من علي؟ ما تريدون من علي؟ ما تريدون من علي؟ إنَّ علياً مني وأنا منه، وهو وليُّ كل مؤمن من بعدي^(١).

قال المؤرخ ابن كثير: (إنَّ علياً رضي الله عنه لما كثر فيه القيل والقال من ذلك الجيش بسبب منعه إياهم استعمال إبل الصدقة واسترجاعه منهم الحلال التي أطلقها لهم نائبه لذلك، لما رجع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من حجته وتفرغ من مناسكه، وفي طريقه إلى المدينة مرَّ ببغدير خم فقام في الناس خطيباً فبرأ ساحة علي، ورفع قدره ونبّه على فضله ليزيل ما وقر في قلوب كثير من الناس)^(٢).

ولذلك أخرج رسول الله صلى الله عليه وآله الكلام إلى أن رجع إلى المدينة ولم يتكلم وهو في مكة أو يوم عرفة حيث اجتمع المسلمون وإنما أرجأ الأمر إلى طريق العودة لأنَّ الأمر متعلق بأهل المدينة الذين تكلموا في علي والذين كانوا مع علي في الغزو.

١- جامع الترمذي - كتاب المناقب - باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه - حديث رقم (٣٧١٢)، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث جعفر بن سليمان، وجعفر بن سليمان شيعي مُختلف في روايته، فبعضهم أخذ بروايته هذه دون ملاحظة انفراده بزيادة (من بعدي)، وبعضهم لحظها وعدَّ الزيادة من مناكير.

ثالثاً: حديث الغدير باعتراف عالمين من علماء الشيعة الإثني عشرية ليس دليلاً صريحاً أو نصاً جلياً على إمامة علي بن أبي طالب بل هو دليل ظني محتمل للتأويل، وأولته الطائفة الإثني عشرية على ما أرادت من إثبات النص على الإمام علي بينما تأوله جمهور المسلمين على اختلاف طوائفهم ومشاربهم الفكرية على خلاف ذلك!

فقد ذكر العلامة الشيعي أبو المجد الحلبي في كتابه (إشارة السبق إلى معرفة الحق) أنّ حديث غدير خم من الأحاديث المحتملة للتأويل فقال: (ومنها: الخفية المحتملة للتأويل، أولها: نص يوم الغدير، قوله صلى الله عليه وآله (من كنت مولاه فعلي مولاه))^(١).

وقال الشيخ أحمد القبانجي - وهو أحد شيوخ الشيعة المعاصرين - في كتابه (خلافة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بالنص أم بالنصب؟) ما نصه: (وقد رأيت في بعض كتابات الأصحاب أنّ المرتضى مع كونه من أساطين الإمامية ومتكلميهم إلا أنه لا يرى في كتابه (الشافي) أنّ حديث الغدير نص جلي على نصب الإمام علي بل عدّه من النص الخفي)^(٢).

رابعاً: (وهو الأهم): لفظ (مولى) لا يخدم النظرية الإمامية، والاستشهاد بلفظ (مولى) على معنى الوصاية والوزارة جهل باللغة العربية، فإنّ الولاية بالفتح هي ضد العداوة، والاسم منها (مولى، وولي)، والولاية بكسر الواو هي الإمارة، والاسم منها (والي ومتولي)، والموالاتة ضد المعاداة، كقوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكٰفِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١] وقال ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١] والآيات في هذا المعنى كثيرة^(٣).

١- إشارة السبق ص ٥٢

٢- خلافة الإمام علي (ع) بالنص أم بالنصب ص ٥٦

٣- الفيروز أبادي في القاموس - مادة (ولي)

ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصيح بليغ ولو أراد من الحديث معنى الإمامة كما يفهمها الشيعة الاثني عشرية لصرح بذلك بأنسب عبارة وأوضح تعبير دون استخدام لفظ بعيد عن معنى الإمامة والولاية ويحتمل أكثر من معنى، كل معنى من تلك المعاني أبعد ما يكون عن مدلول الإمامة.

ولمّا كان مقصود رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الشهادة لعلي بن أبي طالب بأنه يستحق الموالاتة والنصرة ظاهراً وباطناً استخدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفظ (مولى) في مكانه للدلالة على ذلك.

فلو كان ما ذكره صلى الله عليه وآله وسلم في غدیر خم بلاغاً للناس كافة لذكره في حجة الوداع التي اجتمع فيها المسلمون كافة تقريباً، ولو أنه ذكره في حجة الوداع لكان من اللازم أن يصرح بأنّ علياً هو الإمام من بعده بكل بوضوح، فليست تلك الكلمات صعبة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كي يتفوه بها بدلاً من عبارة (من كنت مولاه فعلي مولاه).

ولعله مما يؤكد ذلك هو تامة حديث الغدير وهي بحد ذاتها تفسير لما أشكل في الحديث، ففي تامة الحديث قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) فيبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهذه العبارة أنّ المراد بالتولي هنا ولاء المحبة والنصرة.

خامساً: فهم صحابة رسول الله للنص:

فالصحابة لم يفهموا من حديث الغدير المعنى الذي يذهب إليه الشيعة الاثنا عشرية بل إنّ أقرب الناس إلى الإمام علي كأيّ أيوب الأنصاري ومن معه من الأنصار قد فهموا أنّ المراد بالمولى أو الولي هو (الحب والولاء والطاعة) ولذلك عبّروا عن طاعتهم وإجلالهم لسيد أهل البيت علي بن أبي طالب بمناداته (يا مولانا).

فعن رباح الحارث قال: جاء رهط إلى علي بالرحبة فقالوا: السلام عليك يا مولانا، فقال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يوم غدیر

خم (من كنت مولاه فهذا مولاه)، قال رياح: فلما مضوا اتبعتهم فسألت من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري^(١).

إنَّ أهم ما يُستفاد من هذا الحديث هو أنَّ علي بن أبي طالب نفسه لم يكن يفهم من لفظ (مولى) معنى الإمامة والإمارة!

فمن الملاحظ أنَّ الإمام علياً قد استنكر منهم مناداته بـ (يا مولانا) ظناً منه أنهم يريدون بهذا النداء أنه سيدهم وهم عبيده كنحو مناداة العبد الأعجمي لسيده، فسألهم متعجباً: (كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟) فأخبروه بمرادهم من هذه العبارة.

ومن الواضح في كلام الإمام علي أنه كان بعيداً عن ربط كلمة (المولى) بالإمارة، فهو عربي فصيح يدرك أنَّ لفظ (مولى) لا يمكن بحال من الأحوال أن يراد به الإمامة.

أما الأنصار فالأمر بالنسبة لهم طبيعي، فعلي بن أبي طالب رضي الله عنه هو الرجل الذي أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بحبه ونصرته، ولذلك عبَّروا عن حبهم ونصرتهم وولائهم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه بهذه الكلمات.

ولقد رأينا الأنصار الذين رووا حديث الغدير وعملوا بمضمونه فنادوا بالإمام بـ (يا مولانا) تطبيقاً لمعنى الحديث الشريف، هم الذين وقفوا جنباً إلى جنب مع الإمام علي في حربه ضد أهل الشام، في حين أنهم لم يجدوا أدنى حرج في تنصيب أبي بكر الصديق رضي الله عنه خليفة على المسلمين.

ولو كانوا قد فهموا من الحديث معنى الإمامة لكانوا هم أول من سلّم الإمامة لعلي، فالإمامة ستخرج من أيديهم لا محالة إما لأبي بكر وإما لعلي، ولا مصلحة لهم تقتضي أن ينكروا حق علي وهم يعلمونه من رسول الله.

١- إسناده صحيح، رواه أحمد في المسند ٤١٩/٥ وفي فضائل الصحابة ٧٠٧/٢ حديث رقم ٩٦٧

سادساً: روت كتب الفريقين (السنة والشيعة) أقوالاً لبعض أئمة وعلماء أهل البيت ينفون فيها أن يكون المراد بحديث الغدير النص على إمامة علي من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فقد روى الإمام محمد بن عاصم الأصبهاني عن الفضيل بن مرزوق قوله: (سألت عمر بن علي وحسين بن علي عمي جعفر^(١) فقلت: هل فيكم إنسان من أهل البيت أحد مفترض طاعته تعرفون له ذلك؟ ومن لم يعرف له ذلك فمات، مات ميتة جاهلية؟ فقال: لا والله، ما هذا فينا، من قال هذا فينا فهو كذاب.

قال: فقلت لعمر بن علي: رحمك الله، إن هذه منزلة، إنهم يزعمون أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أوصى إلى علي وأن علياً أوصى إلى الحسن، وأن الحسن أوصى إلى الحسين وأن الحسين أوصى إلى ابنه علي بن الحسين، وأن علي بن الحسين أوصى إلى ابنه محمد بن علي. قال: والله لقد مات أبي^(٢) فما أوصاني بحرفين، ما لهم قاتلهم الله!، إن هؤلاء متأكدين بنا، هذا خنيس، وهذا خنيس الحر، وما خنيس الحر.

قال: قلت له: هذا المعلّى بن خنيس؟ قال: نعم، المعلّى بن خنيس، والله لقد أفكرت على فراشي طويلاً أتعجب من قوم لبس الله عز وجل عقولهم حتى أضلهم المعلّى بن خنيس^(٣). وقد قيل للإمام الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الذي كان كبير الطالبين في عهده وكان وصي أبيه وولي صدقة جده: ألم يقل رسول الله: (من كنت مولاه فعلي مولاه؟ فقال: بلى، والله لو

١- المراد بجعفر هنا هو الإمام جعفر الصادق، والإمامان عمر وحسين هما عمّا الإمام جعفر.

٢- أي الإمام زين العابدين (علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب).

٣- المعلّى بن خنيس هو أحد رواة الشيعة الإثني عشرية المعدودين عندهم من جملة أصحاب الإمام جعفر الصادق، وفي الرواية تصريح من الإمامين (عمر بن علي) و(حسين بن علي) عمي الإمام جعفر الصادق بأن ما يُذكر عن آل البيت من أن فيهم أئمة مفترض الطاعة إنما هو محض افتراء عليهم، وقد أشار الإمام عمر بن علي إلى أحد الذين تولوا كبر هذه المقالة وهو (المعلّى بن خنيس).

يعني بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الإمارة والسلطان لأفصح لهم بذلك، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان أنصح للمسلمين، لقال: (يا أيها الناس، هذا ولي أمركم، والقائم عليكم من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا)، والله لئن كان الله ورسوله اختار علياً لهذا الأمر وجعله القائم للمسلمين من بعده ثم ترك علياً أمر الله ورسوله لكان علي أول من ترك أمر الله وأمر رسوله^(١).

وفي رواية: (أما والله إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو كان يعني بذلك الإمارة والسلطان، والقيام على الناس بعده لأفصح لهم بذلك، كما أفصح لهم بالصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج البيت، ولقال لهم: إن هذا ولي أمركم من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا فما كان من وراء هذا شيء، فإن أنصح الناس كان للمسلمين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)^(٢).

وكان ابنه الإمام عبد الله يقول: (من هذا الذي يزعم أن علياً كان مقهوراً؟ وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمره بأمور لم ينفذها؟ فكفى بهذا إزرار عليّ ومنتقصة بأن يزعم قوم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمره بأمور فلم ينفذها)^(٣).

وكان يقول: (ما لنا في هذا الأمر ما ليس لغيرنا)^(٤) نافياً أن تكون الإمامة حقاً لأهل البيت أو لبعضهم دون سائر الناس فضلاً عن كونها من الله تعالى.

فإذا كان هذا كلام أهل البيت وهم أبناء علي والناصرين له، فما ترى غيرهم يقولون؟
سابعاً: قرأت كلاماً نفيساً للباقلاني رحمه الله في شأن هذا الحديث يقول فيه: (إن ما أثبتته لنفسه صلى الله عليه وآله وسلم من كونه أولى بهم ليس هو من معنى ما أوجبه لعلي بسبيل، لأنه قال:

١- تاريخ ابن عساكر ٦٠/١٥ ترجمة (الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب) رقم (١٦٠٥).

٢- المصدر نفسه

٣- تاريخ ابن عساكر ٢٥٦/٢٩ ترجمة عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب) رقم (٣٣٢٣).

٤- بحار الأنوار ٤٧/٢٧١ - باب أحوال أقرائه وعشائره وما جرى بينه وبينهم - حديث رقم (٣)

(من كنت مولاه فعلي مولاه)، فأوجب الموالاتة لنفسه ولعلي وأوجب لنفسه كونه أولى بهم من أنفسهم وليس معنى أولى من معنى (مولى) في شيء، لأنّ قوله (مولى) يحتل في اللغة وجوهاً ليس فيها معنى (أولى) فلا يجب إذا عُقِبَ كلام بكلام ليس من معناه أن يكون معناهما واحداً.

ألا ترون أنه لو قال: أَلست نبيكم والمخبر لكم بالوحي عن ربكم وناسخ شرائع من كان قبلكم؟ ثم قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه، لم يوجب ذلك أن يكون قد أثبت لعلي من النبوة وتلقي الوحي ونسخ الشرائع على لسانه ما أوجبه في أول الكلام لنفسه ولا أمر باعتقاد ذلك فيه من حيث ثبت أنه ليس معنى نبي معنى مولى فكذلك إذا ثبت أنه ليس معنى أولى معنى مولى لم يجب أن يكون قد أثبت لعلي ما أثبته لنفسه وإنما دخلت عليهم الشبهة من حيث ظنوا أنّ معنى مولى معنى أولى وأحق، وليس الأمر كذلك.

وعلى أنه لو ثبت أنّ معنى (مولاه) معنى (أولى) وإن كان محتملاً لوجوه آخر، لم يجب أن يكون المراد بقوله (فمن كنت مولاه فعلي مولاه): من كنت أولى به، وإن نُسِقَ بعض الكلام على بعض وكان ظاهره يقتضي ذلك للدليل صرفه عما يقتضيه وهو أنّ الأمة مجمعة على أنّ النبي صلوات الله وسلامه عليه أوجب ما أوجبه بقوله (ما كنت مولاه فعليّ مولاه) في وقت وقوع هذا القول في طول أيام حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلو كان إنما أثبت له الولاية عليهم وجعله أولى بهم وألزمهم طاعته والانقياد لأوامره لوجب أن يكون قد أثبته إماماً وأوجب الطاعة له أمراً ونهاياً فيهم مع وجوده سائر مدته صلى الله عليه وآله وسلم، فلما أجمعت الأمة على فساد ذلك وإخراج قائله من الدين، ثبت أنه لم يرد به (فمن كنت مولاه): من كنت أولى به، ولم يرد بقوله (فعلي مولاه) أنه أولى به.

ويدل على ذلك أيضاً ويؤكد ما يروونه من قول عمر: (أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن)^(١) فأخبر أنه قد ثبت كونه مولى له ولكل مؤمن فلم ينكر ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدل على أنه قد أثبت له في ذلك الوقت ما أثبتته لنفسه وليس هو الولاية عليهم ولزوم طاعتهم له فهذه دلالة تصرف الكلام عن مقتضاه لو كان معنى مولى معنى أولى، وكان نسق الكلام يقتضي ذلك، فسقط ما تعلقوا به^(٢).

فإن قالوا: فما معنى مولى عندكم؟ وما الذي أثبتته النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الكلام لعليّ وقصد به؟ قيل لهم: أما معنى (مولى) فإنه يتصرف على وجوه: فمنها المولى بمعنى الناصر، ومنها المولى بمعنى ابن العم، ومنها المولى بمعنى الموالي المحب، ومنها المولى بمعنى المكان والقرار، ومنها المولى بمعنى المعتق المالك للولاء، ومنها المولى بمعنى المعتق، ومنها المولى بمعنى الجار، ومنها

١- رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٨/ ٢٨٤ وهو ضعيف، ففي سنده (شهر بن حوشب) قال عنه النسائي: ليس بالقوي، وقال شعبة: لقيت شهراً فلم أعتد به، قال عنه ابن حبان: كان ممن يروي الثقات المعضلات وعن الأثبات المقلوبات، وهو عند ابن حجر (صدوق كثير الإرسال والأوهام)، وفيه أيضاً: (علي بن سعيد الرملي) قال عنه ابن حجر في (لسان الميزان): يُثبت في أمره كأنه صدوق!، وفيه أيضاً: (مطر طهمان الوراق) قال عنه ابن سعد: كان فيه ضعف بالحديث، وقال أبو داود: ليس هو عندي بحجة ولا يُقطع به في حديث إذا اختلف.

٢- يقول الشيخ أحمد القبانجي في كتابه (خلافة علي عليه السلام بالنص أم بالنصب؟) ص ٥٦ ما نصه: (ومما يؤيد أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث الغدير لم يقصد بالخلافة من كلمة (المولى) هو أنّ الأخبار على كثرتها لم تذكر أمر البيعة للإمام علي عليه السلام، وغاية ما ورد هو تهنئة بعض الصحابة للإمام علي بهذا المقام بقولهم (بخ بخ لك يا علي...)، ومعلوم أنّ مثل هذه العبارات لا تعد بيعة، ولو كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقصد تنصيبه لمقام الخلافة من بعده، فلماذا لم يأخذ من المسلمين البيعة للإمام واكتفى بالإعلان المذكور؟ ألم يكن الأولى أخذ البيعة منهم لإحكام الأمر وتقوية الحجة ولكيلا يختلف المسلمون بعده في مراده من كلمة (المولى)؟).

المولى بمعنى الصهر، ومنها المولى بمعنى الحليف، فهذا جميع ما يحتمله قوله (مولى)، وليس من معنى هذه اللفظة أنّ المولى إمام واجب الطاعة، قال تعالى في المولى بمعنى الناصر ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلْحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التحریم: ٤] يعني ناصره.

وقال الأخطل:

فأصبحت مولاها من الناس كلهم وأحرى قريش أن تُهاب وتُحمدا
أي فأصبحت ناصرها وحامي ذمارها.

وأما المولى بمعنى ابن العم فمشهور، قال الله تعالى ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾ [مريم: ٥] يعني بني العم، قال الفضيل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب يخاطب بني أمية:

مهلاً بنبي عمنا مهلاً موالينا لا تُنبتوا بيننا ما كان مدفوننا
لا تحسبوا أن تُهينونا ونُكرمكم وأن نكف الأذى عنكم وتؤذوننا
الله يعلم أننا لا نُحبكم ولا نلومكم ألا تحبوننا

وأما المولى بمعنى المُعتق والمُعتق، فأظهر من أن يُكشف، يُقال: فلان مولى فلان يعني مُعتقه ومالك ولاته، وفلان مولى فلان يراد به مُعتق له، وأما المولى بمعنى الموالى المُحب فظاهر في اللغة، يُقال فلان مولى فلان أي محب له وولي له، وقد روي في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (مُزينة وجُهينة وأسلم وغفارُ وأشجع موالٍ، ليس لهم مولى دون الله ورسوله)^(١) أي مُحبون موالون لها.

وأما المولى بمعنى الجار فمعروف في اللغة، قال مربع بن دعدعة، وكان جاور كليب بن يربوع فأحسنوا جواره:

١- رواه مسلم - كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل غفار وأسلم وجُهينة وأشجع ومزينة وتميم

ودوس وطيء - حديث رقم (٢٥٢٠)

جزي الله خيراً والجزاء بكفّهِ كُليب بن يربوع وزادهم حمدا
هم خلطونا بالنفوس وأجموا إلى نصر — مولاهم مسومة جُردا
أي إلى نصر جارهم.

وأما المولى بمعنى الصهر فمعروف أيضاً، قال أبو المختار يزيد بن قيس الكلابي في ظلامته إلى
عمر في أمرائه:

فلا تنسينّ النافعين كليهما وهذا الذي في السوق مولى بني بدر
وكان الرجل صهراً لبني بدر.

وأما المولى بمعنى الخليف فمذكور أيضاً، قال بعض الشعراء:

موالي حلف لا موالي قرابة ولكن قطيناً يعصرون الصنوبرا
فأما ما قصد به النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: (من كنت مولاه، فعلي مولاه)، فإنه
يحتمل أمرين: أحدهما: من كنت ناصره على دينه وحامياً عنه بظاهري وباطني وسري وعلايتي
فعلي ناصره في نصره الدين والمؤمنين سواء والقطع على سريرته وعلو رتبته، وليس يُعتقد ذلك في
كل ناصر للمؤمنين بظاهره، لأنه قد ينصر الناصر بظاهره طلب النفاق والسمعة وابتغاء الرغد
ومتاع الدنيا، فإذا أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن نُصرة بعض المؤمنين في الدين والمسلمين
كنصرته هو صلى الله عليه وآله وسلم قُطع على طهارة سريرته وسلامة باطنه وهذه فضيلة
عظيمة^(١).

ثامناً: وردت في روايتين عبارة (وهو وليكم من بعدي) بزيادة (بعدي) عن سائر الروايات،
وفي سندي هاتين الروايتين كلاً من (جعفر بن سليمان) و(أجلح الكندي)، فأما (أجلح الكندي)
فقد قال فيه الإمام أحمد: أجلح ومجالد متقاربان في الحديث وقد روى الأجلح غير حديث منكر،

وقال أبو حاتم: ليس بالقوي يُكتب حديثه ولا يُتَّجَّح به، وقال النسائي: ضعيف ليس بذاك وكان له رأي سوء، وقال أبو داود: ضعيف، وقال ابن سعد: كان ضعيفاً جداً، وقال العقيلي: روى عن الشعبي أحاديث مضطربة لا يُتابع عليها، وقال ابن حبان: كان لا يدري ما يقول جعل أبا سفيان أبا الزبير^(١).

وأما (جعفر بن سليمان) فقد اختلف فيه علماء الجرح والتعديل إلا أنَّ للحافظ الذهبي عبارة أراها والله أعلم أوسط الأقوال في جعفر حيث يقول (فإنَّ جعفرًا قد روى أحاديث من مناقب الشيخين رضي الله عنهما، وهو صدوق في نفسه، وينفرد بأحاديث عُدَّت مما يُنكر، واختلف في الاحتجاج بها، منها:

حديث أنس: إنَّ رجلاً أراد سفراً فقال: زودوني.

ومنها حديث: لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم عند الدعاء في الصلاة.. الخ)^(٢).

فجعفر بن سليمان قد أخذ عليه انفراده بأحاديث مُنكرة، فلا عجب أن تكون زيادة (من بعدي) من مناكيره.

ومما يؤيد ذلك أنَّ زيادة (بعدي) لم تذكر في كل طرق الحديث سوى طريق هذين الراويين (جعفر بن سليمان والأجلح الكندي).

ولو فرضنا صحة الزيادة المذكورة فإنها تخالف التفسير الشيعي لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ لأنَّ الآية - وفقاً للمفهوم الشيعي الإثني عشرية - قد أثبتت إمامة علي بن أبي طالب في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فما فائدة النص على إمامته من بعد الرسول وقد نُصَّ عليها في حياته؟!

١- تهذيب التهذيب ١/ ١٨٣

٢- ميزان الاعتدال للذهبي ١/ ٤١٠

ب- حديث الاستخلاف على المدينة

واستدل الشيعة الإثني عشرية بما أخرجه النسائي في خصائص عليّ عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: (لما غزا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غزوة تبوك خلف علياً كرم الله وجهه في المدينة، قالوا فيه: مله وكره صحبته، فتبع عليّ رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى لحقه في الطريق، قال: يا رسول الله خلفتني بالمدينة مع الذراري والنساء، حتى قالوا: مله وكره صحبته؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا عليّ إنما خلقتك على أهلي، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي)^(١).

قال عبد الحسين الموسوي في (المراجعات): (ولا يخفى ما فيه من الأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة، على أنّ علياً ولي عهده، وخليفته من بعده، ألا ترى كيف جعله صلى الله عليه وآله وسلم وليه في الدنيا والآخرة؟ أثره بذلك على سائر أرحامه، وكيف أنزله منه منزلة هارون من موسى؟ ولم يستثن من جميع المنازل إلا النبوة، واستثناؤها دليل على العموم)^(٢).

المناقشة:

أقول: إن جاز أن يُستدل بهذا الحديث على الخلافة فلتعلم أيها القارئ أنّ في هذا الحديث عجباً.. فالحديث إن أُريد أن يُستدل به على الإمامة والخلافة فسيكون من أبرز الأدلة على أحقية أبي بكر الصديق بالخلافة!!

ستقول لي: كيف... وستتعجب من قولي، ومن حقاك ذلك، فالحديث في الظاهر لا دخل له في أبي بكر من قريب ولا بعيد، لكن التأمل فيه بدقة سيأتيك بما لم يخطر على بالك من قبل.

١- رواه النسائي في (خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) بسند صحيح.

٢- المراجعات ص ٢١٤ - المراجعة رقم (٢٦)

إن سألتك مجرد سؤال: من كان الخليفة بعد موسى عليه السلام؟ فستجيبني قائلاً: يوشع عليه السلام.

لكن من هو يوشع عليه السلام؟

هو صاحب موسى عليه السلام ورفيق هجرته^(١) الذي ذهب معه للقاء الخضر عليه السلام كما بينت ذلك سورة الكهف وحكى ذلك المفسرون من أهل السنة ومن الشيعة الاثني عشرية. وأبو بكر الصديق كان كذلك (صاحب رسول الله ورفيق هجرته)، والخلافة لم تحصل لهارون عليه السلام الذي تربطه بموسى عليه السلام رابطة النسب وإنما حصلت ليوشع عليه السلام صاحب موسى عليه السلام ورفيق دربه. فاستخلاف هارون عليه السلام كان مؤقتاً لفترة ذهاب موسى عليه السلام لمناجاة ربه في الطور، بينما كانت الخلافة من بعد موسى عليه السلام تامة ليوشع عليه السلام.

وكذلك الحال في أبي بكر وعلي.

قال الإمام القرطبي: (لا خلاف أنّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يُرد بمنزلة هارون من موسى الخلافة بعده، ولا خلاف أنّ هارون مات قبل موسى عليهما السلام، وما كان خليفة بعده، وإنما كان الخليفة يوشع بن نون، فلو أراد بقوله: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى" الخلافة، لقال: أنت مني بمنزلة يوشع من موسى، فلما لم يُقل هذا دل على أنه لم يُرد هذا، وإنما أراد أني استخلفتك

١- الحديث نص على استثناء النبوة ولذلك لن نشير للنبوة في المقارنة بلا شك، فيوشع عليه السلام عند أهل السنة نبي وعند الشيعة الاثني عشرية وصي موسى عليه السلام وأبو بكر ليس بنبي، وهارون عليه السلام نبي وعلي ليس بنبي.

على أهلي في حياتي وغيوبتي عن أهلي كما كان هارون خليفة موسى على قومه لما خرج إلى مناجاة ربه^(١).

ثم إن هارون عليه السلام قد مات قبل موسى عليه السلام فلا يصح في الأذهان أن يشبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً رضي الله عنه بهارون عليه السلام إذ ما أراد النص على خلفته من بعده لأن هارون عليه السلام لم يخلف موسى عليه السلام سوى زمناً يسيراً عند ذهاب موسى عليه السلام إلى الطور وهو ما يتوافق بشكل واضح مع استخلاف النبي صلى الله عليه وآله وسلم الإمام علي على أهله في المدينة للذهاب إلى تبوك، فمن أين أتت فكرة الاستخلاف العام؟! وللمفيد - وهو من كبار علماء الشيعة ومنظريهم - كلام جميل في الرد فيها على فرقة (الفتحية)^(٢) الشيعة من المهم أن نسلط عليه الضوء.

يقول المفيد: (أما الفطحية فالحجة عليها أوضح من أن تخفى لأن اسماعيل مات قبل أبي عبد الله عليه السلام، والميت لا يكون خليفة الحي وإنما يكون الحي خليفة الميت، ولكن القوم عملوا على تقليد الرؤساء وأعرضوا عن الحجة وما في بابها، وهذا أمر لا يحتاج فيه إكثار لأنه ظاهر الفساد، بين الانتقاد)^(٣).

أقول: والكلام ذاته يُقال للشيعة الاثني عشرية، فهارون عليه السلام قد مات قبل موسى عليه السلام، والميت لا يكون خليفة للحي وإنما يكون الحي خليفة الميت، فكيف جاز للشيعة أن

١- الجامع لأحكام القرآن - تفسير قول الله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.

٢- وهم القائلون بإمامة عبد الله بن جعفر الصادق، وسمّوا بذلك لأن عبد الله كان أفتح القدمين أي عريضهما، وقيل: كان أفتح الرأس، وقال بعضهم: نُسبوا إلى رئيس لهم يقال له: عبد الله بن فطيح من أهل الكوفة.

٣- كمال الدين وتمام النعمة ص ١٠٥

يستدلوا بهذا الحديث على كون علي بن أبي طالب خليفة لرسول الله؟!، لكن القوم عملوا على تقليد الرؤساء وأعرضوا عن الحجّة وما في باها.

ثانياً: الحديث المذكور له سبب هام لا ينبغي أن يُغفل وأن يُفهم الحديث دونه، وقد ورد السبب الذي من أجله قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا الحديث النبوي الشريف عند الفريقين السنة والشيعة.

وحسبي ها هنا أن أكتفي بروايات شيعية ذكرت السبب لثلاثين ظان أن روايات أهل السنة قد جاءت بما لم تأت به روايات الشيعة.

يقول المفيد في كتابه الإرشاد: (فلما بلغ أمير المؤمنين عليه السلام إرجاف المنافقين به أراد تكذيبهم وإظهار فضيحتهم فلحق بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله، إنّ المنافقين يزعمون أنك إنما خلفتني استثقلاً ومقتاً، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ارجع يا أخي إلى مكانك، فإنّ المدينة لا تصلح إلا بي أو بك، فأنت خليفتي في أهلي ودار هجرتي وقومي أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)^(١).

وقد روى شيخ الطائفة الطوسي روايات كثيرة في هذا المعنى منها ما رواه أبو سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي بن أبي طالب (ع) في غزوة تبوك اخلفني في أهلي. فقال علي: يا رسول الله، إني أكره أن يقول العرب خذل ابن عمه، وتخلف عنه، فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، قال: بلى، قال فاخلفني)^(٢).

ورويت كذلك الحادثة بهذا النص (وغزونا تبوك مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فودع علي النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ثنية الوداع و بكى، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يبكيك، فقال: كيف لا أبكي ولم أتخلف عنك في غزاة منذ بعثك الله (تعالى)، فما بالك تخلفني في

١- الإرشاد ١/ ١٥٦

٢- الأمالي للطوسي ص ٢٦١ وبحار الأنوار ٢١/ ٢٣٢

هذه الغزاة فقال له النبي (صلى الله عليه وآله) أما ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، فقال علي (عليه السلام) بل رضيت^(١).

وفي الأمالي كذلك من حديث عامر بن سعد، عن أبيه قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول لعلي (عليه السلام) ثلاثاً، فلأن تكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حمر النعم، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول لعلي، وخلفه في بعض مغازيه، فقال: يا رسول الله، تخلفني مع النساء والصبيان، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي^(٢).

وروى المجلسي في بحار الأنوار عن سعد أن علياً عليه السلام خرج مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى جاء ثنية الوداع وهو يبكي ويقول: تخلفني مع الخوالم، فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة^(٣).

وعن سعيد بن المسيب قال: قلت لسعد بن مالك: (إني أريد أن أسألك عن حديث وأنا أهابك أن أسألك عنه، قال: فقال: لا تفعل يا ابن أخي، إذا علمت أن عندي علماً بشيء فاسألني عنه ولا تهمني، قلت: قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي (ع) حين خلفه في المدينة، فقال: إن رسول الله استخلفه حين خرج في غزاة تبوك، فقال علي: يا رسول الله، تخلفني في الخوالم في النساء والصبيان، فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، قال: بلى، فرجع مسرعاً كأنني أنظر إلى غبار قدميه يسطع^(٤).

١- الأمالي للطوسي ص ١٧١

٢- الأمالي للطوسي ص ٣٠٦ وبحار الأنوار ١٠/٢١

٣- بحار الأنوار ٣٧/٢٦٢

٤- بحار الأنوار ٣٧/٢٦٢

وقد أشار لذلك صاحب إعلام الورى حيث يقول: (فلما انتهى إلى الجرف لحقه علي وأخذ بعرز رحله وقال: يا رسول الله، زعمت قريش أنك خلفتني استثقلاً مني، فقال طالما آذت الأمم أنبياءها، أما أن ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، فقال: قد رضيت فرجع إلى المدينة، وقدم رسول الله تبوك في شعبان يوم الثلاثاء)^(١).

فكل هذه الروايات والمصادر الشيعية تؤكد وتقرر حقيقة أن قول النبي عليه الصلاة والسلام (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) إنما هو ترضية للإمام علي لما طعن واستخف به المنافقون.

ثالثاً: من الثابت أن هارون عليه السلام كانت وفاته قبل موسى عليه السلام والاستدلال بالحديث على إمامة علي بعد رسول الله بالتالي غير منطوق، ولو أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم النص على علي بن أبي طالب لقال له مثلاً (أنت مني بمنزلة يوشع من موسى) لأن نبي الله يوشع أستخلف على بني إسرائيل بعد وفاة موسى عليه السلام، وهو وصي موسى عليه السلام عند الشيعة الإثني عشرية، فإعراض النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن تشبيهه علياً رضي الله عنه بيوشع عليه السلام مقصود بلا شك، وذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له في المدينة مع الضعفاء والنساء والأطفال والمتخلفين عن الغزوة، فبين له النبي عليه الصلاة والسلام أنه كما استخلف موسى عليه السلام أخاه هارون عليه السلام على قومه وذهب للطور للقاء ربه تبارك وتعالى فاستخلف في لك من هذا الباب، فموسى لم يستخلف هارون عليهما السلام استخفافاً به وتنقيصاً له وإنما ائتمناً له وثقة به وكذلك الحال معك يا علي بن أبي طالب.

رابعاً: لقد استخلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المدينة غير الإمام علي بن أبي طالب^(١)، فليس مجرد الاستخلاف على المدينة يجعل المستخلف خليفة على المسلمين من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إضافة إلى أن استخلاف عليّ على المدينة لم يكن الأخير فقد استخلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المدينة في حجة الوداع غير عليّ، بينما نجد في المقابل أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر أبا بكر على الحج، واختصه أيضاً بإمامة الصلاة وحده، ولم يكن اختصاصه بسبب قرابة أو لأجل استرضائه، كما كان مع عليّ، بل اختصاص مطلق من أجل الفضيلة والاستحقاق فحسب.

خامساً: ورد عند السنة والشيعة تشبيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، فإن كان في تشبيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بهارون عليه السلام ما يفيد المعنى الذي يريده الشيعة فماذا يقولون في تشبيه أبي بكر وعمر بأولي العزم من الرسل الذين هم بلا شك أفضل من هارون عليه السلام؟

روى شيخ الطائفة الطوسي في كتابه (الأمالي) عن ابن مسعود قوله: لما كان يوم بدر وأسرت الأسرى، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما ترون في هؤلاء القوم؟ فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله هم الذين كذبوك وأخرجوك فاقتلهم، ثم قال أبو بكر: يا رسول الله هم قومك وعشيرتك ولعلّ الله يستنقذهم بك من النار، ثم قال عبد الله بن رواحة: أنت بواد كثير الخطب، فاجمع حطباً فالهب فيه ناراً وألقهم فيه، فقال العباس بن عبد المطلب: قطعك رحمك، قال: ثم إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قام فدخل وأكثر الناس في قول أبي بكر وعمر،

١- لا بد من الإشارة إلى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يستخلف علياً على المدينة يوم تبوك وإنما استخلف على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري واستخلف علياً على أمهات المؤمنين وأهل علي، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام له (فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك) انظر السيرة لابن هشام.

فقال بعضهم: القول ما قال أبو بكر، وقال بعضهم: القول ما قال عمر، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: ما اختلافكم يا أيها الناس في قول هذين الرجلين: إنما مثلها مثل إخوة لها ممن كان قبلها: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، قال نوح ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦] وقال إبراهيم ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦] وقال موسى ﴿رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨] وقال عيسى ﴿إِن تَعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]^(١).

ج- حديث الطائر

ومن أهم أدلة الشيعة الإمامية في موضوع الإمامة ما رواه الحاكم في المستدرک عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقدم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرخ مشوي فقال: (اللهم ائمني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير)، قال: فقلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار، فجاء علي رضي الله عنه فقلت: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على حاجة ثم جاء فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (افتح، فدخل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما حبسك يا علي؟) فقال: إن هذه آخر ثلاث كرات يردني أنس، يزعم أنك على حاجة، فقال: (ما حملك على ما صنعت؟)، فقلت: يا رسول الله، سمعت دعاءك، فأحببت أن يكون رجلاً من قومي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (إن الرجل قد يحب قومه)^(٢).

١- أمالي الطوسي ص ٢٦٧ وبحار الأنوار ١٩ / ٢٧١

٢- المستدرک ٣ / ١٣٠-١٣١

روي هذا الحديث بأسانيد لا تخلو من ضعف، ولعل من الملفت للنظر في الحديث إضافة إلى ضعف أسانيدته هو كثرة الروايات المسندة إلى أنس بن مالك رضي الله عنه ومع ذلك عدم صحة سند واحد منها وهو أمر يدعو للعجب والدهشة!

فأين أصحاب أنس عن هذا الحديث وقد صحبوه السنين الطوال؟ لم نر أي واحد منهم قد روى هذا الحديث، وهم أوثق الناس وأضبطهم رواية عن أنس رضي الله عنه كأمثال الحسن البصري وثابت البناني وحميد الطويل وحبيب بن أبي ثابت وبكر بن عبد الله المزني، وأسعد بن سهل بن حنيف، وإسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة وأبان بن صالح وإبراهيم بن ميسرة وغيرهم كثير ممن يروي عن أنس ولا يُعرف عن أحد هؤلاء الثقات طريق ثابت لهذا الحديث!

وهذا ما دعا كثيراً من الحفاظ إلى الحكم بضعف أو كذب هذا الحديث، منهم:

١- القاضي أبو بكر الباقلاني

ذكر ابن كثير في البداية والنهاية ٧/ ٣٥٤ ما نصه (ثم وقفت على مجلد كبير في رده وتضعيفه - أي حديث الطير - سنداً ومنتناً للقاضي أبي بكر الباقلاني المتكلم).

٢- أبو يعلى الخليلي صاحب الإرشاد:

نقل عنه ابن حجر في التهذيب (١/ ٣٠٣-٣٠٤) قوله: (ما روى حديث الطير ثقة، رواه الضعفاء مثل إسماعيل بن سلمان الأزرق وأشباهه)، زاد محقق الخصاص النسائي (ص ٣٥) نقلاً عن الخليلي في الإرشاد قوله: (ويرده جميع أئمة الحديث).

٣- محمد بن طاهر المقدسي

قال عن حديث الطير: (كل طريقه باطلة معلولة)^(١).

٤- محمد بن ناصر السلامي:

١- العلل المتناهية لابن الجوزي ١/ ٢٣٣-٢٣٤

نقل عنه ابن الجوزي في المنتظم (٢٧٥ / ٧) قوله عن حديث الطير: (حديث موضوع إنما جاء من سقّاط أهل الكوفة، عن المشاهير والمجاهيل، عن أنس وغيره).

٥- ابن الجوزي

ذكر الحديث في العلل المتناهية (١ / ٢٢٥-٢٣٤) وقال: (قد ذكره ابن مردويه من نحو عشرين طريقاً كلها مظلم، وفيها مطعن، فلم أر الإطالة بذلك).

٦- أبو العباس ابن تيمية

قال في منهاج السنة ٩٩ / ٤ (حديث الطائر من المكذوبات والموضوعات عند أهل العلم والمعرفة بحقائق النقل).

٧- جمال الدين الزيلعي

ذكر المبار كفوري في تحفة الأحوذى ١٠ / ٢٢٤ أن الزيلعي قال في نصب الراية (كم من حديث كثرت رواته وتعددت طرقه، وهو حديث ضعيف كحديث الطير).

٨- الفيروز أبادي صاحب القاموس

نقل الشوكاني في الفوائد المجموعة (ص ٣٨٢) عنه قوله عن هذا الحديث: (له طرق كثيرة كلها ضعيفة)^(١).

ولعل من الأمور المستنكرة في الحديث والتي تؤكد عدم صحة نسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو ما يطرحه الحديث ذاته من معنى، إذ إنَّ أكل الطير ليس فيه أمر عظيم يناسب أن يجيء أحب الخلق إلى الله ليأكل منه، فإنَّ إطعام الطعام مشروع للبر والفاجر، وليس في ذلك زيادة وقربة عند الله لهذا الأكل، ولا معونة على مصلحة دين ولا دنيا، فأمر عظيم هنا يناسب جعل أحب الخلق إلى الله يفعله!؟

١- مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرک أبي عبد الله الحاكم لابن الملقن ٣ / ١٤٧٢

وكذلك يُقال إما أن يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعرف أن علياً أحب الخلق إلى الله أو ما كان يعرف، فإن كان يعرف ذلك، كان يمكنه أن يرسل يطلبه، كما كان يطلب الواحد من الصحابة أو يقول: اللهم اتني بعليّ فإنه أحب الخلق إليك.

فأي حاجة إلى الدعاء والإبهام في ذلك والشخص معروف؟! ولو سمى علياً لاستراح أنس من الرجاء الباطل، ولم يغلق الباب في وجه علي^(١).

يضاف إلى ذلك معارضة حديث الطائر لأحاديث صحيحة ثابتة أجمع المحدثون والحفاظ على صحتها.

يبين هذا كل من تأمل ما في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً)^(٢)، وهذا الحديث مستفيض بل متواتر عند أهل العلم بالحديث، فإنه قد أُخرج في الصحاح من وجوه متعددة من حديث ابن مسعود وأبي سعيد وابن عباس وابن الزبير، وهو صريح في أنه لم يكن من أهل الأرض أحد أحب إليه من أبي بكر، فإنّ الخلّة هي كمال الحب، وهذا لا يصلح إلا لله، فإذا كانت ممكنة ولم يصلح لها إلا أبو بكر، علم أنه أحب الناس إليه^(٣).

وكون علياً محبوباً عند النبي عليه الصلاة والسلام لا يعني أنه الإمام من بعده، ولا يعني كذلك أنّ إمامته من الله، فالمحبة شيء والخلافة شيء آخر، وعند هذه النقطة سنقف وقفة جدية بالاهتمام.

١- هنا حُق لنا أن نتساءل (ما الحكمة في أن يعرف أنس فقط أنّ علياً هو أحب الخلق إلى الله دون أن يعلن ذلك رسول الله أمام جميع المؤمنين؟!).

٢- صحيح البخاري - كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم - باب (قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر) - حديث رقم (٣٦٥٤).

٣- مختصر منهاج السنة ٢/٧٦٣-٧٦٤

فهذا الإمام جعفر الصادق عُرِف عنه أنه كان أحب أبنائه إليه هو إسماعيل وأكثرهم قرباً إلى نفسه.

يقول عباس القمي في كتابه منتهى الآمال ص ٢٠٧ (وكان إسماعيل أكبر إخوته - أي أكبر إخوة موسى -، وكان أبو عبد الله عليه السلام شديد المحبة له والبر به والإشفاق عليه، وكان قوم من الشيعة يظنون أنه القائم من بعد أبيه والخليفة من بعده، إذ كان أكبر إخوته سناً، ولميل أبيه إليه وإكرامه له).

وقد احتار الشيعة آنذاك في هذه المسألة... كيف يكون الإمام هو موسى في حين أن إسماعيل هو أحب الأبناء إلى أبيه^(١).

فجاء نص صريح وجميل جداً ليضع النقاط على الحروف في هذه المسألة وهو ما رواه الكليني بسنده عن الإمام موسى الكاظم أنه حدّث ابن سليط عن رغبته في أن تكون الإمامة لابنه القاسم قائلاً: (ولو كان الأمر إليّ لجعلته في القاسم ابني لحبيّ إياه ورأفتي عليه ولكن ذلك إلى الله عز وجل) ثم ذكر لابن سليط رؤيا منام رأى فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخبره بخروج الأمر منه إلى ابنه قائلاً: (والأمر قد خرج منك إلى غيرك، فقلت - أي الإمام الكاظم -: يا رسول الله أرنيه أيهم هو؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ما رأيت من الأئمة أحداً أجزع على

١- والإمام عند الشيعة الإثني عشرية معصوم ومنزّه عن مخالفة أمر الله تعالى، فلا يصح عند الإمامية أن يجب الإمام ابناً له ويُقرّبهُ فوق حب وتقريب الإمام المنصوص عليه وإلا كان مخالفاً لأمر الله وتعالى ومحباً لغير ما أحبه الله تعالى، وكان النص على ابنه المقرّب من نفسه أحب إليه من النص على ابنه الآخر المنصوص عليه شرعاً!! ومن فمك أدينك.

فراق هذا الأمر منك ولو كانت الإمامة بالمحبة لكان إسماعيل أحب إلى أبيك منك ولكن ذلك من الله عز وجل..^(١).

ولذلك من يستدل على الإمامة بالمحبة يغالط نفسه، فهو يرتضي مبدأ المحبة ليجعل علياً إماماً من دون الناس، ثم يقف عند إمامة إسماعيل ومحبة أبيه جعفر الصادق له فيدير لها ظهره، ويقول بإمامة موسى متناسياً أنّ المحبة دليل على الإمامة! ودين الله عز وجل لا يحكمه المزاج، يكون بالمحبة تارة وبالتنصيب الإلهي تارة أخرى، فإما أن تكون المحبة دليلاً على الإمامة أو لا تكون.

د- حديث الدار

ومن الأحاديث التي يستدل بها الشيعة الاثنا عشرية على نصية الإمامة حديث الدار، حيث يرى الشيعة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نص على إمامة علي منذ بداية البعثة وأثناء عرضه الإسلام على كفار مكة ومنذ مطالبته إياهم بترك الأوثان وإفراد الواحد القهار بالعبادة! وفيما يلي نص الرواية:

(لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا علي، إنّ الله أمرني أن أنذر عشيرتك الأقربين فضقت بذلك ذرعاً وعرفت أنني متى أبادهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمّتُ عليها حتى جاءني جبريل، فقال: يا محمد، إنك إن لم تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك، فاصنع لنا صاعاً من طعام، واجعل عليه رحل شاة، واملاً لنا عسّاً من لبن، ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلّمهم وأبلغهم ما أمرت به، ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم له، وهم يومئذ أربعون رجلاً، يزيدون رجلاً أو

١- الكافي - كتاب الحجّة - باب الإشارة والنص على أبي الحسن الرضا (ع) - رواية رقم (١٤) وإعلام الورى بأعلام الهدى ٢/٤٨-٤٩ ومدينة المعاجز لهاشم البحراني ٦/٢٥١ رواية رقم (٥٨).

ينقصون، فيهم أعمامه: أبو طالب وحزمة والعباس وأبو لهب، فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم، فجئت به، فلما وضعته تناول رسول الله حذية^(١) من اللحم فشققها بأسنانه، ثم ألقاها في نواحي الصحيفة، ثم قال: خذوا باسم الله، فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة، وما أرى إلا موضع أيديهم، وإيم الله الذي نفس علي بيده، وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم، ثم قال: اسق القوم، فجئتهم بذلك العُس فشربوا حتى رووا منه جميعاً، وإيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يكلمهم بداره أبو لهب إلى الكلام فقال: هَدَّ ما^(٢) سحركم صاحبكم! فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله، فقال: الغد يا علي، إن هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت، ثم اجمعهم إليّ.

قال: ففعلت، ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربته لهم ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة، ثم قال: اسقهم فجئتهم بذلك العُس فشربوا حتى رووا منه جميعاً، ثم تكلم رسول الله فقال: يا بني عبد المطلب، إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتم به، إني قد جئتم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأياكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم. قال: فأحجم القوم عنها جميعاً وقلت: وإني لأحدثهم سنأ وأرمصهم^(٣) عيناً وأعظمهم بطناً وأحمشهم ساقاً^(٤) أنا يا رسول الله أكون

١- الحذية من اللحم: ما قُطع منه طولاً.

٢- هَدَّ: كلمة يُتعجب بها.

٣- الرمص في العين كالغمص، وهو كناية عن صغر سنه.

٤- حمش الساقين: دبقها

وزيرك عليه، فأخذ برقبتي، ثم قال: إنَّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع^(١).

وفي سياق آخر (... وبدرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكلام فقال: أيكم يقضي عني ديني ويكون خليفتي في أهلي؟ قال: فسكتوا وسكت العباس خشية أن يحيط ذلك بهاله، قال: وسكت أنا لسن العباس، ثم قالها مرة أخرى فسكت العباس، فلما رأيت ذلك قلت: أنا يا رسول الله، قال: أنت؟ قال: وإني يومئذ لأسوأهم هيئة وإني لأعمش العينين ضخم البطن خمش الساقين^(٢)).

أقول: وحديث الدار المذكور أنفاً باطل سنداً ومتناً، فأما سنداً ففيه عبد الغفار بن القاسم وعبد الله بن عبد القدوس، فأما عبد الغفار بن القاسم فهو متروك لا يُتَّجَّج به، قال عنه علي بن المديني: كان يضع الحديث، وقال يحيى بن معين: ليس بشيء، وروى عباس بن يحيى: ليس بشيء، وقال البخاري: ليس بالقوي عندهم (أي عند علماء الجرح والتعديل)، وقال عنه ابن حبان: (يقلَّب الأخبار ولا يجوز الاحتجاج به، تركه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين)^(٣). وقال النسائي: متروك الحديث^(٤).

وليس عبد الله بن عبد القدوس بأحسن حالاً من سابقه بل هو مجروح أيضاً عند عامة علماء الحديث، قال النسائي: ليس بثقة، وقال الدارقطني: ضعيف^(٥).
وأما من ناحية المتن فالحديث واضح البطلان لأسباب وهي:

١- تاريخ الرسل والملوك للطبري ٢/٣١٩-٣٢١

٢- البداية والنهاية ٣/٤٠

٣- كتاب المجروحين لابن حبان ص ١٤٣

٤- كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي ص ٢١٠

٥- انظر ميزان الاعتدال ٢/٤٥٧

١- في الحديث أنّ بني عبد المطلب (هم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه) والتاريخ يشهد أنهم لم يبلغوا العشرين رجلاً فضلاً عن الأربعين!
 (فإنّ بني عبد المطلب لم يُعقِب منهم كما هو معلوم إلا أربعة: العباس، وأبو طالب، والحارث، وأبو لهب. وجميع ولد عبد المطلب من هؤلاء الأربعة وهم بنو هاشم، ولم يدرك النبوة من عمومته إلا أربعة: العباس وحمة وأبو طالب وأبو لهب، وأما العمومة وبنو العمومة فأبو طالب كان له أربعة بنين: طالب وعقيل وجعفر وعليّ).

وأما العباس فبنوه كلهم صغار، إذ لم يكن فيهم بمكة رجل، وهبّ أنهم كانوا رجلاً فهم: عبد الله وعبيد الله والفضل، وأما قثم فولد بعدهم، وأكبرهم الفضل، وبه كان يكنى، ولم يولد للعباس في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا الفضل وعبد الله وعبيد الله، وأما سائرهم فولدوا بعده. وأما الحارث بن عبد المطلب وأبو لهب فبنوهما أقل، والحارث كان له ابنان: أبو سفيان وربيعه، وبنو أبي لهب ثلاثة ذكور، فأسلم منهم اثنان: عتبة ومغيث^(١).

٢- رواية الدار المذكورة آنفاً معارضة برواية أخرى اتفق أهل الحديث على صحتها وثبوتها فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال (لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾. صعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الصفا، فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي، لبطون قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش فقال: أرأيتمكم أنّ خيلاً بالوادي تريد أن تُغيّر عليكم أكنتم مصدقّي، قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: فإنّي نذير لكم بين يدي عذابٍ شديد، فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتمنا، فنزلت ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾^(٢)).

١- منهاج السنة النبوية ٧/ ٣٠٤-٣٠٥ بتصرف

٢- صحيح البخاري - كتاب التفسير - باب (وأنذر عشيرتك الأقربين) برقم (٤٧٧٠).

٣- الشيعة الاثنا عشرية طالماً ادعوا النص الصريح على خلافة عليّ وأنه هو الوصي والمستحق الوحيد لهذا المنصب، وأن النصوص متظافرة في إثبات ذلك، وهذا الحديث يدحض قولهم، إذ فيه أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا قومه لنصرته وأنّ من يقبل نصرته فسيصبح أخاه ووصيه وخليفته من بعده ولم يخص علياً بذلك بل وأعرض عنه ثلاث مرات، ولما لم يجد ناصرًا غير عليّ قال له ما قال، وهذا يعني أنّ علياً لا يستحق هذا المنصب ابتداءً، وأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم اضطر مع إحجام قومه أن يجعل هذا الأمر في عليّ، فهل يتوافق هذا مع ما يدّعيه الشيعة الإثني عشرية من أنّ علياً منصوص عليه من السماء؟!!

٤- لقد جعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا المنصب من نصيب من يؤازره على هذا الأمر وهو الإسلام والنطق بالشهادتين، وأنا أتساءل هل مجرد إسلام الشخص ونطقه بالشهادتين يستحق به أن يصبح وزيراً ووصياً وخليفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؟! ومعنى ذلك أيضاً أنّ جميع من أسلم وآزر النبي صلى الله عليه وآله وسلم على هذا الأمر يستحق أن يصبح خليفة له، فأى ميزة لعليّ عن جميع من أسلم حتى يصبح وصي وخليفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك؟ ثم لو فرضنا أنّ اثنين أو أكثر من قومه أجابوه إلى ذلك، فهل سيكون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة خلفاء في وقت واحد؟! أم سيجري انتخابات لترشيح واحدٍ منهم^(١)؟!!

٥- لو كانت الآية قد نزلت بشأن تنصيب عليّ إماماً على المسلمين، فما السر في إجلاس النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً أكثر من مرة كلما قام معلناً تأييده له؟! أكان ينتظر من غيره أن يقوم مقامه؟ ولماذا يأمل ذلك من غيره وهو الإمام المنصوص عليه من الله؟!!

ثم أين أبو طالب من هذا كله؟ فأبو طالب عند الشيعة الإثني عشرية كان مسلماً موحداً بل إنَّ المسلمين مجمعون على أنه كان (مؤازراً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ومحامياً عنه) فأين هو من حديث الدار؟ ولماذا أحجم عن مساندة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن هذا الفضل العظيم؟ كيف وقد ذكر المجلسي في بحار الأنوار ٢٢ / ٢٧٢ أنه (نزلت النبوة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الإثنين، وأسلم علي عليه السلام يوم الثلاثاء، ثم أسلمت خديجة بنت خويلد زوجة النبي صلى الله عليه وآله، ثم دخل أبو طالب إلى النبي صلى الله عليه وآله وهو يصليّ وعلي بجانبه وكان مع أبي طالب جعفر، فقال له أبو طالب: صلِّ جناح ابن عمِّك، فوقف جعفر على يسار رسول الله صلى الله عليه وآله، فبدر رسول الله صلى الله عليه وآله من بينهما، فكان يصليّ رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وجعفر وزيد بن حارثة وخديجة إلى أن أنزل الله عليه ﴿فَأَصَدَّعَ بِمَا تُؤْمَرُ﴾).

فالمسألة لا تقف حيثئذ عند أبي طالب بل تتعداه إلى جعفر ابنه أيضاً، فأين الإثنان من واقع حديث الدار؟!

٦- تزعم الرواية الأولى أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي بعدما أحجم القوم عن مؤازرته (إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم) وليس من بعدي!

فأبي وجه للدلالة على إمامة علي بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام؟

فإنه يصح أن يستخلف الرجل أحداً على قومه أو أهله وهو حي كما استخلف النبي أحد صحابته على المدينة عند ذهابه إلى مكة لأداء مناسك الحج، فالحديث يذكر (خليفتي فيكم) وليس (خليفتي من بعدي) والفرق واضح.

أما الرواية الثانية فتوضح بأنّ المراد الاستخلاف على أهله لا الناس جميعاً، وفي تفسير الحديث يقول ابن كثير: (ومعنى قوله في هذا الحديث من يقضي عني ديني ويكون خليفتي في أهلي يعني إذا مت، وكأنه صلى الله عليه وآله وسلم خشي إذا قام بابلاغ الرسالة إلى مشركي العرب أن يقتلوه

فاستوثق من يقوم بعده بما يصلح أهله ويقضي عنه، وقد آمنه الله من ذلك في قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا
الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۗ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۗ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ
النَّاسِ﴾ (الآية) (١).

ثم إنَّ في الرواية ما نصه: (فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع
لابنك وتطيع)؟!!

وأنا أتساءل متعجباً، كيف يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقوم رفضوا مؤازرته ونصرته
بل وحاربوه، هذا خليفتي فاسمعوا له وأطيعوا؟! هم أنفسهم لم يطيعوا النبي المرسل فهل
سيطيعون صيماً صغيراً؟!!

ولو فرضنا أن النص كان كالتالي: (إنَّ هذا أخي وخليفتي من (بعدي)) وليس (فيكم) كما في
الرواية الثانية، فهل هم أطاعوا النبي في الحاضر حتى يطيعوا خليفته من بعده؟! كأنَّ الخطاب
لجمع من المسلمين وليس لجمع من رؤوس الكفر!

سبحان الله حتى المشركين أكثر فهماً من هؤلاء الذي يستدلون بالحديث على معنى الإمامة،
لذلك خرجوا يضحكون على مثل هذا الكلام العجيب، ويقولون لأبي طالب، قد أمرك أن تسمع
لابنك وتطيع!!

٧- ذكر المجلسي في بحار الأنوار روايتان هامتان في وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبيل
وفاته، وهما تثبتان بما ليس فيه شك بأنَّ حديث الدار لا يدل من قريب ولا بعيد على النص على
الإمام علي.

فروى عن الإمام زيد بن علي عليه السلام قال: لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله الوفاة
ورأسه في حجر علي عليه السلام، والبيت غاصَّ بمن فيه من المهاجرين والأنصار، والعباس قاعد

قدّامه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عباس، أتقبل وصيتي وتقضي ديني وتنجز مواعدي؟ فقال: إني امرؤ كبير السن، كثير العيال، لا مال لي، فأعادها عليه ثلاثاً، كل ذلك يردها عليه، فقال رسول الله: سأعطيها رجلاً يأخذها بحقّها لا يقول مثل ما تقول ثم قال: يا علي، أتقبل وصيتي وتقضي ديني وتنجز مواعدي؟ قال: فحنقته العبرة، ولم يستطع أن يجيبه، ولقد رأى رأس رسول الله صلى الله عليه وآله يذهب ويحيى في حجره، ثم أعاد عليه فقال له علي عليه السلام: نعم، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فقال: يا بلال، ائت بدرع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأتى بها، ثم قال: يا بلال، ائت براية رسول الله صلى الله عليه وآله فأتى بها، ثم قال: يا بلال، ائت ببغلة رسول الله بسرجهما ولجامها فأتى بها، ثم قال: يا علي، قم فاقبض هذا بشهادة من في البيت من المهاجرين والأنصار، كي لا ينازعك فيه أحد من بعدي، قال: فقام علي عليه السلام حتى استودع جميع ذلك في منزله، ثم رجع^(١).

وفي رواية الإمام جعفر الصادق عن أبيه عن جده أنه قال: لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله الوفاة دعا العباس بن عبد المطلب وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال للعباس: يا عمّ محمد، تأخذ تراث محمد وتقضي دينه وتنجز عداته؟ فردّ عليه وقال: يا رسول الله، أنا شيخ كبير، كثير العيال، قليل المال، من يطيقك وأنت تباري الريح؟ قال: فأطرق عليه السلام هنيئاً ثم قال: يا عباس، أتأخذ تراث رسول الله وتنجز عداته، وتؤدّي دينه؟ فقال: بأبي أنت وأمي، أنا شيخ كبير، كثير العيال، قليل المال، من يطيقك وأنت تباري الريح؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أما أنا سأعطيها من يأخذ بحقّها، ثم قال: يا علي، يا أخا محمد، أتجز عداة محمد وتقضي دينه وتأخذ تراثه؟ قال: نعم بأبي أنت وأمي) إلى آخر الرواية^(٢).

١- بحار الأنوار ٢٢/ ٤٥٩ (باب وصيته صلى الله عليه وآله عند قرب وفاته) - حديث رقم (٥)

٢- المصدر نفسه - حديث رقم (٣).

فمن الواضح - على فرض صحة حديث الدار - أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يعن بقضاء الدين وإنجاز العدة وأخذ تراثه عليه الصلاة والسلام الخلافة أو الإمامة من بعده، وإنما أراد بذلك المعنى الحرفي لتلك الكلمات، ولهذا أمر بلالاً كما في الروایتين أن يُعطي علياً رضي الله عنه الراية والدرع والمغفر والدواب وما أشبهها.
وكل هذا منصوص عليه في الروایتين.

كما أنّ الإمامة لو كانت من الله تعالى فهل يُعقل أن يعرضها النبي صلى الله عليه وآله وسلم على غير من نصّ الله تعالى عليه؟!!

فيعرضها على العباس في حديث الدار مرة وقُبيل وفاته عليه الصلاة والسلام مرة أخرى!
هذا إذا عرضنا عن رواية خطيرة جداً ذكرها الشيخ الرضي في (خصائص الأئمة ص ٧٨) عن الإمام الحسن بن علي عليهما السلام قال: حدثني أمير المؤمنين عليه السلام قال: دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله، ودعا الناس في مرضه، فقال: من يقضي عني ديني وعداتي ويخلفني في أهلي وأمتي من بعدي^(١)؟ فكف الناس عنه، وانتدبت له، فضمنت ذلك، فدعا لي بناقته العضباء، وبفرسه المرتجز، وببغلته، وحماره، وسيفه، وذو الفقار، وبدرعه ذات الفضول، وجميع ما كان يحتاج إليه في الحرب) إلى آخر الرواية.

فهذه الرواية - رغم التحفظ على مضمونها - تثبت أنّ الخلافة والإمامة من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليست بالنص بدليل عرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم إياها على الناس إلى جانب قضاء دينه والاستخلاف على الأهل.

والإمام علي كما في الرواية يقول وبكل صراحة: (فكف الناس عنه، وانتدبت له، فضمنت ذلك)، ولسائل أن يسأل: لو أنّ العباس أو غيره من الصحابة انتدب وضمن ذلك، أيتصور حينها الشيعة الإثني عشرية أنّ الإمامة ستنتقل إليه؟

١- زيادة (وأمتي من بعدي) منكراً، تخالفها كل الروايات الواردة في هذا الباب.

٨- لم يصح في شأن الدار حديث كما بينت لكن أقوى ما ورد من الروايات في هذا الباب روايتان:

الأولى: ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن عبّاد بن عبد الله الأسدي عن علي بن أبي طالب قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، قال: جمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أهل بيته، فاجتمع ثلاثون، فأكلوا وشربوا، قال: فقال لهم: (من يضمن عني ديني ومواعيدي، ويكون معي في الجنة، ويكون خليفتي في أهلي؟) فقال رجل - لم يسمه شريك: يا رسول الله، أنت كنت بحراً، من يقوم بهذا؟! قال: ثم قال لآخر، قال: فعرض ذلك على أهل بيته، فقال علي: أنا^(١).

والحديث ضعيف كما هو معلوم لضعف شريك بن عبد الله النخعي وعبّاد بن عبد الله الأسدي، لكنه أقوى سنداً بل متناً من الحديث الذي يستدل به علماء الشيعة الإثني عشرية عادة. والثانية: رواها الإمام أحمد في مسنده عن ربيعة بن ناجذ عن علي رضي الله عنه أنه قال: (جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بني عبد المطلب فيهم رهط كلهم يأخذ الجذعة ويشرب الفرق، قال: فصنع لهم مُدّاً من طعام فأكلوا حتى شبّعوا، قال: وبقي الطعام كما هو كأنه لم يُمس ثم دعا بغمر فشربوا حتى رووا وبقي الشراب كأنه لم يُمس أو لم يُشرب، فقال: يا بني عبد المطلب، إني بُعثت إليكم خاصة وإلى الناس عامة، وقد رأيتم من هذه الآية ما رأيتم، فأياكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي؟ قال: فلم يقم إليه أحد، قال: فقمتم وكنتم أصغر القوم، قال: فقال: اجلس، ثم قال ثلاث مرات، كل ذلك أقوم إليه، فيقول لي: اجلس، حتى كان في الثالثة ضرب بيده على يدي)^(٢).

١- رواه أحمد في المسند - حديث رقم (٨٨٣).

٢- رواه أحمد في المسند - حديث رقم (١٣٧١) وفصائل الصحابة ٢/٨٨٧ - حديث رقم (١٢٢٠)، وربيعه بن ناجذ الأزدي أو الأسدي الكوفي مُختلف فيه: قال عنه الذهبي: لا يكاد يُعرف، ووثقه العجلي وابن

والروايتان على ضعفهما توضحان أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد عرض على قرابته أمراً لا دخل له بالخلافة أو الإمامة بمفهومها الشيعي الإثني عشرية، فقد عرض على من يبايعه ويسانده أن يكون معه في الجنة وأن يكون خليفته على أهله عند موته عليه الصلاة والسلام أو خروجه خارج أرضه، وكان عليه الصلاة والسلام مستعداً لقبول أي شخص من بني عبد المطلب لا علي بن أبي طالب تحديداً كما يريد الشيعة الإثني عشرية تصوير الأمر، ولذلك ردّه ثلاث مرات لأنه يريد غيره، فلما أن رأى منهم الخذلان، ضرب بيده على يد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فهل يرضى الشيعة الإثني عشرية بما تشير إليه الروايات؟

هـ- حديث (علي مني وأنا من علي)

فمن الأدلة التي استُدل بها في النص على الإمام علي بن أبي طالب ما رواه حُبُشِي بن جُنادة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (عليٌّ مني وأنا من عليٍّ ولا يُؤدِّي عَنِّي إلا أنا أو عليٌّ)^(١).

أقول: ولا ريب أنّ علياً من النبي والنبي من علي نصرته ومحبة، فما من أحد ينكر هذا، لكن أين الدلالة في النص على أنّ علياً إمام منصوب من الله تعالى؟!

إن كانت عبارة (علي مني وأنا من علي) تعني عند الشيعة النص عليه، فماذا يقولون عن قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الأشعريين: (إنّ الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قلّ طعامٌ

حبان (علي ما عرف عنهما من توثيق المجاهيل كما نص على ذلك العلماء كالعلامة المحقق عبد الرحمن المعلمي في كتابيه (التنكيل) و(الأنوار الكاشفة)، والحديث عند الشيخ شعيب الأرئوط ضعيف، وهو كما قال.

١- رواه الترمذي - كتاب المناقب - باب (علي مني وأنا من علي) - حديث رقم (٣٧١٩) وقد حسّنه الألباني.

عياهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوبٍ واحدٍ، ثم اقتسموه بينهم في إناءٍ واحدٍ، بالسوية، فهم مني وأنا منهم^(١)، فذكر فيهم العبارة ذاتها التي ذكرها في الإمام علي.

ليس هذا فحسب، بل إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد خص بها رجلاً من أصحابه هو جليبيب رضي الله عنه.

فعن أبي برزة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان في مغزى له^(٢)، فأفاء الله عليه، فقال لأصحابه: هل تفقدون من أحدٍ؟ قالوا: نعم، فلاناً وفلاناً وفلاناً، ثم قال: هل تفقدون من أحدٍ؟ قالوا: نعم، فلاناً وفلاناً وفلاناً، ثم قال: هل تفقدون من أحدٍ؟ قالوا: لا، قال: لكنني أفقد جليبيبا فاطلبوه، فطلب في القتلى، فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه، فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوقف عليه، فقال: قتل سبعة ثم قتلوه، هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه^(٣).

فإن كان في حديث (علي مني وأنا من علي) ما يفيد معنى الإمامة كانت الأحاديث التي ذكرت جليبيب والأشعرين تفيد المعنى ذاته فكانت الخلافة في أعقابهم إن لم تكن فيهم أيضاً! فلم يبق حينئذ إلا عبارة (ولا يؤدي عني إلا علي) ومعناها كما يقول المباركفوري في كتابه (تحفة الأحوذى ١٠/١٥٢): ((ولا يؤدي عني) أي نبذ العهد (إلا أنا أو علي) كان الظاهر أن يقال لا يؤدي عني إلا علي فأدخل (أنا) تأكيداً للمعنى الاتصال في قوله (علي مني وأنا منه)، قال التوربشتي:

١- رواه البخاري في صحيحه - كتاب الشركة - باب (الشركة في الطعام والنهد والعروض) - حديث رقم (٢٤٨٦) ورواه مسلم في صحيحه - كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل الأشعرين رضي الله عنهم - حديث رقم (٢٥٠٠)

٢- أي في سفر غزو.

٣- رواه مسلم في صحيحه - كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل جليبيب رضي الله عنه - حديث رقم (٢٤٧٢).

كان من دأب العرب إذا كان بينهم مقابلة في نقض وإبرام وصلاح ونبذ عهد أن لا يُؤدي ذلك إلا سيد القوم أو من يليه من ذوي قرابته القريبة ولا يقبلون ممن سواهم، فلما كان العام الذي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه أن يحج بالناس رأى بعد خروجه أن يبعث علياً كرم الله وجهه خلفه لينبذ إلى المشركين عهدهم ويقرأ عليهم سورة براءة وفيها ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: ٢٨] إلى غير ذلك من الأحكام فقال قوله هذا تكريماً له بذلك.

قال القارىء: واعتذاراً لأبي بكر في مقامه هنالك، ولذا قال الصديق لعلي حين لحقه من ورائه أمير أو مأمور؟ فقال: بل مأمور، وفيه إيحاء إلى أن إمارته إنما تكون متأخرة عن خلافة الصديق كما لا يخفى عن ذوي التحقيق).

و- أحاديث الإثني عشر إماماً

يحتج الشيعة الإمامية الاثنا عشرية في تحديد عدد الأئمة (باثني عشر رجلاً من آل البيت) بما جاء في صحيح البخاري عن جابر بن سمرة قال: (يكون اثنا عشر أميراً - فقال: كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال: كلهم من قريش)^(١).

وفي مسلم عن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة) ثم قال كلمة لم أفهمها، فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: (كلهم من قريش)^(٢).

وعند أبي داود ونصه كالتالي: (لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلهم تجتمع عليهم الأمة)^(٣).

١- رواه البخاري - كتاب الأحكام - باب الاستخلاف - حديث رقم (٧٢٢٣)

٢- رواه مسلم - كتاب الإمارة - باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش - حديث رقم (١٨٢١)

وبالتأمل في النصوص بكل حيادية وموضوعية نلاحظ عدة أمور من شأنها أن تفند مثل هذا الاستدلال.

أولاً: عندما درست الحديث السابق دراسة وافية فتبعت طرقه وألفاظه للوقوف على معناه وجدت أن الحديث قد ذُكر بالألفاظ التالية:

(لا يزال هذا الأمر صالحاً حتى يكون اثنا عشر أميراً)^(١) وفي رواية أخرى (لا يزال هذا الأمر ماضياً حتى يقوم اثنا عشر أميراً)^(٢) وفي رواية أخرى (لا يزال هذا الأمر قائماً حتى يمضي اثنا عشر أميراً)^(٣).

(إنّ هذا الدين لا يزال عزيزاً إلى اثني عشر خليفة)^(٤) وفي رواية أخرى (لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة)^(٥).

(لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة)^(٦) وفي رواية أخرى (لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة)^(٧).

(لا يزال هذا الدين عزيزاً أو قال لا يزال الناس بخير^(٨) إلى اثني عشر خليفة)^(٩).

١- رواه أبو داود - كتاب المهدي - حديث رقم (٤٢٧٩)

٢- مسند أحمد - حديث رقم (٢٠٩٦٠)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

٣- مسند أحمد - حديث رقم (٢٠٩٦١)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين

٤- المعجم الكبير ١٩٧/٢ حديث رقم (١٨٠١)

٥- مسند أحمد - حديث رقم (٢٠٩٠٩)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم رجاله ثقات رجال الشيخين غير داود فمن رجال مسلم.

٦- مسند أحمد - حديث رقم (٢٠٨٧٠) قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح وهذا إسناده حسن من أجل (سالك)، وفي المعجم الكبير للطبراني ١٩٥/٢ حديث رقم (١٧٩٢) بلفظ (اثني عشرة خليفة).

٧- رواه أبو داود - كتاب الفتن - حديث رقم (٤٢٨٠)، قال الألباني: حديث صحيح

٨- رواه مسلم - كتاب الإمارة - باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش - حديث رقم (١٨٢١)

وفي رواية أخرى (لا يزال هذا الأمر عزيزاً منيعاً يُنصرون على من ناوهم عليه إلى اثني عشر خليفة)^(٣).

(لا يزال هذا الأمر مؤاتى أو مقارباً حتى يقوم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش)^(٤).

(لا يزال هذا الأمر في مسكة وفي علياء حتى يملك اثنا عشر من قريش)^(٥).

(لا يزال هذه الأمة مستقيم أمرها حتى يكون اثنا عشر خليفة)^(٦).

(لا يزال أمر هذه الأمة هادئاً على من ناوأها حتى يكون عليكم اثنا عشر أميراً)^(٧).

(لا يزال أمر هذه الأمة ظاهراً حتى يقوم اثنا عشر خليفة)^(٨).

(لا يزال هذا الدين ظاهراً على من ناوأه لا يضره مخالف ولا مفارق حتى يمضي من أمتي اثنا

عشر أميراً كلهم من قريش)^(٩).

وفي رواية أخرى (لا يزال هذا الأمر ظاهراً على من ناوأه لا يضره مخالف ولا مفارق حتى

يمضي اثنا عشر خليفة من قريش)^(١٠).

-
- ١- الشك من أبي عبد الصمد وهو أحد رواة الحديث.
 - ٢- مسند أحمد - حديث رقم (٢٠٩٦٢)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي جعفر الرازي فمن رجال مسلم.
 - ٣- مسند أحمد - حديث رقم (٢٠٩٦٤)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.
 - ٤- مسند أحمد - حديث رقم (٢١٠٧١)، قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.
 - ٥- المعجم الأوسط ٢/ ١١٥ حديث رقم (١٤٣٠)
 - ٦- المعجم الكبير ٢/ ١٩٦ حديث رقم (١٧٩٨)
 - ٧- المعجم الكبير ٢/ ١٩٧ حديث رقم (١٨٠٠)
 - ٨- المستدرک ٣/ ٧١٥ حديث رقم (٦٥٨٦)
 - ٩- مسند أحمد - حديث رقم (٢٠٨٧٣)، قال شعيب الأرنؤوط: ضعيف لضعف مجالد.
 - ١٠- المعجم الكبير للطبراني ٢/ ١٩٦ حديث رقم (١٧٩٦)

وفي رواية (لن يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً ظاهراً على من ناوأه لا يضره من فارقه أو خالفه حتى يملك اثنا عشر كلهم من قريش)^(١).

(لا يزال أمر هذه الأمة ظاهراً حتى يقوم اثنا عشر خليفة)^(٢).

والناظر لهذه الروايات بصحيحها بل وضعيفها يلاحظ أنها لا تدل على مدح هؤلاء الإثني عشر جزماً بل قد تدل على ذمهم وكون خلافتهم بداية لهوان الأمة وضياع عزها.

ويشهد لهذا أنّ (حتى) و(إلى) تفيدان الغاية وقد جاءتا في كل ألفاظ الحديث تقريباً، فما قبلهما يختلف عما بعدهما، كقوله تعالى ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] فما قبل (حتى) يختلف عما بعدها، وعلى هذا يكون ما قبل هؤلاء الأمراء عزة ومنعة وصلاً ويكون الذل والفساد من أول توليهم الأمور، كما يكون الإمساك من أول ظهور الفجر فتأمل هذا جيداً.

أما المعنى الآخر المحتمل فهو كون خلافة الإثني عشر هي آخر فترة العزة والمنعة ثم من بعدهم يفسد القتل المعبر عنه بالحديث ب(الهرج).

فكما أنّ المرء يقول: أكلت السمكة حتى ذيلها، ويحتمل قوله هذا أنه أكل السمك كلها باستثناء ذيلها، يحتمل أيضاً أنّ المراد بأنه أكل السمكة كلها من أولها إلى آخرها.

فما الذي جعل الحديث صريحاً في الدلالة على عظم هؤلاء الإثني عشر بل وجعل الشيعة الإثني عشرية يذهبون إلى أنّ فيه النص على إمامة إثني عشر هم (علي بن أبي طالب والحسن والحسين وتسعة من أبناء الحسين)؟!

١- مسند أحمد - حديث رقم (٢٠٩٤٣)، قال شعيب الأرناؤوط: ضعيف لضعف مجالد.

٢- المستدرک ٣/ ٧١٥ حديث رقم (٦٥٨٦)

ثانياً: إنّ هؤلاء الاثني عشر المشار إليهم في الحديث النبوي قد وُصفوا بأنهم (خلفاء) أو (أمراء) أما الأئمة الاثني عشر الذين يدّعي الشيعة النص عليهم هم أئمة وعلماء وفضلاء لكنهم ليسوا خلفاء^(١) ولا أمراء إذ لا خليفة بلا خلافة ولا أمير بلا إمارة.

فحينما تناقش عالماً من علماء الشيعة عن إمامة الإمام الصادق مثلاً وتقول له: كيف يكون جعفر الصادق إماماً ولم يكن خليفة؟ فسيجيبك على الفور بأنّ الإمامة منصب إلهي لا يُشترط فيه أن يتولى الإمام الخلافة، لكن المرء لا يكون خليفة إلا بخلافة.

فإذا علمت أنّ الأئمة الاثني عشر الذين يذکرهم الشيعة لم يلب منهم الخلافة سوى إمامين فقط هما: (علي بن أبي طالب والحسن بن علي) ظهر تهافت وبطلان استدلالهم بالحديث.

ولذا أقول: لو أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم النص على إمامة الأئمة الاثني عشر عند الشيعة لقال في حديثه الشريف (اثنا عشر إماماً) أو نصّ على الاثني عشر بأسماءهم بدلاً من قوله: (اثنا عشر أميراً) أو (اثنا عشر خليفة)!

ولو أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أراد أن ينص على اثني عشر إماماً هم الإمام علي وأبناؤه لقال (علي وأبناؤه) أو لقال (كلهم من بني أبي طالب) حتى، فإنّ قوله: (كلهم من قريش) يعني أنّ الاثني عشر من قريش لكنهم لا يختصون ببطن دون آخر، فقد يكون بعضهم من بني أسد أو بني تيم أو بني عدي أو بني زهرة أو بني هاشم.

فصيغة الحديث التي نطق بها محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي أُوتي جوامع الكلم تعني بكل وضوح أنّ الاثني عشر في الحديث لا يختصون بالإمام علي وأولاده دون غيرهم، ألا ترى أنه لم يقل رسول الله أنهم (كلهم من ولد إسماعيل عليه السلام) ولم يقل (كلهم من العرب) وإن كانوا في الحقيقة كذلك، ولكنه ذكر ما يميزهم عن غيرهم وهو القبيلة، فلو امتازوا بأنهم كلهم من أهل

١- باستثناء الخليفين الراشدين علي بن أبي طالب والحسن بن علي رضي الله عنهما

البيت أو من أبناء الإمام علي بالذات لذكروا بذلك، فلما جعلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قريش مطلقاً، عُلِمَ أنهم من قريش ولا يختصون ببطن دون آخر.

ثالثاً: روى الطبراني من طريق أبي الطفيل عامر بن وائلة عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا ملك اثنا عشر من عمرو بن كعب كان النقف والنقاف إلى يوم القيامة)^(١)، يعني القتل.

والإسناد ضعيف لكن له متابعة رواها الحافظ نعيم بن حماد في (الفتن ١ / ٩٥) عن يحيى بن سليم (وهو صدوق سيء الحفظ)^(٢) عن عبد الله بن عثمان بن خثيم (صدوق) عن أبي الطفيل رضي الله عنه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا ملك اثنا عشر من عمرو بن كعب كان النقف والنقاف إلى يوم القيامة).

قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ١٣ / ١٨٤: (وفي قوله (من بني كعب بن لؤي) إشارة إلى كونهم من قريش لأن لؤياً هو بن غالب بن فهر وفيهم جماع قريش).

والرواية إن قلنا باعتبارها فهي - كما هو ظاهر - دالة على سوء ملك هؤلاء الإثني عشر وأن ملكهم سبب لبأس بين الناس وكثرة الاقتتال والخراب، فتأمل!

فإن قال قائل: إن رواية مسروق والتي فيها: (كنا جلوساً عند عبد الله بن مسعود وهو يقرئنا القرآن فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، هل سألتم رسول الله صلى الله عليه وسلم كم تملك هذه

١- فتح الباري ١٣ / ١٨٣

٢- القول المذكور لابن حجر وهو خلاصة الخلاف في توثيق يحيى بن سليم الطائفي، فقد وثقه ابن معين وقال ابن سعد: ثقة كثير الحديث، قال أبو حاتم: شيخ صالح محله الصدق لم يكن بالحافظ يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال النسائي: ليس به بأس وهو منكر الحديث عن عبيد الله بن عمرو. أقول: والخلاف كما يظهر منشأه سوء حفظ يحيى أما رواية عبيد الله بن عمرو فقد تُرْفِعُ نكارتها بمتابعة الطبراني التي تؤكد عدم تفرد يحيى بن سليم بهذه الرواية.

الأمة من خليفة؟ فقال عبد الله بن مسعود: ما سألتني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك ثم قال: نعم، ولقد سألتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: اثنا عشر كعدة نقباء بني إسرائيل^(١) تدل على أن الإثني عشر فضلاء وأن خلافتهم مرضية.

أقول: إن الحديث منكر، ففي سنده (مجالد بن سعيد) أجمع علماء الجرح والتعديل على تضعيفه، وقد وهم الهيثمي في (مجمع الزوائد ٥ / ١٩٠) فقال: (وفيه مجالد بن سعيد، وثقه النسائي وضعفه الجمهور)، وقد رجعت إلى (الضعفاء والمتروكين) للنسائي فوجدته قد ضعفه وهكذا النقل عن النسائي في سائر كتب الجرح والتعديل.

والحديث من انفردات مجالد بن سعيد هذا، ولم يتابعه عليه أحد.

أما متن الحديث فظاهر النكارة، فإن فيه السؤال: (كم تملك هذه الأمة من خليفة؟) وجواب النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (اثنا عشر) فقط!

ومخالفة هذا للواقع أظهر من أن يُستدل له، ولو كان النص مادحاً أو ذاماً لاثني عشر من جملة من يملك الأمة لكان هذا واقعياً أم النص على أن من سيحكم الأمة هم اثني عشر فقط فهذا ما يُستنكر بالرواية.

والرواية على كل حال تنص على أن من سيملك الأمة من الخلفاء هم اثني عشر كعدة نقباء بني إسرائيل، والأئمة الإثني عشر في معتقد الشيعة الإثني عشرية ومعتقد غيرهم ليسوا بخلفاء ولا ملوك لأنهم لم يتسلموا زمام أمور الأمة (باستثناء الإمامين علي والحسن) كما تقدم.

رابعاً: ليس في الحديث حصر للأئمة بهذا العدد (اثني عشر) فإن الخلفاء في الأمة أكثر من ذلك قطعاً لكن الحديث يشير إلى أن الإسلام لا يزال عزيزاً حتى حُكم هؤلاء أو في ظل حكمهم كما ذكرنا سابقاً.

١- مسند أحمد - حديث رقم (٣٧٨١) - قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف لضعف مجالد.

خامساً: روى الشيخ المفيد في (الإرشاد ٢/ ٣٧٢) عن الإمام جعفر الصادق أنه قال: (لا يخرج القائم حتى يخرج قبله اثنا عشر من بني هاشم كلهم يدعو إلى نفسه)، وعند الطوسي في الغيبة ص ٤٣٧ والمجلسي في بحار الأنوار ٥٢/ ٢٠٩: (قال أبو عبد الله عليه السلام: لا يخرج القائم حتى يخرج اثنا عشر من بني هاشم كلهم يدعو إلى نفسه).

ومن المعلوم بأن القائم المذكور في الرواية هو المهدي المنتظر عند الشيعة، وخروجه يكون في آخر الزمان وهو في معتقد الطائفة أحد الأئمة الإثني عشر، لكن الرواية الشيعية تفيد أن ثمة (إثني عشر من بني هاشم) سيخرجون قبله، كلهم يطلب الخلافة لنفسه، والسؤال هنا: لماذا لا يكون هؤلاء الإثني عشر هم أنفسهم الإثني عشر المذكورون في الحديث؟!!

لماذا يريد الشيعة الإثني عشرية أن يتحكموا في الأمة كلها بجميع فرقها ومذاهبها ويلزمونهم باعتماد النص على إثني عشر اختاروهم بأنفسهم ولم ينص عليهم الحديث لا بأساءهم ولا بأوصافهم؟!!

سادساً: إن التاريخ ليشهد بأن الشيعة بفرقهم المتعددة مختلفون في معرفة الأئمة وفي أعدادهم اختلافاً لا يكاد يُحصى إلا بكلفة، كما حفلت بتصوير ذلك كتب الفرق والنحل والتي ذكرت اختلاف الشيعة بعد موت كل إمام في من يكون الإمام من بعده.

ولو أخذنا بنظرية الشيعة الفطحية الذين يشترطون الوراثة العمودية في الإمامة، لأصبح الإمام الحسن العسكري هو الإمام الثاني عشر، بعد الإقرار بإمامة عبد الله بن الأفتح بن جعفر الصادق أو الاعتراف بإمامة زيد بن علي الذي اعترف بإمامته قسم من الشيعة الإمامية الأولى.

ولذا فاستدلال الشيعة الاثني عشرية بروايات كهذه لا تنطبق بحال من الأحوال على الأئمة الاثني عشر لديهم، ودون وجود دليل علمي على ولادة محمد بن الحسن العسكري (الإمام الثاني عشر الغائب) هو نوع من الافتراض والظن والتخمين... وليس استدلالاً علمياً قاطعاً.

فهل يصلح لمنصف عاقل أن ييني دينه وعقيدته على قاعدة هشة لا تصمد أمام النقد العلمي
بهذه الصورة؟!!

لا أحاديث صحيحة في النص على الأئمة الاثني عشر بأسمائهم

سئل الخوئي هذا السؤال:

(الحديث المعروف المروي عن هشام بن سالم، والذي يروي به ما جرى عليه وعلى بعض أصحابه، بل وعموم الشيعة بعد وفاة الإمام الصادق عليه السلام، وكيف أنه كان مع ثلثة من أصحاب الصادق ثم كانوا يبحثون عن الخلف من بعده عليه السلام، فدخلوا على عبد الله بن جعفر وقد اجتمع عليه الناس فانكشف لهم بطلان دعوى إمامته، فخرجوا منه ضاللاً لا يعرفون من الإمام.. إلى آخر الرواية... كيف نجمع بين هذه الرواية التي تدل على جهل كبار الأصحاب بالإمام بعد الصادق عليه السلام، وبين الروايات التي تحدد أسماء الأئمة عليهم السلام جميعاً منذ زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ وهل يمكن إجماع الأصحاب على جهل هذه الروايات حتى يتحيروا بمعرفة الإمام بعد الإمام؟

أجاب الخوئي: (الروايات المتواترة الواصلة إلينا من طريق العامة والخاصة قد حددت الأئمة عليهم السلام باثني عشر من ناحية العدد، ولم تحددهم بأسمائهم عليه السلام واحداً بعد واحد حتى لا يمكن فرض الشك في الإمام اللاحق بعد رحلة الإمام السابق بل قد تقتضي المصلحة في ذلك الزمان اختفائه والتستر عليه لدى الناس بل لدى أصحابهم عليهم السلام إلا أصحاب السر لهم، وقد اتفقت هذه القضية في غير هذا المورد، والله العالم^(١)).

فهذه شهادة من عالم شيعي اثني عشري كبير، كان زعيماً للحوزة العلمية بالنجف التي تعتبر أعرق حوزات الشيعة الاثني عشرية على الإطلاق بأنه لا توجد روايات متواترة تحدد الأئمة الإثني عشر بأسمائهم، ولا حتى أحاديث آحاد يُمكن الركون إليها دون الشك في مضامينها من

الشيعة أنفسهم قبل غيرهم، إذ أنّ هذه الروايات كانت نتاج السرية ورواياتهم (أصحاب السرية عند الأئمة) على حد تعبير الخوئي!

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: (ألا يُمكن عقلاً أن تتواطى هذه القلة القليلة من الأصحاب على إدعاء ما لم يدّعيه الأئمة أنفسهم، خاصة لأنهم لا ينفردون عن الأمة الإسلامية بنقل مثل هذه الروايات فحسب وإنما ينفردون بروايات لم يروها عامة أصحاب الأئمة؟).

ثم من هؤلاء الذين اختصهم الأئمة بأسرارهم دون باقي الخلق؟

يشير الشيخ علي آل محسن في كتابه (لله وللحقيقة) إلى هؤلاء النفر فيقول: (ولا يُتوهم أنّ استحلال الإمام عليه السلام كتمان بعض أحاديثه عن المخاطبين من الشيعة أو عن أكثر الشيعة يعني كتمان باقي العلوم والمعارف عنهم، وذلك لأنّ الإمام الصادق عليهما السلام خصّاً كثيراً من أصحابهما كأبي بصير وزرارة ومحمد بن مسلم وغيرهم بعلوم جليّة وأسرار كثيرة)^(١).

إنّ هؤلاء الذين ذكرهم الشيخ علي آل محسن ولا يخالفه في أسماؤهم أحدٌ من علماء الإمامية، ليسوا سوى مجموعة امتهنت الكذب على أهل البيت باعتراف الشيعة الإثني عشرية أنفسهم! فإنّ (زرارة بن أعين) الذي أثنى عليه عبد الحسين الموسوي في كتابه (المراجعات)^(٢) وذكره الشيخ علي آل محسن وجمع غفير من علماء الشيعة الإثني عشرية قديماً وحديثاً، قد وردت فيه روايات شيعية معتبرة السند عن الإمام جعفر الصادق في الطعن فيه بل ولعنه!

فقد روى الكشي بسنده عن ليث المرادي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لا يموت

زرارة إلا تائهاً^(٣).

١- لله وللحقيقة ص ٧٩

٢- المراجعة رقم (١١٠)

٣- رجال الكشي ص ٢٢٩ ترجمة (زرارة بن أعين) - رواية رقم (٢٤٠)

وعن مسمع كردين أبي سيار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لعن الله بريداً ولعن الله زرارة^(١).

وقد حسن العلامة الشيعي محسن الأمين إسناد هاتين الروايتين في موسوعته (أعيان الشيعة)^(٢).

وعن يونس بن عبد الرحمن عن ابن مسكان قال: سمعت زرارة يقول: رحم الله أبا جعفر، وأما جعفر فإن في قلبي عليه لفتة، فقلت له: وما حمل زرارة على هذا؟ قال: حمله على هذا لأن أبا عبد الله عليه السلام أخرج مخازيه^(٣).

وعن مسعدة بن صدقة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن قوماً يعارون الإيخان عارية ثم يسلبونه يقال لهم يوم القيامة المعارون، أما إن زرارة بن أعين منهم^(٤).

وعن الوليد بن صبيح قال: مررت في الروضة بالمدينة فإذا بإنسان قد جذبني فالتفت فإذا أنا بزرارة، فقال لي: استأذني لي على صاحبك، قال: فخرجت إلى المسجد فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام فأخبرته الخبر فضرب بيده إلى لحيته، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: لا تأذن له، لا تأذن له، لا تأذن له، فإن زرارة يريدني على القدر على كبر السن، وليس من ديني ولا دين آبائي^(٥).

وعن علي بن الحكم عن بعض رجاله عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دخلت عليه، فقال: متى عهدك بزرارة؟ قال: قلت: ما رأيته منذ أيام، قال: لا تبال وإن مرض فلا تعده، وإن مات فلا

١- المصدر نفسه - رواية رقم (٢٣٧)

٢- أعيان الشيعة ١٠/٣٨٨

٣- رجال الكشي ص ٢٢٥ - رواية (٢٢٨)

٤- رجال الكشي ص ٢٣٦ - رواية (٢٦٣)

٥- رجال الكشي ص ٢٣٧ - رواية (٢٦٦)

تشهد جنازته! قال: قلت: زرارة؟ متعجباً مما قال، قال: نعم زرارة، زرارة شر من اليهود والنصارى ومن قال إن مع الله ثالث ثلاثة^(١).

وعن عمران الزعفراني قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لأبي بصير: يا أبا بصير- وكنتي اثني عشر رجلاً- ما أحدث أحد في الإسلام ما أحدث زرارة من البدع، عليه لعنة الله، هذا قول أبي عبد الله^(٢).

وعن زياد بن أبي الحلال قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن زرارة روى عنك في الاستطاعة شيئاً فقبلنا منه وصدقناه وقد أحببت أن أعرضه عليك؟ فقال: هاته! قلت: فزعم أنه سألك عن قول الله عز وجل ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ فقلت: من ملك زاداً وراحلة، فقال: كل من ملك زاداً وراحلة فهو مستطيع للحج وإن لم يحج؟ فقلت: نعم، فقال: ليس هكذا سألتني ولا هكذا قلت، كذب عليّ والله كذب عليّ والله، لعن الله زرارة، لعن الله زرارة، إنما قال لي من كان له زاد وراحلة فهو مستطيع الحج، قلت: وقد وجب عليه، قال: فمستطيع هو؟ فقلت: لا، حتى يؤذن له، قلت: فأخبر زرارة بذلك؟ قال: نعم، قال زياد: فقدمت الكوفة فلقيت زرارة فأخبرته بما قال أبو عبد الله عليه السلام وسكت عن لعنه، فقال: أما أنه قد أعطاني الاستطاعة من حيث لا يعلم، وصاحبكم هذا ليس له بصيرة^(٣) بكلام الرجال^(٤).

١- رجال الكشي ص ٢٣٧ - رواية (٢٦٧)

٢- رجال الكشي ص ٢٢٩ - رواية (٢٤١)

٣- لاحظ عبارة زرارة التي يتكلم فيها عن الإمام جعفر الصادق فيقول فيها: (صاحبكم هذا ليس له بصيرة بكلام الرجال)، ثم اسأل الإمامية: كيف توثقون من يطعن في الأئمة المعصومين ويلمزمهم بمثل هذه الألفاظ؟ أهؤلاء الكذابين خير أم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين تجنبتهم عليهم ووصفتهم بأقبح لا شيء سوى مبايعتهم لأبي بكر الصديق رضي الله عنه بالخلافة؟! ووصفتهم بأقبح لا شيء سوى مبايعتهم لأبي بكر الصديق رضي الله عنه بالخلافة؟! ووصفتهم بأقبح لا شيء سوى مبايعتهم لأبي بكر الصديق رضي الله عنه بالخلافة!؟

٤- رجال الكشي ص ٢٢٧ - رواية (٢٣٤)

فمن يكذب على الإمام جعفر الصادق في حياته وبكل جرأة ووقاحة حتى اضطر الإمام جعفر إلى لعنه والتبرأ منه وإخراج مخازيه، كيف يؤتمن على عقيدة أهل الإسلام فتتخذ رواياته ديناً يُتبع به؟!!

أما أبو بصير، فقد روى الكشي عن ابن أبي يعفور أنه قال: خرجت إلى السواد نطلب دراهم لنحجّ ونحن جماعة وفينا أبو بصير المرادي، قال: قلت له: يا أبا بصير، اتق الله وحجّ بهالك فإنك ذو مال كثير، فقال: اسكت فلو أنّ الدنيا وقعت لصاحبك لاشتمل عليها بكسائه^(١).

وعن شعيب العرقوفي عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن امرأة تزوجت ولها زوج فظهر عليها؟ قال: تُرجم المرأة ويُضرب الرجل مائة سوط لأنه لم يسأل، قال شعيب: فدخلت على أبي الحسن عليه السلام^(٢) فقلت له: امرأة تزوجت ولها زوج؟ قال: ترجم المرأة ولا شيء على الرجل، فلقيت أبا بصير، فقلت له: إني سألت أبا الحسن عليه السلام عن المرأة التي تزوجت ولها زوج قال: ترجم المرأة ولا شيء على الرجل، قال: فمسح على صدره، وقال: ما أظنّ صاحبنا تناهى حلمه بعد!

وفي رواية (وقال بيده على صدره يحكّها: أظنّ صاحبنا ما تكامل علمه)^(٣) يريد بذلك أنّ الإمام موسى الكاظم لم يتكامل علمه ولذلك فإنه يُفتي بما لا يعرف!

أما أخلاقيات أبي بصير فلا تسأل عنها، يكفيك فيها قول أبي بصير: كنت أقرئ امرأة كنت أعلمها القرآن، قال: فهازحتها بشيء، قال: فقدمت على أبي جعفر عليه السلام، قال: فقال لي: يا أبا

١- رجال الكشي ص ٢٤٥ ترجمة (أبو بصير ليث بن البخترى المرادي) رواية رقم (٢٨٥)

٢- أي الإمام موسى الكاظم

٣- رجال الكشي ص ٢٤٧-٢٤٨ ترجمة (أبو بصير ليث بن البخترى المرادي) رواية رقم (٢٩٢) و(٢٩٣)

بصير، أي شيء قلت للمرأة؟ قال: قلت بيدي هكذا، وغطاً وجهه^(١)، قال: فقال لي: لا تعودن إليها^(٢).

أما محمد بن مسلم الذي يُعتبر كاتماً لأسرار الأئمة فتنص كتب الشيعة على أنّ الإمام جعفر الصادق قد لعنه وتبرأ منه قائلاً: (لعن الله محمد بن مسلم، كان يقول: إنّ الله لا يعلم الشيء حتى يكون)^(٣)!

وقد بلغ الإمام جعفر أنّ امرأة عامر بن عبد الله بن جذاعة تقول بقول زرارة ومحمد بن مسلم في الاستطاعة وترى رأيها، فقال: ما للنساء والرأي، والقول لها أنها ليسا بشيء في ولاية^(٤)، قال عامر: فجئت إلى امرأتي فحدثتها فرجعت عن ذلك القول^(٥).

ولحرص الإمام جعفر الصادق على التحذير منه ومن غيره من الوضّاعين قال: (هلك المتريسون في أديانهم منهم زرارة وبريد ومحمد بن مسلم وإسماعيل الجعفي، قال الراوي أبو الصباح: وذكر آخر لم أحفظ)^(٦). وكفى الله المؤمنين القتال.

١- لك أن تتخيل ما الحركة التي فعلها أبو بصير بيده للمرأة!! أهؤلاء هم رواةكم الذين تأخذون عنهم دينكم

يا عبد الحسين الموسوي ويا علي آل محسن!

٢- المصدر نفسه - رواية رقم (٢٩٥)

٣- رجال الكشي ص ٢٤٥ ترجمة (محمد بن مسلم الطائفي الثقفي) رواية رقم (٢٨٤)

٤- في احدى النسخ المخطوطة وجدت كلمة (ولايي) بدل (ولاية).

٥- المصدر نفسه رواية رقم (٢٨٢).

٦- المصدر نفسه رواية رقم (٢٨٣).

روايات شيعية دامغة!

بعد الاعتراف المذهل لآية الله العظمى الخوئي بأنه لا توجد روايات متواترة في النص على الأئمة بأسمائهم وإحالاته الموضوع برُمته على (أهل السر) وقد أشرت في كلامي السابق إلى نزاهة ومصداقية هؤلاء الرواة، تأتي المفاجأة الكبرى وفي أهم كتاب للشيععة الإثني عشرية (الكافي) الذي عاصر صاحبه النواب الأربعة للإمام الثاني عشر- عند الإمامية وكتب أخرى للإمامية تعتبر مصدراً هاماً للحديث لدى الطائفة كالغيبة للطوسي والخصال للشيخ الصدوق وكفاية الأثر للخزاز القمي.

إنّ الأئمة الإثني عشر المذكورون في روايات الشيعة ليسوا هم الأئمة الذين يعتقد الشيعة الإثني عشرية إمامتهم النصية!

فالأئمة الإثني عشر عند الشيعة الإثني عشرية هم (علي بن أبي طالب، الحسن بن علي، الحسين بن علي، علي بن الحسين (زين العابدين)، محمد بن علي الباقر، جعفر بن محمد الصادق، موسى بن جعفر الكاظم، وعلي بن موسى الرضا، محمد بن علي الجواد، علي بن محمد الهادي، الحسن بن علي العسكري، محمد بن الحسن (القائم المنتظر)).

بينما تؤكد الروايات الشيعية التالية أنّ الأئمة الإثني عشر- من ولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وفاطمة، ليس فيهم علي بن أبي طالب نفسه!
خذ عندك هذه الروايات الشيعية الدامغة، وما عليك سوى تأملها بحيادية.

* الرواية الأولى: عن أبي جعفر عليه السلام عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: دخلت على فاطمة عليها السلام وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء من ولدها، فعددت إثني عشر. آخرهم القائم عليه السلام، ثلاثة منهم محمد وثلاثة منهم علي^(١).

ومغزى الحديث بيان أن الأئمة الإثني عشر (كلهم من ولد فاطمة) بدليل نص الرواية على أن في اللوح (أسماء الأوصياء من ولدها) والإمام علي زوج فاطمة لا ولدها، والقرينة الثانية في الرواية هي النص على أن ثلاثة من الإثني عشر أسماؤهم (علي) والمراد بهم (علي بن الحسين (زين العابدين))، و(علي الرضا) و(علي الهادي) فخرج بذلك الإمام علي من القائمة.

* الرواية الثانية: روى الكليني في الكافي بسند صححه المجلسي عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري قال: (كنت حاضراً لما هلك أبو بكر واستخلف عمر) إلى قوله: (فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إن لهذه الأمة إثني عشر إمام هدى من ذرية نبيها وهم مني، وأما منزل نبينا في الجنة ففي أفضلها وأشرفها جنة عدن وأما من معه في منزله فيها فهو لاء الإثني عشر. من ذريته وأمهم وجدتهم وأم أمهم وذرايرهم، لا يشركهم فيها أحد)^(٢).

ومغزى الحديث بيان أن الأئمة الإثني عشر من ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهم جميعاً أبناء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فيخرج بذلك الإمام علي نفسه من القائمة.

١- الخصال ص ٤٧٨ حديث رقم (٤٢) والكافي ١/٥٣٢ - كتاب الحجّة - باب فيما جاء في الإثني عشر.

والنص عليهم - حديث رقم (٩) والغيبة للطوسي ص ١٣٩

٢- الكافي ١/٥٣١-٥٣٢ - كتاب الحجّة - باب فيما جاء في الإثني عشر والنص عليهم - حديث رقم (٨)

والغيبة للطوسي ص ١٥٣-١٥٤

* الرواية الثالثة: روى الكليني عن زرارة بن أعين قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: الإثنا عشر الإمام من آل محمد عليهم السلام كلهم محدث من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن ولد علي، ورسول الله وعلي عليهما السلام هما الوالدان^(١).

ومغزى الحديث كما هو واضح أن يكون الأئمة من أهل البيت كلهم أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والإمام علي بن أبي طالب، ويعني هذا أن علياً نفسه ليس من الأئمة الإثني عشر المنصوص عليهم لأنه ليس من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنما ابن عمه وأخاه وأبو الأئمة الإثني عشر!

* الرواية الرابعة: عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إني وإثني عشر من ولدي، وأنت يا علي رزّ^(٢) الأرض يعني أوتادها وجبالها، بنا أوتد الله الأرض أن تسيخ بأهلها، فإذا ذهب الإثنا عشر من ولدي ساخت الأرض بأهلها ولم ينظروا)^(٣).
ومغزى الحديث بيان أن الأئمة الإثني عشر من ولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإمام علي ليس منهم كما هو ظاهر في الحديث.

* الرواية الخامسة: عن أبي سعيد رفعه عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من ولدي إثنا عشر نقيباً، نجباء، محدثون، مفهمون، آخرهم القائم بالحق يملأها عدلاً كما ملئت جوراً)^(٤).

١- الكافي ١/ ٥٣١ - كتاب الحجّة - باب ما جاء في الاثني عشر والنص عليهم - حديث رقم (٧) و(١٤).
٢- قال المجلسي في (مرآة العقول ٦/ ٢٣٣): (وفي بعض النسخ جاء اللفظ بتقديم الزاء على الراء المهملة، وله أيضاً وجه بل هو أظهر، قال الفيروزآبادي: الزرّ بالكسر الذي يوضع في القميص وعظيم تحت القلب، وهو قوامه، وزر الدين قوامه).

٣- الكافي ١/ ٥٣٤ - كتاب الحجّة - باب ما جاء في الاثني عشر والنص عليهم - حديث رقم (١٧)

٤- الكافي ١/ ٥٣٤ - كتاب الحجّة - باب ما جاء في الاثني عشر والنص عليهم - حديث رقم (١٨)

ومغزى الحديث كسابقه وهو بيان أنّ الأئمة الإثني عشر من ولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فيخرج بذلك الإمام علي من أن يكون منهم.

* الرواية السادسة: روى الخزاز القمي في كفاية الأثر عن أنس بن مالك قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن حوارى عيسى فقال: كانوا من صفوته وخيرته وكانوا إثني عشر - إلى أن قال - فقلت: الأئمة بعدي اثنا عشر - من صلب علي وفاطمة، وهم حوارى وأنصارى، عليهم من الله التحية والسلام^(١).

* الرواية السابعة: روى الخزاز القمي عن جنادة بن أبي أمية قال: دخلت على الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام في مرضه - إلى أن قال - فقلت: يا مولاي مالك لا تعالج نفسك؟ فقال: يا عبد الله بماذا أعالج الموت؟ فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم التفت إليّ فقال: والله إنه لعهد عهده إلينا رسول الله - صلى الله عليه وآله - أنّ هذا الأمر يملكه اثنا عشر - إماماً من ولد علي وفاطمة، ما منا إلا مسموم أو مقتول^(٢).

١- كفاية الأثر ص ٦٨-٦٩

٢- منهاج الصالحين لوحيد خراساني ١/ ٣٤١ (شهادة الإمام الحسن) نقلاً عن كفاية الأثر للخزاز القمي

المرتضى لا يستبعد كون الأئمة أكثر من إثني عشر!

ولعل من أعجب ما قرأته في هذه المسألة جواب المرتضى- على سؤال وجهه أحد الشيعة إليه يسأله فيه عن الحال بعد إمام الزمان عليه السلام في الإمامة قائلاً: إذا كان المذهب المعلوم أن كل زمان لا يجوز أن يخلو من إمام يقوم بإصلاح الدين ومصالح المسلمين، ولم يكن لنا بالدليل الصحيح أن خروج القائم يطابق زوال التكليف، فلا يخلو الزمان بعده عليه السلام من أن يكون فيه إمام مفترض الطاعة، أو ليس يكون. فإن قلنا: بوجود إمام بعده خرجنا من القول بالإثني عشرية، وإن لم نقل بوجود إمام بعده، أبطلنا الأصل الذي هو عماد المذهب، وهو قبح خلو الزمان من الإمام.

أجاب المرتضى بقوله: (إنا لا نقطع على مصادفة خروج صاحب الزمان محمد بن الحسن عليها السلام زوال التكليف، بل يجوز أن يبقى العالم بعده زماناً "كثيراً"، ولا يجوز خلو الزمان بعده من الأئمة. ويجوز أن يكون بعده عدة أئمة يقومون بحفظ الدين ومصالح أهله، وليس يضرنا ذلك فيما سلكناه من طرق الإمامة، لأنّ الذي كلفنا إياه وتعبنا منه أن نعلم إمامة هؤلاء الإثني عشرية، ونبينه بياناً "شافياً"، إذ هو موضع الخلاف والحاجة. ولا يخرجنا هذا القول عن التسمي بالإثني عشرية، لأنّ هذا الاسم عندنا يطلق على من يثبت إمامة اثني عشر- إماماً". وقد أثبتنا نحن ولا موافق لنا في هذا المذهب، فانفردنا نحن بهذا الاسم دون غيرنا)^(١)!

إنه المأزق الذي أوقعت النظرية الإمامية الإثني عشرية فيها نفسها ولم تجد له مخرجاً سوى مثل

هذه الافتراضات غير المنطقية!

اعتراف خطير للشيخ حسين المدرسي الطباطبائي

يقول في كتابه (تطور المباني الفكرية للتشيع في القرون الثلاثة الأولى): (مضت سنوات طويلة على انتشار حديث شريف ومشهور جداً عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يبشّر فيه باثني عشر خليفة (وفي بعض الروايات باثني عشر أميراً) كلهم من قريش، وفي بعض نسخ هذا الحديث: أنّ هرجاً ومرجاً شديدين يعمان الناس بعدهم. وقد أولى السنة هذا الحديث عناية خاصة منذ البداية ورووه جيلاً بعد جيل حتى أنّ عدداً كبيراً من الرواة كانوا يحدّثون به الناس في كل مكان أيام خلافة الوليد الثاني (١٢٥-١٢٦هـ) عندما اشتد نشاط المعارضة للأُمويين وظهرت طلائع الثورة التي قضت على الخلافة الأموية، واحتفّ الثوار والمعتزلة الأوائل (الذين يسمّوهم أعداؤهم بالقدرية) حول يزيد بن الوليد ليشكّلوا تهديداً لسلطة الكبت، بل الشواهد تشهد أنّ في أواخر خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ) عندما واجهت مسألة ولاية عهده عقبات متكررة لبّدت سحبتها الكثيفة سماء بني أمية، بدأت العثمانية الذين أصابهم خوف كبير يردّدون هذا الحديث وهم يمرّون بتلك الظروف، بأنه يشير إلى الخلفاء الثلاث الأوائل (الذين يسمّوهم بالراشدين) مع الخلفاء الأمويين المجمع عليهم وتاسعهم هشام، وهم يشكّلون المدّة التي يسودها بعدها الهرج والمرج) إلى أن يقول: (وعلى عكس العثمانية الذين روّجوا الحديث وألوه عناية خاصة في أواخر العهد الأموي، فإنّ الشيعة لم يكثرثوا بهذا الحديث ولم يهتم بنقله وضبطه إلا خواص أصحاب الأئمة المطلّعين على أسرارهم، وذلك لأنّ عموم الشيعة وبسبب اعتقادهم باستمرار سلسلة الإمامة حتى نهاية العالم كانوا يتوقعون أن يكون عدد الأئمة أكثر من ذلك بكثير، وفي الحقيقة فإنّ أيّاً من كتب الشيعة المتبقية من أواخر القرنين الثاني والثالث أو أيّاً من كتبهم التي ألّفت قبل أواخر القرن الثالث ولم تطلها يد التحريف لا يحوي ما يدل على أنّ هذا الحديث لفت

انتباه المؤلفين الشيعة أو أن أحداً دار في خلدته أن هذا الحديث يرتبط بهم بل يظهر أنهم عتّموا تماماً على هذا الحديث المشهور ولعلمهم اعتبروه حديثاً مضاداً للتشيع بعد أن شاهدوا العثمانية يستقرّونه ويستفيدون منه لصالحهم في الاضطرابات التي أودت أخيراً بخلافتهم. ولم يشر بنو نوبخت لهذا الحديث ولا لحقيقة أن الأئمة اثنا عشر ولا حتى سعد بن عبد الله الأشعري ولا ابن قبة في آثارهما التي بين أيدينا، وكلهم عاشوا في أواخر القرن الثالث وعاصروا الغيبة الصغرى) إلى أن قال: (إنّ أول من طرح مسألة الاثني عشر من مؤلفي الشيعة، هما المحدثان الكبيران علي بن بابويه القمي ومحمد بن يعقوب الكليني اللذان عاشا أواخر مرحلة الغيبة الصغرى وماتا في أواخرها عامي ٣٢٨-٣٢٩هـ. يقول علي بن بابويه القمي في مقدمة كتابه (الإمامة والتبصرة): إنه لما وُجد كثيراً من شيعة زمانه يعترهم الشك في أسس المذهب الحق، فإنه ألّف هذا الكتاب الذي ضمّنه بعض الأحاديث التي تعيّن عدد الأئمة على وجه الدقة، لكي يطمئن الشيعة أن مذهبهم هو الصراط المستقيم. فيما أفرد الكليني في الكافي فصلاً للروايات التي تذكر أن الأئمة اثنا عشر، مع أن هذا الفصل لم يقع في مكانه المناسب، ويبدو وكأنه ألحق بالكتاب بعد سنوات ربما من قبل المؤلف نفسه)^(١).

١- تطور المباني الفكرية للتشيع في القرون الثلاثة الأولى ص ١٥٦-١٦٢

واعتراف أخطر من الشيخ محمد الباقر البهبودي

يقول البهبودي في كتابه (معرفة الحديث ص ١٧٢) تعليقاً على إحدى روايات النص على الأئمة الإثني عشر: (على أنك قد عرفت في بحث الشذوذ عن نظام الإمامة أنّ الأحاديث المرويّة في النصوص على الأئمة جملة من خبر اللوح وغيره - كلها مصنوعة في عهد الغيبة والحيرة وقبلها بقليل، فلو كانت هذه النصوص المتوفرة موجودة عند الشيعة الإمامية لما اختلفوا في معرفة الأئمة الطاهرة هذا الاختلاف الفاضح، ولما وقعت الحيرة لأساطين المذهب وأركان الحديث سنوات عديدة، وكانوا في غنى أن يتسرّعوا إلى تأليف الكتب لإثبات الغيبة وكشف الحيرة عن قلوب الأمة بهذه الكثرة)!!

فإذا كانت المسألة واضحة لديكم بهذه الصورة فلماذا تمتحنون الأمة فيما عجز عنه أساطين مذهبكم وأركان حديثكم سنوات عديدة؟! وعلى أي أساس جزمتم بأنّ الإثني عشر الذين تعتقدون إمامتهم وعصمتهم هم المرادون بهذا النص أو بغيره؟! سيحانك أي ضلالة هذه... وأي مصادرة للحقيقة هذه!!

من هم الخلفاء الإثني عشر؟

لقد اجتهد شراح هذا الحديث في ذكر أسماء خلفاء مسلمين ليبلغوا بها العدد (اثنا عشر)، فكأنهم بفعلهم هذا قد تعجلوا قيام الساعة، فحين أخبر الحديث بحصول هذا العدد فلا بد أن يكون قد تم ذلك على عهد هذا المصنف أو ذاك أو في عهدنا الحالي! وهذا تعجل، فالزمن لا يتوقف عندهم ولا عندنا، والأحقاب التي أعقبتهم قد تفرز خلفاء قبل خروج المهدي.. من يستطيع أن يجزم بعدم حصول هذا؟! اجتهاد هؤلاء العلماء والفضلاء في تحديد الأسماء يذكرني بما فعله كثير ممن كتب في الفرق الإسلامية والملل والنحل حين قسّموا المسلمين في زمانهم إلى ثلاث وسبعين فرقة تمشياً مع الحديث الوارد بافتراق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة. حتى وجدنا من ألف كتاباً باسم (الثلاث وسبعين فرقة) كأبي محمد اليميني (من علماء القرن الرابع الهجري) وحدد الفرق المرادة من الحديث بأسماءها في عصره! وعلى هذا المنوال سار أغلب المؤلفين سنة وشيعة! فإذا كانت نظرة هؤلاء صحيحة فقد زاد العدد بعدهم الثلاث والسبعين! خصوصاً وأنه قد درج الكثيرون منهم على عدّ من ينفرد بقول في مسألة عقديّة بأنه صاحب فرقة.

ومنشأ الخطأ في رأيي أمرين اثنين:

أولهما: التعجل في معرفة أسماء الفرق الثلاث والسبعين، وكأنّ تلك الفرق لا بد أن تكون في زمن الشارح والمؤلف أو قبل ذلك، دون أن يُعطي المؤلف لنفسه ولو احتمالاً واحداً أنّ فرقة واحدة من تلك الفرق ستكون بعده بقرون!

ثانيهما: الاهتمام بعدد الفرق أكثر من المبدأ، فكأنَّ شارح الحديث والناظر فيه قد أخذوا على نفسيهما عهداً أن يعرفا أسماء الثلاث والسبعين فرقة المذكورين في الحديث الشريف بدلاً من الاهتمام بمغزى الحديث من ذكر هذا العدد وهو (كثرة التفرق في الأمة ووجود فرقة واحدة ثابتة على إسلام محمد صلى الله عليه وآله وسلم النقي بخلاف غيرها ممن تنكب الطريق).

والأمر ذاته يُقال في حديث (الاثني عشر خليفة)، لقد رأينا من تعجل في تحديد الأسماء دون حاجة تدفعه لذلك وهو يقرأ قول النبي عليه الصلاة والسلام في صحيح مسلم: (لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش).

وفي رواية (إنَّ هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة).

فالحديث واضح في ذكر أن فترة خلافة الإثني عشر ممتدة إلى قيام الساعة، والذي يحصر فترة خلافة الإثني عشر بشخصيات مضت يخالف نص الحديث من حيث لا يشعر.

تساؤلات أنتجت تنوعاً في الآراء

لم يكن حديث (الخلفاء الإثني عشر-) مفصلاً بحيث لا يقع الخلاف في فهمه أو تكثير الاحتمالات فيه، بل كانت التساؤلات التي أثارها أذهان العلماء سبباً جوهرياً لاختلاف الآراء في الخلفاء الإثني عشر المرادون من الحديث إلا أن علماء أهل السنة ومعهم جميع فرق الشيعة باستثناء الإثني عشرية كلهم مجمعون على أن المراد بهؤلاء الإثني عشر- أناس غير (الإثني عشر-) الذي تذكرهم الإمامية الإثني عشرية لتوافر الأدلة على بطلان كونهم المذكورين في الحديث كما أشرت آنفاً.

لكن بقيت بعض الأسئلة في أذهان الشراح بلا إجابة:

هل من اللازم أن يكون الإثني عشر متتابعين أم متفرقين؟

هل من اللازم أن تجتمع الأمة عليهم جميعاً أم أن الحديث يشير إلى الغلبة والأكثرية؟ أم أن زيادة (كلهم تجتمع عليهم الأمة) لا تصح أصلاً؟^(١).

هل من اللازم أن يكون كل هؤلاء الإثني عشر من الأتقياء الأنقياء أم أنه يجوز أن يكون منهم الظلمة كما قال عليه الصلاة والسلام (إن الله لينصر هذا الدين بالرجل الفاجر)^(٢) بحيث تكون العبرة هنا بعزة الدين أمام الكفار وبنهضة المسلمين لا بمظالم فردية وقعت على بعض الثائرين أو المعترضين على سياسة هذا الحاكم؟

١- وجدت الشيخ الألباني رحمه الله قد حكم على لفظة: (كلهم تجتمع عليه الأمة) و(ثم يكون الهرج) بالإنكاره انظر السلسلة الصحيحة - حديث (٣٧٦).

٢- متفق عليه

هذه الأسئلة المثارة وكذا الاحتمالات العالقة بالنص ساهمت بشكل مباشر في جعل آراء العلماء متفاوتة في تحديد شخصيات الإثني عشر المشار إليهم بالحديث النبوي.

على أنّ الجميع متفقون على أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشار في الحديث إلى حدث مستقبلي سيحصل للأمة، ولم يذكر في الحديث أنه يلزم كل مسلم معرفة أسماء هؤلاء الإثني عشر أو الإيمان بهم كما يؤمن المرء منا بالأنبياء والملائكة والكتب السماوية واليوم الآخر كما قال الله تعالى ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فحديث الخلفاء الإثني عشر لا يختلف كثيراً عن الغيبيات الأخرى التي أخبر عنها النبي عليه الصلاة والسلام كقوله (إنّ في ثقيف كذاباً ومبيراً)^(١) ولم يقل عاقل من العقلاء فضلاً عن عالم من علماء المسلمين المشهود لهم بالعلم والمعرفة أنه يجب على كل مسلم أن يعرف من هو كذاب ثقيف ومبيرها وأن يؤمن بأنها (فلان وفلان) إيماناً جازماً لا يتسلل إليه فيه شك! فإنّ مثل هذا الكلام لا يقوله عاقل أبداً.

وقد قال عليه الصلاة والسلام أيضاً (لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان، يسوق الناس بعصاه)^(٢)، ولم يقل أحد من الناس أنه يجب على كل مسلم أن يعرف ذلك القحطاني بإسمه ونسبه وأرضه وإنما غرض مثل هذه الأحاديث الإخبار عن حدث سيحصل للأمة خيراً كان أو شراً.

والأحاديث في ذلك كثيرة لمن أراد التتبع.

١- رواه مسلم - كتاب فضائل الصحابة - باب (ذكر كذاب ثقيف ومبيرها) - حديث رقم (٢٥٤٥)

٢- رواه البخاري - كتاب الفتن - باب (لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل) - حديث رقم

تحرير المسألة

روى سفينة مولى رسول الله عن النبي عليه الصلاة والسلام قوله:

(تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله -تعالى-، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله -تعالى-، ثم تكون ملكاً عاضاً^(١)، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله -تعالى-، ثم تكون ملكاً جبرية فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها الله -تعالى-، ثم تكون خلافة على منهاج نبوة. ثم سكت)^(٢).

فقد نص الحديث أولاً على مرحلة حكم النبوة والتي تمثلت في حكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم مرحلة الخلافة على منهاج النبوة والتي تمثلت في خلافة الخلفاء الأربعة مضافة إليها خلافة الحسن بن علي بن أبي طالب (الخليفة الراشد الخامس).

ثم مرحلة الملك العضوض والتي تمثلت بالفترة ما بعد خلافة الحسن إلى سقوط الخلافة العثمانية.

ثم الحكم الجبري والذي تمثل بفترة ما بعد سقوط الخلافة وحتى خلافة المهدي (محمد بن عبد الله) أو قبلها بزمان حيث سيعود بالحكم إلى ما كانت عليه الخلافة الراشدة.

١- روى الدارمي في سننه ١٥٥/٢ عن أبي ثعلبة الخشني عن أبي عبيدة الجراح رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أول دينكم نبوة ورحمة ثم ملك ورحمة ثم ملك أعفر ثم ملك وجبروت يستحل فيها الخمر والحريير) فذكر (الملك والرحمة) بين خلافة النبوة والملك العضوض، والحديث ضعيف على أي حال لانقطاع السند ولو صح سنداً لجز منا بشذوذه لمخالفته الروايات الصحيحة كرواية سفينة رضي الله عنه المذكورة.

٢- رواه أحمد في المسند - حديث رقم (١٨٤٣٠)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

الملفت للنظر في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه عليه السلام أنه لما تكلم عن المرحلة التي تتلو مرحلة (الحكم الجبري) قال: (خلافة على منهاج النبوة) ولم يحددها بخليفة واحد وإنما أشار إلى مرحلة قد تحتمل وجود خليفة أو اثنين أو ثلاثة أو أكثر.

وهي مسألة غفل عنها الكثيرون - في رأيي - رغم وجود ما يشهد لها في السنة النبوية.

فقد روى الإمام أحمد وأبو داود بسند ضعيف عن أم المؤمنين (أم سلمة) عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله (يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من المدينة هارباً إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام، فيبعث إليهم جيش من الشام فيخسف بهم بالبيداء).

فقد نص هذا الحديث على أن خروج المهدي إنما يكون بعد موت خليفة للمسلمين مما يعني أنه ستكون هناك خلافة قائمة قبل المهدي لكنها خلافة مشبعة بظلم فيخرج المهدي بعد موت هذا الخليفة ليشيع العدل بين الناس بعد أن أشيع فيها الظلم.

وروى ابن ماجه والحاكم من طريق ثوبان، والإمام أحمد والحاكم من طريق أبي قلابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله (يقتل عند كنزكم ثلاثة، كلهم ابن خليفة، ثم لا يصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق، فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم، ثم ذكر شيئاً لا أحفظه، فقال: فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبواً على الثلج، فإنه خليفة الله المهدي)^(١).

والحديث صحيح المعنى كما قال الشيخ الألباني دون زيادة (فإن فيها خليفة الله المهدي)، لأنه لا يُقال في الشرع (خليفة الله) لما في ذلك من إيهام ما لا يليق بالله تعالى من النقص والعجز، وإنما يُقال (خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم).

ورغم أن الحديثين لا يخلوان من كلام في السند أو المتن إلا أنها يصلحان على الأقل كشاهدين للكلام الذي ذكرته في شرح حديث الإثنين عشر.

فمن ذا الذي يلزم حديث النبي عليه الصلاة والسلام أن يكون خاصاً بالفترة ما بين أول خليفة راشد وحتى الخلافة الأموية أو العباسية أو يكتفي بالنظرة للأموية والعباسية ثم يخرج بنتيجة مضادة للحديث؟

نعم... من منا يستطيع الجزم بعدد الخلفاء الذين سيأتون في مرحلة (العودة إلى الخلافة على منهاج النبوة) حتى يناقش الأسماء اليوم ويجزم بأن فلان من الخلفاء الإثني عشر- المذكورين في الحديث أم أن غيره أحق منه بذلك؟

الحديث نص على أمور لكنه لم يحدد فترة ولا أسماء حتى يُمكن لمعترض أن يختبر الناس في أسماء هؤلاء الخلفاء الإثني عشر!

وقد أعجبنى تعليق ابن كثير على هذا الحديث الشريف حيث لمست في كلامه بعده عن التعجل الذي وقع فيه بعض شراح الحديث.

فقد قال رحمه الله في تفسيره ٣٤ / ٢ (ومعنى هذا الحديث البشارة بوجود اثني عشر- خليفة صالحاً يقيم الحق ويعدل فيهم ولا يلزم من هذا تواليهم وتتابع أيامهم بل قد وُجد منهم أربعة على نسق وهم الخلفاء الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ومنهم عمر بن عبد العزيز بلا شك عند الأئمة وبعض بني العباس، ولا تقوم الساعة حتى تكون ولايتهم لا محالة.

والظاهر أن منهم المهدي المبشر به في الأحاديث الواردة بذكره فذكر أنه يواطئ اسمه اسم النبي صلى الله عليه وسلم واسم أبيه اسم أبيه فيملاً الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً). حيث تتلمس تورّع ابن كثير عن حصر الخلفاء الإثني عشر بمن سبقه أو من عايشه من الخلفاء وإنما اكتفى بذكر من تم اتفاق العلماء عليهم وقال عن الباقي (ولا تقوم الساعة حتى ولايتهم لا محالة).

مع صحابة رسول الله..

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۗ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ



سورة التوبة آية ١٠٠

مع صحابة رسول الله...

كنت أتفكر كثيراً في اختلاف نظرتي أهل السنة والشيعة الاثني عشرية لصحابة رسول الله ... وكانت التساؤلات تحيط بي من كل جانب والأفكار تأخذني شرقاً وغرباً... أقرأ لهذا وذاك ويرد التساؤل تلو التساؤل ... لم أترك باباً أستطيع طرقة إلا طرقتة... وشعرت أنني خضت بحراً كلما اقتربت من شاطئه زاد بعده.

لكن عناية ربانية انتشلتني إلى بر الأمان.. حينما تمسكت بقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهِدُوا فِيْنَا لَنَهْدِيَهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

لم تكن قرآني المتأنية وتساؤلاتي الجريئة لترسم لي وحدها طريق الحقيقة... بل كان للعقل دوره في إثارة الكثير من علامات الاستفهام على كل ما أقرأه وأسمعه أو أشاهده.

قرأت وفكرت... ناقشت ونوقشت... وعشت الحرب بداخلي... سنوات من الجذب تسبق المطر... لكن الغيث قد يُنسيك أضعافاً مضاعفة من تلك الأيام المجدبة حينما تكتحل عينك بروية الحقيقة.

كل ما عليك هو أن تتقدم خطوتين إلى الأمام.. تفكر فيها... وتحكم ضميرك... تتحرر من التعصب للمذهب.. وتكون وجهتك إلى الإسلام... الدين الذي أمرك برمي أغلال التقليد للآباء والأجداد والتمسك بالدليل والبرهان حيثما كان.

فعلت ذلك... ووجهت لي الاتهامات من متعصبة الفريقين، أرادوا لي أن أكون نسخة منهم لا أن أكون نبض ضمير المسلم المتجرد.. لقد علمت أن الشرع لا يُجايي أحداً، وأن الحق حكر للدليل والبرهان لا حكراً على الأشخاص، فلست إمعة إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت معهم... طريقي ضيق بين طرفي نقيض لكنني أرى فيما بعده اتساعاً وراحة للضمير.

وكعلمي بأهمية التجرد للحق ونبذ هوس التعصب أدركت كذلك أنّ الحوار نعمة رفع من شأنها الإسلام، وأنه جدير بالمرء أن يشكر نعمة الله عليه، ويكون شكره عز وجل من خلال استشعار نعمته وأهميتها، ومن لا يدرك النعمة فكيف له أن يشكر واهبها وأن يتنعم بها؟

حوار مع زميل

قلت لصاحبي ذات مرة: (لو كتب الله عز وجل لك أن ترى رجلاً قيادياً صالحاً، عليه سيبا الإيمان والتقوى وأنوارهما، قد منّ الله تعالى عليه بفراصة وذكاء بحيث يستطيع معرفة أهل النفاق من أتباعه الحقيقيين من لحن قولهم، لكنك علمت بعد ذلك أنّ هذا الرجل الصالح قد أعرض عن أهل الصلاح من قومه مختاراً أهل النفاق والضلال، فسوّدهم على الناس، معطياً إياهم أهم المناصب القيادية الدينية منها والدينية، بل إنه لم يكتفِ بإعطائهم تلك المناصب وبتقريبهم إليه بل صاهر بعضهم وجعلهم من خاصة أصحابه الذين يخرج معهم ويروح، ويهاجر معهم ويجاهد، مع علمه بنفاقهم وعلمه بنفاق بناتهم اللاتي صرن زوجاته!

ثم علمت أنّ ذلك الرجل الصالح قد مات وهنّ على ذمته، ينطقن باسمه ويتكلمن بالدين ويُفتين للناس من بعده، والناس لثقتهم وإجلالهم لهذا الرجل الصالح قد وثقوا بمن قربهم وسوّدهم عليهم، فالصالح لا يتعمد اختيار الخبثاء إلا لخبث طراً عليه أو شهوة عارضة أو غفلة أو غباء، والرجل الذي نتكلم عنه هو أعظم وأشرف في أعينهم من أن يُظن به ذلك.

ثم علمت يا صاحبي أنّ هؤلاء المنافقين الذين مكّن لهم هذا الرجل الصالح قد تسلطوا على العباد وسلبوا المؤمنين حقهم وأسأوا إليهم وأفسدوا في البلاد حتى صار المؤمن خائفاً على نفسه من الهلاك وعرضه من الانتهاك ودينه من الانحراف فلجأ إلى التقية والمداراة، فما قولك فيمن فعل هذا بقومه؟

قال صاحبي: أراه إما خبيثاً فاجراً استغل ثقة الناس به أسوأ استغلال أو جاهلاً مغفلاً استخدمه عدوه أبشع استخدام.

قلت: فلان، قال: نعم

قلت: ألا ترى أنّ الشخصية التي تشتمها وتتهمها بالسذاجة أو بالخبث هي نفس الشخصية التي يريدنا الشيعة الاثني عشرية من حيث لا يشعرون أن نجعلها شخصية أشرف الخلق محمد صلى الله عليه وآله وسلم!

إنك شتمت تلك الشخصية وأنت مدرك أنها شخصية رجل صالح فقط لا دخل له بالوحي من قريب ولا بعيد، شخصية غير معصومة، قد تستقيم يوماً وتعترها الشهوة غداً، فكيف بنا ونحن نتكلم عن خليل الرحمن وخاتم الأنبياء والمرسلين؟!

إننا ندرك أنّ ختم نبوته صلى الله عليه وآله وسلم يقتضي بقاء دينه بلا تحريف ولا عبث من بعده، وكيف يتأتى ذلك والشيعة الاثنا عشرية يجعلونه مصاهراً للمنافقين وزوجاً للمنافقات؟!

فالشعبة الاثنا عشرية يرون أنّ رسول الله قد صاهر منافقين هما (أبو بكر وعمر) وزوج ابنتيه إلى منافق وهو (عثمان)، وتزوج هو صلى الله عليه وآله وسلم منافقتين هما (عائشة وحفصة) اللتان سُمّيتا في القرآن بـ(أمهات المؤمنين) بقوله تعالى ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۗ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾!

وتولى خالد بن الوليد قيادة جيشه... منافق آخر في القائمة!

وكل هؤلاء يشتمهم الشيعة الاثنا عشرية ويقولون بردتهم.

إنّ هؤلاء بالإضافة إلى آخرين كالزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وسعيد بن زيد وغيرهم ممن يعدّهم الشيعة الاثني عشرية من جملة المنافقين هم في الحقيقة أهل النفوذ في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والذي اختارهم وأبرزهم هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا أحد غيره.

وقد مات هذا النبي الكريم وخلفهم من بعده، فمن المخطئ ومن المصيب؟ رسول الله أم الشيعة الاثنا عشرية؟ أخبرني بصراحة، وحكم ضميرك وانس النظرة الطائفية الضيقة وحكم عقلك، فأنا لا أخطبك من منطلق عصبية مذهبية ولكني أخطبك كمسلم لا يرتضي هذا الطرح في رسول الله ولا في أصحابه.

هل أخطأ رسول الله في الزواج من عائشة؟ هل أخطأ في اختيار رفيق دربه في الغار وفي الهجرة إلى المدينة؟ هل أخطأ في مصاهرتهم جميعاً؟ هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينهى المسلم عن جلساء السوء وزوجة السوء ثم يختار هو أهل نفاق وردة وضلال؟!!

إنك لتعجب وأن تسمع وتقرأ ما يقوله الشيعة الإثني عشرية في صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حجم التناقض بين معتقدتهم في صحابة الرسول وبين اعتقادهم بأن الأنبياء والأوصياء يعلمون الغيب بإذن الله، فمن يعلم الغيب ويعلم ما في اللوح المحفوظ وما كان وما يكون كما في روايات الشيعة، كيف يُمكن أن يجهل ويغفل عن البشر الذين يتعامل معهم فيُقرب منهم من لا يستحق التقريب؟!!

يعتقد الشيعة الإثني عشرية أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الإثني عشر أطهار، وهم يصرحون بتنزيههم جميعاً عن الأقدار صغيرها وكبيرها بل عن الخطأ والنسيان، لكنهم في الوقت ذاته ينسبون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخطأ والغفلة والقدر بإدعائهم أنه غفل وأخطأ في اختيار من يُقرب من أصحابه ومن يُصاهر منهم!

صمت صاحبي برهة ثم قال لي: معك حق.

كان صادقاً مع نفسه... لم يجد حرجاً في الاعتراف بحقيقة جسّها ضميره..

ولا يعيب الإنسان أن يبحث ويفكر بهدوء بعيداً عن البطانة التي يقودها التعصب والهوى والتي تسوّل له الاستمرار في الخطأ.

ما أحوجنا إلى هذا التجرد، وما أحوجنا إلى التفكير في الطريق الذي نسير فيه.. قبل أن نهلك أو
يعمّنا الهلاك.

المرء على دين خليله

هكذا علمنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... وتلك وصيته الخالدة في أن لا يصحب المؤمن التقي إلا أهل الإيمان والتقوى وأن لا يقترن الصالح إلا بامرأة صالحة تحفظه في دينه ودينه. روى الطوسي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (المرء على دين خليله، فليُنظر أحدكم من يخال) (١).

وحديثه صلى الله عليه وآله وسلم عن المجلس الصالح والمجلس السوء أشهر ما يكون، إذ يقول: (إنما مثل المجلس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يُحرق ثيابك وإما أن تجد ريحاً خبيثة) (٢).

وعلى هذا النسق توالى الأحاديث النبوية وكذا أحاديث الأئمة.

فقد روى الإمام الصادق عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (أولى الناس بالتهمة من جالس أهل التهمة) (٣).

ويقول الإمام علي فيما كتبه إلى الحارث الهمداني: (واحذر صحابة من يقبل رأيه ويُنكر عمله، فإنَّ الصاحب معتبر بصاحبه) (٤).

١- أمالي الطوسي ص ٥١٨ حديث رقم (١١٣٥).

٢- مجموعة ورام ٢/٢٦٦ باب (ذكر جمل من مناهي رسول الله صلوات الله وسلامه عليه)

٣- بحار الأنوار ٧٢/٩٠ ومعاني الأخبار ص ١٩٦

٤- بحار الأنوار ٧١/١٩٩ ومستدرک الوسائل ٨/٣٣٥ (باب تحريم مصاحبة الكذّاب) حديث رقم

ويقول الإمام جعفر الصادق: (خمس خصال من فقد منهن واحدة لم يزل ناقص العيش زائل العقل، مشغول القلب، فأولها صحة البدن، والثانية الأمن، والثالثة السعة في الرزق، والرابعة الأئیس الموافق، قلت: وما الأئیس الموافق؟ قال: الزوجة الصالحة، والولد الصالح، والخليط الصالح، والخامسة وهي تجمع هذه الخصال: الدعة)^(١).

فكيف يصح في العقل أن ينسب الشيعة الإثني عشرية إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (الزوجة السوء) و(الخليط السوء) ثم يدعون بعد ذلك أنهم لا ينسبون إلى رسول الله السوء؟! وعن الإمام جعفر الصادق أيضاً أنه قال: (لا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره، ثم قال: أمرني والدي بثلاث ونهاني عن ثلاث)^(٢)، فكان فيما قال لي: يا بني من يصحب صاحب السوء لا يسلم^(٣)، ومن يدخل مداخل السوء يُتهم ومن لا يملك لسانه يندم)^(٤).

وقد روي عن نبي الله سليمان عليه السلام أنه قال: (لا تحكموا على رجل بشيء حتى تنظروا إلى من يصاحب، فإنها يُعرف الرجل بأشكاله وأقرانه، ويُنسب إلى أصحابه وأخذانه)^(٥)، فما أعظمه من حديث وما أقواها من دلالة. وفي هذا يقول الشاعر:

١- الخصال ص ٢٨٤ (خمس خصال من لم تكن فيه واحدة) حديث رقم (٣٤) وبحار الأنوار ١٨٦/٧١
٢- لاحظ أنّ الوصية هنا من الإمام الباقر إلى ابنه الإمام الصادق - وكلاهما معصومان عند الشيعة الإثني عشرية - فانظر إلى حرص الباقر على الصحبة الصالحة وانظر بالمقابل إلى الذين ينسبون إلى رسول الله أنه ما أحسن اختيار أصحابه ولا أصهاره ولا حتى زوجاته! ولا حول ولا قوة إلا بالله

٣- نعم لا يسلم من يصاحب صاحب السوء، لا يسلم من تشويه السمعة، ومن الاتهام بالباطل، ومن نسبة أفعال صاحبه إليه.

٤- بحار الأنوار ١٩١/٧١

٥- بحار الأنوار ١٨٨/٧١ عن كنز الفوائد للكراجي

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي
 بعد استعراض هذه الروايات ماذا يستطيع أن يقول المرء عن صحابة محمد صلى الله عليه وآله
 وسلم وعن الرجل الذي اختارهم ورضي بصحبتهم وقربهم وصاهرهم أو كانوا أصهاراً له؟!
 أولى الناس بالتهمة من جالس أهل التهمة... لا تحكموا على رجل بشيء حتى تنظروا إلى من
 يصاحب، فإنما يُعرف الرجل بأشكاله واقرانه، ويُنسب إلى أصحابه وأخذانه... ما صدق هذه
 الكلمات في نفسك وفي ضميرك؟

ما أثر هذه الكلمات في نفس مسلم يرى صحابة نبيه في قفص الاتهام.. وليته كان اتهاماً فحسب
 بل هو القذف الصريح لهذه الفئة المختارة بالفسق والكفر والردة!
 قد حكم الإمام الصادق بزوال عقل وانشغال قلب ونقصان عيش من افتقد الزوجة الصالحة
 والخليط الصالح، فإلى ماذا ينسب علماء الشيعة الاثني عشرية رسولنا الكريم وهم يدعون أن
 زوجته كانت ضالة أو كافرة وأن أصهاره وخلطاءه كفار ومرتدون على أعقابهم؟!
 أسئلة ترد على البال ومن حق كل مسلم أن يثيرها ويُحاكم فيها ضميره...
 إنه الاختلاف الجذري بين رؤية أهل السنة والجماعة إلى صحابة رسول الله وزوجاته وبين رؤية
 الشيعة الاثني عشرية... هذه مقدماته والكلام في تفاصيله أعظم دلالة على الحق وبيانا للجرم.

ماذا عن امرأتي نوح ولوط عليهما السلام؟

لعل قائلًا يقول: هذا نوح ولوط عليهما السلام قد قال الله تعالى عن زوجتيهما ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحریم: ١٠] فكيف لا تُتصور الخيانة في زوجات النبي عليه الصلاة والسلام؟

أقول: قد ثبت عند أولي الألباب أن الله عز وجل قد نزه نوحاً ولوطاً عليهما السلام من هاتين المرأتين في حياتهما، فشهد هذان النبيان الكريمان عقاب الله لتينك المرأتين، وطهرهما الله عز وجل منهما، فتبين من ذلك أنه لو كان في زوجة من زوجات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يوجب تنزيه رسول الله عنهن أو التبرأ منهن لحصل ذلك في حياة رسول الله فلما لم يحصل ذلك، ثبت أنهم أهل لميثاق الزواج الذي جمعهن برسول الله.

كيف لا وقد خيرهن الله تعالى بين زينة الدنيا ومتاعها وبين الارتباط برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الدنيا والآخرة فقال ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُرَدُّنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعُكُمْ وَأَسْرَحُكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرَدُّنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أُجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الأحزاب: ٢٨ - ٢٩].

فاخترن جميعاً الله ورسوله والدار الآخرة، ولو قُدر أن إحداهن اختارت ذلك وأضمرت في نفسها نفاقاً لأظهر الله تعالى ذلك لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم لثلا يغتر بها مغتر، فمكان الأزواج من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عظيم.

وعجيب أن يدندن الشيعة الاثنا عشرية حول آية التطهير وحول معنى تطهير الله لأهل البيت، ثم لا يعتقدون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو سيد أهل بيته وخيرهم وأطهرهم قد طهره الله عز وجل من الاقتران بالمنافقات والفاسدات!

ولسنا ندعي بذلك أنّ زوجات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معصومات لا يُخطئن بل هنّ كغيرهنّ من المؤمنات الصالحات القانتات، يخطئن ويصبن، يعصين ويتبن، لكن لم ولن تبلغ إحداهنّ ما يدّعيه الشيعة الاثنا عشرية فيهن ولا معشاره^(١).

ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين فلا نبي بعده ولا وحي بعده، فكيف يجوز لعاقل أن يتصور أن تُترك لزوجاته فرصة الخيانة والارتداد من بعده وهنّ أمهات للمؤمنين ومكانهنّ من رسول الله يوجب هلاك الأمة للاغترار بقربهنّ من رسول الله؟! إنّ مثل هذا الكلام لا يقوله عاقل أصلاً.

هذا وقد قال الله عز وجل في محكم كتابه ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ [المتحنة: ١٠] والشيعة الاثنا عشرية يتهمون أم المؤمنين عائشة تارة بالكفر وتارة بالنفاق، فكيف جاز لرسول الله أن يبقيها زوجة له.

وقد روى الحر العاملي عن الإمام الباقر في قوله تعالى ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ يقول: من كانت عنده امرأة كافرة، يعني على غير ملة الإسلام وهو على ملة الإسلام فليعرض عليها الإسلام، فإن قبلت فهي امرأته وإلا فهي بريئة منه، فهي الله أن يستمسك بعصمتها^(٢).

١- يكفي أن تتصفح الكتب الشيعية التي تكلمت عن أم المؤمنين عائشة لترى العجب العجاب! فهذا البياضي يسميها في كتابه الصراط المستقيم باسم (أم الشرور) طاعناً في كتاب الله الذي سماها باسم (أم المؤمنين) في قوله تعالى عن رسول الله والمؤمنين ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾، والمجلسي يصفها بالنفاق وذلك يجوّ لعنها، والقمي يروي في تفسيره ما يطعن في عرضها رضي الله عنها، وكلّ يدلّو بدلوه باسم حب أهل البيت وحب علي بن أبي طالب، وأهل البيت من هذا المعتقد وأصحابه براء.

فأم المؤمنين عائشة إن كانت كافرة أو مرتدة أو منافقة - برأها الله من هذا الإفك - ففي جميع الحالات كان من الواجب تطليقها التزاماً لكتاب الله، اللهم إلا إذا كان رسول الله المبلّغ عن الله لم يعلم نفاقها وعَلِمَ ذلك علماء الشيعة، فتلك مسألة أخرى!

حديث (قرن الشيطان) هل أريد به عائشة رضي الله عنها؟

وما دام الحديث عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فلا بأس أن نقف عند شبهة يكررها خصوم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأزواجه.

فقد ذكر لي أحدهم يوماً أنّ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها موسومة بأنها رأس الكفر بنصّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!
فقلت له: هات ما عندك لنرى.

فجاء بحديث البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: (قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة، فقال: هنا الفتنة ثلاثاً من حيث يطلع قرن الشيطان)^(١).
فقلت له: وأين الشاهد؟

قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد وصفها بأنها قرن الشيطان حينما أشار إلى مسكنها.

فقلت له: هناك فرق في اللغة العربية بين (نحو) وبين (إلى) والحديث فيه (فأشار نحو بيت عائشة) لا (فأشار إلى بيت عائشة)، وهذا أمر يدركه من له أدنى بمعرفة باللغة العربية، لكن يبدو أنّ بغضك وحقّدك على أم المؤمنين عائشة قد أعمى قلبك وبصرك.

ولأسألك سؤالاً يجلي لك الحقيقة أقول فيه: (أترى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُشير إلى بيت عائشة وإلى كونها قرن الشيطان ثم يُساكنها في بيت واحد وفي حجرة واحدة؟)، لأنسى أم

١- رواه البخاري - كتاب فرض الخمس - باب (ما جاء في بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم) -

المؤمنين عائشة التي افترت عليها ولأسألك: (أهذه قيمة رسولنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم في نظرك؟ يرضي المبيت مع امرأة بهذا المستوى؟).

والله لو حكمت عقلك لا هواك لما نظقت بهذه الضلالة.

والحديث الذي ذكرته قد ورد عن عبد الله بن عمر كذلك بصيغة أخرى تبين أن المراد من الإشارة نحو بيت عائشة إنما هو الإشارة إلى المشرق وما عُرف في أرض المشرق من القلاقل والفتن التي أنهكت الأمة، فالقدرية والخوارج والسبئية والكيسانية والمعتزلة وغيرهم كلهم قد خرجوا من جهة المشرق^(١).

فقد روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه قال: (رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشير إلى المشرق، فقال: ها إنَّ الفتنة ها هنا، إنَّ الفتنة ها هنا، من حيث يطلع قرن الشيطان)^(٢).

ثم أليس بيت عائشة هو بيت رسول الله كذلك؟!

أيزعم هؤلاء بأن بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو قرن الشيطان - عياداً بالله؟! إنَّ الذي يصدق عليه مسمى (قرن الشيطان) هو الفكر الذي يوجّه سهامه وبكل ضراوة تجاه زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه بهذه الصورة.

إنَّ هؤلاء الطاعنين لم يتناسوا القيم والأخلاق مع رسول الله ومع زوجاته وأصحابه فقط بل تناسوا قول الله عن نبيه ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤] فإذا كانت زوجته رمزاً للخيانة وكذا أصحابه فأبي ذكر يذكر به الذاكرون محمداً صلى الله عليه وآله وسلم؟!!

١- ولا يعني ذلك أن لا يخرج في تلك الأراضي الأئمة والعلماء والصالحون فهؤلاء معلومون لكن القصد هو الإشارة إلى الصفة الغالبة لتلك الأراضي.

٢- رواه البخاري - كتاب بدء الخلق - باب (صفة إبليس وجنوده) - حديث رقم (٣٢٧٩).

أم المؤمنين عائشة وموقعة الجمل

قال لي أحدهم يوماً في مجلس جمعني به: إنك تمتدح عائشة ولا ترتضي الطعن فيها! فقلت: وما الضير في هذا وهي زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأم المؤمنين بنص القرآن، إنما الخلل فيمن يطعن فيها ويتجاسر عليها! فقال: أما تعلم أنها خرجت على إمام زمانها أمير المؤمنين عليه السلام؟ أما فعلت في موقعة الجمل كذا وكذا؟

فقلت له: إنَّ الأدلة التي تحتج بها على إدانة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هي نفسها أدلة إدانتك من حيث لا تدري.

لست بصدد تحليل خروج أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مع من معها إلى العراق أصواب هو أم خطأ؟، وما أسباب ذلك الخروج؟

فمن المتفق عليه أنَّ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ليست معصومة، فهي لذلك تصيب وتخطئ كسائر المؤمنين، وإنما سأقول لك بكل صراحة ووضوح: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي أخبر عن خروجها إلى العراق في حديث الحوَّاب المروي عند السنة والشيعة هو نفسه الذي رضي بها زوجة له وأحبها وقرَّبها إليه.

فهل كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مخطئاً حينما ارتضاها لنفسه وأحبها وهو يعلم أنها ستختلف مع علي وسيدور بينهما قتال؟

هل تظن في نفسك الورع والتقوى أكثر من رسول الله كمي تنزه نفسك عن الزواج من مثيلاتها وهي الطاهرة النقية التي اختارها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتكون رفيقة دربه في حين أنك تنسب لرسول الله ما تنزه نفسك عنه؟!!

هل أنت أتقى وأنقى وأورع وأعقل من رسول الله الذي استبقاها معه حتى وفاته؟!
 فصمت الرجل ولم يستطع أن يقول شيئاً.
 وكيف لعاقل أن ينطق بغير هذه الحقيقة؟!
 من من هؤلاء الشتامين اللاعانين يجروء على ادعاء أنه أكثر فهماً وإدراكاً ووزناً للأمور من
 رسول الله؟

ليأت هذا الرجل وليقلها على الملائكة ليعرف الناس حقيقته بدلاً من تعمية الحقائق والطمع
 المبطن في رسول الله وفي زوجاته وفي أصحابه.
 بعدها استتفت كلامي قائلاً: الآن حان الوقت لنقاش موضوع (موقعة الجمل) معك، ما
 دليلك على أن أم المؤمنين عائشة فعلت كذا وكذا في موقعة الجمل؟ ستقول لي وبكل ثقة: التاريخ.
 وسأجيبك قائلاً: أي تاريخ هذا؟ ما الرواية التاريخية التي استندت إليها في فهمك لحادثة
 (الجمل)؟

إن أغلب أحداث موقعة الجمل انفرد بروايتها (سيف بن عمر الضبي) وهو كذاب مشهور،
 منصوص على كذبه عند جمع من علماء أهل السنة وعند الشيعة الإثني عشرية أيضاً!
 وإن كتب التاريخ التي تُقرأ اليوم كـ(البداية والنهاية) لابن كثير و(الكامل في التاريخ) لابن
 الأثير و(المنتظم) لابن الجوزي وغيرها كلها معتمدة على رواية (سيف بن عمر الضبي) المذكورة
 في (تاريخ الطبري)، وإن هؤلاء الذين يكثر من تسطير أسماء كتب التاريخ في الحواشي بُعية
 إعطاء نوع من المصادقية لما ينقلونه من مطاعن في الصحابة يجهلون أو ربما يتجاهلون أن أغلب
 هذه الكتب إنما تنقل عن (تاريخ الطبري) اعتماداً على رواية سيف المشار إليها، ولهذا لا يصح أن
 يحتج محتج بما تضمنته تلك الرواية بحجة أنها مذكورة في الكتاب التاريخي الفلاني دون النظر إلى
 إسنادها وعرضها على مائدة النقد العلمي.

كيف والرواية انفرد بذكرها (سيف بن عمر الضبي) وهو كذاب مشهور؟!

قال فيه أبو نعيم الأصبهاني: (متهم في دينه مرمي بالزندقة ساقط الحديث، لا شيء).
وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الأثبات.
وقال أبو حاتم: متروك الحديث يشبه حديثه حديث الواقدي.
وقال الدارقطني: متروك الحديث.
وقال ابن عدي: (بعض أحاديثه مشهورة وعامتها منكورة لم يتابع عليها)
وقال عنه النسائي والدارقطني: ضعيف.
أما الشيعة، فرأيهم في (سيف بن عمر) واضح وجلي لا يحتاج إلى إثبات.
فقد ألف مرتضى العسكري كتابه (عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى) اعتماداً على فكرة أساسية
هي كون (سيف بن عمر الضبي) وهو الراوي الوحيد لقصة ابن سبأ مطعون فيه عند علماء الجرح
والتعديل عند السنة والشيعة^(١).

١- انفرد سيف بن عمر بذكر الدور الحارق لابن سبأ في فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه، ولا بد أن نفرّق بين
انفراده بذكر الدور الحارق لابن سبأ وبين صحة وجود شخصية باسم (عبد الله بن سبأ)، فإنّ هذه
الشخصية ثابتة بلا ريب بروايات سننية في تاريخ ابن عساكر وغيره - بعضها صحيح السند - وبروايات
شيعية - بعضها صحيح السند عند علماء الشيعة - في رجال الكشي والغارات للثقفى وغيرهما، وأقوال
العلماء المتقدمين من السنة والشيعة في وجود هذه الشخصية وفي كون إطارها الحقيقي إنما هو الغلو في
الإمام علي والطعن في الشيخين مما لا ينكره إلا أحد إثنين: إما جاهل بأقوالهم أو معاند مكابر.
وقد كفانا الشيخ علي آل محسن - وهو من علماء الشيعة المعاصرين - مؤونة التفصيل إذ قال في كتابه (الله
وللحقيقة ص ٣٤) في رده على (حسين الموسوي): (وإنّ العجب ممن يدّعي الفقهة والاجتهاد كيف
تخفى عليه مسألة بسيطة من أبسط المسائل الرجالية، وهي أنّ المشهور الذي كاد أن يكون إجماعاً بين علماء
وفقهاء الإمامية قديماً وحديثاً أنّ عبد الله بن سبأ شخصية كان لها وجود، وقد نصّ العلماء على ذلك في
كتبهم الرجالية المعروفة)، ويقول أيضاً في ص ٣٦: (إنّ مشهور علماء الشيعة - ومن جملتهم كاشف

وهو ما قرره آية الله العظمى أبو القاسم الخوئي في (معجم رجال الحديث ٢٠٧/١١) بقوله: (إن أسطورة ابن سبأ وقصص مشاغباته الهائلة موضوعة ومختلقة اختلقها سيف بن عمر الوضاع الكذاب).

فإذا كان الأمر كذلك، فما بالكم تكيلون بمكيالين؟!

حينما يكون الكلام عن ابن سبأ يكون (سيف بن عمر الضبي) كذاباً وحينما يكون الكلام عن أم المؤمنين عائشة تكون الرواية صحيحة ومُلزمة^(١)، وبهذا تنالون من زوجة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم^(٢)!

مالكم تركتم الثواب وتعلقتم بالأكاذيب؟

أما قال الله تعالى عن زوجات نبيكم ﴿وَأَزْوَاجُهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ فأثبت أن عائشة وحفصة وسودة وأم سلمة وميمونة وغيرهن هن أمهات للمؤمنين، ويلزم من ذلك أن من رفض أمومة هؤلاء الزوجات فهو جاحد للنص القرآني كافر به؟

الغطاء- قد ذهبوا إلى وجود عبد الله بن سبأ، وأنه ادعى الألوهية لأمير المؤمنين عليه السلام، فأحرقه بالنار في جملة رجال ادّعوا ذلك معه، وهذا يعرفه كل من بحث في كتب الرجال وتفحص الأقوال).

١- لا يعني كلامي هذا إنكار ما تواتر في التاريخ من وقوع موقعة الجمل ومشاركة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فيها وإنما الكلام عن تفاصيل تلك الموقعة التي نالها الكثير من التزييف من جهة الوضاعين والمغرضين.

٢- وينبغي لي أن أسجل اعتراضاً أيضاً على بعض المؤلفين الذين اعتمدوا على روايات سيف بن عمر الضبي في موضوع (مقتل عثمان بن عفان) حيث أن رواية سيف للأحداث تخالف الروايات الصحيحة في مقتل عثمان وفيها من تضليل الحقائق ولمز بعض الصحابة كعمار بن ياسر وأبي ذر الغفاري وأم المؤمنين عائشة وغيرهم ما لا يتنبه له إلا المتمعن في مضمون الروايات ومخالفتها لما صح من التاريخ.

إنّ تتبع المتشابه وترك المحكم الواضح دليل صارخ على الزيغ عن الهدى كما قال الله تعالى ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ [آل عمران: ٧].

مع مبغض لعمر بن الخطاب رضي الله عنه

بعد صدور الطبعة الأولى من كتابي هذا، ذهبت كعادتي إلى بعض المكتبات الشيعية لاقتناء بعض الكتب التي كانت تنقص مكتبتي.

وعند ركن من أركان المكتبة حيث كنت أتأمل بعض الكتب العقائدية والتاريخية خرقت سمعي عبارة غريبة مصدرها رجل كان بجانب البائع.

ورغم أنني لم أكن متتبهاً للكلام الإثني بل كنت منهمكاً في تصفح الكتب والاطلاع على فهارسها إلا أنّ هذه العبارة استرعت انتباهي للكلام الذي كان يدور بينهما.

عبارة (إنه ابن صهاك) مع شيء من الضحك تلتها إشارة صوتية من البائع للرجل بأن يصمت، وكأنّ البائع يقول له: انتبه، في المكتبة سني!

هذا ما سمعته... ثم عاد الكلام بينهما لكن بعيداً عن الكلام عن (صهاك)، وقد كنت حينها قد اخترت الكتب التي أريد اقتنائها ووقفت عند البائع.

عند هذه اللحظة بدأت نفسي تتجاذبني، أتكلم وأنكر عليها ما ذكره في حق صحابي جليل ك(عمر بن الخطاب) نصر الله به الإسلام والمسلمين، ونال شرف مصاهرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم له أم أكتفي بالصمت ما دام الموضوع بينهما وهما على عقيدة ترتضي- مثل هذه الأمور^(١)؟

١- إني وأنا أتحدث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذا الكتاب استشعر حنق القارئ الشيعي الإثني عشري عليه وربما عليّ أيضاً لتمجيدي ومدحي لمثل هذه الشخصية، ف شخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه عالقة بالذهن الشيعي بقصة الاعتداء على الزهراء وإسقاط جنينها كما تذكر ذلك بعض الروايات البائسة التي لا ترتقي لمستوى الاعتبار لا سنداً ولا متناً، وقد قمت بدراسة روايات هذه الأسطورة في

لكني أشفقت عليها من الاغترار بالباطل وسلوك طريقه، ورأيت أن من واجبي أن أنصحها، فقلت: المعذرة على المقاطعة لكن لدي كلمة أود أن أقولها.

فقال البائع: تفضل.

قلت: أسألك بالله تعالى... لو أن يهودياً أو نصرانياً قال لكما: أيها المسلمون، إنكم تعتقدون بأن نبيكم محمد قد صاهر عمر بن الخطاب، وتدعون في الوقت ذاته بأن عمر بن الخطاب الذي صاهره نبيكم هو ابن زانية اسمها (صهاك)^(١) وأن أباه أنجبه من زنية بصهاك. ويشهد قرآنكم بأن أزواج نبيكم هن أمهات للمؤمنين، ويشهد التاريخ بأن حفصة بنت عمر بن الخطاب هي زوجة نبيكم وهي حسب دعواكم من نسل صهاك! فأني نبي هذا الذي تدعوننا إلى اتباعه وهو يرتضي لنفسه مثل هذا النسب؟!

أدبيات الفريقين ونقدها نقداً علمياً رصيناً متناً وسنداً، وسأرفق هذا المبحث في كتاب لي عن فاطمة الزهراء رضي الله عنها أسأل الله تعالى أن يبسر لي الانتهاء منه وإخراجه في أقرب فرصة ممكنة. ولهذا أقول للقارئ الشيعي الذي يزعمه الشاء على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إن الشخصية المرسومة في الذهن الشيعي عن هذا الصحابي الكبير ليس بالضرورة أن تكون صحيحة، فبين عمر وبين نبينا الكريم صلوات الله وسلامه عليه وآل بيته مصاهرتان تشهدان بإيمان وجلالة قدر عمر عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حفصة بنت عمر رضي الله عنها دليل واضح على عمق العلاقة بينهما، وزواج عمر بن الخطاب من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنها دليل محبة وود متبادل بين عمر وعلي، وما الشاء الذي يذكره كتاب (نهج البلاغة) الشيعي في عمر بن الخطاب كما سيأتي إلا دليل آخر على عمق العلاقة بينهما وعلى زيف قصة الاعتداء على الزهراء، والتي شكك فيها بعض كبار علماء الشيعة مثل المرجع الديني الكبير محمد حسين فضل الله، فما أحلى أن نضع الأمور في نصابها الصحيح بعيداً عن التطرف والتمسك بالأساطير.

١- الكشكول للبحراني ٢١٢/٣ وكتاب (لقد شيعني الحسين) ص ١٧٧

بعدها نظرت إلى الرجل الذي كان يحدث البائع فإذا بوجهه قد تلون، وشعرت حينها أنّ كلماتي على بساطتها ورغم هدوئي النسبي في طرح الفكرة كانت شديدة الوطأة عليه والتأثير فيه، فأتممت كلامي قائلًا: والله إني لا أكلمكما من منطلق كوني منتسباً إلى أهل السنة والجماعة أو إلى غيرهم... إنما أنا مسلم يغار على دينه وعلى رسوله، والله إنكم لتسيئون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمثل هذه الدعاوى الباطلة التي تطلقونها على زوجاته وأصهاره.

لقد بالغتم في موضوع الإمامة حتى أخرجتم الخلاف فيها عن الحد المعقول... قلت: اغتصب الصحابة الخلافة وطعنتم في عدالتهم وقتلتم عنهم (انقلبوا على أعقابهم)، فحاولنا تقبل هذا منكم على مضض، لعلنا نصل وإياكم في الحوار إلى حل، لكن لماذا الكلام في الأعراض؟! ثم وجهت كلامي للبائع وقلت: أسألك سؤالاً وأود منك أن تجيبه بكل صراحة ووضوح. قال لي وقد بدى على وجهه الإحراج: تفضل.

قلت: لو عرضت عليك امرأة منحدره من عائلة معروفة بالزنا، أو لنقل من عائلة تتسبب إلى زانية، أكنت تقبل بها زوجة لك؟ قال: معاذ الله.. لا أقبل بها بلا شك.

قلت: إذن كيف زعمتم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ارتضى لنفسه أن يصاهر عمر بن الخطاب، وعمر - في زعمكم - هو ابن زانية؟! أترأى أفضل من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين تزّهت نفسك عن أمر ارتضيته فيه أم ماذا؟

حينها قال لي البائع: ليس كل ما في الكتب صحيح، وهؤلاء أصحاب الرسول وبينهم وبينهم مصاهرات، ونحن لا نطعن في نسب عمر بن الخطاب!

نظرت إليه وقلت في نفسي:- (سبحان الله.. منذ قليل كان يتكلم هو وصاحبه في عمر بن الخطاب بكل وقاحة، والآن تغير الأمر، وصار عمر من قرابة الرسول ومن الصحابة الكرام، أي

عقيدة هذه التي تعلم المرء أن يتلون كالحرباء بدل أن يكون صريحاً وواضحاً أمام نفسه وأمام الآخرين!

هكذا بكل بساطة أنكر الرجل ما يعرفه يقيناً عن طعن الطائفة في نسب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لكنني آثرت على نفسي أن لا أجادله في أمر ينكره ظاهراً حتى لو كان يعتقد بالباطن، فكذبت أذناي وصدقتة وأوكلت نيته إلى رب العباد.

ثم قلت له: لا بأس.. إن كلامي كان إجمالياً، وليس من الضرورة أن يكون موجهاً إليكما طالما أنكما لا تعتقدان مثل هذا الاعتقاد، ثم دفعت قيمة الكتب التي كانت معي وخرجت من المكتبة.

شرعنة الكذب وعقلنة الالامعقول!

لا يوجد دين من الأديان أو أمة من الأمم تقدّس الكذب و تُعطي له الشرعية والمصدّاقية باستثناء الشيعة الإثني عشرية!

لقد كنت في بداية دخولي هذا المعترك الصعب أستغرب قول تقي الدين ابن تيمية في منهاج السنة النبوية ٥٨ / ١: (وقد اتفق أهل العلم بالنقل والرواية والإسناد على أنّ الرافضة^(١) أكذب الطوائف والكذب فيهم قديم ولهذا كان أئمة الإسلام يعلمون امتيازهم بكثرة الكذب) بل واعتبره من الأقوال المتشددة التي تملئها عادة التعصبات المذهبية القائمة آنذاك، لكنني سبرت هذا القول وتفحصته جيداً فوجدته دقيقاً!

فعلماء الشيعة الإثني عشرية ومراجعهم الكبار يسبغون على الكذب صفة الشرعية ويجاهرون بذلك دون استحياء.

فقد سُئِلَ آية الله العظمى أبو القاسم الخوئي: هل يجوز الكذب على المبتدع أو مروّج الضلال في مقام الاحتجاج عليه إذا كان الكذب يدحض حجته ويبطل دعاويه الباطلة؟
فأجاب: إذا توقف رد باطله عليه جاز^(٢)!

١- أطلق علماء أهل السنة والجماعة هذا المصطلح على الشيعة الإمامية لاعتبارات منها: أنهم رفضوا الإمام الجليل زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لما تولّى الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لبغضهم لهما فسّماهم الإمام زيد بالرافضة، وقيل: إنما سمّوا رافضة لرفضهم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما (انظر: مجموع الفتاوى ٤ / ٤٣٥، العبر ١ / ٢٨).

٢- صراط النجاة في أجوبة الاستفتاءات ١ / ٤٤٧ سؤال رقم (١٢٤٥)

ولذلك لا تعجب من كثرة الأكاذيب التي سُحنت بها كتب الإثني عشرية ولا كثرة الكذب على الخصوم وعلى الصحابة بالذات إن عجز العالم الشيعي عن إثبات اعتقاده أو الرد على ما يثيره الخصوم.

نعم، لا تعجب إن مرّت بك روايات شيعية صحيحة الإسناد عند الطائفة لا تكذب على الخصوم ولا الصحابة بل تتجاوز ذلك لتكذب على الكواكب والمجرات الأخرى!

روى الكليني عن عجلان أبي صالح قال: دخل رجل على أبي عبد الله عليه السلام فقال له: جعلت فداك، هذه قبة آدم عليه السلام؟ قال: نعم، والله قباب كثيرة، ألا إن خلف مغربكم هذا تسعة وثلاثون مغرباً أرضاً بيضاء مملوءة خلقاً يستضيئون بنوره لم يعصوا الله عز وجل طرفة عين، ما يدرون خلق آدم أم لم يُخلق، يبرؤون من فلان وفلان!

قال المجلسي: قوله عليه السلام (من فلان وفلان) أي من أبي بكر وعمر^(١).

مخلوقات لا تعرف عن آدم عليه السلام أُخلق أم لا... لكنها تتبرأ من أبي بكر وعمر!!

إنّ مثل هذه الروايات مسطّرة في بعض أبرز كتب الحديث المعتمدة عند الشيعة الإثني عشرية وقد حكم عليها بعض المحققين من علماء الإمامية بالصحة والاعتبار كالشيخ المجلسي- في كتابه (مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول)، وقد تتبعت هذه الرواية فوجدتها قد رويت بعدة أسانيد وألفاظ متقاربة المعنى بلغت عند الشيخ محمد بن الحسن الصفّار وحده (إثني عشر رواية)^(٢)!

هكذا تمتاز الخرافة بالعقيدة، وتتجسد نزعات التشفي في أصحاب رسول الله!

فلا حول ولا قوة إلا بالله...

١- الكافي - كتاب الروضة - حديث رقم (٣٠١)، قال المجلسي- في (مرآة العقول ٢٦/١٦٧-١٦٨):

صحيح.

٢- بصائر الدرجات ص ٥٠٩ (باب في الأئمة أن الخلق الذي خلف المشرق والمغرب يعرفونهم ويأتونهم ويبرؤون من أعدائهم).

المحقق الثاني وعادة لعن الشيخين (أبي بكر وعمر)!

مَنْ الناس من يُذكر بعد رحيله عن الدنيا بقيام ليلٍ يُضرب به المثل أو بصيام نهار وعبادة يعجب منها المقصّر.

لكننا أمام نموذج لسببٍ لعان، ترك لنا ميراثاً ثقيلاً حمل وزره عند ربه يوم يلقاه. هو الشيخ المحقق الكركي العاملي الذي ترجم له العلامة الشيعي عباس القمّي واصفاً إياه بأنه (مروّج المذهب والملة، ورأس المحققين الأجلة، شيخ الطائفة في زمانه وعلامة عصره وأوانه، الشيخ الأجل نور الدين علي بن عبد العالي الكركي العاملي)^(١).

ذكر يوسف البحراني في كتابه (لؤلؤة البحرين) تحت ترجمة (الشيخ نور الدين علي بن عبد العالي المشهور الآن بالمحقق الثاني) نقلاً عن نعمة الله الجزائري في صدر كتابه شرح غوالي اللثالي ما نصه (وكان - رحمه الله - لا يركب ولا يمضي إلا والباب يمشي في ركابه مجاهراً بلعن الشيخين ومن على طريقتهما)!

ويبدو أنّ عادة لعن الشيخين كان تستهويه جداً إلى حد تصنيفه كتاباً في ذلك سمّاه (رسالة نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت)^(٢) ذكره البحراني من جملة مصنفاته^(٣).

فعجباً لتلك القلوب كم فيها من أحقاد...

لكن ما سيأتي بعده أعجب منه ...

١- الكنى والألقاب ٣ / ١٦١

٢- يريد بالجبت (أبو بكر) وبالطاغوت (عمر) عياداً بالله.

٣- لؤلؤة البحرين ص ١٥٣

أحسن طريقة لسب صحابة نبيك!

لو سألت عالماً شيعياً من أولئك الذين يُكثرون لعن الشيخين وسائر الصحابة في الحسينيات أو في المجالس الخاصة أو في التسجيلات الصوتية المُسجَّلة لهم: هل سببت يوماً أبا لُب أو أبا جهل أو غيرهم من كفار مكة لارتسمت على وجهه علامة الاستغراب، إذ أنّ هذه الشخصيات التي آذت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحاربت الإسلام بكل ما أُوتيت من قوة هي شخصيات ليست ذات أهمية بالنسبة له!

فهؤلاء قد بُرِّجوا أو لنقل برِّجوا أنفسهم على أنّ أعداءهم الأولين والآخرين هم صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين صاهر منهم من صاهر وقرب منهم من قرب واختص منهم من اختص!

فإذا كان المحقق الكركي قد أخذ على عهده أن يلعن الشيخين الجليلين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما قياماً وقيوداً وعلى جنبه فإنّ العلامة الشيعي الكبير محمد نبي التوسيركاني الملقب عند الطائفة بـ(عمدة العلماء والمحققين) لديه طريقة مبتكرة لإكرام صحابة نبيه صلوات ربي وسلامه عليه، فما هي تلك الطريقة؟

يقول التوسيركاني في كتابه لثالي الأخبار ٩٢ / ٤ (اعلم أنّ أشرف الأمكنة والأوقات والحالات وأنسبها للعن عليهم - عليهم اللعنة - إذا كنت في المبال، فقل عند كل واحد من التخلية والاستبراء والتطهير مراراً بفراغ من المبال، اللهم العن عمر ثم أبا بكر وعمر ثم عثمان وعمر ثم معاوية وعمر ثم يزيد وعمر ثم ابن زياد وعمر ثم ابن سعد وعمر ثم شمراً وعمر ثم عسكرهم وعمر. اللهم العن عائشة وحفصة وهنداً وأم الحكم والعن من رضى بأفعالهم إلى يوم القيامة)!!!
تباً لك ... هكذا سؤل لك شيطانك هذه الجهالات فأعمك وأصمك فتنكبت الطريق...

وكأني بالإمام محمد بن صبيح بن السماك^(١) يرد على التوسيركاني ومن يحدو حذوه قائلاً " علمت أن اليهود لا يسبون أصحاب موسى عليه السلام - وأن النصارى لا يسبون أصحاب عيسى - صلى الله عليه وسلم - فما بالك يا جاهل سببت أصحاب محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - وقد علمت من أين أتيت، لم يشغلك ذنبك... أما لو شغلك ذنبك لخفت ربك، لقد كان في ذنبك شغل عن المسيئين فكيف لم يشغلك عن المحسنين، أما لو كنت من المحسنين لما تناولت المسيئين ولرجوت لهم أرحم الراحمين، ولكنك من المسيئين، فمن ثم عبت الشهداء والصالحين، أيها العائب لأصحاب محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - لو نمت ليلك وأفطرت نهارك لكان خيراً لك من قيام ليلك وصوم نهارك مع سوء قولك في أصحاب محمد، فويحك! لا قيام ليل ولا صوم نهار وأنت تتناول الأخيار، فأبشر بما ليس فيه بشرى إن لم تتب مما تسمع وترى"^(٢).

١- انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٥/ ٣٦٨

٢- رواه المعافى بن زكريا الجريري في كتابه الجليس الصالح (٢/ ٣٩٢) بأطول من هذا.

﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِتَّ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

أيها الناس... لنكن أكثر صراحة مع بعضنا البعض، إن مشكلتنا الحقيقية التي لا يمكننا التغاضي عنها ولا تجميلها مهما حاولنا ذلك ونحن نفتح هذا الملف الصعب والمتشعب هي أننا نجابه خصوماً غير نزيهين، خصوصاً نجزم بأنهم ما اشتتموا في حياتهم رائحة الأدب ولا الأخلاق ولا النزاهة ولا الشرف، أقولها هكذا بكل صراحة ووضوح ودون أن أشعر بالذنب، وإلا فيماذا يمكنك أيها القارئ مهما كان انتهاؤك العقائدي أو الفكري أن تعلق على ما يقوله محمد طاهر الشيرازي ومُفْلِح البحرائي وعالم سبيط النيلي عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ذكر الشيخ محمد طاهر الشيرازي النجفي في كتابه (الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين) تحت عنوان: (في ذكر نسب أبي بكر وبيان دناءته وخساسته) أن أبا قحافة أبا أبي بكر كان أجيراً لليهود يُعلّم لهم أولادهم فاشتهر عنه أنه كان يلوطهم... وكان أبو قحافة في قريش مشهوراً باللواط.

وأم أبي بكر سلمى من ذوات الأعلام في مكة، وكانت لها راية في الأبطح لأن العرب كانوا يأنفون من أن تنازلهم البغايا فكانوا يبعدوننا عن قرب منازلهم، وكانت رايتهامراء تدل على فجورها وعهرها)^(١).

وقال تحت عنوان (بيان دناءة عمر وقلّة حياته وسوء مولده): (إن عمر كان قبل الإسلام نخاس الحمير، أبو عمر بن الخطاب قطعت يده في سوق عكاظ، ومن قلّة حياء عمر أنه قال على المنبر: ألا إني فسوت وها أنا أنزل لأعيد الموضوع)^(٢)!

١- الأربعين ٥٠٩-٥٣٢

٢- الأربعين ص ٥٧٣-٥٧٥

وقال عن عثمان بن عفان رضي الله عنه: (إنَّ عثمانَ ممن يُلعبُ به ويتخنَّثُ وكان يضرِبُ بالدف) (١).

أما الشيخ مُفلح بن حسن الصميري البحراني (٢) فقد ذكر في كتابه (إلزام النواصب بإمامة علي بن أبي طالب عليه السلام) نقلاً عن الإخباري هشام بن محمد بن السائب الكلبي (٣) أنَّ أبا قحافة (والد أبي بكر الصديق) كان أجيراً لليهود يُعلِّم أولادهم (٤)!

وأنَّ عفان (أبو عثمان) كان ممن يُلعبُ به ويُفتحلُ به (٥)!

وأنَّ أم طلحة بن عبيد الله كانت من البغايا وذوات الرايات في الجاهلية (٦)!

أما عالم سبيط النيلي فيقول عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (إني أُنبِّه السادة علماء النفس إلى ضرورة تخصيص دراسة كاملة عن أثر الحرمان الجنسي على سلوك عائشة!) (٧).

١- الأربعين ص ٥٧٩

٢- يعتبر الشيخ مُفلح بن الحسن الصميري البحراني من رؤساء الطائفة الكبار كما نصَّ على ذلك العلامة الشيعي علي بن حسن البلادي البحراني حيث يقول في كتابه (أنوار البدرين ص ٦٩) ما نصه: (وهذا الشيخ - قدس سره - من رؤساء الطائفة المحقة وفتاويه كثيرة منقولة مشهورة في كتب الأصحاب كالجواهر والمقاييس ومفتاح الكرامة وغيرها).

٣- قال عنه السمعاني في (الأنساب ٨٦/٥): (يروى عن أبيه ومعروف مولى سليمان والعراقيين العجائب والأخبار التي لا أصول لها) و(كان غالباً في التشيع، أخباره في الأغلوطنات أشهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفها).

٤- إلزام النواصب ص ١٦٢

٥- المصدر نفسه ص ١٦٥

٦- المصدر نفسه ص ١٧٣

٧- الشهاب الثاقب للمحتج بكتاب الله في الرد على الناصب أحمد الكاتب ص ٢٧٦

شَلَّتْ أَلْسِنَتِكُمْ وَلُعِنْتُمْ بَعْدَ قَطْرِ السَّمَاءِ وَحَبَاتِ الرَّمْلِ... لَا رَحْمَكُم رِبَّ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِينَ... أَهْكَذَا بَلَغَ بِكُمْ الْحَقْدَ وَبَلَغَتْ بِكُمْ الزُّنْدَقَةُ؟!
أحمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُقال في عَرَضِهِ وفي أَصْحَابِهِ وَأَصْحَابِهِ مِثْلَ هَذِهِ
الكلمات!؟

أيها الناس... إن لم تكن مثل هذه الكلمات التي يشيب لها الرأس وتأنف من سماعها الأفئدة
الحرّة الشريفة زندقة فلا أدري ما الزندقة... إن هؤلاء تجاسروا على عقيدة الإسلام وعلى التاريخ
وعلى الصحابة وعلى كل شيء، حتى الأخلاق والقيم لم يسلموا منهم!
إن أقدر مشرك على وجه الأرض من أي ملة كانت لم يتكلم في عرض نبينا صلى الله عليه وآله
وسلم بهذا الأسلوب فكيف هؤلاء وهم يزعمون أنهم مسلمون ويحبون آل البيت!
والله إن آل البيت عليهم السلام لبريئون من زندقته هذه، ومنزهون من رجسكم وخبثكم
الذي لا ينتهي.

لكن... ليس ما ذكرته آنفاً إلا القليل النادر مما زخرت به كتب الشيعة الإثني عشرية في حق
أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد أعرضت عن الكثير خشية الإطالة، وفيما يلي هذه
السطور ما يدمي قلوب المؤمنين.

تشبيه الاسترابادي أم المؤمنين عائشة بحيوان!

لقد أثبت الله عز وجل لأم المؤمنين عائشة زوجة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم مقاماً عرفه المسلمون ونصّ عليه مخالفتها، فقال عز من قائل ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ^ط وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

فعائشة هي أم المؤمنين بنص كتاب الله شاء الشيعة الاثنا عشرية أم أبوا، ولن يستطيع أحد محو هذه الآية لا من الأذهان ولا من الصدور ولا من رسم المصحف.

كانت أحب زوجاته له بعد خديجة بنت خويلد.. وإن حاول أحد سلبها هذا الحب كنحو سلبه إياها الفضائل التي ذُكرت فيها، فلن يستطيع أحد سلب ميثاق الزواج الذي جمعها برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيت واحد وتحت سقف واحد.

تلك الأم التي نالت من العقوق والنكران لحقها ما لم تنله أم على وجه الأرض.

لكنها في نظر الإمام علي على خلاف ما يتوقعه الشيعة أنفسهم، فقد عرّف الإمام علي لأم المؤمنين عائشة حقها وقدرها التقدير المناسب لمثلها، فأكرمها وردّها إلى بيتها معززة مكرّمة، عارفاً لحقها ومقامها عند الله وعند رسول الله، راداً على المتجاسرين عليها من الخوارج وضعاف النفوس، وهذا منصوص عليه في كتب السنة والشيعة.

روى النوري الطبرسي - وهو من كبار علماء الشيعة الإثني عشرية - في المستدرک عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه لما هزم أهل الجمل، جمع كل ما أصابه في عسكرهم مما اجلبوا به عليه، فخمّسه وقسّم أربعة أخماسه على أصحابه ومضى^(١)، فلما صار إلى البصرة قال أصحابه: يا

١- المتفق عليه أنه لا تُغنم أموال البغاة ولا تُخمس لأنهم مسلمون بل ولا يجوز إتلافها وإنما يجب أن ترد إليهم، لكن ينبغي أن يجبس الإمام أموالهم دفعاً لشرهم بكسر شوكتهم حتى يتوبوا.

أمير المؤمنين، اقسم بيننا ذراريهم وأموالهم، قال: ليس لكم ذلك، قالوا: وكيف أحلت لنا دماؤهم ولم تحلل لنا سبي ذراريهم؟ قال: حاربنا الرجال فقتلناهم، فأما النساء والذري فلا سبيل لنا عليهن، لأنهن مسلمات، وفي دار هجرة، فليس لكم عليهن من سبيل، وما أجلبوا به واستعانوا به على حربكم وضممه عسكرهم وحواه فهو لكم، وما كان في دورهم فهو ميراث على فرائض الله، لذراريهم وعلى نسائهم العدة، وليس لكم عليهن ولا على الذراري من سبيل، فراجعوه في ذلك، فلما أكثروا عليه قال: هاتوا سهامكم، فاضربوا على عائشة أيكم يأخذها وهي رأس الأمر؟! فقالوا: نستغفر الله، قال: فأنا أستغفر الله، فسكتوا ولم يتعرض لما كان في دورهم ولا لنسائهم ولا لذراريهم^(١).

قلت: ولو كانت أم المؤمنين عائشة عند أحد أدعياء التشيع اليوم لما عرف لها حقها ولا مكانتها ولربما كان أول من يُفتي بجواز سبها وتعذيبها بل وقتلها.

لكن أيها المسلم... يا من تشهدت بشهادة أن (لا إله إلا الله. وأن محمداً رسول الله).. استحلفك بالله الذي رفع السماء بغير عمد... أستطيع أن تتصور رجلاً يدعي الإسلام وموالاته أهل البيت يُمكن لقلمه أن يخط وصفاً قبيحاً لزوجة النبي الذي يدعي أنه يؤمن به؟ واصفاً تلك الأم الطاهرة بأنها (حيوان ضعيف)!!

روى شرف الدين الحسيني الاسترابادي - وهو من كبار علماء الشيعة الاثني عشرية - عن سالم بن مكرم عن أبيه قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في قوله تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ [العنكبوت: ٤١] قال: هي الحميراء.

١- مستدرک الوسائل ١١/٥٦ (باب حکم سبی أهل البغی وغنائمهم) حدیث رقم (١)

ثم قال الاسترابادي معلقاً: (ومعنى هذا التأويل إنما كنى عنها بالعنكبوت، لأنّ العنكبوت حيوان ضعيف اتخذت بيتاً ضعيفاً أو هن البيوت وأضعفها لا يجدي نفعاً ولا ينفي ضرراً وكذلك الحميراء حيوان ضعيف لقلّة حظها وعقلها ودينها اتخذت من رأيها الضعيف وعقلها السخيف في مخالفتها وعداوتها لمولاهما بيتاً مثل بيت العنكبوت في الوهن والضعف لا يجدي لها نفعاً بل يجلب عليها ضرراً في الدنيا والآخرة، لأنها بنته على شفا جرف هار فانهار بها في نار جهنم، هي ومن أسس لها بنيانه وشد لها أركانها وعصى في ذلك ربه وأطاع شيطانه واستغوى لها جنوده وأعوانه فأوردهم حميم السعير ونيرانه، وذلك جزاء الظالمين والحمد لله رب العالمين)^(١).

لست هنا في مقام الدفاع عن أم المؤمنين عائشة، فمقام تلك الأم وشرفها محفوظ بحفظ مقام زوجها نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والطعن فيها طعن في الرجل الذي ارتضاها زوجة له حتى وفاته!!

كما إنني لست بصدد مناقشة الدعوى التي ادّعاها الرجل، لأنّ النقاش مع أناس عشعش الغل في قلوبهم وتربوا على البحث عن ما يشفي غليلهم بأي طريقة كانت ولو بالتلاعب بآيات القرآن، نقاش لا جدوى من ورائه.

لكنني أوجه رسالة إليك أيها العاقل.. في أن تبرأ إلى الله من العقيدة التي تتبنى مثل هذا الفكر.. لا تكلف نفسك ما لا تطيقه... أترك تطيق موقفاً يكون خصمك فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟... يقتص لزوجه منك ويتبرأ من فعلك ويتخلى عنك ويتركك وحيداً مع الذين تسوقهم الملائكة إلى النار، وهي تقول لرسول الله (إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك).

١- تأويل الآيات الظاهرة ص ٤٢٢ وبحار الأنوار ٣٢/٢٨٦ نقلاً عنه وعن كثر الفوائد.

سب صحابة رسول الله كفر عند أئمة أهل البيت

لقد كان أئمة أهل البيت عليهم السلام والرضوان يجلبون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إجلالاً عظيماً، ما كانوا يرضون بالتطاول الذي نراه اليوم على أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا الجرأة غير المعهودة في الكلام عنهم. فقد روى عن جدهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم تكفيره لساب أصحابه واستحقاقه الحد عقوبة على تطاوله على الصحابة^(١).

فقد روى الحر العاملي في (وسائل الشيعة ٢٨/٢١٣) والمجلسي في بحار الأنوار ٧٦/٢٢٢ نقلاً عن صحيفة الرضا عليه السلام أنه روى عن آبائه عليهم السلام أنهم قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من سب نبياً قُتل، ومن سب أصحابي جُلد).

وروى الشيخ محمد السبزواري في كتابه (جامع الأخبار) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (من سبني فاقتلوه ومن سب أصحابي فقد كفر).

وفي خبر آخر: (من سب أصحابي فاجلدوه)^(٢).

وقد نقل آية الله العظمى محمد صادق الروحاني في (فقه الصادق عليه السلام) عن مسالك الأفهام للشهيد الثاني قوله: (وفي إلحاق باقي الأنبياء عليهم السلام بذلك قوة لأنّ كما لهم وتعظيمهم علم من دين الإسلام ضرورة فسبهم ارتداد ظاهر) ثم علّق عليه بقوله: (ولكن في

١- رغم أنّ سب الصحابي كافر - كما في الرواية المشار إليها - إلا أنّ حد سب الصحابي هو الجلد لا القتل لاعتبار مهم أشار إليه الإمام جعفر الصادق في إحدى رواياته وهو (التفريق بين التطاول على النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي يستحق فاعله عليه القتل وبين التطاول على غيره).

٢- جامع الأخبار ص ٤٥٦ (الفصل الخامس والعشرون والمائة: في السب).

صدق الارتداد في جميع الموارد إشكالاً، ثم إنَّ المرتد لا يجوز قتله مطلقاً. فالصحيح أن يُستدل له بالنبوي الخاص "من سبَّ نبياً قُتل ومن سب صاحب نبي جُلد"، المنجبر بالفتوى^(١).

أقول: وفي اعتداد مرجع تقليد كبير كالروحاني بهذا الحديث في هذا المورد الهام بالذات ما يفيد حججته عنده، لكن أين واقع السبابين الشتامين اللاعانين اليوم من هذا كله؟ وأين دور الروحاني نفسه من إنكار ظاهرة سب الصحابة عند الشيعة؟ هذا إن لم يكن هو نفسه أولهم سباً ولعناً للصحابة!

الإمام علي بن الحسين (زين العابدين) يتبرأ من مبغضي الصحابة

قَدِمَ عَلَى الإِمَامِ زَيْنِ العَابِدِينَ نَفْرٌ مِنْ أَهْلِ العِرَاقِ فَقَالُوا لَهُ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ وَعِثْمَانَ كَلَاماً قَبِيحاً فَلَمَّا فَرَعُوا مِنْ كَلَامِهِمْ قَالَ لَهُمُ الإِمَامُ زَيْنُ العَابِدِينَ: (قَالَ تَعَالَى ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^١ أَوْلَيْتَكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ [الحشر: ٨] > الآية تعني المهاجرين <، قال الإمام زين العابدين لهم: أنتم هؤلاء؟ قالوا: لا، ثم تلا زين العابدين الآية التي بعدها ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَن هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأَوْلَيْتَكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ [الحشر: ٩] > الآية تعني الأنصار <، فقال الإمام زين العابدين: أنتم هؤلاء؟ قالوا: لا، قال الإمام زين العابدين: أما أنتم قد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله فيهم ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحشر: ١٠] > اخرجوا عني، فعل الله بكم!)^(١).

من هو جد الإمام جعفر الصادق؟

إنه أبو بكر الصديق... حقيقة أشبه بالخيال، هل يمكن أن يكون الرجل الذي تلعنه الشيعة الاثنا عشرية ليل نهار هو جد أحد أئمتها؟ وهل يُعقل أن يفخر هذا الإمام الذي تعتقد الشيعة الاثنا عشرية فيه العصمة بمن تلعنه الشيعة الاثنا عشرية ويكنّ له كل التقدير والوفاء؟! أمر غريب بالفعل! وهل يُعقل أن يطعن البحراني والشيرازي وأمثالهما في نسب وعرض جد الإمام جعفر الصادق الذين يدعون الانتساب إلى مذهبه؟! ذاك أمر أعجب! لقد كان جعفر الصادق يفخر قائلاً (لقد ولدني أبو بكر مرتين)^(١) وذلك لأنّ نسبه ينتهي إلى أبي بكر من طريقين:

الأول: عن طريق والدته أم فروة (قريبة) بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر.
الثاني: عن طريق جدته أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر (هي أم فروة قريبة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر)^(٢).
ولم يكن أبو عبد الله ليفتخر بأبي بكر إلا لشرف هذا النسب وشرف الانتساب لرجل بإيمان أبي بكر وفي عطائه للإسلام والذب عن دين الله.
وفي ذلك يقول الشيخ الرضي:
وحزناً عتيقاً وهو غاية فخر كم بمولد بنت القاسم بن محمد

١- كشف الغمة في معرفة الأئمة للأربلي ٢/ ٣٧٤

٢- نفس المصدر

يقول العلامة الشيعي محمد صالح الحائري المازندراني^(١) في رسالته (منهاج عملي للتقريب):
 (إنَّ الإمام جعفر بن محمد الصادق وولده المعصومين من ولد إمامهم الأعظم أبي بكر الصديق من
 قبل أمه، فإنَّ أمه أم فروة بنت القاسم الفقيه ابن محمد بن أبي بكر وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن
 أبي بكر الصديق، وهي بنت عم القاسم المذكور، فالإمام محمد بن علي الباقر صهر الصديق علي
 ابنة حفيده القاسم، وكان يقول جعفر بن محمد (ولدي أبو بكر مرتين) يعني بهما محمداً
 والقاسم)^(٢).

ويقول المولى علي محمد التبريزي الأنصاري في (اللمعة البيضاء): (وإنه كان يقال للصادق عليه
 السلام كثيراً: أنت ابن الصديق، لأنَّ أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، وزوجة القاسم
 كانت بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، وكان (عليه السلام) يقول: ولدي أبو بكر مرتين)^(٣).

لكن هذا الحفيد الذي تتناقل كتب الشيعة الاثني عشرية افتخاره بجده أبي بكر هي ذاتها التي
 تتناقل سب وشتم جد إمامها وتتفاخر بلعنه!
 فإنا لله وإنا إليه راجعون.

١- من كبار علماء (سمنان) بياران

٢- مسألة التقريب بين المذاهب لعبد الله العلابي.

٣- اللمعة البيضاء ص ٤١

حب الإمام علي للصحابة

بين ركام هائل من الروايات الشيعية الشاتمة لصحابة رسول الله، والأدعية اللاعنة لهم، تبقى حقيقة لن تخفيها تلك المرويات، حقيقة الحب الذي يكنه علي بن أبي طالب لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، تلك الذكريات وتلك المشاهد العظيمة التي شاركهم فيها جنباً إلى جنب، وبقيت في ذاكرته وأمام عينيه لحظة بلحظة وحادثة بحادثة، على عكس الأطروحة الشيعية التي لا تظهر علاقته بهم وبالأخص الخلفاء الثلاثة إلا بمظهر البغضاء والتنافر ولا تصوره إلا بصورة الحاقد الصامت الذي لا يتعامل معهم بحضرتهم إلا بتقية وحذر ولا يتحدث عنهم من ورائهم إلا بسوء ولعن وكلام يُنبئ عن رغبة في الانتقام!

الصورة الحقيقية الناصعة البياض تبقى وما سواها يطيش، إنها تتجلى في أهم كتاب عند الشيعة الاثني عشرية (نهج البلاغة)، تلك النصوص كفيلة بهدم الأطروحة القائمة على لعن وسب صحابة رسول الله والقول بردتهم وانقلابهم على أعقابهم من بعده!

ولندع علي بن أبي طالب بنفسه يصوّر لنا صحابة رسول الله كما رأهم وعانينهم، إذ يقول: (لقد رأيت أصحاب محمد فما أرى أحداً يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً، وقد باتوا سُجداً وقياماً، يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأنّ بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، إذا دُكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم، ومادوا كما يمد الشجر يوم الريح العاصف خوفاً من العقاب ورجاء الثواب)^(١).

وهو يتحسر على فراقهم ويرثيهم بعد موتهم كحال أي محب فارق من يحبه فيقول: (أين القوم الذين دُعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرأوا القرآن فأحكموه وسلبوا السيوف أغمادها وأخذوا

بأطراف الأرض أطرافها زحفاً زحفاً وشفافاً شففاً، مُره العيون من البكاء، مُحص البطون من الصيام، ذُبل الشفاه من الدعاء، صُفر الألوان من السهر، على وجوههم غبرة الخاشعين، أولئك إخواني الداهبون، فحق لنا أن نضمّاً إليهم، ونعصّ الأيدي على فراقهم^(١).

نهج البلاغة والثناء العطر على عمر بن الخطاب!

قد يبدو غريباً أن يحتوي نهج البلاغة على مدح عمر بن الخطاب لكنها الحقيقة التي لم يستطع إغفالها حتى الشيخ الرضي مؤلف كتاب (نهج البلاغة) رغم انتسابه إلى الشيعة الإثني عشرية. وهنا حُق للعاقل أن يتأمل هذه المسألة جيداً وأن يُدعن للحقيقة كي لا يكون ممن قال الله تعالى فيهم ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٧]؟

هذا علي بن أبي طالب يخاطب عمر بن الخطاب بعد أن استشاره في غزو الروم فيقول: (إنك متى سرت إلى هذا العدو بنفسك، فتلقهم فتنبك، لا تكن للمسلمين كانفة^(١) دون أقصى بلادهم. ليس بعدك مرجع يرجعون إليه، فابعث إليهم رجلاً محرباً^(٢)، واحفز معه أهل البلاء^(٣) والنصيحة، فإن أظهر الله فذاك ما نُحِبُّ، وإن تكن الأخرى، كنت ردأً^(٤) للناس ومثابة^(٥) للمسلمين)^(٦).

ويخاطب عمر قائلاً: (فكن قطباً، واستدر الرحا بالعرب، وأصلهم دونك نار الحرب، فإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهم إليك مما بين يديك.

١- عاصمة يلجؤون إليها

٢- رجل محرب أي صاحب حروب

٣- أهل المهارة في الحرب، والبلاء: هو الإجابة في العمل وإحسانه.

٤- الردء بالكسر هو الملجأ

٥- المثابة: المرجع

٦- نهج البلاغة خطبة رقم ١٣٤ (ومن كلام له (ع) وقد شاوره عمر بن الخطاب في الخروج إلى غزو الروم).

إنّ الأعاجم إن ينظروا إليك غداً يقولوا: هذا أصل العرب، فإذا اقتطعتموه استرحتم، فيكون ذلك أشد لكلبهم عليك، وطمعهم فيك^(١).

ويمدح عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد موته قائلاً: (لله بلاء فلان^(٢))، فلقد قوّم الأود^(٣)، وداوى العمد^(٤)، وأقام السنة، وخلف الفتنة^(٥)! ذهب نقي الثوب، وقليل العيب. أصاب خيرها، وسبق شرها. أدّى إلى الله طاعته، واتقاه بحقه. رحل وتركهم في طرق متشعبة، لا يهتدي بها الضال، ولا يستيقن المهتدي^(٦).

يقول ابن أبي الحديد تعليقاً على هذا النص في شرحه لنهج البلاغة: (ويروى (لله بلاء فلان) أي: لله ما صنع، وفلان المكنى عنه عمر بن الخطاب، وقد وجدت النسخة التي بخط الرضي أبي الحسن جامع نهج البلاغة وتحت فلان عمر، حدثني بذلك فخّار بن معد الموسوي الأودي الشاعر، وسألت عنه النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد العلوي، فقال لي: هو عمر، فقلت له: أيشني عليه أمير المؤمنين (ع) هذا الثناء، قال: نعم، أما الإمامية فيقولون إنّ ذلك من التقية واستصلاح أصحابه!!، وأما الصالحيون من الزيدية فيقولون إنه أثنى عليه حق الثناء ولم يضع المدح إلا في موضعه ونصابه، وأما الجارودية من الزيدية فيقولون إنه كلام قاله في أمر عثمان أخرجه مخرج الدم له والتنقص لأعماله كما يُمدح الآن الأمير الميت في أيام الأمير الحي بعده فيكون ذلك تعريضاً

١- نهج البلاغة ص ٢٠٣ خطبة ١٤٦ (ومن كلام له عليه السلام وقد استشاره عمر بن الخطاب في الشخوص

لقتال الفرس بنفسه)

٢- أي لله ما فعل من الخير

٣- قوّم الاعوجاج

٤- العمد - بالتحريك -: العلة

٥- أي تركها خلفه، لا هو أدركها ولا هي أدركته

٦- نهج البلاغة ص ٢٢٢ (ومن كلام له (ع) في الثناء على عمر بن الخطاب).

به!!!، فقلت له: إلا أنه لا يجوز التعريض والاستزادة للحاضر بمدح الماضي إلا إذا كان ذلك المدح صدقاً لا يخالطه ريب ولا شبهة، فإذا اعترف أمير المؤمنين بأنه أقام السنة وذهب نقي الثوب قليل العيب وأنه أدى إلى الله طاعته واتقاه بحقه فهذا غاية ما يكون من المدح، وفيه إبطال قول من طعن في عثمان بن عفان، لم يجيني بشيء، وقال: هو ما قلت لك!

فأما الراوندي فإنه قال في الشرح: إنه (ع) مدح بعض أصحابه بحسن السيرة وإنَّ الفتنة هي التي وقعت بعد رسول الله (ص) من الاختيار والأثرة، وهذا بعيد لأنَّ لفظ أمير المؤمنين يشعر إشعاراً ظاهراً بأنه يمدح والياً ذا رعية وسيرة، ألا تراه كيف يقول (فلقد قوم الأود وداوى العمدة وأقام السنة وخلف الفتنة) وكيف يقول (أصاب خيرها وسبق شرها) وكيف يقول (أدى إلى الله طاعته) وكيف يقول (رحل وتركهم في طرق متشعبة)^(١).

وليس هذا الثناء العطر حبيس تلك الكلمات فقد أثنى علي بن أبي طالب رضي الله عنه على عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعبارات أخرى سطرها التاريخ، ومنها قوله في نهج البلاغة: (ووليهم وال فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه)^(٢).

يقول ابن أبي الحديد: (الجران مقدم العنق، وهذا الوالي هو عمر بن الخطاب)^(٣).

وليس أدل على هذه العلاقة الطيبة المتينة بين عمر وعلي من تزويج علي ابنته أم كلثوم لعمر بن الخطاب كما اعترفت بذلك كتب ومصادر الشيعة الاثني عشرية^(٤).

١- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣/١٢

٢- نهج البلاغة ص ١٠٧ (باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام) رقم (٤٦٧)

٣- المصدر نفسه ٢٠/٢١٨

٤- إنَّ هذا الزواج يبطل الروايات المكذوبة والتي تحكي أنَّ عمر بن الخطاب ضرب فاطمة برجله حتى سقط جنينها!! هب أن رجلاً ضرب زوجته وتسبب في قتل ولدك، هل تزوجه من ابنتك؟! وهل ترضى أن يكون صهرك؟! بل وتسمي أحد أبناءك باسمه!! للاطلاع على هذه الحقيقة التاريخية يمكنك مراجعة

هل يُسمَّى الرجل أبناءه بأسماء أعداءه؟!

ربما يتفاجأ كثير من عامة الشيعة اليوم عندما يطلّعون على حقيقة ظلت مخفية عنهم لزمن طويل، لم تخطر لهم على بال، بل هي عند الأكثرين من الاستحالة بمكان ما دامت مرتبطة بمحبة أبي بكر وعمر.

فعادة ما يُظهر علماء الشيعة الاثني عشرية علاقة أهل البيت بكبار صحابة رسول الله (أبي بكر وعمر) وغيرهم من الصحابة بمظهر البغض المتبادل لكننا أمام دليل ملموس على نوع خاص من المعزّة والتقدير، يعبرّ فيها أهل البيت عن حبه وإجلالهم لأصحاب رسول الله حين يسمّون أبناءهم وبناتهم بأسماء ارتبطت ذهنياً عند الشيعة الاثني عشرية بالنفاق والكفر والانقلاب على الأعقاب.

فقد سمّى الإمام علي ابناً له من ليلي بنت مسعود بن خالد التميمية باسم (أبي بكر)^(١) وابناً آخر له من أم حبيب بنت ربيعة باسم (عمر)^(٢) وابناً آخر له من أم البنين بنت حزام بن خالد باسم (عثمان)^(٣).

وسمّى الإمام الحسن ابنه أبا بكر^(٤)، وذكر الطبرسي ابناً آخر له أسماه الإمام الحسن باسم (عمر)^(٥).

١- مقاتل الطالبين ص ٩١

٢- الإرشاد ١/ ٣٥٤

٣- المصدر نفسه

٤- كشف الغمة ٢/ ١٩٨ وإعلام الوري ١/ ٤١٦

٥- إعلام الوري ١/ ٤١٦

أما الإمام علي بن الحسين (زين العابدين) فقد سُمِّي أحد أبنائه باسم (عمر)^(١).
كل ذلك تبركاً وتيمناً بصاحبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (أبي بكر وعمر).
وقد سُمِّي الإمام موسى بن جعفر (الكاظم) إحدى بناته (عائشة)^(٢)، وذكر الأربلي في كشف
الغمة أن من أبناء هذا الإمام الجليل (عمر)^(٣).

وقد اتتسى الإمام علي بن موسى (الرضا) بأبيه الكاظم فسُمِّي ابنته بـ (عائشة)^(٤).

وكذلك فعل الإمام علي بن محمد (الهادي) فسُمِّي ابنته عائشة^(٥).

كل هذه الحقائق مذكورة ومسطرة في كتب الشيعة.

إنَّ كل ذلك يؤكد أنَّ الشيعة الاثني عشرية لا يقفون من الصحابة موقف أهل البيت من
الصحابة، وإلا فهل من الشيعة الاثني عشرية من يرضى أن يُسمي ولده أبا بكر أو عائشة ما دام
أهل البيت فعلوا ذلك؟ أم أن هذا خطأ آخر ارتكبه الأئمة يُضاف إلى جانب خطئهم في مبايعة أبي
بكر وعمر وتنازل الحسن عن الخلافة!!!

إننا بهذا نضع (حب الشيعة الاثني عشرية لأهل البيت) تحت الاختبار والمحك: فهل يقتدي
الشيعة الاثنا عشرية بأهل البيت في تسمية أبنائهم بأسماء أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة كما فعل
أهل البيت حسبما تروي كتب الشيعة الاثني عشرية أنفسهم؟ فإن لم يفعل الشيعة الاثنا عشرية
ذلك كان حبه لأهل البيت ضرباً من الادعاء وما أسهل الدعاوى.

١- منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل ٥٩/٢ وكشف الغمة ٣٠٢/٢ والإرشاد للمفيد ١٥٥/٢ وإعلام

الورى ٤٩٣/١

٢- الإرشاد ٢٤٤/٢ وإعلام الورى ٣٦/٢

٣- كشف الغمة ٣١/٣

٤- كشف الغمة ٦٠/٣

٥- كشف الغمة ١٧٧/٣

مالك الأشتر والشيخان أبو بكر وعمر

وهذا مالك الأشتر النخعي صاحب علي بن أبي طالب رضي الله عنه المقرب كما تَسَطَّر كتب التاريخ، يثني على الشيخين أبي بكر وعمر ثناء عطرًا، لا يكاد يُذكر أو يُشار إليه في المجالس الحسينية التي لا تخلو عادة من الطعن في الشيخين والحديث عن الخلافة المغتصبة! كحال بعض أسماء شهداء كربلاء من آل علي وآل الحسين الذين حملوا أسماء أبي بكر وعمر اللذين تتهمهما الشيعة الاثنا عشرية الإمامية بأنهم أعداء أهل البيت!

فقد خطب الأشتر في الناس قاتلاً: (أيها الناس، إنّ الله تبارك وتعالى بعث فيكم رسوله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بشيراً ونذيراً وأنزل عليه كتاباً بيّن فيه الحلال والحرام والفرائض والسنن، ثم قبضه إليه وقد أدى ما كان عليه، ثم استخلف على الناس أبا بكر فسار بسيرته واستن بسنته، واستخلف أبو بكر عمر فاستن بمثل تلك السنة)^(١).

ويقول في خطبة أخرى: (أما بعد، فإنّ الله تبارك وتعالى أكرم هذه الأمة برسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم فجمع كلمتها وأظهرها على الناس، فلبث بذلك ما شاء الله أن يلبث، ثم قبضه الله عز وجل إلى رضوانه ومحل جنانه صلى الله عليه وآله وسلم كثيراً، ثم ولي من بعد قوم صالحون عملوا بكتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجزاهم بأحسن ما أسلفوا من الصالحات)^(٢).

١- الفتوح لابن أعثم الكوفي ١/ ٣٩٦

٢- الفتوح لابن أعثم الكوفي ١/ ٣٨٥

بيعة الرضوان تشهد لعثمان بن عفان بالرضوان

حين ينسى علماء ورواة الشيعة الإثني عشرية الإمامة قليلاً وينسون الرغبة بالشفقة في أصحابه وأصحاب رسول الله تظهر على السطح حقائق لم يكن لها أن تطفو أو أن ترى النور. بيعة الرضوان... تلك البيعة التي بايع بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه على القتال ووضعاً يده الشريف على يده الأخرى قائلاً (هذه لعثمان) بعد أن جاءه النبأ بمقتل عثمان رضي الله عنه.

حديث صحيح ومشهور لكنني استبعدت أن يذكره الشيعة الإثني عشرية الذين أشبعوا عثمان سباً ولعناً وطعناً حتى لا تكاد تتصور أنهم يذكرونه بخير.

لكن حديثاً شيعياً مرّ بي أثناء القراءة من شأنه أن يغير نظرة الشيعي المنصف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه وأن يبين قيمة عثمان ومكانته عند رسول الله وفي الإسلام بشكل عام.

روى الكليني في الكافي عن الإمام جعفر الصادق أنه قال: (لما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة الحديبية خرج في ذي القعدة فلما انتهى إلى المكان الذي أحرم فيه أحرموا ولبسوا السلاح... وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أراد أن يبعث عمر، فقال: يا رسول الله إن عشيرتي قليل وإني فيهم على ما تعلم ولكنني أدلك على عثمان بن عفان، فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: انطلق إلى قومك من المؤمنين فبشّرهم بما وعدني ربي من فتح مكة، فلما انطلق عثمان لقي أبان بن سعيد فتأخر عن السرح، فحمل عثمان بين يديه ودخل عثمان فأعلمهم وكانت المناوشة، فجلس سهيل بن عمرو عند رسول الله صلى الله عليه وآله وجلس عثمان في عسكر المشركين، وبايع رسول الله صلى الله عليه وآله المسلمين وضرب بإحدى يديه على الأخرى لعثمان، وقال المسلمون: طوبى لعثمان، قد طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة وأحلّ، فقال رسول الله

صلى الله عليه وآله: ما كان ليفعل، فلما جاء عثمان، قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أطففت بالبيت؟ فقال: ما كنت لأطوف بالبيت ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يطف فقد بايع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين من أجل عثمان وضرب باحدى يديه الشريفتين على الأخرى لعثمان ثم ترى ثقته بعثمان جليلة وهو يرد على المسلمين قائلاً (ما كان ليفعل).. وفي هذا كله الدليل الساطع والبرهان القاطع على حب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعثمان وثقته به.

وانظر إلى فعل عثمان بن عفان وهو يقول: (ما كنت لأطوف بالبيت ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يطف به).. ما أعظم إكباره لرسول الله.

١- الكافي - كتاب الروضة - حديث رقم (٥٠٣)، قال المجلسي في (مرآة العقول ٢٦/٤٣٨-٤٤٨): حديث

شرف صحبة رسول الله

ما من صحبة أعظم في تاريخ البشرية من صحبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كم تمنيت وتمنى كل مسلم لو تشرفت أعيننا وتكحلت برؤية المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم. لكن مبغضي الصحابة الذين احترقوا تشويه الحقائق، وقلب الفضيلة إلى منقصة، جعلوا صحبة خير البشر محمد صلى الله عليه وآله وسلم واللقاء به والجلوس في مجلسه، صحبة مسلوقة القيمة والشرف... بل تجرأ الشيخ المفيد - وهو من كبار علماء الشيعة الاثني عشرية - على تشبيه صحبة الصحابة لرسول الله بصحبة البهيمة للعاقل!

يقول المفيد في احتجاجه على عدم دلالة الصحبة على فضل الصحابي: (فإن اسم الصحبة يُطلق بين العاقل وبين البهيمة، والدليل على ذلك من كلام العرب الذي نزل القرآن بلسانهم لقول الله عز وجل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾ أنهم سموا الحمار صاحبا، فقالوا: إن الحمار مع الحمار مطية فإذا خلوت به فبئس صاحب.

وأيضاً فقد سموا الجهاد مع الحي صاحبا فقالوا ذلك في السيف وقالوا:

زرت هنداً وذاك غير اختيار * ومعني صاحب كتوم اللسان (يعني السيف)، فإذا كان اسم الصحبة تقع بين المؤمن والكافر وبين العاقل والبهيمة وبين الحيوان والجهاد فأى حجة لصاحبك فيه؟^(١).

فصحتهم لرسول الله عند المفيد لا شرف لها ولا مقدار، فكما أن الكافر يصاحب المؤمن، والعاقل يصاحب البهيمة، والحيوان يصاحب الجهاد فكذلك حال الصحابة مع خير البشر محمد صلى الله عليه وآله وسلم!

ولو سألت عاقلاً ما فضيلة الحجر الأسود لذكر لك من تلك الفضائل أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد وضعه بيديه الشريفتين، وأنه صلى الله عليه وآله وسلم قد قبله بجمه الطاهر، فيكفيه ذلك شرفاً.

وما قيمة الثوب الذي لبسه رسول الله أو النعل الذي انتعله؟ لقال لك يكفيها شرفاً أن مسا جسد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فكيف بمن صحبه وجالسه وصلى خلفه وربما عانقه يوماً أو دافع عنه بنفسه وأهله وماله؟ هؤلاء عند المفيد وأمثاله بلا قيمة ولا شرف! بل صحبتهم لرسول الله وصحبة البهيمة للعاقل سواء!

إنّ فضيلة صحبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم معلومة، لا يكاد يرتاب فيها وفي فضلها إلا من في قلبه مرض.

فمن الأدلة الصحيحة الصريحة على شرف هذه الصحبة ما رواه الإمام مسلم في صحيحه أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (يأتي على الناس زمان، يغزو فئام من الناس فيقال لهم: فيكم من رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس، فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم)^(١).

وقد الشيخ الطوسي - وهو من كبار علماء الشيعة الإثني عشرية - في كتابه (الأمالي) عن أبي سعيد الخدري قال: أخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً بما يلقي بعده، فبكى (عليه

١- رواه مسلم - كتاب فضائل الصحابة - باب (فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) - حديث

السلام)، وقال: يا رسول الله، أسألك بحقي عليك وقرابتي منك، وحق صحبتي إياك، لما دعوت الله (عز وجل) أن يقبضني إليه...^(١).

فهذا هو الإمام علي - كما تنص على ذلك هذه الرواية الشيعية - يسأل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بحق هذه الصحبة إلا دعا له، والمتعصبة الذين يدعون التشيع لهذا الإمام الجليل يقللون من شأن هذه الصحبة ولا يعرفون لها قدرها ومنزلتها.

والمرء ليعجب من هؤلاء المتعصبة الذين يرددون دوماً وفي كل حين عبارة (يا ليتنا كنا معكم)، وهم يرجون من كل قلوبهم لو أنهم صحبوا الحسين عليه السلام في ذهابه للعراق فنصروه وذبوا عنه، فيرى أحدهم في صحبته للحسين ابن رسول الله الشرف والقيمة، في حين يقف عند صحابة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو خير الخلق والنبي الخاتم الذي أرسل للناس كافة، وتمايلات عليه قوى الكفر فنصره هؤلاء وضحوا بدمائهم وأهليهم، ووقفوا معه في أحلك الظروف، فيجعل هذا المتعصب صحبة هؤلاء لرسولنا الكريم كصحبة البهيمة للعاقل! وقاحة ما بعدها وقاحة.

هذه قيمة صحبة رسول الله وهذه هي فضيلتها عند الغلاة الجفاة... فإلى الله المشتكى.. ولا حول ولا قوة إلا بالله...

١- الأماي للطوسي ص ٥٠١-٥٠٢ (المجلس الثامن عشر) - حديث رقم (١٠٩٨)

المقدس الأردبيلي – من الذي قدّسه؟

إنّ الشيعة الإثني عشرية يعتبرون من لقي القائم المنتظر مقدّساً وفوق مرتبة الجرح والتعديل كما صرّح بذلك علي الحسيني الصدر في (الفوائد الرجالية ص ١٤٠-١٤١) حيث يقول: (إنّ من أمارات المدح ومن موجبات الاطمئنان بل مما يفيد علو الرتبة وكمال الوثاقة كون الراوي ممن تشرف وفاز برؤية الطالع الأزهر للإمام المنتظر أروحنا فداه فإنه لا تحصل هذه المكرمة إلا للأوحدي من الصالحين كما يستفاد من حديث أحمد بن إسحاق القمي الذي جاء فيه: (لولا كرامتك على الله عز وجل وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا)، فكل من أحرز جداً فوزه بهذه السعادة العظيمة فهو ممن يحصل به الطمأنينة الوثقى.. وهم ثلثة خيرة وجماعة كثيرة نالوا هذه المرتبة في زمان الإمام العسكري عليه السلام ثم في أيام الغيبة الكبرى... أما الذين تشرفوا في أيام الغيبة الكبرى فهم كثيرون جداً... جمع ذكرهم بعض الأعلام في كتب مستقلة كالبحراني في (تبصرة الولي فيمن رأى القائم المهدي) والمحدث النوري في (النجم الثاقب) و(جنة المأوى) والشيخ الميثمي العراقي في (تذكرة الطالب فيمن رأى الإمام الغائب) والجمال الطباطبائي في (بدائع الكلام فيمن اجتمع بالإمام) والميرزا الأمامي في (البهجة فيمن فاز بلقاء الحجة) والشيخ النهاوندي في (العقبى الحسان في تواريخ صاحب الزمان)).

فالمحقق الأردبيلي هو أحد أولئك الذين نالوا شرف اللقاء بصاحب العصر والزمان، وقد ذكر قصة ذلك اللقاء المزعوم الخوانساري في روضات الجنات ١ / ٨٨ نقلاً عن شيخه المجلسي في بحار الأنوار^(١).

وكان من الواجب على الشيعة الإثني عشرية أن يعتبروا الصحابة مقدّسين أيضاً لأنه رأوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم الذي ينص الشيعة على أنه أفضل من القائم، لكن هؤلاء الصحب الكرام لا مكانة لهم عند الشيعة ولا احترام بل هم عندهم شرار الخلق والخليقة!

١- قال السيد علي أصغر البروجردي في (طرائف المقال ٢ / ٣٩٩): (وهو من جملة من رأى القائم عليه السلام، ومن جملة من انفتحت له أفعال الروضة المقدّسة وكلمه الإمام في حكاية ذكرها السيد الجزائري في الأنوار النعمانية).

صحابه رسول الله كما تصورهم كتب الشيعة الاثني عشرية وعلمائها

عندما كنت أتصفح كتب الشيعة الاثني عشرية وهي ترمي صحابة رسول الله مرة بالانقلاب على أعقابهم ومرة بالتآمر على الإمام علي والسعي إلى إزهاق روح الدين، كان يُحيل لي بأني أتصفح سيرة عتاة مكة وكفارها أمثال أبي جهل أو أبي لهب أو أمية بن خلف أو غيرهم لكن عيني ترى شيئاً آخر!

إنّ هذه الفئة الملعونة الظالمة الجارية وراء مصالحها كما تذكر ذلك كتب الشيعة الاثني عشرية ليست إلا الفئة التي قاتلت مع رسول الله في بدر وأحد والخندق وغيرها والتي صبرت وجاهدت وتركت الأهل والولد في سبيل رفعة هذا الدين!!!

وما أنقله هنا ما هو إلا نموذج بسيط لما يُقال في صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يصفهم التيجاني^(١) بقوله: (الصحابة أغضبوا رسول الله... تاهوا وتطاولوا عليه) (لم يُراعوا حقه ولم يعرفوا له احتراماً) (معاندون مجادلون) (خالفوا أمر ربهم)^(٢)، (أنزلوا أنفسهم منزلته) (ليسوا جديرين بأي احترام) (استأجروا ضعفاء العقول ليرووا لهم الأحاديث الموضوعة في فضائلهم)^(٣)، (انقلبوا على أعقابهم، لا يستحقون ثواب الله ولا غفرانه) (تثاقلوا عن الجهاد وركنوا إلى الدنيا)^(٤) (ارتدوا على أديبارهم، بدّلوا وغيرّوا وقالوا سمعنا وعصينا)^(٥).

١- هذه الكلمات في وصف الصحابة كانت متفرقة في كتابه (ثم اهتديت) اعتنيت بجمعها لبيان رأيه في صحابة رسول الله

٢- التيجاني في كتابه (ثم اهتديت) ص ٨٨-٨٩

٣- ثم اهتديت ص ٩٢-٩٣

٤- ثم اهتديت ص ٩٦ و ١٠٠-١٠١

ويصفهم النوري الطبرسي فيقول: (الذين آمنوا بألستهم ليحقتوا دماءهم وهم بين جاهل غبي ومعانند غوي، ولاه عن الدين وتاه في شيع الأولين، وصارف همته في ترويج كفره، وجبار يخاف من مخالفة نهيه وأمره وليس فيهم من يُرجى خيره ويؤمن شره، لا يكاد يُشك أنهم أحسن قدراً وأعجز تدبيراً وأضل سبيلاً وأخسر عملاً وأجهل مقاماً وأشر مكاناً وأسفه رأياً وأشقى فطرة)^(١).

ويصفهم الخميني قائد الثورة الإيرانية والنائب السابق للإمام الغائب في كتابه كشف الأسرار ما ترجمته: (أولئك الصحابة الذين لم يكن يهتمهم إلا الدنيا والحصول على الحكم دون الإسلام والقرآن، والذين اتخذوا القرآن مجرد ذريعة لتحقيق نواياهم الفاسدة، قد سهل عليهم إخراج تلك الآيات من كتاب الله التي تدل على خلافة الإمام علي بلا فصل، وعلى إمامة الأئمة، وكذلك تحريف الكتاب السماوي، وإقصاء القرآن عن أنظار أهل الدنيا على وجه دائم، بحيث يبقى هذا العار في حق القرآن والمسلمين إلى يوم الدين)^(٢).

ويقول عنهم يوسف البحراني: (غير خفي - على ذوي العقول من أهل الإيوان وطالبي الحق من ذوي الأذهان - ما يُلي به هذا الدين من أولئك المردة المعاندين بعد موت سيد المرسلين، وغضب الخلافة من وصيه أمير المؤمنين، وتوائب أولئك الكفرة عليه، وقصدهم بأنواع الأذى والضرر إليه)^(٣).

ويقول كلاماً آخر أفصح من سابقه: (اعلم أنه قد استفاضت الأخبار عن أهل العصمة عليهم السلام بارتداد الصحابة بعد رحلته صلى الله عليه وآله من بين أظهرهم، وهو مصداق قوله

١- ثم اهتديت ص ١٠٤-١٠٧

٢- النوري الطبرسي في كتابه فصل الخطاب ص ٤٧ الباب الأول (الدليل الثاني)

٣- كشف الأسرار ص ١١٤ الترجمة الشرعية

٤- الحدائق الناضرة ١/ ٤-٥

سبحانه ﴿أَفَايُن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَيَّ أَعْقَبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ومن المعلوم أنه ليس منشأ ذلك الارتداد إلا العكوف على عجل السامري^(١)، ونقض بيعة الوصي^(٢).

ويقول مرتضى محمد الحسيني النجفي: (إنَّ الرسول ابتلي بأصحاب قد ارتدوا من بعده عن الدين إلا القليل)^(٣).

ويقول نعمة الله الجزائري: (فإنَّ أغلب الصحابة كانوا على النفاق لكن كانت نار نفاقهم كامنة في زمنه، فلما انتقل إلى جوار ربه برزت نار نفاقهم لوصيِّه ورجعوا القهقري، ولذا قال عليه السلام (ارتد الناس كلهم بعد النبي صلى الله عليه وآله إلا أربعة سلمان وأبو ذر والمقداد وعمار) وهذا مما لا إشكال فيه)^(٤)!

هذه هي الصورة التي يعرفها هؤلاء عن صحابة رسول الله، وقرآن المسلمين يعرف حقيقة أخرى ويجهر بها ليصك بها أسماعهم!

١- يريد بذلك أبا بكر الصديق رضي الله عنه

٢- الشهاب الثاقب في معنى الناصب ص ٢٠٢

٣- السبعة من السلف ص ٧

٤- الأنوار النعمانية ص ٨١ (نور مرتضوي)

صورتان متضادتان

لا يحتاج المسلم التالي لكتاب الله الكريم أن يتجشم عناء دراسة علم التفسير حتى يستشعر التفاوت الكبير بل التضاد بين رؤية القرآن الكريم للصحابة وبين رؤية الشيعة الاثني عشرية لهم، بين الآيات التي تبشرهم بالجنان وبرضا الله عنهم وبين روايات الطعن فيهم واللعن لهم عند الشيعة الاثني عشرية الإمامية.

تُرى هل كان رب العزة والجلال الذي مدحهم في القرآن يجهل من هم الصحابة وما سيفعلونه قبل مماتهم؟! كلا والله وحاشاه سبحانه عن هذا الإفك، إذاً كيف يمدحهم ويثني عليهم ويبشرهم بمغفرته ورضوانه وجنانه وهم مرتدون منقلبون على أعقابهم لم ينج منهم إلا القليل!!؟ هنا يكمن السؤال... لكن استعراضاً سريعاً لبعض النصوص القرآنية يكفي لإدراك مدى تفاوت النظرتين:

1- القرآن يترضى عن الصحابة والشيعة الاثنا عشرية تلعنهم!!!

قال سبحانه وتعالى ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فالآية صريحة الدلالة على رضا الله سبحانه وتعالى عن المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، وتبشيرهم بالفوز العظيم والخلود في جنات النعيم.

فأي عاقل يلعن من يترضى الله عنهم!!؟

وأي لسان يستطيع أن يشتم ويلعن من زكّاهم رب العالمين!!؟

وأى ضمير يستطيع أن يقول بردتهم وقد وعدهم الله الذي لا يخلف الميعاد أنهم سيغادرون الدنيا إلى جنات تجري تحتها الأنهار وأنهم خالدين فيها أبداً وأنهم من الفائزين !!؟
وقال سبحانه ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].
فمن أخبرنا الله سبحانه أنه علم ما في قلوبهم ورضي عنهم وأنزل السكينة عليهم فلا يحل لأحد التوقف في أمرهم ولا الشك فيهم البتة^(١).

ومن بايع تحت الشجرة كما هو معروف الخلفاء الراشدون وجميع من ينعتهم الشيعة الاثنا عشرية بالانقلاب على أعقابهم والردة من الصحابة رضوان الله عليهم، وهذا متفق عليه عند السنة والشيعة الاثني عشرية.

فهل علم الشيعة الاثنا عشرية عن الصحابة ما لم يعلمه الله حين امتدحهم ثم تبين بعد ذلك أنهم غير أهلٍ للمدح؟! هل كان مدحهم خطأ؟! حاشا الله عز وجل ذلك.

2- القرآن يعدهم بالحسنى والشيعة الاثنا عشرية تنزلهم منزلة أهل النفاق!!!

قال سبحانه وتعالى ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

فوعده الله عز وجل الصحابة الذين أنفقوا قبل الفتح وبعده بالحسنى، وقد حكم الله لمن وعد بالحسنى بالأمن من عذاب يوم القيامة بقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا^ط وَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ خُلْدُونَ أَنْفُسَهُمْ

﴿لَا تَحْزَنُهُمُ الْفِرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّنُهُمُ الْمَلَتِيكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١ - ١٠٣].

فهل بدا لله بعد ذلك أن من قال فيهم هذه الآيات لا يستحقونها وأنهم ارتدوا على أعقابهم وسلبوا علياً حقه في الخلافة وفعلوا وفعلوا؟! أم نقول: صدق الله في جميع أقواله وكذب من قال بغير قوله؟

3- القرآن يفتخر بهم والشيعنة الاثنا عشرية تتبرأ منهم!!!

قال تعالى ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۗ ذَلِكَ مَثَلَهُمْ فِي التَّوْرَةِ ۗ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَرَعٍ ۖ أَخْرَجَ شَطَقَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ ۖ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

فهل ذكر الله أوصافاً كهذه لصحابة رسول الله في التوراة التي يقرأها اليهود، والإنجيل الذي يقرأه النصارى تعظيماً لشأن الصحابة وافتخاراً بهم كخير صحب لخير نبي وهو سبحانه يعلم أنهم سيرتدون وينقلبون على أعقابهم ويثبتوا عكس ما قيل فيهم في تلك الكتب السماوية لكي تُعطى الحجة بعد ذلك لليهودي والنصراني بأن يطعن في صدق نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأن أصحاب ذاك النبي المبشر- عندهم المذكورون بالإيمان والصلاح والتقوى ونصرة الدين بينما أصحاب محمد مرتدون ومنقلبون على أعقابهم وهم ليسوا أشداء على الكفار ورحماء بينهم بل أشداء بينهم وأرأف بالكفار منهم بقرابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم!! هل كان الله يفتخر برجال لم يثبت على الإيمان منهم سوى سبعة؟!!!

إنَّ رجالاً كهؤلاء ممن هثوا وراء الدنيا ونسوا نبيهم وكلام ربهم لعنة السماء أولى بهم فكيف يعدهم الله بالحسنى وبخير العاقبة؟! بل كيف يفاخر بهم الأمم السابقة (اليهود والنصارى) وهم ليسوا أهلاً للفخر بل للاستحياء!!

4- الله يتوب عليهم ويغفر لهم زلاتهم والشيعة الاثنا عشرية لا تذكرهم إلا بتلك الزلات!!!

قال تعالى ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧].

وقال تعالى ﴿وَالْآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [١٢] خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [١٣] أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٢ - ١٠٤].

فهذه الآيات تحدثت عن الصحابة وبيّنت سعة رحمة الله لمن أذنب منهم، وبيّنت كذلك إرادة الله ومحبهه للتوبة عليهم وغفران ذنوبهم، وبيّنت بالمقابل ما يريده أرباب الشهوات والضلالة بأصحاب رسول الله من الميل.

ويُضاف إلى هذه الآيات العامة ما قاله تعالى فيمن أخطأ يوم أحد ففر من القتال كعثمان بن عفان رضي الله عنه ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

لكنك تجد الشيعة الاثني عشرية إلى اليوم يعيرون عثمان بن عفان ويذكرون من جملة هذه المعائب (فراره من أحد)!!

سبحان الله... أما يكفي أن يعفو الله عنه؟!

من ذا الذي يستطيع أن يسلب العباد رحمة ربهم ويستبدل عفو الله لهم بسخطه فيُعيرهم بذنوبهم وأخطائهم التي تجاوز الله عنها وندموا هم عليها؟

لو أن الله عز وجل قد ملك أحداً من البشر خزائن رحمته لما رأينا أحداً في الجنة ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ فَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠].

لكن قف عند قول الله عز وجل ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧] وتفكّر، من ذا الذي يجرؤ على مخالفة ما يريد الله، فيريد في قرارة نفسه أن يفتك هؤلاء الصحابة، لاعناً كبارهم، شامئاً صغارهم، طاعناً في أعراض أمهاتهم (أمهات المؤمنين) ثم يدّعي بعد ذلك أنه متبع للقرآن والسنة وأهل البيت؟!

الطعن في الصحابة يستلزم الطعن في الدين الذي نقلوه لهذه الأمة

إنه لا يمكن لأحد أن يثبت تواتر القرآن أو السنة النبوية إلا عن طريق الصحابة، ولن يستطيع أحد إثبات أن القرآن الذي بين أيدينا هو نفسه الذي أنزل على محمد دون الرجوع إلى الصحابة. وإذا ما وُجّهت السهام إلى نقلة القرآن ونقطة السنة النبوية وقُدح في ذمهم وفي دينهم سقط اعتبار ما نقلوه وتطرق إليه الشك.

ولهذا قال الإمام أبو زرعة الرازي: (إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاعلم أنه زنديق، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدي إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا، ليطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة)^(١).

كلمات ثقيلة العبارة... شديدة الألفاظ... لكن أبا زرعة لا يتصور من مسلم ينطق بالشهادتين ويؤمن بالقرآن وبسنة نبيه أن يشكك ويطعن في من نقل إليه هذا القرآن وهذه السنة ثم يدعي بعد ذلك أنه مسلم يجب الإسلام ويقدّس القرآن والسنة!

إن الشيعة الاثني عشرية حينما يطعنون في عدالة الصحابة ويجرحونهم الليل والنهار لا يستطيعون أن يثبتوا بالمقابل تواتر القرآن الكريم من طريق غير طريق الصحابة، لأن من جمع القرآن هو أبو بكر والصحابة (الجمع الأول) ثم عثمان بن عفان والصحابة (الجمع الثاني)، فإن كان هؤلاء منافقين فليبحث الشيعة حينئذ عن قرآن آخر!

ولو فرضنا جدلاً أنهم يُمكن نقل القرآن عن الإمام علي دون غيره من الصحابة فأين ذلك الإسناد الشيعي الذي يستند عليه الشيعة؟!

إنَّ أهل السنة يفخرون بأنهم هم نقلة القرآن الكريم، ولديهم أسانيد متواترة للقرآن عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بينما ليس للشيعة ولو إسناد واحد ينقلون فيه القرآن عن آل البيت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سوى أسانيد أهل السنة^(١)!

وقد طُوب علماء الشيعة مراراً وتكراراً بأن يأتوا بإسناد شيعي واحد للقرآن يبتدأ برواة الشيعة ويتهيء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مروراً بأئمة أهل البيت فلم نسمع شيئاً ولن نسمع.

أما السنة النبوية وهي المصدر الثاني للتشريع في الإسلام، فالطعن فيها أكد وأوضح، فقد أعرض الشيعة الإثني عشرية عن روايات الصحابة لأنهم منقلبون على أعقابهم، وتمسكوا بروايات زرارة وأبي بصير وابن مسلم وأمثالهم من الكذابين الوضّاعين اللذين أُبتي بهم أئمة أهل البيت! ولعل في هذا ما يفسر ندرة الأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كتب الحديث عند الشيعة الإثني عشرية في مقابل الأحاديث المروية عن الإمام علي أو الإمامين الباقر وجعفر الصادق!

حتى ليضطر المنصف إلى التساؤل: من هو الرسول المبلّغ عن الله تعالى الذي أمرنا باتباعه؟ أحمد بن عبد الله هو أم جعفر الصادق أم من؟ وما هي مكانة الرسول الذي نتكلم عنه في المذهب الشيعي الإثني عشري؟ وأين تعاليمه؟ طالما حلّ محله غيره بهذا الشكل وصارت الكلمة للأئمة لا لرسول الأئمة وإمام الأئمة!

حاول بنفسك أن تتصفح أهم كتب الحديث عند الشيعة الاثني عشرية (الكافي، من لا يحضره الفقيه، تهذيب الأحكام، الاستبصار وغيرها) لترى قلة أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله

١- فحتى الأسانيد التي عن الإمام جعفر الصادق فكلها سنية! وليس للشيعة منها سنداً واحداً!

وسلم مقارنة بأحاديث الإمامين الباقر والصادق، وتأمل كيف صارت سنة محمد صلى الله عليه وآله وسلم مهتمشة في هذه الكتب وصار الأصل هو سنة الإمام!

حتى الأحاديث القليلة المروية عن رسول الله لا يخلو الكثير منها من حيث السند من ضعف، فلو أمسكت كتب الجرح والتعديل عند الشيعة الاثني عشرية^(١) ورحت تتفحص الروايات على قلتها فإنه سيتضح لديك أن أغلب هذه الأحاديث ضعيفة السند!

بينما ترى بأم عينك الفارق حينما تتصفح كتب الحديث عند أهل السنة، حيث تجد نفسك تعيش مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أقواله وعباراته وأوصافه، وتجد أن كلمات رسول الله هي الأصل وأنه الجوهر وكلمات غيره ثانوية يؤخذ منها ويُرد.

هذه حقيقة ملموسة، لا ينكرها إلا جاهل بكتب الحديث الشيعية المذكورة أو معاند مكابر.

إن غاية ما يبرر به علماء الشيعة هذه الفجوة الكبيرة بين الشيعة وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وستته هو حديث الإمام جعفر (حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين عليه السلام وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وحديث رسول الله قول الله عز وجل)^(٢) مع أن الحديث ضعيف عند علماء الشيعة أنفسهم لوجود (سهل بن زياد) الكذاب^(٣) في سنده!

١- كـ(رجال الكشي- ورجال ابن الغضائري ورجال النجاشي ورجال الطوسي ورجال ابن داود الحلي وغيرها).

٢- الكافي - كتاب فضل العلم - باب (رواية الكتب والحديث) - حديث رقم (١٤).

٣- قال النجاشي في رجاله: (سهل بن زياد أبو سعيد الأدمي الرازي، كان ضعيفاً في الحديث، غير معتمد عليه فيه، وكان أحمد بن محمد بن عيسى يشهد عليه بالغلو والكذب وأخرجه من قم إلى الري وكان يسكنها).

أو ربما يستدلون بحديث جابر الجعفي وغيره أن الإمام جعفر الصادق قال: (والله لو كنا نحدث الناس أو حدثناهم برأينا لكننا من الهالكين ولكننا نحدثهم بآثار عندنا من رسول الله صلى الله عليه وآله يتوارثها كابر عن كابر نكنزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم)^(١) مع أن هذه الرواية كافية بحد ذاتها لنسف المذهب كله، إذ كيف يكون رأي الإمام - الذي يُعتقد عصمته - موجباً للهلاك؟!؟

ثم ما هي تلك الكنوز التي ينسبها الشيعة الإثني عشرية إلى الأئمة؟

أهي الروايات الشيعية المتواترة القائلة بتحريف القرآن^(٢)؟!؟

أم تلك الروايات التكفيرية لعموم المسلمين النافية لقبول أعمالهم عند الله تعالى^(٣)؟!؟

١- بصائر الدرجات ص ٣٢٠ - باب (في الأئمة أن عندهم أصول العلم) - حديث رقم (٦).

٢- مثل أبو الحسن العاملي في (المقدمة الثانية لتفسير مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار ص ٣٦) وعدنان البحراني في (مشارك الشوموس الدرية ص ١٢٦) والمجلسي - في (مرآة العقول ١٢ / ٥٢٥) ويوسف البحراني في (الدر النجفية ص ٢٩٨) الذين نصّوا على تواتر الروايات القائلة بتحريف صراحة كما سيأتي.

بل إن آية الله العظمى أبو القاسم الخوئي - الزعيم الراحل للحوزة العلمية بالنجف - الذي عدّ القول بتحريف خرافة وشتّع على القائلين به لم يستطع أن يخرج من مأزق كون بعض روايات التحريف معتبرة السند في المذهب بل ومقطوع بصدورها عن الأئمة المعصومين حيث يصرّح في كتابه (البيان في تفسير القرآن ص ٢٢٦) قائلاً: (إن كثيراً من الروايات، وإن كانت ضعيفة السند، فإن جملة منها نُقلت من كتاب أحمد بن محمد السيارى الذي اتفق علماء الرجال على فساد مذهبه وأنه يقول بالتناسخ، ومن علي بن أحمد الكوفي الذي ذكر علماء الرجال أنه كذاب وأنه فاسد المذهب إلا أن كثرة الروايات تورث القطع بصدور بعضها عن المعصومين عليهم السلام ولا أقل من الاطمئنان بذلك، وفيها ما روي بطريق معتبر فلا حاجة بنا إلى التكلم في سند كل رواية بخصوصها)!!

فأين يذهب الذين يزعمون أن نسبة القول بتحريف للشيعة الإثني عشرية إنما هو فرية من أعداء الدين وأعداء أهل البيت عليهم السلام؟! ألا يقرأ هؤلاء ما تُسطّره كتب علمائهم؟!؟

أم هي الفتاوى الجنسية الغريبة التي يستحي المرء من ذكرها^(٢)؟!!

١- فقد روى الكليني في الكافي عن الفضيل بن يسار عن الإمام الباقر أنه قال: (إن الله نصب علياً عليه السلام علماً بينه وبين خلقه، فمن عرفه كان مؤمناً، ومن جاء بولايته دخل الجنة، ومن أنكره كان كافراً، ومن جهله كان ضالاً، ومن نصب معه شيئاً كان مشركاً، ومن جاء بعداوته دخل النار) وقد حكم بوثاقة الرواية آية الله العظمى الخميني في (كتاب الطهارة ٣/٣١٦).

وروى البرقي في (المحاسن) والكليني في (الكافي) وغيرهما عن محمد بن مسلم عن الإمام الباقر أنه قال: (والله يا محمد من أصبح من هذه الأمة لا إمام له من الله ظاهر عادل أصبح ضالاً تائها وإن مات على هذه الحال مات ميتة كفر ونفاق، واعلم يا محمد أن أئمة الجور وأتباعهم لمعزولون عن دين الله قد ضلوا وأضلوا فأعمالهم التي يعملونها كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدر من ما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد).

وقد حكم بصحة الرواية كل من المحقق يوسف البحراني في (الحدائق الناضرة ١٣/٢٩٤) والميرزا القمي في (مناهج الأحكام ص ٦٤٦) والشيخ محمد العاملي في (مدارك الأحكام ٦/٢٠٢) والشيخ الخوانساري في (جامع المدارك ٦/١٠١).

٢- فقد روى الكليني في الكافي بسند صححه كل من المجلسي في (مرآة العقول ٢٢/٤٠٤) والمحقق يوسف البحراني في (الحدائق الناضرة ٥/٥٣٠) وآية الله العظمى محسن الحكيم في (مستمسك العروة ٢/١٨٩) وآية الله العظمى محمد صادق الروحاني في (فقه الصادق (ع) ١/١٦٩) عن الإمام جعفر الصادق أنه قال: (النظر إلى عورة من ليس بمسلم مثل نظرك إلى عورة الحمار)!!

وقد أخذ بهذه الفتوى كل من الشيخ الصدوق والحر العاملي من القدماء، ومن المعاصرين آية الله العظمى محمد حسين فضل الله كما نقل ذلك عنه الشيخ جعفر مرتضى العاملي في كتابه (خلفيات مأساة الزهراء - الجزء الخامس) قول فضل الله: (إن حرمه النظر ناشئة من حرمة الجسد لدى صاحبه، مما يخفيه منه، لا من خلال حالة تعبدية في مثل هذه الموارد، ولذلك ورد أنه لا مانع من النظر إلى عورة الكافر فهي كعورة الحمار، من خلال عدم الإحترام له من قبل الشرع أو من قبل صاحبه. وفي ضوء ذلك قد يشمل الموضوع النظر إلى العورة عندما تكشفها صاحبها، كما في نوادي العراة، أو السابحات في البحر في بعض البلدان أو

أم هي الروايات ذات النفس العنصري الشعبي البغيض^(١)؟!

نحو ذلك. بل قد يستوحى الإنسان جواز النظر إلى عورة الرجل، إذا كان ممن لا ينتهي إذا نهي تمرّداً أو مزاحاً، أو نحو ذلك، لأنه لا خصوصية للمرأة في تلك الرخصة، بل ربما كان التحفظ من المنع بالنسبة إلى المرأة أكثر من الرجل!!

ويبدو أنّ الخطيب قد أخذ بهذه الرواية بشكل جريء إذ صرّح في كتابه (كيف يلتقي الزوجان في مخدع الحب؟ ص) بأنه كان يشاهد أفلام جنسية غريبة تعلم منها بعض طرق الجماع! فلا لوم على الرجل، فالفيلم الذي كان يشاهده لا يعدو أن يكون تصويراً لعورات ونكاح جماعة من الحمير لا يُستنكر النظر إليهم!!

١- فقد نصت الروايات الشيعية على أنّ موقف الإمام جعفر الصادق وسائر الأئمة من بعض العريقات كان موقفاً عنصرياً للغاية، وقد اعتمدت في نقل هذه النظرة على كتب الفقه المعتمدة لدى الطائفة لإثبات الأثر الكبير لهذه الكنوز على فقهاء الطائفة.

ففي السند والهند والقند والخزر ينص فقهاء الشيعة الإثني عشرية ومنهم الشيخ الجواهري في (جواهر الكلام ١١٦/٣٠) على أنه: (يكره نكاح الزنج، قال أمير المؤمنين عليه السلام: (إياكم ونكاحهم، فإنه خلق مشوه) وقال الصادق عليه السلام: (لا تناكحوا الزنج والخزر، فإنّ لهم أرحاماً تدل على غير الوفاء، قال: والسند والهند والقند ليس فيهم نجيب، يعني القندهار)).

وفي الأكراد يقول العلامة الحلي في (منتهى المطلب ١٠٣/٢): (مسألة: يكره له معاملة الأكراد ومخالطتهم ويتجنب مباحثتهم ومشاركتهم ومناكحتهم لما رواه الشيخ عن أبي الربيع الشامي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام قلت: إنّ عندنا قوماً من الأكراد وإنهم لا يزالون يجتنبون مخالطتهم ومباحثتهم، فقال عليه السلام: يا أبا ربيع، لا تخالطوهم، فإنّ الأكراد حي من أحياء الجن كشف الله عنهم الغطاء فلا تخالطوهم).

وفي المصرين يقول العلامة يوسف البحراني في موسوعته الفقهية (الحدائق الناضرة ٥/٥٣٧): (روى في الكافي في الصحيح أو الحسن عن ابن أسباط عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام)، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (لا تغسلوا رؤوسكم بطين مصر، فإنه يذهب بالغيرة ويورث الديانة)، أقول -

الكلام للبحراني:- في قصة عزيز مصر حيث علم من زوجته مع يوسف على نبينا وآله وعليه السلام ما علم وغاية ما صدر عنه في المقام أن قال ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَن هَذَا ۖ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكَ كُنْتِ مِّنَ الْخَاطِئِينَ﴾!!

وفي رواية الكليني في (الكافي ٦/ ٣٩١ - رواية رقم (٣)) عن الإمام علي بن أبي طالب أنه قال: (ماء نيل مصر يميت القلوب).

وروى المجلسي في (بحار الأنوار ٥٧/ ٢١٠) عن ابن بابويه القمي (الملقب بالصدوق) عن الإمام جعفر الصادق قوله: (نعم الأرض الشام وبئس القوم أهلها اليوم، وبئس البلاد مصر، أما إنها سجن من سخط الله عليه من بني إسرائيل، ولم يكن دخل بنو إسرائيل مصر إلا من سخطة ومعصية منهم لله، لأن الله عز وجل قال " ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم " يعني الشام، فأبوا أن يدخلوها وعصوا فتأهوا في الأرض أربعين سنة. قال: وما كان خروجهم من مصر ودخولهم الشام إلا من بعد توبتهم ورضا الله عنهم. ثم قال أبو جعفر (ع): إني أكره أن أكل شيئاً طبخ في فخار مصر، وما أحب أن أغسل رأسي من طينها مخافة أن تورثني تربتها الذل وتذهب بغيرتي).

وروى الحميري القمي بإسناد عالٍ في (قرب الإسناد ص ٣٧٤-٣٧٦) عن الإمام الرضا أنه قيل له: إن أهل مصر يزعمون أن بلادهم مقدسة. قال: وكيف ذلك؟ قلت: جعلت فداك، يزعمون أنه يحشر من جبلهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب. قال: لا، لعمري ما ذاك كذلك، وما غضب الله على بني إسرائيل إلا أدخلهم مصر، ولا رضي عنهم إلا أخرجهم منها إلى غيرها. ولقد أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى عليه السلام أن يخرج عظام يوسف منها، فاستدل موسى على من يعرف القبر، فدل على امرأة عمياء زمنة، فسألها موسى أن تدله عليه فأبت إلا على خصلتين: فیدعو الله فيذهب بزمانتها، ويصيرها معه في الجنة في الدرجة التي هو فيها. فأعظم ذلك موسى، فأوحى الله إليه: وما يعظم عليك من هذا، أعطها ما سألت. ففعل، فوعده طلوع القمر، فحبس الله القمر حتى جاء موسى لموعده، فأخرجه من النيل في سنف مرم، فحمله موسى. ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (لا تغسلوا رؤوسكم بطينها، ولا تأكلوا في فخارها، فإنه يورث الذلة ويذهب الغيرة). قلنا له: قد قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: نعم).

أم هي المسماة بطب الأئمة والتي فيها من الخرافة والعجائب المضحكة ما فيها^(١)!

وقد خلص فقيه الإمامية (الشهيد الأول) في (الدروس في فقه الإمامية ٤٧/٣) من هذه الروايات المتظافرة إلى حقيقة أن (ماء نيل مصر يميت القلوب، والأكل في فخارها وغسل الرأس بطينها يذهب بالغيرة ويورث الديانة)!!

١- لقد حشدت كتب الحديث الشيعية الكثير من غرائب الاستطباب التي لا يقبلها عقل أو شرع، وقد أعرضت عن أكثرها لئلا يُدعى بأني قد حشدت في هذا الهامش الموضوعات والمكذوبات ورميت بها الطائفة ظلماً وعدواناً، فاخترت من تلك الروايات ما حكم المجلسي- محقق (الكافي) بصحته أو حسنه أو غيره من علماء الشيعة البارزين، وهي كالتالي:

روى الكليني في الكافي بسند صححه كل من المجلسي- في (مرآة العقول ١٢٩/٢٢) وآية الله العظمى محسن الحكيم في (مستمسك العروة ٥٣٧/٥) وآية الله العظمى الخوئي في (كتاب الصلاة ٢٧٧/٢) عن الإمام جعفر الصادق أنه قال: (اللحم ينبت اللحم، ومن ترك اللحم أربعين يوماً ساء خلقه ومن ساء خلقه فأذّنوا في أذنه)!! ولا عزاء للفقراء!

وروى الكليني أيضاً بسند حسنه المجلسي في (مرآة العقول ١٧٧/٢٢) عن الإمام جعفر الصادق أنه قيل له: (إنّ الناس يروون أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: إنّ العدس برك عليه سبعون نبياً، فقال: هو الذي يسمونه عندكم الحُمص ونحن نسميه العدس)!! فعليكم بالعدس لتحل عليكم بركات النبوة! سبحان الله.. كأنّ الرواية تتكلم عن المنّ والسلوى لا العدس الذي استبدل به بنو اسرائيل عطاء الله فقيل لهم ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾.

وروى الكليني أيضاً بسند صححه المجلسي في (مرآة العقول ١٩١/٢٢) عن الإمام جعفر الصادق أنه قال: (ما من شيء أشارك فيه أبغض إليّ من الرمان، وما من رمانة إلا وفيها حبة من الجنة فإذا أكلها الكافر بعث الله عز وجل إليه ملكاً فانتزعها منه)!! وكأنّ مهمة الملائكة هي انتشال حبات الرمان المفقودة من أفواه الكفار!

وروى الكليني أيضاً بسند صححه المجلسي في (مرآة العقول ٢٢/١٩٢) عن الإمام جعفر الصادق أنه قال: (من أكل حبة من رمان أمرضت شيطان الوسوسة أربعين يوماً)!! فكيف بمن يأكل عشرات الحبات؟ أظنه سيقضي على شيطان الوسوسة بالضربة القاضية وبالجملة الأولى!

وروى الكليني أيضاً بسند حسنه المجلسي في (مرآة العقول ٢٢/١٩٣) عن الإمام جعفر الصادق أنه قال: (من أكل رمانة على الريق أنارت قلبه أربعين يوماً)!! ما هذه الرمانة العجيبة التي تؤثر كل هذا التأثير؟!

وروى الكليني أيضاً بسند موثق كالصحيح عند المجلسي في (مرآة العقول ٢٢/١٩٨) عن الإمام جعفر الصادق أنه قال: (من أكل سفرجلة أنطق الله عز وجل الحكمة على لسانه أربعين صباحاً)!! فلو جمعت بين أكل سفرجلة ورمانة فحتماً ستكون من أهل الجنة!

لا بد من التمييز بين الصحبة اللغوية والصحبة الشرعية

لقد استغل أعداء أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم خلط كثير من الناس بين مفهوم الصحبة والصاحب في اللغة وبين إطلاقه الشرعي، بحيث أظهر الطاعن في الصحابة نفسه بمظهر الناصح الأمين المشفق على دين الله تعالى كما قال الله تعالى حاكياً عن الشيطان وهو يحاول جاهداً إقناع آدم عليه السلام بالأكل من الشجرة بحجة أنه ناصح أمين له ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِينٌ النَّصِيحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١]، مسوح الضأن على قلوب الثعالب!

ولهذا وجب على المتصدّي لهذه الحملة الشرسة على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقف عند هذه المسألة لتحرير القول فيها قبل الخوض فيما يليها.

ولهذا أقول وبالله التوفيق: إنّ الصحبة في اللغة واسعة النطاق، تشمل الصحبة الحقيقية من ملازمة ومصاحبة وتشمل كذلك الصحبة المجازية التي قد تُطلق مثلاً على من تمذهب بمذهب معين كقول القائل (أصحاب الشافعي، أصحاب أحمد...) وكقول المجتهدين من العلماء عن نظرائهم من علماء المذهب ذاته الذين سبقوهم بقرون (قال أصحابنا)، وقد تُطلق ويُراد بها المعية فيقال (فلان بصحبة فلان) أي بمعيته.

وقد تُستخدم في الإضافة كأن يُقال (صاحب مال، صاحب علم...)، وقد تُطلق ويُراد بها القائم على الشيء كنحو قول الله عز وجل ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ [المدثر: ٣١] أي وما جعلنا القائمين على النار إلا ملائكة.

ونظراً لهذا الاتساع في المعنى اللغوي للصحبة جاز أن تُطلق الصحبة اللغوية على الصحبة الحسنة والسيئة والحقيقية والمجازية والكثيرة واليسيرة.

فأطلقت الصحبة اللغوية على صحبة المؤمن للكافر والعكس كقوله تعالى ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٧] وقوله تعالى ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: ٣٤].

ويجوز في اللغة إطلاق لفظ (الصحبة) على المنافقين كقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قصة المنافق عبد الله بن أبي بن سلول عندما طلب الصحابة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يقتله فلم يقبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكر لهم السبب وهو (حتى لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه)^(١)، وعبد الله بن أبي لا يعتبر صحابياً لأنه منافق، لكن أطلق عليه لفظ الصحبة هنا لأمرين:

الأول: إطلاق لغوي والإطلاق اللغوي لا يُعتبر فيه الإيمان من النفاق

الثاني وهو الأهم: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (حتى لا يتحدث الناس) والناس المشار إليهم هنا هم فئة مقابلة للصحابة، والقرآن الكريم حينما يخاطب أهل الإيمان كان يخاطبهم بقوله ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وحينما كان يوجه الكلام للكفار أو للناس مؤمنهم وكافرهم كان خطابه ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾، والكفار هم أكثر الناس حرصاً على الطعن في رسول الله

١- نص الحديث كما رواه البخاري ومسلم وغيرهما أن جابراً رضي الله عنه قال ثم كنا في غزاة قال سفيان مرة في جيش فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما بال دعوى الجاهلية، قالوا: يا رسول الله، كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: دعوها فإنها متنتة، فسمع بذلك عبد الله بن أبي فقال: فعلوها، أما والله لئن رجعتنا إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقام عمر فقال: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه.

ودعوته ولذلك حينما يقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله بن أبي، فلن يقول الكفار بأنه قد قتل منافقاً يستحق القتل بل سيُقال (إنَّ محمداً يقتل أصحابه) حتى يصدون الناس عن قبول هذه الدعوة ومن الالتفاف حول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ويجوز في اللغة إطلاق الصحبة على العدو كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، قلت - والكلام هنا لأبي بكر رضي الله عنه - : يا رسول الله! هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصاً على قتل صاحبه)^(١).

ويجوز إطلاق الصحبة في اللغة على من التقيت به مرة واحدة كقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا أو يقول أحدهما لصاحبه: اختر)^(٢)، فسمى المشتري صاحب مع أنه قد يلتقي مرة واحدة مع البائع ويشترى منه السلعة.

ويجوز في اللغة إطلاق لفظة (الصحبة) على من لا يعرف صاحبه ولم يلتق به يوماً كما في حديث عبد الرحمن بن عوف أنه قال: (بيننا أنا واقف في الصف يوم بدر، نظرت عن يميني وشمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار، حديثه أسنانها، تمنيت لو كنت بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما، فقال: يا عم! هل تعرف أبا جهل؟ قال: قلت: نعم، وما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والذي نفسي بيده! لئن رأيته لا يُفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، قال: فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر فقال مثلها، قال: فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يزول في الناس، فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألان عنه، قال: فابتدراه، فضرباه بسيفيهما حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبراه، فقال:

١- رواه البخاري - كتاب الإيمان - باب ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ - حديث رقم

٢- رواه البخاري - كتاب البيوع - باب (إذا لم يُوقَّ الخيار، هل يجوز البيع؟) - حديث رقم (٢١٠٩)

أيكما قتله، فقال كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال: هل مسحتما سيفيكما، قالا: لا، فنظر في السيفين، فقال: كلاكما قتله، وقضى بسلبه..^(١).

ولهذا لا يُعرف للصحبة اللغوية ضابط، ولو كان الصحابي يُعرف بالصحبة اللغوية لكنا نحن صحابة أيضاً إذ لا يُشترط في اللغة دائماً المصاحبة ولا اللقاء كما في حديث عبد الرحمن بن عوف السابق، وكان من التقى برسول الله من اليهود والنصارى والمنافقين والمشركين صحابة أيضاً، لأن الصحبة اللغوية لا تشترط الايمان^(٢).

١- رواه البخاري - كتاب فرض الخمس - باب (من لم يُجَمِّس الأسلاب) - حديث رقم (٣١٤١)، ورواه مسلم - كتاب الجهاد - باب (استحقاق القاتل سلب القاتل) - حديث رقم (١٧٥٢) واللفظ لمسلم.

٢- أمر آخر لا بد من الإشارة له وهو أن الاستناد إلى اللغة في الحكم على العقائد والعبادات مع تجاهل حقائقها الشرعية ليس بسديد، تصور لو أن رجلاً أنكر الزكاة زاعماً أن الزكاة تعني النماء ولا تعني الحق المالي المخصوص الذي يخرج المسلم عند اكتمال النصاب وحلول الحول، وينكر الصلاة (العبادة المخصوصة) قائلاً بأن الصلاة في اللغة تعني الدعاء، وعلى هذا المنهج يسير من حكم على صحبة الرسول وصحابته من خلال التعريف اللغوي مهملًا التعريف الشرعي.

هل في الصحابة منافقون؟

لا أدري كيف يمكن أن ينسب الشيعة الاثنا عشرية النفاق إلى صحابة رسول الله هكذا بكل سهولة وهم يقرأون قول الله تعالى في محكم كتابه العزيز عن المنافقين مخاطباً الصحابة ﴿وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِمَّا كَذَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ لَمَّا نَسُوا مَا وَعُودُوا وَاللَّهُ عَسِيقٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا عَسَىٰ أَن يَكُونَ صَافًى﴾ [التوبة: ٥٦]!

قضية حسمها القرآن بكل وضوح، لكننا لا نزال نجادل فيها وناقشها.

ولذا تقرر عند العلماء أن الصحابي هو من لقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مؤمناً ومات على الإيمان، أما المنافقون والمرتدون فلا يُعدون من الصحابة ولا كرامة، وقد يجوز إطلاق عليهم لفظ (الصحبة اللغوية) دون (الصحبة الشرعية) كنعو قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن عبد الله بن أبي المنافق: (حتى لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه)^١ مع علمه أنه منافق منس بين صفوف المسلمين.

ومن الجهل بمكان أن يدعي أحدهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يعدّ عبد الله بن أبي المنافق صاحباً له، فأنت الذي لا تُقارن برسول الله إيماناً وورعاً وتقوى تتورع أن تعتبر المنافق صاحباً لك فكيف تنسب ذلك إلى خير الخلق وأورعهم وأتقاهم لله؟!

فتبين من ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أراد الصحبة اللغوية التي تعارف عليها الناس مؤمنهم وكافرهم دون الصحبة الشرعية التي علمناها من الشرع.

١- أشرت تحت عنوان (الصحبة اللغوية والشرعية) إلى نص الحديث كاملاً فليراجع.

وقد أخبر المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أن هناك منافقين مندسون بين الجماعة المسلمة فقال: (في أصحابي اثنا عشر منافقاً، فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة)^(١).

أما الشيعة الاثنا عشرية فوجهوا السهام نحو جماهير الصحابة فحكموا عليهم بالردة والضلال والانقلاب على الأعقاب واستثنوا افراداً قليل منهم لم ينقضوا العهد.

وهؤلاء الذين تمتدحهم الشيعة الاثنا عشرية لا يقلون عن ثلاثة ولا يتجاوزون السبعة كما

بينت الروايات الشيعية:

فقد روى الكليني في الكافي - وهو أهم مراجع الحديث عند الشيعة الاثني عشرية الإمامية - عن حمران بن أعين قال (قلت لأبي جعفر عليه السلام جعلت فداك ما أقلنا لو اجتمعنا على شاة ما أفينهاها؟ قال: ألا أحدثك بأعجب من ذلك، المهاجرون والأنصار ذهبوا إلا - وأشار بيده ثلاثة)^(٢) وهؤلاء الثلاثة هم المقداد بن الأسود وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي كما بينت رواية الكشي في رجاله (عن حنان بن سدير عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان الناس أهل الردة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا ثلاثة، فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي)^(٣).

وهناك نصوص أخرى تشير إلى أن هؤلاء الثلاثة لحق بهم أربعة آخرون ليصل عدد المؤمنين في عصر الصحابة عند الشيعة الاثني عشرية إلى سبعة، ولكنهم لم يتجاوزوا هذا العدد، وهذا ما تتحدث عنه الروايات الشيعية حيث تقول (عن الحارث بن المغيرة النصري، قال: سمعت عبد

١- رواه مسلم - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - باب صفات المنافقين - حديث رقم (٢٧٧٩)

٢- الكافي ٢/ ٢٤٤ (باب في قلة عدد المؤمنين) - حديث رقم (٦)

٣- رجال الكشي ص ٦٧ ترجمة (سلمان الفارسي) - رواية (١٢)، الكافي ٨/ ٢٤٥ - حديث رقم (٣٤١)

الملك بن أعين يسأل أبا عبد الله عليه السلام فلم يزل يسأله حتى قال له: فهلك الناس إذا^(١)؟ فقال: إي والله يا ابن أعين هلك الناس أجمعون، قلت: من في الشرق ومن في الغرب؟ قال: فقال: إنها فتحت على الضلال إي والله هلكوا إلا ثلاثة، ثم لحق أبو ساسان^(٢)، وعمار^(٣)، وشتيرة^(٤)، وأبو عمرة^(٥)، فصاروا سبعة^(٦).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: كان الناس أهل ردة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا ثلاثة فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي رحمة الله وبركاته عليهم، ثم عرف أناس بعد يسير، وقال: هؤلاء الذين دارت عليهم الرحا وأبوا أن يبايعوا حتى جاؤوا بأمر المؤمنين عليه السلام مكرهاً فبايع ذلك قول الله تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَا يَنْتَفِعُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ وَأُولِي الْأَرْبَابِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ يَكْفُرُونَ﴾^(٧).

١- أي: بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ومبايعة الناس لأبي بكر

٢- أبو ساسان اسمه الحصين ابن المنذر

٣- عمار بن ياسر

٤- قال الأردبيلي في جامع الرواة ١/ ٣٩٨: (شتيرة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام)

٥- قال الأردبيلي في جامع الرواة ٢/ ٤٠٨: (أبو عمرة الأنصاري من الأصفياء من أصحاب أمير المؤمنين، اسمه ثعلبة بن عمرو)

٦- رجال الكشي ص ٦٨ ترجمة (سلمان الفارسي) - رواية رقم (١٤)

٧- الكافي ٨/ ٢٤٥ حديث رقم (٣٤١)، قال المجلسي- في مرآة العقول ٢٦/ ٢١٣-٢١٤: حديث حسن أو

موثق، وتفسير العياشي ١/ ١٩٩ حديث رقم (١٤٨) وبحار الأنوار ٢٢/ ٣٣٣ حديث رقم (٤٥)

فكان كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أهل الردة غير (المقداد وسلمان الفارسي وأبو ذر) ثم أناب إلى الله بعد ذلك (أبو ساسان ثم عمار وشتيرة وأبو عمرة) فصاروا سبعة!

وتؤكد جملة من النصوص الشيعية على أن العدد لم يزد على ذلك لفترة من الزمان، قال أبو جعفر: (وكانوا سبعة، فلم يكن يعرف حق أمير المؤمنين عليه السلام إلا هؤلاء السبعة)^(١)، وكان أبو عبد الله يُقسم على ذلك فيقول (فوالله ما وفي بها إلا سبعة نفر)^(٢). غير أن هؤلاء السبعة أو قل الأربعة الأبرز فيهم (المقداد وسلمان وعمار وأبو ذر) لم يسلموا من الانتقاص المبطن.

فعن عمرو بن ثابت قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما قبض ارتد الناس على أعقابهم كفاراً إلا ثلاثة: سلمان والمقداد وأبو ذر الغفاري، إنه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاء أربعون رجلاً إلى علي بن أبي طالب (ع) فقالوا: لا والله لا نعطي أحداً طاعة بعدك أبداً، قال: ولم قالوا إنا سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيك يوم غدِير، قال: وتفعلون؟ قالوا: نعم، قال: فأتوني غداً محلّقين، قال: فما أتاه إلا هؤلاء الثلاثة، قال: وجاءه عمار بن ياسر بعد الظهر فضرب يده على صدره ثم قال له: ما آن لك أن تستيقظ من نومة الغفلة ارجعوا فلا حاجة لي فيكم، أنتم لم تطيعوني في حلق الرأس فكيف تطيعوني في قتال جبال الحديد، ارجعوا فلا حاجة لي فيكم^(٣).

وعن ابن عيسى يرفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: إن سلمان كان منه إلى ارتفاع النهار فعاقبه الله أو وجىء في عنقه حتى صيرت كهية السلعة حمراء، وأبو ذر كان منه إلى وقت الظهر

١- رجال الكشي ص ٧٣ (ترجمة سلمان الفارسي) - رواية (٢٤)

٢- قرب الإسناد للحميري ص ٣٨، بحار الأنوار ٢٢/٣٢٢، الاختصاص للمفيد ص ٦٣

٣- الاختصاص ص ٦ وبحار الأنوار ٢٨/٢٥٩ س

فعاقيه الله إلى أن سلط عليه عثمان حتى حمّله على قتب وأكل لحم ألبتته وطرده عن جوار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأما الذي لم يتغير منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى فارق الدنيا طرفة عين فالمقداد بن الأسود، لم يزل قائماً قابضاً على قائم السيف عيناه في عيني أمير المؤمنين (ع) ينتظر متى يأمره فيمضي^(١).

بل لم يكن التعامل بين هؤلاء النفر على نمط الأخوة المعتادة بين أهل الإيمان الواحد. ففي رجال الكشي (قال أمير المؤمنين: يا أبا ذر، إنّ سلمان لو حدثك بما يعلم لقلت رحم الله قاتل سلمان)^(٢).

وعن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يا سلمان لو عرض علمك على مقداد لكفر، يا مقداد لو عرض علمك على سلمان لكفر)^(٣).

وهو تعامل قائم على أساس التقية والكتمان لا على أساس المصارحة والوضوح، فعن جعفر عن أبيه عليه السلام قال: ذكرت التقية يوماً عند علي عليه السلام فقال: إن علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله، وقد آخى رسول الله بينهما فما ظنك بسائر الخلق)^(٤) فحتى تلك الفئة المؤمنة والتي لا تتعدى سبعة نفر تتناكر قلوبها وتتعامل بالتقية مع بعضها البعض.

ثم لحق بركب هذه الفئة من المرتدين التائبين آخرون ذكرهم الكشي نقلاً عن الفضل بن شاذان فقال: (إنّ من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام أبو الهيثم بن التيهان وأبو أيوب وخزيمة بن ثابت وجابر بن عبد الله وزيد بن أرقم وأبو سعيد الخدري وسهل بن حنيف والبراء

١- الاختصاص ص ٩ وبحار الأنوار ٢٨/٢٥٩

٢- رجال الكشي ص ٧٧ (ترجمة سلمان الفارسي) - رواية رقم (٣٣)

٣- رجال الكشي ص ٧٢ (ترجمة سلمان الفارسي) - رواية رقم (٢٣)

٤- رجال الكشي ص ٧٩ (ترجمة سلمان الفارسي) - رواية رقم (٤٠)

بن مالك وعثمان بن حنيف وعبادة بن الصامت ثم ممن دونهم قيس بن سعد بن عبادة وعدي بن حاتم وعمرو بن الحمق وعمران بن الحصين وبريدة الأسلمي وبشر بن كثير^(١).

فوفقاً لهذه الروايات يتضح للقارئ أنّ الصحابة المؤمنين في اعتقاد الشيعة الاثني عشرية - في بداية الأمر - إنما هم ثلاثة (المقداد وسلمان وأبو ذر) والبقية مرتدون أناب بعضهم وتابوا إلى الله فصاروا بعد ذلك في قسم الممدوحين المرضي عنهم (الصحابة المؤمنين)!

هذه حقيقة لا يعرفها كثير من عامة الشيعة الاثني عشرية وقد لمست هذا من خلال مناقشتي لكثير منهم... يردد بعضهم اسم خزيمة بن ثابت وعماراً وأصحاب بدر الذين قاتلوا مع الإمام علي في صفين دون أن يدري أنّ هؤلاء جميعاً وفقاً لمرويات الشيعة الاثني عشرية كانوا أهل ردة مع باقي الصحابة ثم تابوا وأنابوا ورجعوا إلى الإمام بعد ذلك وأنّ منهم من تأخرت توبته حتى موقعة صفين!

أي أنه كان على الردة طول فترة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان!

ومن هؤلاء الصحابي خزيمة بن ثابت (ذو الشهادتين) الذي يفتخر به الشيعة الاثنا عشرية عادة.

ذكر عباس القمي في كتابه (منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل) عن البهائي في (الكامل) قوله أنّ خزيمة بن ثابت وأبا الهيثم الأنصاريين كان جديين في نصرته أمير المؤمنين عليه السلام في يوم صفين، وأنه عليه السلام قال: مع أنّها خذلاني في أول أمرهما غير أنّها تابا أخيراً وعرفا سوء ما فعلا!^(٢).

١- رجال الكشي ص ١٠٧ (ترجمة حذيفة وعبد الله بن مسعود) - رواية رقم (٧٨)

٢- منتهى الآمال ص ١٧٣

أما إذا أردنا أن نرى القسم الآخر من الصحابة وهم الذين يعتبرون عند الشيعة الاثني عشرية منافقين أو أرباب مصالح، فتحت هذا القسم يدخل جميع صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باستثناء السبعة الذين أشارت إليهم الروايات.

وهذه الحقيقة لم أكتشفها لوحدي بل قررها علماء الشيعة الاثني عشرية منذ زمن لكن عباراتهم لا تكاد تُذكر للناس حتى يعلموا الحقيقة الغائبة ويُدركوا أي ظلم ظلمه المذهب لأصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

يقول يوسف البحراني في كتابه (الشهاب الثاقب في معنى الناصب) بكل صراحة ووضوح: (ويدل على ما قلناه من هذا التفصيل ما سيأتيك في الأخبار بالنسبة إلى أصحاب الصدر الأول أنهم أصحاب ردة، وأنهم لم ينج منهم إلا القليل، ثم رجع بعض الناس بعد ذلك شيئاً فشيئاً)^(١).

ويقول آية الله العظمى محمد الوحيدي في كتابه إحقاق عقائد الشيعة: (إن حديث ارتداد الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الأحاديث المتواترة، ووجهه أن إنكار ضروري الدين والمذهب يوجب الارتداد، فلما كانت الإمامة والخلافة أصلاً من أصول الدين، ومما آتاه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بالقطع فمن ردّ على الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأنكر ما جاء به يكون مرتداً بإجماع المسلمين. وهذا معنى ارتداد الناس بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلا الثلاثة المذكورة (سلمان وأبوذر والمقداد))^(٢).

والعجب كل العجب في ما قاله عبد الحسين شرف الدين الموسوي في كتابه (الفصول المهمة) عن نظرة الشيعة الإمامية الاثني عشرية للصحابة حيث يقول بكل بساطة ودون أدنى اكتراث لهذه

١- الشهاب الثاقب ص ٦٣ (الفائدة الأولى)

٢- إحقاق عقائد الشيعة ص ١٠٨

الروايات: (رأي الإمامية في هذه المسألة أوسط الآراء!!، إذ لم يفرطوا تفریط الغلاة، ولا أفرطوا إفراط الجمهور)^(١)، فبالله عليك، إذا كانت هذه هي الوسطية فكيف يكون الجور والبهتان؟! ولك أن تتساءل: إذا كان صحابة رسول الله بهذا المستوى بحيث تكون الخيرة في قلة منهم بينما الكثرة الغالبة أرباب مصالح أو منافقون، فعن أي صحابة كان يتكلم القرآن ويمتدحهم غير مرة؟!؟

لا أظن أحداً سيغالط العقل والمنطق فيدعي أنّ القرآن كان يمتدح تلك القلة القليلة التي لا تتجاوز السبعة فحسب.

لأنّ مجتمعاً فاسداً منقلباً على عقبيه يوجد به قلة صالحة لا يُحكّم عليه كله بالخير ولا الصلاح ولا الفلاح، فكيف يتحدث القرآن عن الصحابة واصفاً إياهم بالصلاح والفلاح ومبشراً لهم بالجنة وهم بهذا المستوى؟!؟

فها هم أصحاب السبت (اليهود) الذين ذكروهم القرآن كان فيهم الصالح وفيهم المصلح وهم الأقلية، ومع ذلك أتاهم العذاب فنجا الله المصلحين منهم ومسخ الأثرية الفاسدة وحكم على مجتمعهم بالفساد والخيبة واللعنة إلى يوم الدين.

فقال عز من قائل ﴿فَتَرُدُّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ [النساء: ٤٧]. ولك أن تتساءل أيها القارئ... إن كان أهل النفاق بهذه الكثرة وهذه العدة، وكانت السطوة والكلمة لهم، فكيف انتشر الاسلام وكيف سقطت فارس والروم وفتح بيت المقدس؟ ثم ما دام هؤلاء هم المنافقون فما لهم لم يتفقوا مع الكفار على القضاء على البقية الباقية التي لا يتجاوز عدد أفرادها عدد أصابع اليد الواحدة أو اليدين.

إنّ فئة المنافقين في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم تكن مجهولة في مجتمع المدينة بل كانت فئة مفضوحة مخزية علم بعضها بعينه وعُرف البعض الآخر منها بالأوصاف المذكورة في القرآن.

فضحهم الله عز وجل في سورتي (المنافقين، والتوبة) مبيناً حالهم ودسائسهم وما تكنه صدورهم تجاه رسول الله والمؤمنين، وقد سُميت سورة التوبة بالفاضحة والمدمدة لما أظهرته من صفاتهم ونواياهم وبما أظهرته من حال من قابلهم من المؤمنين.

ومن يقرأ الآيات من قوله تعالى ﴿لَا يَسْتَعِذُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (١١٠) إِنَّمَا يَسْتَعِذُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَبِّهِمْ يَزِدُّونَ ﴿١١١﴾ * وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿١١٢﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونُ هُم ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١١٣﴾ لَقَدْ ابْتَغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿١١٤﴾ وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَئِذْنَ لِي وَلَا تَفْتِنِّي ۗ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١١٥﴾ [التوبة: ٤٤ - ٤٩] فسيقف على صورة متكاملة لأهل النفاق يستطيع من خلالها أن يميز الخبيث من الطيب.

ويكفينا بياناً لهذا الفرق، كيف فضح الله عز وجل المنافقين أمام الخلائق وبين حقيقتهم للناس بعد ما كان مكرهم سراً وفي الخفاء وذلك في قوله تعالى ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ نُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ (١١٠) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَانِهِمْ ۗ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿١١١﴾ [محمد: ٢٩ - ٣٠].

والمنافقون معلومون بدليل أنهم بنوا مسجد الضرار فالمسجد معروف ومن بناه معروف. وقد جاء تأييداً لهذا المعنى في تفسير العياشي - وهو من كبار علماء الشيعة الاثني عشرية - تفسيراً لقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (١١٠) رواية سلام أنه قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فدخل عليه حمران بن أعين فسأله عن أشياء فلما هم حمران بالقيام قال

لأبي جعفر عليه السلام: أخبرنا أطلال الله بفاك وأمتعنا بك، إنا نأتيك فما نخرج من عندك حتى ترق قلوبنا وتسلو أنفسنا عن الدنيا وتهون علينا ما في أيدي الناس من هذه الأموال، ثم نخرج من عندك فإذا صرنا مع الناس والتجار أحببنا الدنيا؟ قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: إنما هي القلوب مرة يصعب عليها الأمر ومرة يسهل، ثم قال أبو جعفر عليه السلام: أما إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا: يا رسول الله تخاف علينا النفاق؟، قال: فقال لهم: ولم تخافون ذلك؟ قالوا: إنا إذا كنا عندك فذكرتنا رُوعنا ووجلنا ونسينا الدنيا وزهدنا فيها حتى كأننا نعاين الآخرة والجنة والنار ونحن عندك، فإذا خرجنا من عندك ودخلنا هذه البيوت وشممنا الأولاد ورأينا العيال والأهل والأولاد والمال يكاد أن نحول عن الحال التي كنا عليها عندك وحتى كأننا لم نكن على شيء، أفتخاف علينا أن يكون هذا النفاق؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كلا! هذا من خطوات الشيطان ليرغبنا في الدنيا، والله لو أنكم تدومون على الحال التي تكونون عليها وأنتم عندي في الحال التي وصفتم أنفسكم بها لصافحتكم الملائكة ومشيتم على الماء ولولا أنكم تذبون فتستغفرون الله لخلق الله خلقاً لكي يذنبوا ثم يستغفروا فيغفر لهم، إن المؤمن مفتن تواب أما تسمع لقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ مُجِبُّ التَّوْبِ﴾ [البقرة: ٢٢٢] وقال ﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣] ^(١).

لقد أبى الله عز وجل إلا أن يميز الخبيث من الطيب، وألا يترك الحقيقة معناه، فهو القائل في محكم كتابه ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

١- الكافي ٢/٤٢٣-٤٢٤ (باب في تنقل أحوال القلب) - حديث رقم (١)، حلية الأبرار ١/٣٨٢ (الباب

السادس والخمسون) - حديث رقم (٢٠)

يقول محمد جواد مغنية في تفسير هذه الآية: (اندس في صفوف المسلمين منافقون لمجرد الهدم والتخريب، وقد فرض سبحانه على النبي والمسلمين أن يعاملوا كل من نطق بكلمة الإسلام معاملة المسلمين، ومن أجل هذا حار رسول الله! وكيف يقبلهم وهم يفسدون ويعاكسون؟ فقال سبحانه للنبي وللمسلمين: مهلاً، سأسلط عليهم الأضواء حتى يفتضحوا أمام الناس، ولا يبقى لهم منفذ للكيد والإفساد)^(١).

ويتجلى هذا الافتضاح بما يجريه الله عز وجل من البلاء الشديد حتى تظهر صورهم الحقيقية وتتكشف أمام المؤمنين، قال تعالى ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٦].

و (المراد بالفتنة هنا افتضاح المنافقين على الملأ، وإظهار حقيقتهم لدى الجميع، وذلك بأن الله سبحانه كان يخبر نبيه الأكرم بما يبيتون ويمكرون، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بدوره يعاتبهم ويفضحهم، وقد تكرر هذا في كل عام مرة أو أكثر)^(٢).

يقول الحافظ ابن كثير: (وإنما نزلت صفات المنافقين في السور المدنية، لأن مكة لم يكن فيها نفاق بل كان خلافه من الناس من كان يظهر الكفر مستكراً وهو في الباطن مؤمن، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة وكان بها الأنصار من الأوس والخزرج، وكانوا في جاهليتهم يعبدون الأصنام على طريقة مشركي العرب، وبها اليهود من أهل الكتاب على طريقة أسلافهم وكانوا ثلاث قبائل بنو قينقاع حلفاء الخزرج وبنو النضير حلفاء الأوس وبنو قريظة، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة وأسلم من أسلم من الأنصار من قبيلتي الأوس والخزرج وقل من أسلم من اليهود إلا عبد الله بن سلام رضي الله عنه ولم يكن إذ ذاك نفاق أيضاً لأنه لم يكن للمسلمين بعد شوكة تُخاف، بل قد كان صلى الله عليه وآله وسلم وادع اليهود وقبائل

١- التفسير المبين (سورة آل عمران آية ١٧٩) ص ٧٨

٢- التفسير المبين (سورة التوبة آية ١٢٦) ص ٢١٢

كثيرة من أحياء العرب حوالي المدينة، فلما كانت وقعة بدر وأظهر الله كلمته وأعز الإسلام وأهله، قال عبد الله بن أبي بن سلول وكان رأساً في المدينة وهو من الخزرج، وكان سيد الطائفتين في الجاهلية، وكانوا قد عزموا على أن يملكوه عليهم فجاءهم الخير وأسلموا واشتغلوا عنه فبقي في نفسه من الإسلام وأهله، فلما كانت وقعة بدر قال: هذا أمر الله قد توجه، فأظهر الدخول في الإسلام، ودخل معه طوائف ممن هو على طريقته ونحلته وآخرون من أهل الكتاب فمن ثم وجد النفاق في أهل المدينة ومن حولها من الأعراب، فأما المهاجرون فلم يكن فيهم أحد نافق لأنه لم يكن أحد يهاجر مكرهاً بل يهاجر فيترك ماله وولده وأرضه رغبة فيما عند الله في الدار الآخرة^(١).

وإن من المعلوم بالاضطرار والمتواتر من الأخبار أن المهاجرين هاجروا من مكة وغيرها إلى المدينة، وهاجر طائفة منهم كعمر وعثمان وجعفر بن أبي طالب هجرتين: هجرة إلى الحبشة، وهجرة إلى المدينة، وكان الإسلام إذ ذاك قليلاً والكفار مستولون على عامة الأرض، وكانوا يؤذون بمكة ويلقون من أقاربهم وغيرهم من المشركين من الأذى ما لا يعلمه إلا الله، وهم صابرون على الأذى، متجرعون لمرارة البلوى، وفارقوا الأوطان، وهجروا الخلان لمحبة الله ورسوله والجهاد في سبيله كما وصفهم الله تعالى بقوله ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

وهذا كله فعلوه طوعاً واختياراً من تلقاء أنفسهم، لم يكرههم عليه مكره، ولا ألجأهم إليه أحد، فإنه لم يكن للإسلام إذ ذاك من القوة ما يُكره به أحد على الإسلام، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ ذاك - هو ومن اتبعه - منهيين عن القتال، مأمورين بالصفح والصبر، فلم يسلم أحد إلا باختياره، ولا هاجر أحد إلا باختياره.

ولهذا قال أحمد بن حنبل وغيره من العلماء: إنه لم يكن من المهاجرين من نافع، وإنما كان النفاق في قبائل الأنصار لما ظهر الإسلام بالمدينة، ودخل فيه قبائل الأوس والخزرج، ولما صار للمسلمين دار يمتنعون بها ويقاتلون دخل في الإسلام من أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب من دخل خوفاً وتقية، وكانوا منافقين.

كما قال تعالى ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ۗ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَىٰ الْيَفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۗ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۗ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة: ١٠١].

ولهذا إنما ذكر النفاق في السور المدنية، وأما السور المكية فلا ذكر فيها للمنافقين، فإن من أسلم قبل الهجرة بمكة لم يكن فيهم منافق، والذين هاجروا لم يكن فيهم منافق، بل كانوا مؤمنين بالله ورسوله، محبين لله ولرسوله، وكان الله ورسوله أحب إليهم من أنفسهم وأولادهم وأهلهم وأموالهم.

وإذا كان كذلك علم أن رميهم - أو رمي أكثرهم أو بعضهم - بالنفاق، كما يقوله من يقوله من الشيعة الاثني عشرية الإمامية من أعظم البهتان، وكذلك دعواهم عليهم الردة من أعظم الأقوال بهتاناً، فإن المرتد إنما يرتد لشبهة أو شهوة، ومعلوم أن الشبهات والشهوات في أوائل الإسلام كانت أقوى، فمن كان إيمانهم مثل الجبال في حال ضعف الإسلام، كيف يكون إيمانهم بعد ظهور آياته وانتشار أعلامه؟!

وأما الشهوة: فسواء كانت شهوة رياسة أو مال أو نكاح أو غير ذلك، كانت في أول الإسلام أولى بالاتباع، فمن خرجوا من ديارهم وأموالهم، وتركوا ما كانوا عليه من الشرف والعز حياءً لله ورسوله، طوعاً غير إكراه، كيف يعادون الله ورسوله طلباً للشرف والمال؟!

ثم هم في حال قدرتهم على المعادة، وقيام المقتضى للمعادة، لم يكونوا معادين لله ورسوله، بل موالين لله ورسوله، معادين لمن عادى الله ورسوله، فحين قوى المقتضى للموالاتة، وضعفت القدرة على المعادة، يفعلون نقيض هذا؟! هل يظن هذا إلا من هو من أعظم الناس ضللاً؟
وذلك أن الفعل إذا حصل معه كمال القدرة عليه، وكمال الإرادة له وجب وجوده، وهم في أول الإسلام كان المقتضى لإرادة معادة الرسول أقوى، لكثرة أعدائه وقلة أوليائه، وعدم ظهور دينه، وكانت قدرة من يعاديه باليد واللسان حينئذ أقوى، حتى كان يعاديه آحاد الناس، ويباشرون أذاه بالأيدي والألسن.

ولما ظهر الإسلام وانتشر، كان المقتضى للمعادة أضعف، والقدرة عليها أضعف، ومن المعلوم أن من ترك المعادة أولاً، ثم عاداه ثانياً لم يكن إلا لتغير إرادته أو قدرته.
ومعلوم أن القدرة على المعادة كانت أولاً أقوى، والموجب لإرادة المعادة كان أولاً أولى، ولم يتجدد عندهم ما يوجب تغير إرادتهم ولا قدرتهم، فعلم علماً يقيناً أن القوم لم يتجدد عندهم ما يوجب الردة عن دينهم البتة، والذين ارتدوا بعد موته إنما كانوا ممن أسلم بالسيف، كأصحاب مسيلمة وأهل نجد، فأما المهاجرون الذين أسلموا طوعاً فلم يرتد منهم - والله الحمد - أحد^(١).

عدالة الصحابة

عندما نتكلم عن مفهوم (العدالة) في حق صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإننا أمام نوعين من العدالة، لا بد من تأملهما جيداً.

النوع الأول: عدالة الرواية، والثاني: عدالة السيرة.

فأما النوع الأول وهو (عدالة الرواية) فهو المعنى عند أهل السنة والجماعة بمصطلح (عدالة الصحابة) لا غيره، وفي هذا يقول اللكنوي رحمه الله: (وقد تُطلق العدالة على التجنب عن تعمد الكذب في الرواية والانحراف فيها بارتكاب ما يوجب عدم قبولها، وهذا المعنى هو مراد المحدثين من قولهم: الصحابة عدول).

فقد قال السخاوي في فتح المغيث: قال ابن الأنباري: ليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم واستحالة المعصية منهم، وإنما المراد قبول رواياتهم من غير تكلف البحث عن أسباب العدالة وطلب التزكية إلا أن يثبت ارتكاب قاذح ولم يثبت ذلك. انتهى.

وقال العلامة الدهلوي مؤلف (التحفة الاثنا عشرية) وغيرها: في بعض إفاداته: إنَّ ما تقرر في عقائد أهل السنة أنَّ الصحابة كلهم عدول قد تكرر ذكره غير مرة، ووقع في البحث والتفتيش عن معناه حضرة الوالد المرحوم^(١) فتنقح بعد البحث أنَّ المراد بالعدالة في هذه الجملة ليس معناها المتعارف بل المراد العدالة في رواية الحديث لا غير، وحقيقتها التجنب عن تعمد الكذب في الرواية والانحراف فيها، ولقد تتبعنا سيرة الصحابة كلهم حتى من دخل منهم في الفتنة والمشاجرات،

١- ولي الله الدهلوي مؤلف كتاب (حجة الله البالغة)

فوجدناهم يعتقدون الكذب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أشد الذنوب، ويحترزون عنه غاية الاحتراز كما لا يخفى على أهل السير^(١).

قال العلامة المعلمي في رسالته (الاستبصار في نقد الأخبار ص ١٦): (وقد كان العرب يتحاشون من الكذب، وتأكد ذلك فيمن أسلم، وكان أحدهم وإن رق دينه لا يبلغ به أن يجترأ على الكذب على الله ورسوله، وكانوا يرون أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متوافرون، وأنه إن اجترأ أحد على الكذب افتضح.

ولو قال قائل: إن الله تبارك وتعالى منع القوم من تعمد الكذب على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بمقتضى ضمانه بحفظ دينه ولا سيما مع إخباره بعدالتهم لما أبعده.

ومن تدبر الأحاديث المروية عمن يمكن أن يتكلم فيه من الطلقاء ونحوهم ظهر له صدق القوم، فإن المروي عن هؤلاء قليل، ولا تكاد تجد حديثاً يصح عن أحد منهم إلا وقد صح بلفظه أو معناه عن غيره من المهاجرين والأنصار، وقد كانت بين القوم إحن بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلو استساغ أحد منهم الكذب لاختلق أحاديث تقتضي ذم خصمه، ولم نجد من هذا شيئاً صحيحاً صريحاً.

وفوق هذا كله فأهل السنة لم يدعوا عصمة القوم، بل غاية ما ادعوه أنه ثبت لهم أصل العدالة ثم لم يثبت ما يزيلها، والمخالف يزعم أنه قد ثبت عنده في حق بعضهم ما يزيل العدالة فانحصر الخلاف في تلك الأمور التي زعمها، فإذا أثبت أهل السنة أنها لم تصح وأن ما صح منها لا يقتضي زوال العدالة استتب الأمر.

فأما من ثبتت شهادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم له بالمغفرة والجنة فقد تضمن ذلك تعديلهم أولاً وآخراً، والله الموفق).

١- ظفر الأمانى في مختصر الجرجاني للكنوي ص ٥٠٦-٥٠٧

أقول: ولهذا النوع من العدالة شاهد من كلام أهل البيت في كتب الشيعة الاثني عشرية يتجاهله المتجاسرون على الصحابة عن قصد أو جهل لما فيه من الدلالة على ما ذكرناه.

فقد روى الكليني في الكافي عن منصور بن حازم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما بالي أسألك عن المسألة فتجيبني فيها بالجواب ثم يبيئك غيري فتجيبه فيها بجواب آخر؟ فقال: إنا نجيب الناس على الزيادة والنقصان، قال: قلت: فأخبرني عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صدقوا على محمد أم كذبوا؟ قال: بل صدقوا، قال: قلت فما بالهم اختلفوا؟ فقال: أما تعلم أنّ الرجل كان يأتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيسأله عن المسألة فيجيبه فيها بالجواب ثم يجيبه بعد ذلك ما ينسخ ذلك الجواب فنسخت الأحاديث بعضها بعضاً^(١).

فهذه شهادة صريحة تنقلها كتب الإمامية عن الإمام جعفر الصادق، ينص فيها على صدق الصحابة رضي الله عنهم وانتفاء الكذب عنهم، فمن ادّعى الانتساب إلى مذهب هذا الإمام فلا بد له أن يذعن لشهادته هذه وإلا كانت دعواه الانتساب لمذهبه كذباً محضاً.

والحقيقة أنه لم ينقل عن الإمام جعفر الصادق - في كتب الإمامية - في الشهادة بعدالة الصحابة هذه الرواية فحسب، فمن الروايات الحاكمة بعدالة صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً ما رواه ابن بابويه القمي الملقب بـ(الصدوق) عن الإمام جعفر الصادق أنه قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس بمنى في حجة الوداع في مسجد الخيف فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، ثم بلغها إلى من لم يسمعها فربّ حامل فقه غير فقيه وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغلّ عليهن قلب امرئ مسلم إخلاص العمل لله والنصيحة لأئمة المسلمين واللزوم لجماعتهم، فإنّ دعوتهم محيطة من ورائهم. المسلمون إخوة تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم^(٢).

١- الكافي ١/ ٦٥ (باب اختلاف الحديث) - حديث رقم (٣)

٢- الخصال ص ١٤٩-١٥٠ (ثلاث لا يغلّ عليهن قلب امرئ مسلم) حديث رقم (١٨٢)

فإن لم يكن الصحابة عدولاً، فكيف يأتهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على تبليغ كلامه إلى من لم يسمعه؟!

إن الشهادة لا يصلح لها إلا العدل، وإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد شهد لصحابته بهذا النص بأنهم أهل للنقل عنه دون قيد أو شرط.

هذا ما يخص (عدالة الرواية)، وبقي الحديث عن النوع الثاني من العدالة وهو (عدالة السيرة)^(١) فإنه يتطلب منا بعض الوقفات الهامة التي من شأنها أن توصل القارئ الكريم إلى حقيقة الأمر.

الوقفة الأولى:

إن الإيذان بأصالة عدالة الصحابة بمفهومها الثاني (عدالة السيرة) مرده إلى ثناء الله تعالى ونبيه صلى الله عليه وآله وسلم على الصحابة الكرام.

فقد قال الله تعالى فيهم ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال عز من قائل ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِمَّنْ أَثَرَ السُّجُودِ ذَلِكَ

١- إن أعدل الأقوال في تعريف العدالة وأنسبها هو القول بأنها (عدم الفسق) وقد سألت العلامة محمد الحسن ولد ددو الشنقيطي عن أصح تعاريف العدالة فأكد لي أن أصحها هو ما ذكرته آنفاً.

وإليه ذهب الإمام الشافعي حيث يقول: (لو كان العدل من لا ذنب له لم نجد عدلاً، ولو كان كل مذنب عدلاً لم نجد مجروحاً، ولكن العدل من اجتنب الكبائر؛ وكانت محاسنه أكثر من مساويه) (الروض الباسم

في الذب عن سنة أبي القاسم) لابن الوزير البيهقي ٢٨/١

وقريب منه تعريف الشيخ المفيد - وهو من كبار علماء الشيعة الإثني عشرية - للعدالة الذي يقول في (المقنعة ص ٧٢٥): (العدل من كان معروفاً بالدين والورع عن محارم الله تعالى).

مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ مَثَلُهمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزِعٍ أُخْرِجَ شَطَعُهُ فَأَزْرَهُ فَأَسْتَعْلَطَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال فيهم أيضاً ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ ﴿٧﴾ [الحجرات: ٧].

وبمثل هذا الثناء العطر جاءت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي بردة عن أبيه قال: صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي العشاء، قال: فجلسنا فخرج علينا، فقال: ما زلتُم ههنا؟ قلنا: يا رسول الله، صلينا معك المغرب، ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال: أحسنتم أو أصبتم، قال: فرفع رأسه إلى السماء وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء، فقال: النجوم أمانة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمانة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمانة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون^(١).

وورد الحديث ذاته من طريق الشيعة عن الإمام موسى الكاظم عن آبائه (ع) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (أنا أمانة لأصحابي، فإذا قبضت دنا من أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمانة لأمتي فإذا قبض أصحابي دنا من أمتي ما يوعدون، ولا يزال هذا الدين ظاهراً على الأديان كلها ما دام فيكم من قد رأي^(٢)).

١- رواه مسلم - كتاب فضائل الصحابة - باب (بيان أن بقاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمان لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان للأمة) - حديث رقم (٢٥٣١).

٢- بحار الأنوار للمجلسي ٢٢/٣٠٩-٣١٠ عن (نوادير الراوندي ص ٢٣).

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: سُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أي الناس خير؟ قال: قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تبدر^(١) شهادة أحدهم يمينه، وتبدر يمينه شهادته^(٢).

وبسبب ما تضمنته هذه الآيات والأحاديث وغيرها من الثناء على صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مطلقاً، تظافت الروايات عن أئمة أهل البيت في الثناء على الصحابة بما هم أهل له.

فهذا الإمام علي بن أبي طالب يذكر الصحابة فيثني عليهم قائلاً: «لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم فما أرى أحداً يشبههم منكم، لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً، وقد باتوا سجداً وقياماً، يراوحون بين جباههم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم ركب المعزى^(٣) من طول سجودهم، إذا ذُكِرَ الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف، خوفاً من العقاب ورجاء للثواب»^(٤).

وهذا هو حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن العباس رضي الله عنه يقول عن صحابة رسول الله ض: (إنَّ الله - جل ثناؤه وتقدست أسماؤه - خصَّ نبيه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم

١- أي تسبق

٢- رواه البخاري - كتاب الأيمان والنذور - باب (إذا قال: أشهد بالله أو شهدت بالله) - حديث رقم (٦٦٥٨) ورواه مسلم - كتاب فضائل الصحابة - باب (فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) - حديث رقم (٢٥٣٣) واللفظ لمسلم.

٣- جمع ركة موصل الساق من الرجل بالفخذ. وإنما خص ركب المعزى ليبوستها واضطرابها من كثرة الحركة، أي أنهم لطول سجودهم يطول سهودهم، وكأن بين أعينهم جسم خشن يدور فيها فيمنعهم عن النوم والاستراحة.

٤- نهج البلاغة ص ١٤٣ (ومن كلام له (ع) في وصف بني أمية وحال الناس في دولتهم).

بصحابة آثروه على الأنفس والأموال، وبذلوا النفوس دونه في كل حال، ووصفهم الله في كتابه فقال ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۗ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ۗ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَرَجٍ أَخْرَجَ شَطْرَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَعْطَفَ فَأَسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ ۗ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ [الفتح: ٢٩] قاموا بمعالم الدين وناصروا الاجتهاد للمسلمين حتى تهذبت طرقة وقويت أسبابه وظهرت آلاء الله، واستقر دينه ووضحت أعلامه، وأذل بهم الشرك، وأزال رؤوسه ومحاذعائه، وصارت كلمة الله العلياء، وكلمة الذين كفروا السفلى فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزكية، والأرواح الطاهرة العالية فقد كانوا في الحياة لله أولياء، وكانوا بعد الموت أحياء، وكانوا لعباد الله نصحاء، رحلوا إلى الآخرة قبل أن يصلوا إليها، وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها^(١).

فهذه الصفات التي وصفهم بها عبد الله بن عباس رضي الله عنه كلها مناقب وثناء حسن يذكرون به في الآخرين وقد كانوا رضي الله عنهم كما وصفهم، فقد خصهم الله تعالى وشرفهم بصحبة نبيه عليه الصلاة والسلام، وآثروه بأموالهم وأنفسهم، وأقاموا معالم الدين الإسلامي الحنيف، ونصحوا للأمم واجتهدوا في نشر الإسلام وتثبيت دعائمه حتى استقر في الأرض وأذل الله بهم الشرك وأهله وأزيلت رؤوسه، ومحيت دعائمه وأعلى الله بهم كلمته، ودحر بهم كلمة الباطل، وبذلك كانت نفوسهم زكية وأرواحهم طاهرة فكانوا أولياء لله في هذه الحياة الدنيا فرضوان الله عليهم أجمعين.

أما الإمام علي بن الحسين فكان يذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويدعو لهم في صلاته بالرحمة والمغفرة لنصرتهم سيد الخلق في نشر دعوة التوحيد وتبليغ رسالة الله إلى خلقه فيقول: (فاذكركم منكم بمغفرة ورضوان، اللهم وأصحاب محمد خاصة، الذين أحسنوا الصحبة، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره، وكانفوه وأسرعوا إلى وفادته، وسابقوا إلى دعوته، واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالته، وفاقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته، والذين هجرتهم العشائر إذ تعلقوا بعروته، وانتفت منهم القربات إذ سكنوا في ظل قربته، اللهم ما تركوا لك وفيك، وأرضهم من رضوانك وبها حاشوا الحق عليك، وكانوا من ذلك لك وإليك، واشكرهم على هجرتهم فيك ديارهم وخروجهم من سعة المعاش إلى ضيقه ومن كثرة في اعتزاز دينك إلى أقله، اللهم وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان الذين يقولون ربنا اغفر لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان خير جزائك، الذين قصدوا سمتهم، وتحروا جهتهم، لو مضوا إلى شاكلتهم لم يشتمهم ريب في بصيرتهم، ولم يختلجهم شك في قفو آثارهم والالتئام بهداية منارهم مكانين ومؤازرين لهم، يدينون بدينهم، ويهدون بهديهم، يتفوقون عليهم، ولا يتهمونهم فيما أدوا إليهم)^(١).

وأما الإمام زيد بن علي بن الحسين، فقد ذكر الإمام (المنصور بالله) عبد الله بن حمزة - وهو من أئمة الزيدية الكبار - في كتاب له اسمه (جواب المسائل التهامية) نظرتة للصحابة فقال: (فإنه عليه السلام أثنى عليهم على الإجمال وعدد مزاياهم على غيرهم) ثم قال: (فهم خير الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعده فرضي الله عنهم وجزاهم عن الإسلام خيراً، ثم قال: فهذا مذهبنا لم نخرجه غلطة ولم نكتم سواه تقية، ومن هو دوننا مكاناً وقدرة يسب ويلعن ويذم ويطعن ونحن إلى الله - سبحانه - من فعله براء، وهذا ما يفضي به علم آبائنا منا إلى علي عليه

١- الصحيفة الكاملة للإمام زين العابدين ص ٣٩ وأعيان الشيعة ١/ ٦٤٥ (من دعائه في الصلاة على اتباع الرسل والصحابة والتابعين).

السلام) إلى قوله: (وفي هذه الجهة من يرى محض الولاء سب الصحابة ش والبراء منهم، فيبرأ من محمد صلى الله عليه وآله وسلم من حيث لا يعلم، وأنشد: وإن كنت لا أرمي وترمي كنانتي تصب جوائح النبل كشحي ومنكبي^(١))^(٢).

وأما الإمام جعفر الصادق فقد نقل عن (ابن بابويه القمي) أنه وصف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً فقال: (كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله اثني عشر ألفاً، ثمانية آلاف من المدينة، وألفان من مكة، وألفان من الطلقاء، ولم يُر فيهم قدرّي ولا مرجي ولا حروري ولا معتزلي ولا صاحب رأي، كانوا يبكون الليل والنهار ويقولون: اقبض أرواحنا من قبل أن نأكل خبز الخمير)^(٣).

فإذا لم يكن في الصحابة مرجيء ولا حروري ولا معتزلي ولا صاحب رأي، فكيف يكون فيهم من هو أشد من هذا وذاك (المنافق!) كما يدّعي المتطرفون!؟

إنّ ما يحكيه الإمام الصادق في هذه الرواية هو عين التزكية القرآنية التي جاءت لتمدح صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتبشرهم برضا الله عليهم وبعنان الخلد، فأين هذا كله من الروايات السقيمة التي تدّعي ارتداد صحابة رسول الله إلا بضعة رجال لا يتجاوزن عدد أصابع اليدين العشرة!

ولهذا كان من الوصايا التي حفظها الإمام الصادق عن آبائه عن الإمام علي قوله: «أوصيكم بأصحاب نبيكم لا تسبوهم، الذين لم يحدثوا بعده حدثاً، ولم يؤووا محدثاً؛ فإنّ رسول الله أوصى بهم الخير»^(٤).

١- الكشح: ما بين الخصرة إلى الضلع الخلف، والمنكب: العضو الرابط بين كتف الإنسان ويده.

٢- الرياض المستطابة ص ٣٠٠

٣- الخصال ص ٦٣٨-٦٣٩ (كان أصحاب رسول الله اثني عشر ألف رجل) - حديث رقم (١٥)

٤- بحار الأنوار ٢٢/٣٠٥

أما حفيده الإمام علي الرضا فموقفه تجاه الصحابة لا يختلف عن موقف سائر أهل البيت، فهو القائل: «لما بعث الله تعالى موسى بن عمران واصطفاه نجياً، وقلق له البحر، ونجى بني إسرائيل، وأعطاه التوراة والألواح رأى مكانه من ربه تعالى، فقال موسى: يا رب، فإن كان آل محمد كذلك، فهل في أصحاب الأنبياء أكرم عندك من صحابتي؟ قال الله تعالى: يا موسى، أما علمت أن فضل صحابة محمد على جميع صحابة المرسلين كفضل آل محمد على جميع آل النبيين، وكفضل محمد على جميع النبيين، فقال موسى: يا رب، ليتني كنت أراهم! فأوحى الله إليه: يا موسى، إنك لن تراهم، فليس هذا أوان ظهورهم، ولكن سوف تراهم في الجنات -جنات عدن والفردوس- بحضرة محمد، في نعيمها يتقلبون، وفي خيراتها يتحبسون»^(١).

الوقف الثانية:

إنّ القول بعدالة سيرة الصحابة رضوان الله عليهم لا يعني أنهم معصومون من المعاصي والمخالفات، أو أنهم لا يخطئون ولا يغلطون، بل هم كسائر الناس من بني آدم في الطباع والنقص البشري.

فقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما في صحيح مسلم: (والذي نفسي بيده، لو لم تذبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم)^(٢).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ تَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢]: (إن تغفر اللهم، تغفر جمّاً، وأي عبد لك لا ألماً)^(٣).

والواقع يصدّق ما قلناه في الصحابة رضي الله عنهم، فإنهم قد صدرت منهم معاصي لا تضر بعدالتهم ومن ورد في حقه منهم ارتكابه لكبيرة من الكبائر فإنه قد ورد عنه أيضاً إتباعها بتوبة

١- بحار الأنوار ١٣/ ٣٤٠، تأويل الآيات ص ٤١٨

٢- رواه مسلم - كتاب التوبة - باب (سقوط الذنوب بالاستغفار والتوبة) - حديث رقم (٢٧٤٩)

٣- رواه الترمذي - كتاب تفسير القرآن - باب (ومن سورة والنجم) - حديث رقم (٣٢٨٤)

صادقة أو بحد دنيوي مكفّر للذنب كالغامدية التي زنت ورجمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكالرجل الذي كان يشرب الخمر و يؤتى به إلى رسول الله فأقام عليه الحد مراراً، والمخزومية التي سرقت، وحاطب بن أبي بلتعة الذي أخبر قريشاً بقدوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاتحاً، وهؤلاء جميعاً تابوا إلى الله عز وجل إما باستغفار وإنابة إلى الله عز وجل أو بإقامة حد دنيوي، والحدود كفارات كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: (ومن أصاب شيئاً من ذلك (أي من الزنا أو السرقة أو قتل النفس بغير حق) فعوقب فهو كفارة له)^(١)، ولذلك فالحدود عنهم بسوء أو استغلال هذه المعاصي التي تابوا منها لا في القدرح فيهم فحسب بل لتقص عدالة غيرهم هو من الظلم البين بل من التجني!

يقول الألويسي - رحمه الله - في (الأجوبة العراقية) (ص ٢٣-٢٤): " ليس مرادنا من كون الصحابة - رضي الله عنهم - جميعهم عدولاً: أنهم لم يصدر عن واحد منهم مفسق أصلاً، ولا ارتكب ذنباً قط، فإن دون إثبات ذلك خرط القتاد، فقد كانت تصدر منهم الهفوات.... " إلى أن قال: " ثم إنَّ مما تجدر الإشارة إليه، وأن يكون الإنسان على علم منه: هو أن الذين قارفوا إثماً من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم حُدّوا هم قلة نادرة جداً، لا ينبغي أن يُغلب شأنهم وحالهم على الألوّف المؤلفة من الصحابة - رضي الله عنهم - الذين ثبتوا على الجادة والصراط المستقيم، وحفظهم الله - تبارك وتعالى - من المآثم والمعاصي، ما كبر منها وما صغر، وما ظهر منها وما بطن، والتاريخ الصادق أكبر شاهد على هذا".

١- نص الحديث كالتالي: (عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مجلس، فقال: تبايعوني على أن لا تشركو بالله شيئاً، ولا تزنوا، ولا تسرقوا، ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب شيئاً من ذلك فعوقب به، فهو كفارة له، ومن أصاب شيئاً من ذلك فستره الله عليه، فأمره إلى الله عز وجل إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذّبه)، والحديث في صحيح مسلم - كتاب الحدود - باب الحدود كفارات لأهلها - حديث رقم (١٧٠٩).

وقد صرّح المجلسي - وهو من كبار علماء الشيعة الاثني عشرية - في (بحار الأنوار) بما يؤكد كلامنا السابق من أنّ العدالة إذا زالت بارتكاب كبيرة فإنها تعود إلى صاحبها بعد تطبيق الحد الشرعي عليه أو توبته.

يقول المجلسي: (وإذا زالت العدالة بارتكاب ما يقدر فيها فتعود بالتوبة بغير خلاف ظاهراً، وكذلك من حُدّ في معصية ثم تاب رجعت عدالته وقُبلت شهادته، ونقل بعض الأصحاب إجماع الفرقة على ذلك)^(١).

وما دامت المسألة كذلك، فلماذا يستمر مسلسل الطعن في عدالة الصحابة ويُعرض هؤلاء الصحابة كمثال للفساق - عياداً بالله - وقد تاب الله عليهم؟!!

محمد حسين فضل الله ومفهوم العدالة

من يتمسك ببعض الروايات المتضمنة لخطأ صحابي أو ذنب اقترفه يغالط نفسه... إذ كل عدل يذنب وإلا كان معصوماً!

هذا بعد افتراض أن هذا الصحابي قد تعمد اقرار الذنب مع معرفته بحكمه، وإلا فبعضهم اقترف بعض الذنوب لعدم بلوغه دليل التحريم أو بلغه لكنه تأوله على غير تأويله الصحيح ظناً منه بأنه المراد.

ولهذا أقول: لا يبحث عن زلات الصحابة أو عامة المؤمنين إلا من في قلبه مرض، إذ ليس من أخلاق المؤمنين الصادقين تتبع عثرات أهل الإيمان، فمن ذا الذي ما ساء قط، ومن ذا الذي له الحسنى فقط!

لقد شكى أحد مقلدي آية الله العظمى محمد حسين فضل الله له تشدد بعض العامة في عدالة إمام الجماعة بقوله: (يتوهم بعض الناس أن العدالة من الأمور التي يصعب إدراكها والتعرف عليها، وكثيراً ما يطلب الناس في إمام الجماعة صفات تقرب من العصمة، فكيف نتثبت من عدالة الإمام، وهل يكفي ذكر أهل بلده له بالخير وكمال الدين... رغم أن المخبرين ليسوا عدولاً؟

أجاب فضل الله: (العدالة ليست العصمة... فقد يعصي المؤمن العادل ثم يتوب بعد انتباهه لذلك، على هدى قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، أما كيف تثبت العدالة، فذلك بحسن الظاهر في سلوكه العام في المجتمع، بحيث يرى الناس فيه الإنسان المستقيم في دينه وفي أخلاقه الفردية أو

الاجتماعية المرتبطة بالحدود الشرعية، كما تثبت بالشياع المفيد للعلم أو الاطمئنان وبخبر الثقة بعدالته، ولا قيمة لخبر الفاسق في العدالة سلباً أو إيجاباً^(١).

وهذا ما يقوله أهل السنة في صحابة رسول الله... فإنهم لا يقولون بعصمتهم بل يقولون بأنهم مؤمنون يذنبون ويتوبون... فلماذا تُعطى قضية عدالة الصحابة أكبر من حجمها الطبيعي؟

بعض متعصبة أهل السنة أساءوا لمفهوم (العدالة)

وهذه حقيقة لا يستطيع أحد إنكارها... فبعض المتعصبة لما رأوا ما في كلام الشيعة الاثني عشرية من الطعن في أصحاب رسول الله والقول بردتهم ورأوا السباب والشتائم والأدعية المتضمنة للعن الشيخين أبي بكر وعمر^(١)، ورأوا بالمقابل عبارات مجملة لقدماء علماء أهل السنة في التنصيص على عدالة الصحابة بجملتهم، تمسكوا بحرفية تلك العبارات دون فهم المراد منها والتفصيل اللازم لها، فصار هؤلاء يشتعون على من يضع الأمور في نصابها، وقد ساهم هؤلاء

١- كدعاء صنمي قريش، والمراد بصنمي قريش عند الإثني عشرية (أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما)، ونص الدعاء كما في كتاب المحتضر للشيخ حسن بن سليمان الحلبي (من علماء القرن الثامن) كالتالي: اللهم صل على محمد وآل محمد، والعن صنمي قريش وجبتيهما وطاغوتيها وإفكيهما وابنتيهما، اللذين خالفا أمرك وأنكرا وحيك، وجحدا إنعامك، وعصيا رسولك، وقلبا دينك وحرّفا كتابك) إلى آخر الدعاء.

وقد اعتنى علماء الشيعة بهذا الدعاء اعتناء خاصاً، فقد ذكر آغا بزرك الطهراني جملة من الشروح له أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

(ذخر العاملين في شرح دعاء الصنمين) وعلّق الطهراني بعدها قائلاً: (وهما اللات والعزى) (أبو بكر وعمر) للمولى محمد مهدي بن المولى علي أصغر بن محمد يوسف القزويني ألفه باسم الشاه سلطان حسين الصفوي.

(شرح دعاء صنمي قريش) للشيخ أبي السعادات أسعد بن عبد القاهر، أستاذ المحقق الخواجه نصير الطوسي وغيره.

(شرح دعاء صنمي قريش) لشيخنا الميرزا محمد علي المدرس الجهادي النجفي، كان بخطه عند حفيده مرتضى المدرسي.

المتعصبة للأسف الشديد في إيجاد فجوات وثغرات في موضوع عدالة الصحابة، حتى اعترى بعض العامة الشك في عدالة صحابة نبيهم ووجدوا إلى ذلك سبيلاً ما كانوا ليجدونه لو التزموا الفهم الصحيح لمفهوم العدالة.

فالقول بعدالة سيرة الصحابة إجمالاً لا يعني خروج الأحاد منهم عنها لأدلة شرعية أو لفسق ظاهر لا يحتمل التأويل وإحسان الظن بهم.

قال الأمير الصنعاني في كتابه (توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار ٢/٤٣٦): (وأهل الحديث وإن أطلقوا القول بعدالة الصحابة كلهم عند الإجمال فإنهم يستثنون من هذه صفته عند تفاصيلهم لأفراد الصحابة وإنما لم يذكروه في مقام الإجمال لندوره، فنزلوا النادر منزلة العدم فإنهم قديبنوا ذلك الاستثناء في كتب معرفة الصحابة).

وقال أيضاً في كتابه (أصول الفقه المسمى إجابة السائل شرح بغية الأمل): (وأئمة الحديث وإن أطلقوا بأن الصحابة كلهم عدول فقد بيّنوا أنه من العام المخصوص وخرّجوا جماعة منهم مثل الوليد بن عقبة وغيره كما بيّنه السيد محمد في التنقيح وزدناه توضيحاً في شرحنا في التوضيح، وأما الأدلة على عدالة الصحابة فكثيرة جداً قد استوفيناها في التوضيح أيضاً من آيات قرآنية وأحاديث نبوية.

واعلم أنّ الذي نختاره أنّ الأصل عدالة الصحابة إلا من ظهر اختلالها منه بارتكاب مفسق وهم قليل كما أفاده النظم، وهذا الذي ذهب إليه أئمة أهل البيت... وهذا بعينه هو مذهب المحدثين كما قرره السيد محمد في العواصم والتنقيح^(١).

أقول: وبالمثال تتجلى الصورة، فلو أنك قلت (كل أهل السودان طيبين) فلا يعني قولك هذا أنك إن مررت في حياتك بسوداني شرير أو خبيث أنّ ذلك يعني انتقاض القاعدة في أهل السودان جميعاً، فلكل قاعدة استثناءات ولا عيب في هذا إلا عند المتشددين من الناس.

وكذلك الحال فيما لو قال رجل بأن (كل أهل الجزائر كرماء)، فوجدت بخيلين أو ثلاثة مثلاً قد خرجوا عن القاعدة لأسباب خاصة، فلا يعني ذلك نقض القاعدة في أهل الجزائر جميعاً! ومشكلة متعصبة أهل السنة أنهم يتصورون أنّ خروج أحد من الصحابة عن قاعدة العدالة نص شرعي ورد فيه قد يؤثر على مبدأ العدالة، فيتعصبون جهلاً لمفهوم العدالة فيردون النص الشرعي أو ربما يقبلونه ولكنهم يعطّلون معناه، فلا يخرجون ذاك الصحابي من العدالة رغم تبشير الرسول صلى الله عليه وآله وسلم له بالنار أو حكمه عليه بالفسق!

وهؤلاء يحسبون أنهم يحسنون صنعاً بصنيعهم هذا، ولا يدركون أي جرم ارتكبوا في حق أصحاب رسول الله وفي حق الناس.

فبسبب تعصبهم وانغلاق عقولهم أمام الحقائق الجليلة وجد الطاعنون في الصحابة سبيلاً للطعن وفي استغلال ما ورد في الظالمين والفاسقين لصبه في محيط حسنات الصالحين والصالحات! وأهل السنة والجماعة وسط بين طرفي الغلو، لا يرتضون الطعن في صحابة رسول الله ولا أمهات المؤمنين ولكنهم مع ذلك يدينون الله بما صح وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أشخاص أساءوا الصحبة^(١).

ولنأت بمثالين حيين لما نذكره:

- كُرْكُرَة:

١- إنَّ عدالة الصحابة معلومة وثابتة في الكتاب والسنة، فمن ثبت في حق أحد منهم دليل صحيح صريح لا يحتمل التأويل ولا إحسان الظن لانتفاء جهل الصحابي لحرمة الفعل الذي ارتكبه أو تأوله فيه أو توبته منه أو تطهره منه بحد فإنه يُحكم بخروجه من العدالة لا سيما إذا ورد في حقه نص لا يحتمل سوى الجزم بذلك كما في حادثة كركرة والرجل الذي قتل نفسه كما سيأتي.

أما الظنون والترجيحات أو الروايات الضعيفة والمكذوبة فلا عبرة بها ولا يصح أن نفي بها عدالة مسلم فضلاً عن أن نفي بها عدالة من أثنى الله تعالى ورسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم عليهم!؟

روى البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: كان على ثقل^(١) النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجلٌ يقال له كِرْكِرَةٌ، فمات، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (هو في النار)، فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غلَّها^(٢) (٣).

قال الحافظ ابن حجر: (وقوله "هو في النار" أي يعذب على معصيته أو المراد هو في النار إن لم يعف الله عنه)^(٤).

أقول: كلام الحافظ جميل وصحيح، ونحن في كلامنا عن العدالة لا نتكلم عن الآخرة قطعاً، فعلم الآخرة عند الله تعالى، فقد يكون المرء مستحقاً للعقاب أو الحد في الدنيا ويكون عند ربه عز وجل من المغفور لهم والمرحومين، فالأمر عند الله تعالى إن شاء عفا وإن شاء عذبه.

وكلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم - كما قال الحافظ - قد يحتمل أن كركرة من أهل النار وأنه يعذب فيها لذنبه، وقد يحتمل أنه مستحق للعذاب فيها إن لم يعف الله عنه.

وكلا الاحتمالين لن يغيّرنا من الأمر شيئاً، فكلامنا عن العدالة مرتبط بالدنيا لا بالآخرة، فلا يصح لعاقل أن يستدل بكلام ابن حجر السابق لي عنق النص بحيث يُجعل المستحق لدخول النار بنص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عدلاً، فمن يجروء على الإدعاء بأن من شهد له النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل موته بالنار هو (عدل في الدنيا)!

فإن كان كركرة عدلاً مستقيماً، فلم شهد له النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالنار!^(٥)!

١- الثقل (بفتح الثاء والقاف) هو ما يثقل حمله من الأمتعة.

٢- الغلول هو ما أخذه من الغنيمة بغير وجه حق.

٣- صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير - باب (القليل من الغلول) - حديث رقم (٣٠٧٤)

٤- فتح الباري ٦ / ١٨٨

٥- إن هذا ليذكرني بتعليق للشيخ الألباني رحمه الله على حديث (قاتل عمار في النار) حيث ذكر الألباني في تعليقه على الحديث في السلسلة الصحيحة ٥ / ١٩ بأنه أبو الغادية الجهني وذكر جزم ابن معين بأنه قاتل

فأما المتعصبون فسيكونون فريقين، فريق يتعصب للعدالة دون النص فيجعل كركرة عدلاً مع دخوله النار!، وفريق آخر سيتعصب لهواه فيجعل الصحابة كلهم (كركرة)!

وأما أهل الإنصاف فسيجعلون لكل شيء قدره دون إفراط ولا تفريط فيقولون (كركرة) نموذج لصحابة خرجوا من عدالة السيرة للدليل شرعي ولفسق ظاهر لا تأويل فيه ولذلك استحق ما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

- الرجل الذي قتل نفسه:

روى مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: (أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم برجل قتل نفسه بِمَشَاقِصَ^(١)، فلم يُصَلِّ عليه)^(٢).

والانتحار كبيرة من كبائر الذنوب، وقد مات هذا الرجل على هذه الكبيرة، ولذلك لم يُصَلِّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه، ونحن وإن كنا لا نجزم له بجنة أو بنار على اعتبار أن مرد علم ذلك إلى الله تعالى، فقد يغفر له وقد يعاقبه على ذنبه إلا أننا نملك الجزم بأنه مات في الدنيا على غير العدالة.

فالصحابة في مجموعهم عدول لكن ذلك لا يعني عدم خروج أحادهم من العدالة للدليل شرعي أو فسق ظاهر لا تأويل فيه^(١).

عمار ثم قال معلقاً على قاعدة العدالة: (فالصواب أن يقال: إن القاعدة صحيحة إلا ما دلّ الدليل القاطع على خلافها، فيُستثنى ذلك منها كما هو الشأن هنا، وهذا خير من ضرب الحديث الصحيح بها، والله أعلم).

١- سهام عراض، واحدها مشقص.

٢- صحيح مسلم - كتاب الجنائز - باب (ترك الصلاة على القاتل نفسه) - حديث رقم (٩٧٨)

١- إنَّ انتفاء عدالة السيرة عن صحابي لفعله كبيرة من كبائر الذنوب أو إصراره على صغيرة لا يعني انتفاء عدالة الرواية، لأنَّ إجلال الصحابة لرسول الله ومعرفتهم لعظم جريمة الكذب على رسول الله مما يعرفه كل عاقل، فمن ادَّعى غير ذلك فعليه أن يأتي بالدليل، ولن يجد دليلاً واحداً على صحابي واحد أنه كذب على رسول الله، وغاية ما يثيره أهل الأهواء هو الطعن في أبي هريرة بشتى الطرق، وقد أفادنا الأستاذ عبد الله الناصر في كتابه (البرهان في تبرئة أبي هريرة من البهتان) بما يدحض كل الشبهات المثارة على أبي هريرة. فأكد أنه ما من حديث رواه أبو هريرة إلا وقد رواه الشيعة عن الإمامين الباقر والصادق على وجه الخصوص بنفس الألفاظ أو مع اختلاف بسيط في اللفظ أو بما يطابق المعنى!

أما ما يذكر عن روايته لـ ٥٣٧٤ حديثاً، فالصحيح أنَّ هذا العدد هو لكل ما روي عن أبي هريرة وليس كل ما أسنده الرواة لأبي هريرة هو صحيح، فيضم هذا الرقم أحاديثاً ضعيفة وأحاديثاً مكررة، وإذا ما أخرجناها من جملة مرويات أبي هريرة فسيصفو لنا أقل من هذا العدد بكثير، يقول الدكتور محمد ضياء الأعظمي في كتابه (أبو هريرة في ضوء مروياته): فالذي تُسب إليه بأنه روى (٥٣٧٤) حديثاً كما جزم به ابن حزم في جوامع السيرة ص ٢٧٥ وابن الجوزي في (تلقيح فهوم أهل الأثر) ص ١٨٤ ثم كتاب مصطلح الحديث، فكل ذلك باعتبار تكرار الأسانيد وأكبر ما يدل على ذلك هو عمل الإمام أحمد بن حنبل في مسنده الضخم، فإنَّ مرويات أبي هريرة تستغرق ٣١٣ صفحة بالقطع الكبير من مسند يبلغ عددها أكثر من خمسة آلاف حديث بالأسانيد المكررة، بينما أني لما قمت بدراسة ما رواه الإمام أحمد وأصحاب الكتب الستة (الإمام البخاري والإمام مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه والترمذي) لم يبلغ جميع ما رواه أبو هريرة في هذه الكتب السبعة إلا (١٣٣٦) حديثاً فقط) انتهى كلامه.

فكثرة عدد الأحاديث التي تُنسب لأبي هريرة منشأها المكررات هذا بخلاف الروايات الضعيفة التي لا تصح نسبتها إلى أبي هريرة كما هو معلوم.

وزيادة على هذا أقول: ليس من المستحيل لرجل تفرغ لصحبة رسول الله ونال بركة دعاء النبي عليه الصلاة والسلام أن يحفظ هذا العدد خصوصاً وأنَّ الأحاديث عبارة عن جمل قصيرة يسهل حفظها لمن وفقه الله تعالى لذلك، بل إنَّ المتتبع لروايات أبي هريرة رضي الله عنه في الكتب التسعة (الصحيحين وسنن داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وموطأ مالك ومسند أحمد والدارمي) يجد أنَّ كثيراً من الصحابة

فالشيعة الاثنا عشرية تطرفوا فقدحوا في عدالة المجموع من أجل بعض الأفراد دون الاكتراث بنصوص القرآن والسنة المادحة لمجموع الصحابة، في حين أفرط متعصبة أهل السنة في المسألة فلم يُجوّزوا خروج أحد من هذا الثناء بدليل شرعي أو فسق ظاهر، فبحثوا عن تأويلات لمن أساء الصحبة حماية لقاعدة العدالة، وكلا الفريقين تكلم في العدالة وليس في كلامه عدالة بل هو التطرف والظلم اللذان لا يرضى الله بهما.

وإن كنا نرى أن الذي أحسن الظن بالمسيء خير ممن رمى الصالح بالتهمة وسوء الظن، لا يستويان مثلاً.

اشتركوا مع أبي هريرة في كل مروياته تقريباً، فلم ينفرد عنهم فيما روته عنه الكتب التسعة (البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي في جامعه والنسائي وابن ماجه وأبو داود في سننهم وأحمد في المسند ومالك في الموطأ والدارمي في سننه) إلا برواية ثمانية أحاديث فقط! ألا يكفي هذا بياناً لصدقه؟ والغريب في الشيعة الإثني عشرية أنه يعدّون كثرة الرواية دليل على وثاقة الراوي فينسبون للإمام جعفر الصادق قوله: (اعرفوا منازل الرجال على قدر رواياتهم عنا) ويعدّون لأجل ذلك زرارة وجابر الجعفي وأمثالهما من الكذابين الكثيرين ثقات فلا يستنكرون رواية جابر الجعفي لسبعين ألف حديث عن الإمام الباقر كما صرح بذلك الحر العاملي في (وسائل الشيعة ٣٠/٣٢٩)، ولا يستنكرون رواية زرارة لألفين وأربعة وتسعين رواية عن الإمامين الباقر والصادق كما صرح بذلك الخوئي في معجم رجال الحديث (٨/ ٢٥٤ تحت عنوان (طبقة في الحديث)) لكنهم يستأسدون على أبي هريرة رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!

ماذا وراء طرح موضوع العدالة؟

عندما يطرح علماء الشيعة الاثني عشرية موضوع عدالة الصحابة فإنهم لا يريدون أعرابياً أسلم وأهمله التاريخ أو صحابية كالغامدية زنت ثم اعترفت باقترافها الذنب طالبة إقامة الحد عليها لتتطهر وتموت نقية من الذنب فيغفره لها رب العالمين^(١)!

ولا يريدون كذلك حاطب بن أبي بلتعة الذي أفضى سر قدوم المسلمين لمكة من خوفاً على أهله هناك، ورغبة في أن تكون له يد على قريش حتى يحفظوه في أهله، فعفى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنه بعد معاتبته ونهى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن التعرض له^(٢).

لكنهم يريدون كبار الصحابة (أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وعائشة والبقية)، ويريدون تمهيد الطريق لضرب هؤلاء الأعلام بكسر حاجز العدالة ... فحين يتحطم الجدار

١- قال عنها عليه الصلاة والسلام: (لقد تاب توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وَجَدْتَ توبةً أفضلَ من أنْ جادت بنفسها لله تعالى؟) صحيح مسلم (كتاب الحدود - باب من اعترف على نفسه بالزنى).

٢- نص الحديث كما في البخاري (كتاب الجهاد والسير - حديث رقم ٣٠٠٧) من حديث علي رضي الله عنه: (... فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا حاطب، ما هذا؟ قال: يا رسول الله، لا تعجل عليّ، إني كنت امرأً مُلصقاً في قريش، ولم أكنْ من أنفُسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفراً ولا ارتداداً، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قد صدقكم، فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله! دعني أضرب عنق هذا المنافق، (وفي رواية: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني فأضرب عنقه)، قال - أي النبي صلى الله عليه وآله وسلم - : إنه شهد بدرًا! وما يُدريك لعل الله أن يكون قد أطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم).

ويجوز الطعن في صحابي من هؤلاء الصحابة الكرام يصبح الطعن بأبرز الصحابة وأكثرهم ثقلاً
أمراً سهلاً للغاية!

وبالذات إذا جاء هذا الطعن وهذا الشتم والتنقيص تحت مسمى الاعتدال أو الموضوعية
والمنهجية العلمية!

ما كنت أعجب منه خلال قراءتي في كتب الفريقين هو استنكار علماء الشيعة الاثني عشرية
القول بعدالة الصحابة وإعطائهم للقضية حجماً أكبر من حجمها في حين أنهم يتناسون أنّ الأصل
في المسلم العدالة^(١) وأنّ الصحابة ليسوا بأهل إسلام وإيمان فقط بل مزكّون من الله ورسوله!
فحتى لو ادعى مدّع أنه لا يوجد دليل واحد على عدالة الصحابة فإنه سيقف عند هذه النقطة
التي أثرتها عاجزاً عن الإجابة.. إنّ الأصل في المسلم العدالة وعلى الذي يقدر في عدالة أي
مسلم أن يأتي بالدليل وليس العكس!

فعلى أي أساس يطالبون بالإتيان بأدلة عدالة الصحابة؟!

يقول شيخ الطائفة الطوسي في كتابه الخلاف (إنّ الأصل في المسلم العدالة، والفسق طارئ
عليه يحتاج إلى دليل)^(٢)، وهذا أمر بديهي عند كل مسلم، لا يحتاج حتى إلى استدلال.

١- المراد بالعدالة في هذه القاعدة الشرعية هي (السلامة من الفسق)، فالأصل في كل مسلم أنه سالم من الفسق
حتى يثبت فسقه.

٢- كتاب الخلاف - كتاب آداب القضاء - المسألة رقم (١٠)

عدالة الصحابة مستجيبة وعدالة (مراجع التقليد) لا غبار عليها!

إنَّ قول الله عز وجل في كتابه المجيد ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿١﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وُزِنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٢﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٣﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥﴾ [المطففين: ١-٦] ليس محصوراً في مكيال البيع والشراء بل في كل ما يُكال للناس به.

حينما يُكال لأصحاب رسول الله بمكيال يُحاسبون فيه على كل سَعْلَةٍ وهمسة وحركة وسكّنة، بينما يُخصص لعلماء الشيعة الاثني عشرية ومراجع التقليد مكيالاً آخر يتغاضى عن أمور كثيرة تُستنكر في صحابة رسول الله وتُقام لها الدنيا وتقعّد بيننا لا تُستنكر وليس لها أدنى أثر حينما يكون الكلام عن علماء الشيعة الاثني عشرية ومراجعها.

إنها أزمة الإنصاف وأزمة تحكيم الضمير... خصوصاً ونحن لا نتكلم عن أصحابنا في المدرسة أو زملائنا في العمل وإنما عن صحابة وأصحاب سيد الخلق (محمد عليه الصلاة والسلام).

والغريب في علماء الشيعة الاثني عشرية ومفكرهم أنهم يستنكرون على أهل السنة إثباتهم لعدالة من زكاهم الله ورسوله، وبذلوا الغالي والرخيص في سبيل هذا الدين، ويشنعون عليهم أشد التشنيع ويعدّون القول بعدالتهم تقديساً لا يستحقونه! لكن حينما يأتي الكلام عن مراجع التقليد يختلف الميزان وتصير كلمة (عدالة) كلمة عادية لا تستحق التشنيع ولا الوقوف عندها أصلاً!

لا تتصور أني أبالغ... هذه حقيقة واضحة جلية يستشعرها كل منصف يرتضي الدليل

والبرهان.

كنت ولا زلت أتساءل كيف لشيوعي منصف أن يردد طعونات علماء الشيعة الاثني عشرية في عدالة الصحابة ويناقش القضية بحماس وانفعال في حين يتجاهل أموراً ربما يقرأها يوماً في رسالة مرجع التقليد الذي يقلده دون توقف عندها أو وزنها بالميزان نفسه الذي يزن به أصحاب رسول الله.

هذا هو الخوئي - الزعيم السابق لحوزة النجف الأشرف والملقب بأستاذ الأساتذة - يقول في رسالته العملية لمقلديه ولمن تتلمذ على يديه من مراجع التقليد الحاليين:

(مسألة ٢٩ - العدالة المتبعة في مرجع التقليد عبارة عن الاستقامة في جادة الشريعة المقدسة، وعدم الانحراف عنها يميناً ولا شمالاً، بأن لا يرتكب معصية بترك واجب أو فعل محرم، من دون عذر شرعي، ولا فرق في المعاصي من هذه الجهة، بين الصغيرة والكبيرة)^(١).

وقد ذكر مثل هذا آية الله السيستاني في رسالته العملية لمقلديه (منهاج الصالحين ١/١٦-١٧) وآية الله محمد صادق الروحاني في رسالته العملية (منهاج الصالحين ١/١٢) بلفظ (العدالة المتبعة في مرجع التقليد عبارة عن الاستقامة في جادة الشريعة المقدسة، وعدم الانحراف عنها يميناً ولا شمالاً بأن لا يرتكب معصية بترك واجب أو فعل محرم من دون عذر شرعي، ولا فرق في المعاصي في هذه الجهة بين الصغيرة والكبيرة).

فتزكية رب العالمين ورسوله الكريم للصحابة فيها نقاش وجدال وبحث عن كل خطأ وزلة ثم تلميعها، وتزكية مراجع التقليد والنص على عدالتهم بهذه الصورة المبالغ فيها لا يُحتاج فيها إلى نقاش ولا استنكار من أي شيوعي!

عجباً لأولئك المتباكين على الإنصاف والموضوعية والبحث العلمي؟!

بماذا سيبررون العدالة التي ينسبونها إلى مراجع التقليد؟

أليس اشتراط الخوئي والسيستاني والروحاني وباقي مراجع التقليد عند الشيعة الاثني عشرية لعدالة المرجع بهذه الصورة المبالغ فيها هو قول بعصمة هذا المرجع^(١)؟!

يكفيك أن تقرأ قول الخوئي بعدها مباشرة (مسألة ٣٠- ترتفع العدالة بمجرد وقوع المعصية، وتعود بالتوبة والندم، وقد مرّ أنه لا يفرق في ذلك بين الصغيرة والكبيرة) لتساءل (أيعقل أن يمر أسبوع من حياة المرجع (لن أقول يوم) دون أن يرتكب معصية تخرجه من العدالة؟! وهل سيبقى مرجع التقليد على وضعه كمرجع تقليد بعد اقترافه للإثم وقبل توبته أم أنه يخرج من المرجعية ثم يعود إليها بعد رجوع العدالة إليه؟!

إنّ نظرة فاحصة في الصراعات الداخلية بين مراجع التقليد ومقلديهم أظهرت كافيّة لئن تؤكد بأنّ ما يذهب إليه الإثني عشرية اليوم من القول بعدالة ونزاهة مراجع التقليد وتورعهم عن ارتكاب الصغائر من الذنوب فضلاً عن الكبائر كالظلم والكذب والتجني والضلال هو أمر واقعي للغاية!

إنّ مقلدي الشيرازي يتهمون الخامنّي بظلم مرجعهم الراحل محمد الحسيني الشيرازي بفرض الإقامة الجبرية عليه أكثر من عشرين عاماً وبالاعتداء على جنازته بعد وفاته ودفنه بخلاف وصيته، وبالاعتداء على زوار ضريحه الذي سُوي بالأرض، وبالعبث بالتشيع الحق إلى حد إطلاق بعضهم لقب (طاغوت) أو (أبو بكر) أو (عمر) أو (يزيد) على الخامنّي كنوع من التشهير به وانتقاصه! وبالمقابل يتهم مقلدو الخامنّي مرجعية الشيرازي بالإنحراف والغلو وبإثارة الفتن مع التشكيك في استحقاق الشيرازي للمرجعية، ومع ذلك ما زال الخامنّي عند غالبية الشيعة عدلاً بل هو (ولي أمر المسلمين) عند القائلين بولاية الفقيه، وما زال الشيرازي عند الشيرازية هو (المرجع الأعلى للطائفة الشيعية) كما ورد ذلك في نص النعي الذي نشرته ممثلية الشيرازي بعد وفاته!

١- إذ أنّ المرجع كما في النصوص السابقة منزه عن ارتكاب الصغيرة والكبيرة! ولولا الحياء من الأئمة الإثني

عشر لنفي عن المرجع السهو والنسيان!

أما مقلدو التبريزي ووحيد خراساني وآخرون فإنهم يعتبرون المرجع محمد حسين فضل الله ضالاً مضالاً وأنّ تقليده غير مجزء، وبالمقابل ترى بعض مقلدي فضل الله يتهمون^(١) التبريزي وخراساني ومن معهم بأنهم تكفيريون أو متمصلحون أو مغالون، وما زال كلا الطرفين (عدول)! أما آية الله جنتي (رئيس مجلس صيانة الدستور الإيراني) فقد وصف المرجع السيستاني بالعمالة للإنجليز^(٢)، فيما وصف (مقتدى الصدر) نجلاً للمرجع محمد صادق الصدر مرجعية (السيستاني) بأنها المرجعية الصامتة عن الحق في مقابل مرجعية أبيه الناطقة.

وقد كتب المفكر الشيعي زهير الأسدي مقالاً بعنوان (السيستاني في الميزان) ألقى فيه الضوء على كثير من الحقائق الهامة من بينها (إلغاء السيستاني لموضوع الجهاد) من الرسالة العملية التي ذكر في مقدمتها أنها في الأصل لأستاذه أبو القاسم الخوئي، وأنّ دوره فيها فحسب هو تنقيح بعض الأحكام التي يخالف فيها أستاذه، فإذا به يحذف موضوع (الجهاد) الذي هو ذروة سنام الإسلام! وبالمقابل سمعنا من بعض مخالفي التيار الصدري أنهم يتهمون المرجع محمد صادق الصدر بالعمالة لنظام صدام حسين قبل وفاته وأنّ ما حصل له كانت مسألة تصفية جسدية لعميل انتهى دوره!

حتى المرجع الراحل محمد باقر الصدر لم يسلم من الطعن في عدالته، ومن أستاذ كبير في الحوزة العلمية ب(قم) هو العلامة علي الكوراني^(٣)، حيث صرّح في مقدمته لكتاب (الحق المبين) بأنّ فكره (التقاطي) و(انتقائي) لا يمثل خط أهل البيت الحقيقي!

١- قلت البعض هنا لأنني أعرف بعضهم لكنني لا أعلم أهذه نظرة سائدة عند مقلدي فضل الله أم أنها نظرة خاصة لبعض أتباعه النشطين عندنا في البلد.

٢- نشرت الخبر صحيفة الوطن الكويتية - تاريخ ٤/٢/٢٠٠٤م تحت عنوان (كروبي ينتقد جنتي لاتهامه السيستاني بالعمالة للإنجليز).

أما الشيخية فصراعهم التاريخي المرير مع باقي المرجعيات لا يكاد ينتهي.
أيها القارئ الكريم... إنَّ ما ذكرته لك ههنا لا يُمثل كل ما يخص مراجع التقليد وعدالتهم
المزعومة وإنما هو غيض من فيض، عَفَّ عن إكمالهِ اللسان والقلم.
إنَّ هؤلاء المراجع هم أولئك الذين يُراد لك أن تعتقد عدالتهم وأنت مغمض العينين وتسير
وراءهم دون هدى من الله بحجة أنهم نواب الإمام الحجة العدول إلى حين يخرج.
إنك لتعجب من الشيعة الإثني عشرية (علماء وعامة) وهم يبالبغون ويغالون في (مراجع
التقليد) إلى حد التقديس، رغم علمهم بما يدور بين أتباع كل مرجعية وبالخلافات الحادة بين
بعض المرجعيات والتي تصل أحياناً إلى حد التشكيك في استحقاق المرجعية أو التفسيق أو
التكفير!، في حين أنهم يوجهون سهامهم للصحابة وبكل ضراوة، حتى إنك لتعجب أحياناً من
تعسفهم في فهم بعض النصوص ومحاولة قلبها إلى منقصة لصحابي أو إساءة الظن بعبارة قالها دون
خشية من الله، وبيننا وبين المنصفين التفتيش.

١- وهو عضو سابق في حزب الدعوة الإسلامية الذي أسسه محمد باقر الصدر، فإذا بالتلميذ ينقلب على
الحزب ويتناول مؤسسه بالطعن بعد أن تبين له مخالفة الصدر للتشيع الحق!

الخلل قديم!

إنّ أولئك الذين يشككون في عدالة أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويستتهجنون القول بعدالتهم لا يجدون غضاضة في القول بعدالة وتوثيق (مشايخ الإجازات) عندهم. وشيخ الإجازة كمصطلح، يُراد به (الأستاذ في الإجازة وهو الذي يشتهر في الوسط العلمي بمنحه الإجازات برواية الكتب المشهورة وجوامع الحديث)^(١).

فقد نص قداماء علماء الجرح والتعديل عند الإثني عشرية وتابعهم على ذلك جُملة من المتأخرين على وثاقة مشايخ الإجازات وعدم حاجتهم إلى التنصيص على وثافتهم. فقد قال الداماد في (الرواشح السماوية ص ١٧٩): (ومما يجب أن يُعلم ولا يجوز أن يُسهى عنه أنّ مشيخة المشايخ الذين هم كالأساطين والأركان أمرهم أجلّ من الاحتياج إلى تزكية مزكٍ وتوثيق موثق)!

لكن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين زكّاهم القرآن وزكّتهم السنة النبوية وقدّموا للإسلام الكثير يحتاجون إلى من يزيكهم ويوثقهم حتى يرضى عنهم الإثني عشرية! ويقول الشيخ علي محمد بن محمد بن دلداری الهندي في كتابه (الجوهرة العزيزة في شرح الوجيزة): (لم يُحتج في مشايخ الإجازة - عطر الله مضاجعهم - وبرّد مهاجعهم - إلى جرح وتعديل وتثبّت وتبيين، فإنهم نواب الأئمة وأمناء أمناء الله على تلك الأمة بتّاً وجزماً وقطعاً وحتماً. بل وتوثيق جلّهم صار من ضروريات الدين يحذو حذو اعتقاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، فروحي الفداء ونفسي الوفاء لهؤلاء الأجلّة، الذين بذلوا في إعلاء كلمة الله العليا جهدهم وجِدّهم، وصرّفوا فيه طول أعمارهم كدّهم، ولم يزالوا

يتحمّلون أعباء الشريعة، ويتولّون أمر أيتام الشيعة، نيابة عن سادتهم المعصومين، بل وجدّهم سيّد المرسلين، بل عن الله رب العالمين، حتى مضوا لسبيلهم ولقوا الله سبحانه وحلّوا رضوانه، شكر الله تعالى سعيهم وأجزل رعيهم^(١).

فهؤلاء هم مشايخ الإجازة عند الإثني عشرية، لا يُحتاجون إلى جرح ولا تعديل ولا تشبّت ولا تبيّن لأنهم نواب الأئمة!

توثيقهم صار من ضروريات الدين لما علّم من بذلهم وعطاءهم وتحملهم لأعباء الشريعة! أما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين نقلوا لنا القرآن ونقلوا لنا السنة النبوية وفتحوا الفتوح ودخل الناس في سبيل الله أفواجا بسبب جهودهم وجهادهم وتضحياتهم فهؤلاء توثيقهم بات خراباً للدين في عرف تلاميذ (مشايخ الإجازة)!
وعش رجباً ترى عجباً!

منقلبون على أعقابهم ومرتدون من أجل ماذا؟!

أن تُخرج رجلاً من الإسلام وتنعته بالمرتد والمنقلب على عقبيه لأنه أشرك أو كفر فهذا معروف واعتيادي بل هو حكم شرعي لا بد من التصريح به والتدين به.

لكن أن يُنعت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالمرتدين أو بالمنقلبين على أعقابهم من أجل تسليمهم الخلافة لغير علي بن أبي طالب أو الأئمة فهذا أمر عجاب!

منذ متى صارت كراسي الحكم مقرونة بالتوحيد وبأركان الإيمان الستة^(١)؟!

ثم ما الذي سيجنيه الصحابة إن هم سلّموا الخلافة لأبي بكر بدلاً عن علي بن أبي طالب؟

الأموال؟ هم تركوا أموالهم وأهليهم في مكة من أجل الله ورسوله وكانت تجارة قريش مضرب المثل (رحلة الشتاء والصيف) وزعماء قريش على أتم الاستعداد لشراء الذمم والضمان في سبيل دحر دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومع ذلك تحمّل الصحابة الفقر والغربة والعذاب في سبيل هذا الدين، فما الذي تغير اليوم؟!

المكانة الاجتماعية؟ ما الذي تغير في خلافة أبي بكر حتى يبيع الرجل دينه ويشترى بالمقابل تلك

المكانة الاجتماعية في مجتمع يرى التقوى ميزاناً لعلو الشخص وانخفاضه!

فمجتمع المسلمين في حياة نبي الله وبعد مماته هو نفسه الذي أعزّ بلاً الحبشي وصهيباً الرومي وسلمان الفارسي ولم يعرف لقبائل العرب المرتدة نسبها ومكانتها الاجتماعية بل سدد السهام نحوها وأقام عليها حد الردة لما ارتدت وجهرت بالكفر.

١- أركان الإيمان الستة هي: الإيمان بالله، الإيمان بالأنبياء، الإيمان بالملائكة، الإيمان بالكتب السماوية، الإيمان

باليوم الآخر، الإيمان بالقدر خيره وشره.

ثم هذه قريش بعزتها وجبروتها وبعروضها المغرية على من أراد الدخول في دين الله، لم تستطع زحزحة صحابة رسول الله عن موافقهم بل زادت في ثباتهم وإيمانهم، فما الذي تغير اليوم حتى تستطيع سقيفة بني ساعدة الصغيرة أن تغير كل هؤلاء الأشداء الصامدين؟! لا توجد إجابة مقنعة تركز إليها النفس وتطمئن إليها القلوب تقنع المرء بهذا الطرح العجيب الذي لا يقبله عقل ولا منطق..

يذكر علماء الشيعة الاثني عشرية كثيراً حب الأنصار لعلي بن أبي طالب وأنهم كانوا كثرة في جنده في موقعة صفين... فلماذا لم يسلموا الخلافة إليه وسلموها لأبي بكر؟! لن تجد إجابة مقنعة تسلي بها نفسك.

إن نظرة الأنصار ومن قبلهم المهاجرين أبعد وأصوب من جميعاً... لقد كانت هذه الفئة المؤمنة تُفرّق بين الخلافة وبين الارتباط العاطفي مع قرابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذا رأينا الكتب الشيعة التي تمتدح هؤلاء الأنصار ووقوفهم جنباً إلى جنب مع الإمام علي في موقعة صفين هي الكتب نفسها التي تنعتهم بالردة والانقلاب على الأعقاب في حادثة السقيفة! ميزان عجيب يُكّال به أصحاب رسول الله... إن كانوا مع الإمام علي في أمر من الأمور صاروا خير الناس، وإن كان موقفهم مع من خالف علياً أو قُل في غير الاتجاه الذي أراده الإمام علي صاروا أهل ردة ومصالحة ونفاق!

فإن قالوا حكمنا عليهم بالردة والانقلاب على أعقابهم لأنهم أنكروا النص على علي بن أبي طالب، قيل لهؤلاء المستنكرين: أو ليس الشيعة الاثني عشرية يذكرون أنّ حديث الغدير متواتر وأنّ مئات من الصحابة قد رووه فأين الإنكار؟

عندما أقول بلساني إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي: (من كنت مولاه فعلي

مولاه) فأين إنكاري للنص؟!!

فإن قيل: أنكروا المعنى، قيل لهؤلاء: ومن ذا الذي قال بأن ما ذهبتم إليه في تفسير الحديث هو الحق؟! هل أنتم أفهم وأعقل من صحابة رسول الله الذين عاشوا تلك اللحظات وسمعوا الحديث بأذانهم؟! أم أنكم أفهم بالعربية منهم حتى صرتم تعقلون من الحديث ما لم يعقلوه هم؟! ومن تأمل نقاشنا لحديث الغدير وبقية الأحاديث سيعلم علم اليقين بأن صحابة رسول الله كانوا أكثر إدراكاً وفهماً للنصوص من الذين يدندنون حول هذه الأحاديث التي لم يعيشوا لحظاتها ولم يدركوا مغزاها ولم يتلمسوا مدلولاتها أو يدركوا حتى معاني ألفاظها!

من المرتد – صحابة رسول الله أم هؤلاء؟

أيها القارئ الحصيف... لن تحتاج معي إلى مزيد جهد أو إلى كثير إنصاف حتى تدرك الاعوجاج الواضح في الميزان الذي يُكّال به صحابة رسول الله بل يُكّال به كتاب الله المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

أمامنا فريقان:

فريق طعن في كتاب الله مدعياً وقوع التحريف والتبديل فيه، على رأسه النوري الطبرسي – مؤلف كتاب المستدرک أحد الأصول الحديثية الثمانية لدى الاثنى عشرية – والذي ألف كتاباً باسم (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) يقول فيه عن القرآن وعن وقوع التحريف فيه ما نصه: (فإن الاختلاف فيه كما يصدق على اختلاف المعنى وتناقضه كَنَفِيهِ مرة وإثباته أخرى، وعلى اختلاف النظم كفصاحة بعض فقراتها البالغة حد الإعجاز وسخافة بعضها الآخر)^(١).
وعدنان البحراني القائل: (الأخبار التي لا تحصى كثرة وقد تجاوزت حد التواتر ولا في نقلها كثير فائدة بعد شيوع القول بالتحريف والتغيير بين الفريقين وكونه من المسلمات عند الصحابة والتابعين بل وإجماع الفرقة المحقة وكونه من ضروريات مذهبهم وبه تضافت أخبارهم)^(٢).
والمجلسي القائل في معرض شرحه لحديث هشام بن سالم: (فالخبر صحيح، ولا يخفى أن هذا الخبر وكثير من الأخبار الصحيحة صريحة في نقص القرآن وتغييره، وعندني أن الأخبار في هذا

١- فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب ص ٢١١

٢- مشارق الشموس الدرية ص ١٢٦

الباب متواترة معنى، وطرح جميعها يوجب رفع الاعتماد عن الأخبار رأساً بل ظني أن الأخبار في هذا الباب لا يقصر عن أخبار الإمامة فكيف يثبتونها بالخبر؟^(١).

ويوسف البحراني القائل: (لا يخفى ما في هذه الأخبار من الدلالة الصريحة والمقالة الفصيحة على ما اخترناه ووضوح ما قلناه ولو تطرق الطعن إلى هذه الأخبار على كثرتها وانتشارها لأمكن الطعن إلى أخبار الشريعة كلها كما لا يخفى إذ الأصول واحدة وكذا الطرق والرواة والمشايخ والنقلة، ولعمري إن القول بعدم التغيير والتبديل لا يخرج من حسن الظن بأئمة الجور وأنهم لم يخونوا في الأمانة الكبرى مع ظهور خيانتهم في الأمانة الأخرى التي هي أشد ضرراً على الدين)^(٢).

طعن هذا الفريق بالقرآن بكل وضوح قائلاً بوقوع التحريف فيه!

وفريق آخر (وهم صحابة رسول الله)... خطيئته التي لا يغفرها له الشيعة الاثنا عشرية هي أنه سلّم الخلافة لأبي بكر بدلاً من علي!

الفريق الأول الذي طعن في كتاب الله يعتذر له علماء الشيعة الاثني عشرية وغاية ما يقولون فيه هي كلمة (أخطأوا)، (اجتهدوا وتأولوا ولا نوافقهم على ما ذهبوا إليه)، وليت شعري متى صارت مسألة حفظ كتاب الله أو تحريفه منوطاً للاجتهد؟! وأي اجتهاد في قول هذا المجرم أن (في القرآن آيات سخيصة)! والله إنها لطامة كبرى.

لكن علماء الشيعة اليوم يعتذرون للقائلين بالتحريف ولا يتبرأون منهم.

فهذا الشيخ علي الميلاني - من كبار علماء الشيعة اليوم - يقول في كتابه (عدم تحريف القرآن ص ٣٤) مدافعاً عن المجرم (الميرزا نوري الطبرسي) مؤلف كتاب (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب): (الميرزا نوري من كبار المحدثين، إننا نحترم الميرزا النوري، الميرزا نوري

١- مرآة العقول ١٢/٥٢٥

٢- الدرر النجفية للمحدث يوسف البحراني ص ٢٩٨

رجل من كبار علمائنا، ولا تتمكن من الاعتداء عليه بأقل شيء، ولا يجوز، وهذا حرام، إنه محدث كبير من علمائنا!

ويقول آية الله العظمى علي الفاني الأصفهاني في كتابه (آراء حول القرآن) بعد أن ذكر القائلين بالتحريف ورد على شبهاتهم: (الثاني: أن القائلين بالتحريف أوقعهم في شبهة التحريف كمال ورعهم وجمودهم على الأخبار وعدم دقتهم في أسانيدهم ودلالاتها، وإلا فليس القول بالتحريف خرافة إذ هي ما لا أساس لها كالتقصص الخيالية والأوهام المنسوجة والأحاديث المفتعلة الكاذبة)^(١)!

انظر إلى التلطف بالعبارة مع القائلين بالتحريف وإلى إعدارهم بل والثناء عليهم ووصفهم بالورع! يا لذلك الورع البارد!

بينما لا يجد علماء الشيعة الاثني عشرية أدنى حرج في إطلاق ألفاظ الكفر والردة على الفريق الثاني (أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم)!

فإن تساءلت: ما ذنب هؤلاء الصحابة؟ هل عبدوا غير الله؟ هل طعنوا في كتاب الله؟ ليس هذا ولا ذلك، إنها هو جرم أكبر... أعطوا الخلافة لأبي بكر ولم يعطوها لعلي بن أبي طالب!

هل بشر القرآن الصحابة بردتهم وكفرهم؟

إنه من السهل على المرء أن يمسك بين يديه القرآن الكريم ويُقلّب صفحاته يميناً وشمالاً ثم يختار منه ما يشاء من آيات ويُفسرها بالتفسير الذي يخلو له ويناسب هواه دون أدنى فهم للسياق الذي جاءت به والمعاني التي اقتضاها ذلك السياق، كأن يُفسر لك قوله تعالى حكاية عن قول يعقوب عليه السلام ﴿يَتَأَسَفُ عَلَى يَوْسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤] بأن يعقوب عليه السلام لم يكن يبكي على ابنه النبي الكريم يوسف عليه السلام وإنما على يوسف ابن الجيران الذي تُوفي بالأمس وبكى عليه أهل الحي!!

وقد يأتي لقوله تعالى ﴿وَالْحَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لَتَرَكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النحل: ٨] ليقول بأن أسماء تلك الحيوانات ما هي إلا كنايات عن قبائل أو عائلات بينه وبينها نزاع طويل، تماماً كما يفعل العياشي^(١) مثلاً مع قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: ٩٠] حين يفسر الكلمات الثلاث (الفحشاء والمنكر والبغي) بأنها ولاية أبي بكر وعمر وعثمان!

أو كما فعل الكليني^(٢) مع قوله تعالى ﴿وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧] حين يذكر أن المراد بهذه الكلمات الثلاث (أبو بكر وعمر وعثمان)!

١- تفسير العياشي ٢/٢٦٧-٢٦٨ رواية رقم (٦٢) بلفظ (الأول والثاني والثالث) والقمي في تفسيره

٣٨٨/١ بلفظ (فلان وفلان وفلان) بدلاً من التصريح بأسماء الخلفاء الثلاثة.

٢- الكافي ١/٤٢٦ (باب فيه نكت وتنف من التنزيل في الولاية) - حديث رقم (٧١)، ومناقب آل أبي طالب

والأمثلة في ذلك تطول.. والتلاعب بكتاب الله مستمر ما دامت التعصبات قائمة في نفوس أصحابها.

لكنني أرمي إلى قضية أخرى بالغة الأهمية وهي أنّ لتفسير القرآن الكريم أصوله وقواعده التي يُفسر من خلالها وإلا كان العوبة للجميع، العوبة لكل حزب ولكل فرقة وملة!!
ولذا ينبغي للمفسر قبل الشروع في تفسير آية أن يُحيط بسبب نزولها وهل نُسخت أم لا؟ وأن يكون ملماً باللغة العربية إماماً جيداً مع فهم سياق الآيات وما ترمي إليه وما وجه ترابطها وتناسبها بما قبلها وما بعدها.

ولو أنّ طاعناً لم يرد الطعن في الصحابة بل في الرسول ذاته باستخدام هذا النمط من التفسير الذي يفسر به القمي والعياش والكليني وغيرهم معتمداً على الهوى لا على الأصول العلمية للتفسير لكان له ذلك، تماماً كما يفعل المستشرقون والقساوسة عادة في الآيات التي تخاطب النبي عليه الصلاة والسلام!!

قارن بين أقوال جولدزيهر وأمثاله من المستشرقين في رسول الله وأساليبهم في التعامل مع النصوص التي تتضمن عتاب الله تعالى لنيبه صلى الله عليه وآله وسلم على أمر فعله كمنحو قوله تعالى ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣] أو ﴿يَنبَأُهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التحریم: ١] وبين استغلال التيجاني مثلاً للآيات التي تعاتب الصحابة على تباطؤهم بالقتال أو على خطأ وقعوا فيه أو تقصير للطعن فيهم والتشنيع عليهم ووصفهم بالردة والكفر!

وجهان لعملة واحدة، وعليك أن تعي ذلك جيداً..

نموذجين حيين للمزاجية في تفسير النصوص الشرعية

ليس من الإنصاف للحقيقة أن يعطي المرء رأيه في مسألة دون نقاشها أو دراستها، إذ أنّ الحقائق تعرف بالدراسة والبحث لا بالعاطفة والأحاسيس والكشف الصوفي، ولذا آليت على نفسي أن أقرأ أهم ما استدل به الشيعة الاثنا عشرية على ردة الصحابة وانقلابهم على أعقابهم ثم أسطر بعد ذلك الحقيقة التي خرجت بها من ذلك البحث.

أ- آية آل عمران

استدل الشيعة الاثنا عشرية بقول الله تعالى في كتابه العزيز (وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٣﴾) وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴿١٤٤﴾ أَفَأَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾) [آل عمران: ١٤٣-١٤٤].

وادّعى التيجاني^(١) أنّ هذه الآية صريحة في الدلالة على انقلاب الصحابة بعد رسول الله وعدّ الصحابة المتقلبين على أعقابهم هم الكثرة الغالبة من الصحابة فيما ثبت من الصحابة قلة قليلة وهي الفئة التي ترى الشيعة الاثنا عشرية ثبوتها على الإسلام.

ويطبّق التيجاني ومن سبقه إلى هذا الفهم من علماء الشيعة الاثني عشرية هذه الآية على ما حصل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حادثة السقيفة بانتخاب أبي بكر خليفة المسلمين!! ولي مع هذه الدعوى وقفات أقول فيها:

أولاً: لقد نصت كتب التفسير عند أهل السنة وكذا كتب التاريخ وبعض كتب الشيعة الاثني عشرية على أن هذه الآية قد نزلت في واقعة محددة وهي (غزوة أحد)، فما الذي حوّلها إلى سقيفة بني ساعدة وإلى الصراع السني الشيعي الاثني عشري؟!!

وكأنّ التيجاني وكتب الشيعة المعاصرين لم يقرأوا ما قاله المفسر الشيعي محمد جواد مغنية في تفسيره الكاشف من أنّ الآية تشير (إلى واقعة معينة وهي وقعة أحد)^(١) أو ما قاله آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره (الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل): (سبب النزول أنّ الآية الأولى من هاتين الآيتين ناظرة أيضاً إلى حادثة أخرى من حوادث معركة أحد، وهي الصيحة التي ارتفعت فجأة في ذروة القتال بين المسلمين والوثنيين أنّ محمداً قد قتل)^(٢).

وقد كانت لموقعة أحد ظروفها الخاصة وملابساتها ولذلك جاءت الآيات الكرييات في سورة آل عمران وفقاً لتلك الظروف والملابسات، واستخدام الآية الكريمة للاستدلال على وقائع أخرى كحادثة السقيفة أو موقعة الجمل لا يخلو من غرابة ومن مزاجية.

فالاستدلال بها على قضية الإمامة أو حادثة السقيفة أو موقعة الجمل استدلال مزاجي، لا يمتّ للمنهجية العلمية بصلة.

ثانياً: تعتبر هذه الآية من أكبر الدلائل على عظم إيمان أبي بكر وحكمته وتفانيه في الدفاع عن دين الله، فموقفه الثابت يوم أن تُوفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير شاهد على ذلك... يوم أن وقف وقفته الثابتة مخاطباً الناس بعد ما أصابهم الوهن والضعف على فقد رسول الله فقال: (إنّ الله عز وجل يقول ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِيَّاهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]) ويقول ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أُنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ

١- الكاشف ٢/ ١٦٩

٢- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ٢/ ٧١٧

يَضُرَّ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ [آل عمران: ١٤٤] فمن كان يعبد الله عز وجل، فإن الله عز وجل حي لا يموت، ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات).

وموقفه الصارم من الذين ارتدوا على أعقابهم واستبدلوا الإيمان بالكفر فاتبعوا مسيلمة وسجاح وطليحة بن خويلد والأسود العنسي وأمثالهم، ومن الذين قالوا نصلي ولا نركي فأسقطوا شعائر الإسلام بالهوى لأروع مثال على عظمة أبي بكر والصحابة وعلى حرصهم على الدين.

وقد روى الطوسي في كتابه (الأمالي) ما يؤكد هذه الحقيقة:

فعن إبراهيم أنه قال: ارتد الأشعث بن قيس وناس من العرب لما مات النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: نصلي ولا نؤدي الزكاة، فأبى عليهم أبو بكر ذلك، وقال: لا أحل عقدة عقدها رسول الله، ولا أنقصكم شيئاً مما أخذ منكم نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولأجاهدكم، ولو منعتموني عقلاً مما أخذ منكم نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم لجاهدكم عليه ثم قرأ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ حتى فرغ من الآية...^(١).

علّق المجلسي على هذه الرواية قائلاً: (أقول: قال ابن طاووس: ذكر العباس بن عبد الرحيم المروزي في تاريخه (لم يلبث الإسلام بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في طوايف العرب إلا في أهل المدينة وأهل مكة وأهل الطائف، وارتد ساير الناس ثم قال: ارتدت بنو تميم والرياب واجتمعوا على مالك بن نويرة اليربوعي وارتدت ربيعة كلها وكانت لهم ثلاثة عساكر: عسكر باليامة مع مسيلمة الكذاب، وعسكر مع معرور الشيباني، وفيه بنو شيبان وعامة بكر بن وائل، وعسكر مع الحطيم العبيدي، وارتد أهل اليمن، ارتد الأشعث بن قيس في كندة، وارتد أهل مأرب مع الأسود العنسي، وارتدت بنو عامر إلا علقمة ابن علاثة)^(٢).

١- أمالي الطوسي ص ٢٦٢ حديث رقم (٤٨٠) وبحار الأنوار ٢٨ / ١١

٢- بحار الأنوار ٢٨ / ١٢

فقد (ارتد بسبب موت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولما حصل لهم من الضعف جماعات من الناس، قوم ارتدوا عن الدين بالكلية وقوم ارتدوا عن بعضه، فقالوا: لا نصلي ولا نزكي، وقوم ارتدوا عن إخلاص الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم فأمنوا مع محمد بقوم من النبيين الكذابين كمسيلمة الكذاب وطليحة الأسدي وغيرهما، فقام إلى جهادهم الشاكرون الذين ثبتوا على الدين، أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المهاجرين والأنصار والطلقاء والأعراب ومن اتبعهم بإحسان، الذين قال الله عز وجل فيهم ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، هم أولئك الذين جاهدوا المنقلبين على أعقابهم الذين لم يضروا الله شيئاً.

وما أنزل الله في القرآن من آية إلا وقد عمل بها قوم، وسيعمل بها آخرون، فمن كان من الشاكرين الثابتين على الدين، الذين يحبهم الله - عز وجل - ورسوله، فإنه يجاهد المنقلبين على أعقابهم، الذين يخرجون عن الدين، ويأخذون بعضه ويدعون بعضه كحال هؤلاء القوم المجرمين المفسدين، الذين خرجوا على أهل الإسلام، وتكلم بعضهم بالشهادتين، وتسمى بالإسلام من غير التزام شريعته^(١).

لكن ما حيلتنا مع من يجادل عن بعض أصناف أهل الردة ويتأول لهم قائلاً بأن اتفاقهم على منع الزكاة لا يعني ردتهم في حين لا يجد أي حرج في توجيه السهام إلى أبي بكر والصحابة الذين انتصروا للإسلام وثبتوا على دين الله بعد خذلان أكثر الناس له والطعن فيهم والقول بردتهم وانقلابهم على أعقابهم من أجل عدم إعطائهم الخلافة لعلي!

إن هؤلاء العاذرين لا يجهلون عظم فريضة الزكاة التي قرنها الله بالصلاة مراراً في القرآن بل يجهلون حتى أحاديث أهل البيت التي بينت بكل وضوح أنّ ما فعله أبو بكر تجاه مانعي الزكاة هو عين الصواب، وأنّ فعله ذلك علامة فقهه رضي الله عنه.

روى الكليني في الكافي عن الإمام جعفر الصادق أنه قال: (من منع قيراطاً من الزكاة فليس بمؤمن ولا مسلم، وهو قوله عز وجل ﴿رَبِّ أَرْجِعُونِ ﴿١١﴾ لَعَلِّيَ أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٢﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠]، وفي رواية (لا تقبل له صلاة)^(١).

وعنه أيضاً عن الإمام جعفر الصادق أنه قال: من منع قيراطاً من الزكاة فليمت إن شاء الله يهودياً أو نصرانياً^(٢).

وعنه أيضاً عن الإمام محمد الباقر أنه قال: (إنّ الله عز وجل قرن الزكاة بالصلاة، فقال ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣] فمن أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة لم يُقم الصلاة)^(٣).

فأين هذه الأحاديث الواضحة وكذا فعل الإمام علي الذي وقف جنبا إلى جنب مع الخليفة الراشد أبي بكر الصديق في تلك المحنة من التيجاني وشرف الدين الموسوي وفلان وفلان من أئمة وعلماء الشيعة الاثني عشرية الذين ما زالوا يدندون حول قضية قتال مانعي الزكاة محاولين تبرئة ساحتهم ورمي أبي بكر والصحابة بالمقابل بالأباطيل والردة!

أبو بكر... ذلك الرجل الذي عاش قضية الإسلام فكانت شغله الشاغل، والذي يذكر ابن شهر آشوب في كتابه (متشابه القرآن) في تفسير قول الله عز وجل ﴿أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ (فهذا عام

١- الكافي ٣/٥٠٣ (باب منع الزكاة) حديث رقم (٣)

٢- المصدر نفسه - حديث رقم (١٤)

٣- الكافي ٣/٥٠٦ (باب منع الزكاة) - حديث رقم (٢٣)

في جميع المواضع ويدخل فيه سجدة الشكر بعد الصلاة، وقد سجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أتى برأس أبي جهل، وسجد علي لما وجدوا ذا الثدية، وسجد أبو بكر لما بلغه فتح اليمامة وقتل مسيلمة^(١).

رجل يسجد شكراً لله وفرحاً بانتصار الإسلام وهلاك مدع النبوة مسيلمة، ومع ذلك يُتهم بالردة والانقلاب عليه عقبيه!... يُتهم في عرضه وفي دينه وفي كل شيء!
أما الشاعر الإيماني الذي قاتل تحت لواء الصحابة مسيلمة ومن معه فيذكر النوري الطبرسي في مستدرك الوسائل ١١٣/١١ عن الإمام علي بن الحسين أنه قال: كان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم مسيلمة (يا أصحاب سورة البقرة).
يا له من شعار... ويا لعظمة أولئك الرجال.

أيها القارئ... إن النصوص التي ذكرتها لك ودلت بمجموعها على تفاني هؤلاء الرجال في نصرة هذا الدين وعلى رأسهم الخليفة الراشد أبي بكر الصديق، إنما هي حقائق سطرها كتب الشيعة الاثني عشرية الذين احترفوا العن هؤلاء الأخيار ووصفهم بالنفاق والردة وأبشع الأوصاف!
وإن المرء ليعجب من أولئك الذين يدعون اتباع أئمة أهل البيت والتمسك بهديهم، أين هم عن مثل هذه الروايات؟ وأين أخلاقهم عن هذه الأخلاق الرفيعة التي تمثلها أهل البيت؟

لقد ضرب لنا الإمام أبي جعفر (محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب) أروع الأمثلة على سلامة الصدر من الحقد على المؤمنين الصادقين حين يمتدح أبا بكر الصديق ويُسميه بـ(الصديق) كما ذكر ذلك الأربلي - وهو من كبار علماء الشيعة الاثني عشرية - في كتابه (كشف الغمة في معرفة الأئمة) عن عروة بن عبد الله أنه قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حلية السيوف، فقال: لا بأس به، قد حلّى أبو بكر الصديق رضي الله عنه سيفه، قلت: فتقول الصديق؟!، قال: فوثب وثبة

واستقبل القبلة وقال: نعم، الصديق نعم، الصديق نعم، فمن لم يقل له الصديق فلا صدق الله له قولاً في الدنيا ولا في الآخرة^(١).

فرحم الله الإمام أبا جعفر... ورحم الله كلماته التي طوتها صحف الأمم ولم تنطق بها ضمائر اليوم.

ثالثاً: قد يجد من يريد الطعن في الصحابة أن حجته في تطبيق الآية الكريمة على مبايعة الناس أبي بكر على الخلافة غير منطقية، فيأتي للنص ليستخدمه كمنطق في أبي بكر والصحابة من خلال غزوة أحد نفسها.

ولذلك أقول بياناً لأحداث تلك الغزوة: في إطار الحديث عن غزوة أحد التي نزلت بسببها تلك الآيات، أشيع بعد هزيمة المسلمين التي كان السبب الجوهرى فيها ترك الرماة لمواقعهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد قُتل.

فانقسم الناس بسبب هذه الصدمة المفاجئة إلى ثلاثة أقسام: قسم استمر على ما هو عليه كأبي بكر الصديق^(٢) وعلي بن أبي طالب وأنس بن النضر وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص وأبي دجانة والزبير بن العوام ورجال من المهاجرين والأنصار.

فحين توجهت السهام تجاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جهة من أرض القتال وأشيع في الجهات الأخرى مقتله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يدركوا ما كان يواجهه رسول الله ومن معه في تلك الجهة، قام خمسة من الأنصار فقاتلوا دون رسول الله رجلاً رجلاً يقتلون دونه، حتى كان آخرهم زياد أو عمار بن زياد بن السكن، فقاتل حتى أثبتته الجراحة، ثم فاءت من المسلمين فئة حتى

١- كشف الغمة ٢/ ٣٦٠

٢- يقول ابن أبي الحديد المعتزلي (الشيوعي الغالي سابقاً) في كتابه شرح نهج البلاغة ١٥/ ٢١: (ولم يختلف الرواة من أهل الحديث في أن أبا بكر لم يفر يومئذ وأنه ثبت فيمن ثبت، وإن لم يكن يُنقل عنه قتل أو قتال، والثبوت جهاد وفيه وحده كفاية).

أجهضوهم عنه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ادنوه مني، فأدنوه منه فوسد قدمه، فمات وخده على قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وترس دون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبو دجانة بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منحني عليه، حتى كثرت فيه النبل، ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال سعد: فلقد رأيتُه يناولني ويقول: ارم فذاك أبي وأمي.. حتى إنه لناولني السهم ما فيه نصل، فيقول: ارم به^(١)!

فأما طلحة بن عبيد الله فيكفيه شرفاً أن سُلت يده وهو يدافع عن رسول الله صلى الله عليه وآله، يقول قيس بن أبي حازم رضي الله عنه: (رأيت يد طلحة شلاءً، وقى بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد^(٢)).

ومن حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: (لما كان يوم أحد وولّى الناس، كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ناحية في اثني عشر رجلاً من الأنصار وفيهم طلحة بن عبيد الله، فأدركهم المشركون، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: (من للقوم؟)، فقال طلحة: أنا، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كما أنت، فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، فقال: أنت، فقاتل حتى قُتل، ثم التفت فإذا المشركون، فقال: من للقوم؟ فقال طلحة: أنا، قال: كما أنت، فقال رجل من الأنصار: أنا، فقال: أنت، فقاتل حتى قُتل، ثم لم يزل يقول ذلك ويخرج إليهم رجل من الأنصار فيقاتل قتال من قبله حتى يُقتل حتى بقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وطلحة بن عبيد الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من للقوم؟ فقال طلحة: أنا، فقاتل

١- تاريخ الطبري ٦٦/٢

٢- رواه البخاري - كتاب المغازي - باب ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا﴾ - حديث رقم

طلحة قتال الأحد عشر حتى ضربت يده فُقطعت أصابعه، فقال: حس، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لو قلت بِسْمِ اللَّهِ، لرفعتك الملائكة والناس ينظرون) ثم ردّ الله المشركين^(١).

وحينما استعصى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صعود صخرة قعد طلحة ليصعد رسول الله عليه فيعتلي الصخرة، فعن الزبير رضي الله عنه أنه قال: (كان على النبي يوم أحد درعان، فنهض إلى الصخرة فلم يستطع، فقعد طلحة تحته حتى استوى على الصخرة، قال الزبير: فسمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (أوجب طلحة)^(٢).

وقد أنزل الله عز وجل خلال تلك الفترة النعاس على المؤمنين وأبقى في قلوب المنافقين الرعب، يقول أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه: (رفعت رأسي يوم أحد فجعلت أنظر، وما منهم يومئذ أحد إلا يميّد تحت حَجَفَتِهِ من النعاس، فذلك قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾^(٣).

ويتحدث عن الطائفة التي لم يغشها النعاس قائلاً: (والطائفة الأخرى المنافقون ليس لهم إلا أنفسهم أجبن قوم وأرعبه، وأخذله للحق)^(٤).

وفي رواية ابن حبان (والطائفة الأخرى المنافقون ليس لهم همّ إلا أنفسهم، أجبن قوم وأذله للحق، يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية، أهل شك وريبة في أمر الله)^(٥).

١- أخرجه النسائي - كتاب الجهاد - باب (ما يقول من يطعنه العدو) - حديث رقم (٣١٥١)

٢- أخرجه الترمذي - كتاب الجهاد - باب (ما جاء في الدرع) - حديث رقم (١٦٩٢) وأحمد في المسند ١٦٥ / ١ حديث رقم (١٤١٧) بسند حسن.

٣- أخرجه الترمذي - كتاب تفسير القرآن - باب (ومن سورة آل عمران) - حديث رقم (٣٠٠٧) وهو

صحيح على شرط مسلم (راجع كتاب الصحيح المسند للوادعي - حديث رقم ٣٦٦)

٤- أخرجه الترمذي - كتاب تفسير القرآن - باب (ومن سورة آل عمران) - حديث رقم (٣٠٠٨) بسند

يقول القرطبي في (الجامع لأحكام القرآن) في تفسيره لقوله تعالى ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]: (يعني المنافقين: معتب بن قشير وأصحابه، وكانوا خرجوا طمعاً في الغنيمة وخوف المؤمنين فلم يغشهم النعاس وجعلوا يتأسفون على الحضور ويقولون الأقاويل).

وقد كان الزبير بن العوام ممن غشيهم النعاس أمانة من الله وفضلاً، يقول الزبير رضي الله عنه: (لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين اشتد الخوف علينا، فأرسل الله علينا النوم، فما متاً من رجل إلا ذقته في صدره، قال: فوالله إني لأسمع قول معتب بن قشير ما أسمعه إلا كالحلم (لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا ههنا) فحفظتها، وفي ذلك أنزل الله ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ لقول معتب^(١).

أما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فمن الثابت في التاريخ أنه كان يقاتل في أحد، فلما دارت الدائرة على المسلمين وأُشيع مقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يترك عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرض المعركة حتى رأى الناس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد روى الطبري بسنده عن ابن إسحاق أنه قال: (فكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وقول الناس: (قُتل رسول الله صلى الله عليه وسلم) كعب بن مالك أخو بني سلمة، قال: عرفت عينيه تزهرا تحت المغفر، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين: أبشروا، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأشار إلي رسول الله أن أنصت، فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به، ونهض نحو الشعب معه علي بن أبي طالب وأبو بكر بن

١- صحيح ابن حبان - ذكر أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه - حديث رقم (٧١٨٠)

٢- أخرجه ابن إسحاق في (المغازي) - ومن طريقه الطبري في (جامع البيان ٤/ ٩٤) وإسحاق بن راهويه في (مسنده) كما في (تخریج أحاديث الكشاف) للزيلعي ١/ ٢٣٣ رقم ٢٤٢ وغيرهم، والسند حسن.

أبي قحافة وعمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام والحارث بن الصمة في رهط من المسلمين.

قال: فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب ومعه أولئك نفر من أصحابه، إذ علت عالية من قریش الجبل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا، فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم عن الجبل، ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صخرة من الجبل ليعلوها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بدئ فظاهر بين درعين فلما ذهب لينهض فلم يستطع، جلس تحته طلحة بن عبيدالله فنهض حتى استوى عليها.

ثم إنَّ أبا سفيان حين أراد الانصراف أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته: أنعمت فعال، إنَّ الحرب سجال، يوم بيوم بدر، (اعل هبل) أي: أظهر دينك.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر: قم فأجبه فقل: الله أعلى وأجل، لا سواء، قتلتنا في الجنة وقتلاكم في النار، فلما أجاب عمر رضي الله عنه أبا سفيان، قال له أبو سفيان: هلم إليّ يا عمر، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ائته فانظر ما شأنه؟ فجاءه فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر، أقتلنا محمداً؟ فقال عمر: اللهم لا، وإنه ليسمع كلامك الآن، فقال: أنت أصدق عندي من ابن قميثة وأبر^(١).

وفي رواية البخاري (فقال أبو سفيان: أفي القوم محمداً؟ ثلاث مرات، فنهاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يُجيبوه، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ ثلاث مرات، ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب؟ ثلاث مرات، ثم رجع إلى أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قُتلوا، فما ملك عُمر نفسه، فقال:

١- رواه الطبري في تفسيره لقوله تعالى ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُحْرَانِكُمْ﴾ من سورة آل عمران، والرواية صححها الألباني في تحقيقه لكتاب (فقه السيرة) للغزالي - حديث

كذبت والله يا عدو الله! إن الذين عدّدت لأحياء كلهم، وقد بقي لك ما يسوءك، قال أبو سفيان: يومٌ بيوم بدر، والحربُ سجال، إنكم ستجدون في القوم مثلاً لم أمر بها ولم تسؤني، ثم أخذ يرتجز: **أُعلُّ هُبْلُ، أُعلُّ هُبْلُ.**

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ألا تحببوه؟ قالوا: يا رسول الله، ما نقول؟ قال: قولوا: الله أعلى وأجل، قال: إن لنا العزى ولا عزى لكم، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ألا تحببوه؟ قال: قالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم^(١).

وعند أحمد بسند حسن (فإذا أبو سفيان يصيح في أسفل الجبل (اعل هبل) مرتين - يعني ألهته - ، أين ابن أبي كبشة؟ أين ابن أبي قحافة؟ أين ابن الخطاب؟ فقال عمر: يا رسول الله، ألا أجيبه؟ قال: بلى، قال: فلما قال (اعل هبل) قال عمر: الله أعلى وأجل، قال: فقال أبو سفيان: يا ابن الخطاب، إنه قد أنعمت عينها، فعاد عنها أو فعال عنها، فقال: أين ابن أبي كبشة؟ أين ابن أبي قحافة؟ أين ابن الخطاب؟ فقال عمر: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أبو بكر وها أنا ذا عمر، قال: فقال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، الأيام دول وإن الحرب سجال، قال: فقال عمر: لا سواء، قتلتنا في الجنة وقتلكم في النار^(٢).

هذا هو عمر الذي ينسبون له الردة والانقلاب على عقبيه يوم أحد!

غير أن الأمانة العلمية تدعوني إلى عدم إغفال رواية القاسم بن عبد الرحمن بن رافع وفيها: انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله^(٣) في رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا ما بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قُتل محمد رسول الله^(٤)، قال:

١- رواه البخاري - كتاب الجهاد والسير - باب (ما يُكره من التنازع والاختلاف في الحرب) - حديث رقم (٣٠٣٩).

٢- مسند أحمد - حديث (٢٦٠٩)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

٣- والحديث ضعيف لأمر متعلقة بالسند وبالمتن كذلك:

فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا كراماً على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم^(١).. لكن توقف هؤلاء الصحب هذه اللحظات لا يعني أنهم لا يوقفوا إلى مواقف مشرفة في هذه الغزوة، ينصرون بها دين الله عز وجل.

فيظهر من هذه الرواية أنّ قسماً من الصحابة فاجأته الصدمة فلم يعد يعرف ماذا يفعل فاكتأب وتوقف عن القتال مع إيمانه برسول الله وحسرتة على موته المفاجئ، فتوقف عن القتال حينها لكنه لم يرتد أو يلحق بعبد الله بن أبي سلول أو بجيش الكفار، وإنما كان أسير الصدمة الكبيرة.

فعل عمر بن الخطاب وبعض الصحابة توقفوا حينها بعد سماعهم لنبأ مقتل رسول الله، ثم لما حفزهم أنس بن النضر دب الحماس في نفوسهم إلى اللحاق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جنان الخلد فقاموا وقاتلوا من جديد.

فأما التي في السند فإن ابن حميد: هو يعقوب بن حميد بن كاسب؛ ضعفه أبو حاتم وغيره، ووثقه بعضهم، وأمره لا يخلو من الضعف.

وسلمة: هو ابن رجاء التميمي، وفيه ضعف أيضاً مقارب لسابقه.

والقاسم بن عبد الرحمن بن رافع بن خديج لا يعرف وروايته هذه منقطعة.

وأما المتن فلأنّ من الثابت بأسانيد صحيحة عند السنة والشيعة أنّ طلحة بن عبيد الله كان ممن يدافع عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين انهزم المسلمون وأنّ يده سُلت بسبب ذلك بينما تذكر هذه الرواية الضعيفة أنه ممن ألقى السلاح، فلو أنّ هذه الرواية صحت وخالفت غيرها من الروايات الصحيحة الثابتة لكفانا ذلك تضعيفاً لها، فكيف وإسنادها ضعيف؟

١- في هذا رد على من يريد الطعن في هؤلاء الصحابة ويدّعي ردتهم، فإنهم بقوا على الإيمان وعلى شهادة أنّ محمداً رسول الله لكن صدمة الإشاعة جعلتهم يختارون ماذا يفعلون، ولو كانوا مرتدين لما قالوا (قُتل محمد رسول الله!) وإنما (قُتل محمد) ولقالوا مثل ما قاله المنافقون (لنلحق بعبد الله بن أبي سلول) أو غيره.

وقسم بقي على الإيثار كمن سبقه ولكنه انسحب من القتال وهم عثمان بن عفان وعقبة بن عثمان وسعد بن عثمان (رجالان من الأنصار)^(١) وغيرهم، وهؤلاء الصحابة قد تجاوز الله عنهم زلتهم في كتابه الكريم بقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ آتَتِ الْجُمُعَانَ إِنَّمَا أَسْتَرَلَهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۗ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٥٥]، فبين الله أنه قد عفا عن جميع من تولى يوم أحد، فدخل فيهم من هو دون عثمان في الفضل والسابقة، فكيف بعثمان الذي قدم للإسلام الكثير؟

روى البخاري أن رجلاً حج البيت فرأى قوماً جلوساً فقال: من هؤلاء القعود؟ قالوا: هؤلاء قريش، قال: من الشيخ؟ قالوا: ابن عمر، فأناه فقال: إني سألتك عن شيء، أتحدثني؟ قال: أنشدك بحرمة هذا البيت، أتعلم أن عثمان بن عفان فرّ يوم أحد؟ قال: نعم، قال: فتعلمه تغيب عن بدر فلم يشهدا؟ قال: نعم، قال: فتعلم أنه تخلف عن بيعة الرضوان فلم يشهدا؟ قال: نعم، قال: فكبر، قال ابن عمر: تعال لأخبرك ولأبين لك عما سألتني عنه: أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه.

وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانت مريضة، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه).
وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فإنه لو كان أحد أعز بيطن مكة من عثمان بن عفان لبعثه مكانه، فبعث عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيده اليمنى: (هذه يد عثمان، فصرّب بها على يده، فقال: هذه لعثمان، اذهب بهذا الآن معك)^(٢).

أما القسم الأخير وهم الذين ارتدوا على أعقابهم فلم أجد في حقهم رواية معتبرة يمكن الركون إليها، فقد رويت في شأنهم روايات ضعيفة جداً لا ترتقي إلى مستوى الاستدلال.

١- تاريخ الطبري ٦٩/٢

٢- رواه البخاري - كتاب المغازي - باب (قول الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ آتَتِ الْجُمُعَانَ﴾) - حديث رقم (٤٠٦٦).

ولعلمهم بعض المغترين بعبد الله بن أبي بن سلول كما يظهر من مجموع الروايات.
فأين هذه الحقائق ممن يمزجون الحق بالباطل فيجعلون أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير
وسعد بن أبي وقاص وغالب أصحاب رسول الله من أهل الردة؟!
ولا يجعلون من الآية دليلاً على ردة هؤلاء في غزوة أحد فحسب بل على ردتهم بعد موت رسول
الله في انتخابهم أبي بكر خليفة للمسلمين! أي إنصاف هذا؟ وأي ضمير يرتضي هذا التجني؟!!

ب- حديث المذادة عن الحوض

ولعل من أبرز ما استدل به الشيعة الاثنا عشرية على ردة الصحابة وانقلابهم على أعقابهم
حديث المذادة عن الحوض والذي روي بأكثر من لفظ عند أهل السنة والشيعة الإثني عشرية.
فقد روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:
(ليردن عليّ ناسٌ من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني فأقول: أصحابي، فيقول:
لا تدري ما أحدثوا بعدك)^(١).

وعن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
يقول: (إني فرطكم على الحوض، من مرّ عليّ شرب، ومن شرب لم يظماً أبداً، ليردن عليّ أقوام
أعرفهم ويعرفوني، ثم يُجال بيني وبينهم)، قال أبو حازم: فسمعتني النعمان بن أبي عياش فقال:
هكذا سمعت من سهل؟ فقلت: نعم، فقال: أشهدُ على أبي سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد فيها:
(فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن غير بعدي)^(٢).
وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (إني على
الحوض حتى أنظر من يرد عليّ منكم، وسيؤخذ ناسٌ دوني، فأقول: يا ربّ منّي ومن أمتي؟،

١- رواه البخاري - كتاب الرقاق - باب (في الحوض) - حديث رقم (٦٥٨٢)

٢- المصدر نفسه - حديث رقم (٦٥٨٣)

فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك؟، والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم. فكان ابن أبي مليكة يقول: اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نُفتن عن ديننا^(١).

وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه (وليرفعن رجال منكم) وفي أخرى (يرد عليّ يوم القيامة رهطاً من أصحابي فيجلون عن الحوض) وفي ثالثة (فإذا زُمرة حتى إذا عرفتهم)^(٢).

وفي رواية ابن المسيّب عن أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم (يرد على الحوض رجال من أصحابي فيحلون عنه)^(٣).

المناقشة:

لقد أغمض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عينيه عن رجال من أصحابه كانوا على الإيمان فزلزل الله عز وجل من في قلبه مرض فارتد عن الإسلام واتبع مسيلمة الكذاب وطليحة بن خويلد والأسود العنسي وسجاح.

يقول المؤرخ الشيعي سعد القمي في كتابه (المقالات والفرق): (وارتد قوم فرجعوا عن الإسلام، ودعت بنو حنيفة إلى نبوة مسيلمة وقد كان ادعى النبوة في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبعث أبو بكر إليهم الخيول عليها خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي فقاتلهم وقتل من قُتل ورجع من رجع منهم إلى أبي بكر فسموا أهل الردة)^(٤).

ويقول الإمام علي عن إمساكه عن بيعة الخليفة الراشد أبي بكر في بادئ الأمر ثم مبايعته لأبي بكر ومؤازرته له وللصحابة في دحر المرتدين (فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة للناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم فخشيت إن لم أنصر

١- المصدر نفسه - حديث رقم (٦٥٩٣)

٢- المصدر نفسه - حديث رقم (٦٥٧٦) و(٦٥٨٥) و(٦٥٨٧)

٣- المصدر نفسه - حديث رقم (٦٥٨٦)

٤- المقالات والفرق ص ٤

الإسلام وأهله أن أرى ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل..^(١).

ويقول: (فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر فبايعته ونهضت في تلك الأحداث حتى زاغ الباطل وزهق، وكانت كلمة الله هي العليا ولو كره الكافرون، فتولى أبو بكر تلك الأمور فيسرّ وسدد وقارب واقتصد فصحبته مناصحاً وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهداً)^(٢).

ولذلك وجد الشيخ محمد كاشف آل الغطاء نفسه مضطراً للاعتراف بهذه الحقيقة فقال عن الإمام علي: (وحين رأى أنّ الخليفين - أعني الخليفة الأول والثاني - بذلاً أقصى الجهد في نشر كلمة التوحيد وتجهيز الجنود وتوسيع الفتوح ولم يستأثرا ولم يستبدا، بايع وسالم)^(٣).

أقول: وحديث الحوض يشير إشارة واضحة إلى هؤلاء النفر الذين مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم على الإيمان فانقلبوا على أعقابهم واستبدلوا الإيمان بالكفر فسلب الله عليهم جند الإيمان الأدلة على المؤمنين، الأئمة على الكافرين، فمات من هؤلاء المرتدين من مات ليلقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيُذاد به عن الحوض ورجع إلى الإيمان من رجع (إنّ الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر)^(٤).

لكن ماذا يريد علماء الشيعة الاثني عشرية من إثارة هذا الحديث أمام البسطاء من الناس؟ لعلك أدركت أيها القارئ أنّ علماء الشيعة الاثني عشرية أرادوا الطعن في كبار صحابة رسول الله (أبو بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة والزبير وطلحة وغيرهم) والحديث بالنسبة لهم صيد

١- نهج البلاغة ص ٦٢

٢- الغارات للثقفى ٢/ ٣٠٥، ٣٠٧

٣- أصل الشيعة الاثني عشرية وأصولها ص ١٢٣-١٢٤

٤- مسند أحمد - حديث رقم (٦١٦٠)، قال عنه شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

ثمين، إذ يُمكن لهم أن يجعلوا هؤلاء الصحب ممن أحدثوا بعد رسول الله فيستحقوا البوار والخسران يوم القيامة، هكذا بكل سهولة!

ولذا تجد أنّ علماء الشيعة الاثني عشرية قد اجتهدوا في عدّ وحصر ما يروونه إحدائاً في دين الله من قبل هؤلاء الصحب وألقوا في ذلك المصنفات لإقناع الناس بصحة ما يدّعون في صحابة رسول الله، لكن ماذا يفعل هؤلاء الحماسيون لو أنّ حماسهم ورغبتهم في التشفي من أصحاب رسول الله قابله حماس آخر من أباضي أو ناصبي حاقد على الإمام علي ففعل مع الإمام علي ما يفعله هؤلاء مع باقي الصحابة؟

فالظلم والبهتان لا يُعرف له صاحب، ولا يظنن أحدٌ أنّ الظلم يقع على أناس دون آخرين، وأنّ سهامه التي يوجهها لصحابه رسول الله ستصيب قوماً وتستثني آخرين.

فالحديث عام لا يستثني عمار بن ياسر ولا المقداد بن الأسود ولا أبا ذر ولا سلمان الفارسي ممن يجلبهم الشيعة الاثنا عشرية بل لا يستثني الحديث علياً نفسه!

وكل من في قلبه غل على صحابي يستطيع وفقاً لميزانه الأعوج أن يجعله ممن انقلبوا على أعقابهم!

ولتقرأ معي ما سيقوله الناصبي الحاقد بتمعن وإنصاف لترى كيف يُمكن للنظرية الشيعية أن تنسف نفسها بنفسها!

على أي منذ البداية أبرأ إلى الله من الطعن في الإمام علي صراحة أو ضمناً، فالإمام علي إمام هدى، وله من المكانة والتقدير في قلوبنا ما يستحقه أمثاله من أرباب المناقب والمآثر العظيمة إلى جانب قرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلا نرتضي فيه طعناً أو انتقاصاً كما لا نرتضي ذلك في باقي الصحابة.

لكني أريدك أيها القارئ الكريم أن تستشعر معي ظلم الشيعة الاثني عشرية لأبي بكر وعمر
وعثمان وباقي الصحابة، وتلمس كيف يُمكن أن ينقلب هذا الظلم ظلماً لعلّي بن أبي طالب كذلك
حينما تكون الكلمة للناصري والعدو المستهدف هو علي بن أبي طالب.
يقول الناصبي: لقد رأيت في علي بن أبي طالب مثلاً للإحداث بعد رسول الله! ولهذا أبغضته
وتبرأت منه!

ترك الإمامة وهي أعظم أركان الدين والتي وردت فيها روايات شيعية كثيرة في بيان منزلتها
وكونها أصلاً للدين لا يقوم إلا به!
وتخلى عن الزهراء عليها السلام يوم أن ضربت وصُبت عليها المصائب!
ولم يقدم تجاه قضية فدك المغصوبة أي شيء فلم ينتصر ل بنت رسول الله!
وحكّم الرجال في كتاب الله وكل من شارك في التحكيم كافر (علي وأبو موسى الأشعري
ومعاوية وعمرو بن العاص).

وحجتي في الحديث ظاهرة، فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد قال في نص
الحديث: (فأقول: يا رب مني ومن أمّتي؟).
وفي هذا دلالة قاطعة على أنّ المراد بالحديث هو علي بن أبي طالب!
فإنكم تروون عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في علي بن أبي طالب: (علي مني
وأنا من علي)، تلك قرينة!

وقرينة أخرى أستدل بها على أنّ المراد بالحديث (علي بن أبي طالب) هي إخبار النبي صلى الله
عليه وآله وسلم عن المبدلين من بعده بقوله: (أمراء يكونون من بعدي فمن غشي أبوابهم،
فصدّقهم في كذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولا يرد عليّ الحوض)^(١)، وقد

١- جامع الترمذي - كتاب الزكاة - باب (ما ذكر في فضل الصلاة) - حديث رقم (٦١٤)، قال الألباني:
حديث صحيح.

غشي علي بن أبي طالب الظلمة أبا بكر وعمر وعثمان^(١) وكان مستشاراً ووزيراً لهم كما تشهد بذلك كتب الشيعة الاثني عشرية من أولها إلى آخرها.

وقد توعدده الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث بسحب المنزلة التي أُعطيت له بقوله (فليس مني ولست منه ولا يرد عليّ الحوض).. لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كان يعلم بما سيحدثه من بعده من الركون للظلمة وحب الدنيا والأعطيات والامتيازات.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم (فإذا جئتم قال الرجل: يا رسول الله، أنا فلان بن فلان، فأقول أما النسب فقد عرفته ولكنكم أخذتم بعدي ذات الشمال وارتددتم على أعقابكم القهقري)^(٢) يؤكد تماماً أنّ المراد بالحديث هو علي بن أبي طالب لا غيره!!

فالرجل الذي أتى رسول الله لم يقل له (أنا فلان بن فلان) لتعريف النبي صلى الله عليه وآله وسلم به، لأنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد صرّح بالحديث ذاته بمعرفته له ولمن معه فقال: (أما النسب فقد عرفته) وقال: (أعرفهم ويعرفوني) لكن الرجل أراد الإشارة إلى نسبه وقربه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ظناً أنّ ذلك سيسفّع له فيجيبه الرسول بقوله (أما النسب فقد عرفته) أي أنّ النسب والقراية لها مقامها لكن ليس مع الإحداث من بعدي، وهذا ما حصل حين تركت ابنتي تُضرب ولم تفعل شيئاً وحين فعلت كذا وكذا.

ويقول الناصبي: وما يؤكد أنّ ذلك الرجل هو علي بن أبي طالب هو صدر حديث المذادة عن الحوض حيث يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (ترعمون أنّ قرابتي لا تنفع قومي، والله إنّ رحمي موصولة في الدنيا والآخرة، إذا كان يوم القيامة يُرفع لي قوم يُؤمر بهم ذات اليسار، فيقول

١- وفقاً لرؤية الشيعة الاثني عشرية

٢- سيأتي تخرجه.

الرجل: يا محمد، أنا فلان بن فلان، ويقول الآخر: أنا فلان بن فلان، فأقول: أما النسب قد عرفت، ولكنكم أحدثتم بعدي وارتددتم على أعقابكم القهقري^(١).

وفي رواية المفيد والطوسي في (أماليهما) عن أبي سعيد الخدري قال: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول على المنبر: ما بال أقوام يقولون: إنَّ رحم رسول الله لا ينفع يوم القيامة؟ بلى والله إنَّ رحمي لموصولة في الدنيا والآخرة، وإني أيها الناس فرطكم يوم القيامة على الحوض، فإذا جئتم قال الرجل: يا رسول الله أنا فلان بن فلان، فأقول: أما النسب فقد عرفته، لكنكم أخذتم بعدي ذات الشمال، وارتددتم على أعقابكم القهقري^(٢)).

فالرجل قد جاء متصوراً أنَّ رحمه وقرابته ونسبه سيسفعان له إحداثه وتبديله لدين المصطفى، فقرر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الرواية الشيعية أنَّ القرابة شافعة لكنها لن تنفع من أحدث وارتد على عقبيه.

ومما يؤكد أنَّ المراد هنا علي بن أبي طالب هو ما ورد في كتب الشيعة الاثني عشرية من أحاديث كثيرة تفيد أنَّ الناس يُدعون يوم القيامة بأسماء أمهاتهم^(٣)، لكن الرجل الذي أخبر عنه المصطفى

١- مسند أحمد - حديث رقم (١١١٥٤) وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره، ورواه المجلسي- في بحار

الأنوار ٢٣٩/٧ نقلاً عن أمالي الطوسي

٢- الأمالي للشيخ المفيد (المجلس الثامن والثلاثون) ص ٣٢٧-٣٢٨ حديث رقم (١١) والأمالي للطوسي

ص ٩٤ حديث رقم (١٤٤)

٣- روى الحر العاملي في (الفصول المهمة في أصول الأئمة ١/ ٣٤٨) - حديث رقم (٤٣٥) والمفيد في الأمالي ص ٣١١ (المجلس السابع والثلاثون) وفي الإرشاد ١/ ٤٣ (الأخبار الدالة على أنَّ ولايته علم على طيب المولد) والأربلي في كشف الغمة ١/ ١٤٠ عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي (ع): ألا أبشرك ألا أمنحك؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: فإني خلقت أنا وأنت من طينة واحدة ففضلت منها فضلة فخلق منها شيعتنا، فإذا كان يوم القيامة دعي الناس بأمهاتهم إلا شيعتك فإنهم يدعون بأبائهم لطيب مولدهم.

صلى الله عليه وآله وسلم هو من رحم رسول الله، وقد أخبر الرسول الكريم بكل صراحة أن هذا الرجل سيقول (أنا فلان بن فلان) لا (فلان بن فلانة).

ويكمل الناصبي كلامه قائلاً: فإن حاولت الدفاع عن علي بن أبي طالب واستشهدت بحديث لعمار أو سلمان أو المقداد فأخبرك منذ البداية أنهم ممن انقلبوا على أعقابهم مع علي بن أبي طالب والحديث يشملهم، فارتضاءهم له وتزكيتهم له وقبولهم لإمامته كافٍ لاستحقاقهم المصير ذاته، فإن قلت: وأين الأحاديث التي وردت في فضل علي وعمار وفلان وفلان أجبتك بأن فضائل أبي بكر وعمر وفلان وفلان لم تشفع لهم عندكم بل قلتم بانقلابهم على أعقابهم وشككنتم بتلك الفضائل، وكذلك الحال في علي بن أبي طالب ولا فرق!

هذا ملخص كلام الناصبي في الإمام علي بن أبي طالب والمقرين منه.

أقول مخاطباً أرباب الضمائر الحية: هكذا تنسف النظرية الشيعية نفسها بنفسها.. ولن يستطيع الرد على هذا الناصبي الحاقداً إلا أهل السنة، الذين عرفوا لصحابة رسول الله حقهم وفضائلهم وأدركوا أبعاد أحداث الفتنة وأسبابها، وقالوا للناصري وللشيعي الإمامي: على رسلكم... إن الذين أحدثوا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فئة ارتدت عن الإسلام... قاتلها أبو بكر وعلي والصحابة... فلقي حنقه من تلك الفئة من لقي وهو على الكفر، ليذاد يوم القيامة عن الحوض والرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول (أصحابي أصحابي) والملائكة تحببه (إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك).

وفي كتاب صفات الشيعة ص ١٦ عن محمد بن يحيى بن سدير قال: قال أبو عبد الله (ع): إذا كان يوم

القيامة دعي الخلائق بأمهاتهم ما خلانا وشيعتنا فإننا لا سفاح بيننا.

ومن أراد المزيد فليراجع (الفصول المهمة) للحر العاملي الذي ذكر جملة من الروايات في هذا الشأن ثم

أعقبها بقوله: (والأحاديث في ذلك كثيرة جداً)!!

ما أجمل الإنصاف وأندره... وما أجمل أن يدرك المرء المعاني الجليلة التي يذكرها هذا الحديث... لكن ماذا تفعل مع التعصب وأهله.

التعامل مع الصحابة من خلال أخطائهم

الصالح يخطئ ويتعثر بعض الأحيان لكنه سرعان ما يتدارك نفسه ويقف مستوياً من جديد، ذاك رجل عرف الصلاح وحفظ له صلاحه مقامه عند الله وعند الناس رغم تعثره، وما أخل بمكانته ولا بشرفه خطأ أو معصية بشرية لما كانت العصمة في أنبياء الله ورسله دون غيرهم من الناس، فكيف بمن قال الله عنهم ﴿إِلَيْكُمْ وَكَرِهَ قُلُوبِكُمْ فِي وَزَيْنَهُ، الْإِيْمَنَ إِلَيْكُمْ حَبَبَ اللَّهِ وَلَنْ كُنَّ وَالْعَصِيَّانَ وَالْفُسُوقَ الْكُفْرَ﴾ [الحجرات: ٧]؟

هل يمكن أن يُنظر إلى هذه الفئة المزكاه على أنها منافقة وراعية لمصالحها الشخصية وأنها بكبرها وصغيرها إلا قلة لا تتعدى اليد الواحدة مرتدة كافرة؟! كل ذلك من أجل الإمامة التي لا يوجد نص واحد صريح فيها لا يقبل النقاش؟!

رصيد هذه الفئة المؤمنة المجاهدة من هذا الجهاد العظيم ومن الإسلام الذي نشره وأوصلوه إلينا وإلى الأمم أن يُطعن فيهم وفي نزاهتهم وفي عقيدتهم وفي كل شيء.

ولذلك قيل قديماً (بعض الناس مثل الذباب لا يقع إلا على الجرح)، وهذا دأب من لا يعرف في غيره إلا أخطاءهم ليُشنع عليهم ويرميهم بالتهمة، ولا يريد أن يرى فيمن يبغضه ويلعنه إلا كل الشر... إنها منهجية البحث في القمامة كما يصفها المفكرون اليوم.

ولا يخفى على المؤمن النجيب أي بعد عن تعاليم الإسلام وأخلاقه تلك المهاترات التي تجعله ينظر نظرة طعن ونقيصة إلى الصالحين بل إلى أناس تربوا على يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتخرجوا من مدرسته.

إنّ تربية الإسلام علمتنا أنّ المسلم طيب السريرة والقلب كما هو طيب اللسان والتعامل، وأنه أبعد ما يكون عن جمع الزلات وتتبع العثرات لأنّ خلقه الإسلامي يترفع به عن هذا المستوى.

فالرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم هو القائل (إنَّ المؤمن ليس باللعان والطعان ولا الفاحش ولا البذيء)^(١).

وما أجمل ما قاله أحد العلماء الربانيين العارفين ناصحاً تلميذه: (لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل الإسفنجة فيتشربها فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها، فإياها بصفائه ويدفعها بصلابته وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمر عليه صار ممرّاً للشبهات، واعلم أنّ من قواعد الشرع والحكمة أيضاً أنّ من كثرت حسناته وعظمت وكان له في الإسلام تأثير ظاهر فإنه يُحتمل له ما لا يحتمل لغيره ويُعفى عنه ما لا يُعفى عند غيره، فإنّ المعصية خبث والماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث)^(٢).

لكن حينما يتشرب القلب هذه الشبهات ولا ينطق إلا بها، ضارباً بجميل الصحابة عليه عرض الحائط، ناكراً لجهادهم ودعوتهم وللآيات القرآنية المزيّية لهم، فإنّ مكيال الدنيا قبل الآخرة كفيل بأن يُظهر له من الحق والحجة الباهرة ما لم يخطر على قلبه.

١- رواه أحمد في المسند - حديث رقم (٣٩٤٨)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح

٢- مفتاح دار السعادة ١/١٧٦

وبالمكيال الذي تكيل تُكال

إنّ من يكيل الناس بمكيال عليه أن يقبل أولاً أن يكيل نفسه وأحبابه بالمكيال ذاته الذي يكيل به الآخرين... كي يتبين له كم يظلم عدوه ويتجنى عليه دون أن يشعر.

وقد قيل عند أولي الألباب: (كما تدين تُدان وبالمكيال الذي تكيل تُكال)، ذلك أنّ السهم المسموم يقتل صاحبه أيضاً إن جاز له أن يقتل الآخرين.

ومن عادى أولياء الله عز وجل فقد آذنه الله بالحرب وبهتك ستره وبالفضيحة يوم يلقاه. فهؤلاء الذين يتصيدون العثرات لصحابة رسولهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذين دافعوا عنه ونصروه وتركوا أهليهم وأموالهم في مكة مهاجرين في سبيل الله إلى المدينة، ويتصيد للأنصار الذين تقاسموا مع إخوانهم المهاجرين لقمة العيش من أجل الله عز وجل ومن أجل الإسلام، لا بد لهم أن يروا أي ألم وأي جريمة يرتكبون في حق الإسلام وفي حق أنفسهم إذا ما وقفوا يرون السهام التي يجرحون بها الأبرياء هي نفس السهام التي تجرح من يحبون أو من يدعون حبه.

ولو أنّ رجلاً من الخوارج الذين قاتلهم الإمام علي بن أبي طالب بقي الغل في قلبه فأعماه عن رؤية علي بن أبي طالب الحقيقي وأراد أن ينظر إليه بنفس نظرة الشيعة الاثني عشرية لأبي بكر وعمر وباقي الصحابة ويتشفى فيه، فأمسك بيده القلم وبدأ يتقّب في سيرة هذا الإمام العطرة عن خطأ أو ذنب أو زلة لسان لأظهر لك صورة مختلفة تماماً عن صورة هذا الرجل العظيم!!

فبالطريقة ذاتها التي يستخدمها الشيعة الاثنا عشرية في إظهار أبي بكر وعمر وعثمان وباقي الصحابة بمظهر المبذلين لشرع الله المغيرين لسنة رسول الله يمكن لرجل من النواصب أن يُظهر علياً بهذه الصورة!!

إننا على يقين بأننا أحقر من أن نقيّم علي بن أبي طالب.. ذاك الرجل العظيم الذي خالط الإيمان قلبه وتجدد في حياته... لكنني أريد من القارئ المنصف أن يتلمس المعاني التي أريدها من طرح هذه الفكرة.

رؤية ناصبي للإمام علي

لنفترض الآن أن ذلك الناصبي بدأ ينقب في كتب الشيعة الاثني عشرية دون غيرها، ويتصيد العثرات ويعنون لكل ما يسطره من روايات بعناوين توحى بمضامينها حسب فهمه فإن ما سيجده هو الآتي:

الإمام علي والدين

فمن الأمور التي سيفف عليها هذا الناصبي الخبيث المتصيّد للعثرات حديث رواه الحر العاملي في وسائل الشيعة ٣١٧/١٨ عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أعوذ بالله من الكفر والدين، قيل: يا رسول الله، أتعديل الدين بالكفر؟ قال: نعم. فيأتي برواية شيعية أخرى رواها الحر العاملي عن علي بن طاووس بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: قبض علي عليه السلام وعليه دين ثمانمائة ألف درهم، فباع الحسن عليه السلام ضيعة له بخمسمائة ألف فقضاها عنه وباع بيعة له بثلاثمائة ألف فقضاها عنه^(١). ويقول لك الناصبي: انظر.. هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعدل الدين بالكفر، وهذا علي يموت وعليه دين، بالضبط كما يفعل الشيعة الاثنا عشرية عادة مع أبي بكر وعمر وباقي الصحابة، لا يريد المرء منهم أن يتفهم النصوص ولا أن يجمع بينها ولا يتأكد من ثبوتها ولا أن يُحسن الظن ولا أن يعرف لهؤلاء الصحابة فضلهم ويعلم أنهم بشر يخطئون ويصيبون.

١- وسائل الشيعة ٣٢٢/١٨ وكشف المحجة لثمرة المهجة لابن طاووس ص ١٢٥ والحدائق الناضرة في

فأما الشيعي الاثنا عشري فسيقف مبهوتاً أمام هذا الناصبي الخبيث.. كل ما سيفعله أحد أمرين: إما تكذيب الروايات (السابقة منها واللاحقة) أو شتم الناصبي ولعنه، لأنه لن يستطيع الطعن في منهجية ذاك الناصبي، فالمنهجية بينهما مشتركة، هذا يطعن في علي ويستخدم النصوص بغير حق، وذاك يطعن في أبي بكر وعمر والبقية ويستخدم النصوص بغير حق فيهم! فإن قال له الشيعي (الإمام علي له من الفضائل كذا وكذا فكيف تقول عنه هذا وتحمل النصوص ما لا تحتمل) فيقول له الناصبي: (ليست مشكلة، أنتم تناسيتم فضائل أبي بكر وعمر وطعنتم فيهما ولم تجدوا حرجاً في ذلك، فما الحرج في فعلي؟ وعلي عندي ممن أحدثوا في الدين من بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أم أنكم تكيلون خصومكم بغير ما تكيلون به أنفسكم؟).

2- إهانة اسم الله!

وسيستدل الناصبي بما رواه شيخ القميين عبد الله بن جعفر الحميري في كتابه (قرب الإسناد ص ١٥٤) عن جعفر الصادق عن أبيه الباقر قال: (كان نقش خاتم أبي محمد بن علي عليه السلام: العزة لله جميعاً، وكان في يساره يستنجي بها، وكان نقش خاتم علي عليه السلام: الملك لله، وكان في يده اليسرى يستنجي بها).

فيقول: انظر.. هذا هو إمامكم علي يهين اسم الله بهذه الصورة، يستنجي باليد التي وضع فيها خاتماً عليه (الملك لله)! وهذا هو الكفر بعد الإيمان.

أما الشيعي الاثنا عشري فلن يستطيع أن يرد على هذا الناصبي إلا بتكذيب للرواية وشتم للناصبي.

وسيرد عليه الناصبي قائلاً: سبحان الله!.. ها أنتم تقبلون كل الروايات التي تطعن فينا نحن النواصب، وتقبلون كذلك الروايات التي تطعن في أهل السنة وغيرهم من الفرق، وتقبلون قبل كل هذا الروايات الطاعنة في أبي بكر وعمر وعثمان والزبير وطلحة وغيرهم، فما الذي جعل الروايات الطاعنة في علي دائماً ضعيفة مكذوبة، والروايات الطاعنة فينا وفي غيرنا دائماً صحيحة، اللهم إلا الهوى!

وهكذا يفعل الهوى في أصحابه، ولو التزم الفريقان الإنصاف وتقوى الله في تحري الحق ودراسة أسانيد الروايات حق الدراسة لما وجدنا من يطعن في صحابي.

3- اتهام الإمام علي بخيانة صحابي استضافه في بيته!

وسيستدل الناصبي بما ذكره العلامة الشيعي الكبير يوسف البحراني في (الكشكول ٣/ ٧٦):
(قال السيد الجليل المحدث نعمه الله الجزائري في كتابه (زهر الربيع) المشهور بين الناس: وذكر صاحب كتاب (إحقاق الحق) أنّ السبب في تحريمه^(١) متعة النساء أنه أضاف أمير المؤمنين عليه السلام ليلة وأنامه معه في داره، فلما أصبح قال له: يا علي، أأست قد قلت: من كان في البلد فلا ينبغي له أن يبات عزباً؟ فقال عليه السلام: أسأل أختك، وكان عليه السلام قد تمتع بها في تلك الليلة!)!

فإلى هذه الدرجة يصل الانحطاط.. حين يريد هؤلاء التشفي بعمر بن الخطاب رضي الله عنه بنسبة استمتاع الإمام علي بن أبي طالب بأخته!

١- أي تحريم عمر بن الخطاب رضي الله عنه للمتعة هذا مراده، ومتعة النساء حرمها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأحاديث صحيحة صريحة، وإنما وقع المنع منها في زمن خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما بلغه تمتع ربيعة بن أمية بامرأة فحرمها قانوناً من موقعه كخليفة للمسلمين وإلا فتحريمها شرعاً لا يكون إلا من الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وليس لأحد من الناس أن يحرم أو يحلل ما يريد.

بالله عليكم... أمن الدين أم من الأخلاق أن تستضيف رجلاً في بيتك فتنفاجى به وقد تعدى على محارمك بهذه الصورة؟!
أترى هؤلاء الذين يدعون التشيع للإمام علي بن أبي طالب يعرفون شيئاً عن أخلاق ودين وقيم الإمام علي؟!!

خلاصة الكلام

إنّ الروايات السابقة روايات شيعية إثني عشرية لا دخل للنواصب ولا الزيدية ولا أهل السنة ولا المعتزلة ولا أي طائفة بها بل هي شيعية اثني عشرية صرفة، فالحجة فيها قائمة على الإثني عشرية إن استدلت بها النواصب على معتقدتهم في الإمام علي.
إنّ نظرة عوراء لرجل مؤمن مجاهد مبشر بالجنة كتلك التي رأيناها كفيلاً بأن تستوقفك أيها الشيعي المنصف.

إنّ هذه النظرة العوراء التي جعلت فرقة كالخوارج تطعن في الإمام علي على كل ما يُنسب له صحيحاً كان أم ضعيفاً، متناسية فضله وتضحياته للإسلام وطاعته لله وللرسول وجهاده مع الصحابة إلى حد أن باتت تلك الفرقة تكفّره وتلعنه وتطعن فيه ليل نهار!!

هذه النظرة العوراء في حقيقتها هي أخت شقيقة لنظرة عوراء أخرى لا زالت الشيعة الاثنا عشرية تنظر بها إلى صحابة رسول الله الذين قدموا للإسلام ما قدّموا، وضحّوا بأرواحهم وأموالهم ولطخوا الأرض بدمائهم في سبيل رفعة هذا الدين، حتى لا يكاد كتاب شيعي يخلو من طعن في صحابي من صحابة رسول الله، وكأنّ تلك الفئة المختارة لصحبة خاتم الأنبياء والمرسلين لم تكن إلا فتنة تجري وراء الدنيا ووراء مصالحها وأهوائها.

عجباً لأولئك النفر الذين يتصيدون العثرات لأصحاب رسول الله!

أما تفكروا في ذنوبهم؟ أما يخافون من سوء العاقبة والمنقلب وهم يعادون الأخيار ويتهمونهم
بأشنع التهم؟!

خاتمة

وهنا توقف قلبي عن الكتابة وفي محبرتي ما يُسطر الكثير...

لقد تجلت لي الحقيقة بكل أطرافها.

أبصرتها حينما أزلت الغشاوة عن عيني... حينما آليت على نفسي أن أعرف الحق بالدليل.

أبصرتها حينما علمت أن الحقيقة لا تُعرف بالعاطفة والحجاسة بل بالدليل والبرهان.

أبصرتها حينما وازنت بين ما تطرحه العقيدة الشيعية وبين ما يطرحه القرآن وتطرحه السنة

النبوية.

أبصرتها حينما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لن يساخنني على كلمة سوء أقولها

في زوجاته وآل بيته وأصحابه.

أبصرتها حينما علمت أن الغلو في الصالحين هو داء الأمم السابقة الذي به تنكبوا عن الطريق.

فيا أيها الشيعي المنصف الحر... هذه حقائق تتحرك لها الجبال الرواسي ولست أطالبك بأكثر

من التفكير فيها ووزنها بميزان العقل والمنطق.

فكّر ملياً وتفحص كلامي تفحص الباحث عن الحق، ولا يذهب بك التعصب بعيداً وأنت

تقرأ قول الله تعالى ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ ﴿٧٧﴾ رَبَّنَا إِنَّا أَلَمَّا

ضَعَفَيْنَ مِنْ الْعَذَابِ وَالْعَنَتِمْ لَعْنَا كَبِيرًا ﴿٧٨﴾.

فلا تكن ممن قال الله فيهم ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ حين جعلوا

أحبارهم ورهبانهم حكماً على الدين ولم يجعلوا الدين حكماً عليهم، وجعلوا أقوال علماءهم

وتشريعاتهم حكماً على حكم الله ورسوله.

هذه كلمات ناصح... في زمن ندر به الناصحون.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمد الخضر

رمضان ١٤٢٣ هـ ١٩

٢٤/١١/٢٠٠٢ م

مراجع البحث

- ١- القرآن الكريم - كتاب الله الخالد الذي لا يأتيه الباطل من يديه ولا من خلفه.
- ٢- أثر الإمامة في الفقه الجعفري وأصوله - د. علي السالوس - دار الثقافة - قطر - طبعة ١٩٨٥ م.
- ٣- إحقاق عقائد الشيعة - لآية الله محمد الوحيدى - تحقيق الشيخ هاشم الصالحى - نشر محمد الوفاى - الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.
- ٤- إحياء علوم الدين - لأبى حامد الغزالى - دار الفكر العربى - دار نهر النيل.
- ٥- الاختصاص - الشيخ المفيد - تحقيق على أكبر غفارى ومحمود الزرندي - دار المفيد - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- ٦- آراء حول القرآن - آية الله العظمى الفانى الأصفهاني - دار الهادي - الطبعة الأولى ١٤١١ هـ.
- ٧- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد - مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث - دار المفيد - لبنان - الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- ٨- استجلاب ارتقاء الغرف بحب أقرباء الرسول وذوي الشرف - محمد بن عبد الرحمن السخاوي - تحقيق خالد بن أحمد بابطين - دار البشائر الإسلامية - ٢٠٠٠ م.
- ٩- أصل الشيعة وأصولها - الشيخ كاشف الغطاء - تحقيق علاء آل جعفر - مؤسسة الإمام علي - الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ.
- ١٠- أصول علم الرجال - الدكتور عبد الهادي الفضلي - الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية - الطبعة الأولى ١٩٩٤ م.

- ١١- الاعتصام - للشاطبي - تحقيق سليم بن عيد الهلالي - دار ابن عفان - الخبر - الطبعة الثانية ١٩٩٣م وطبعة محمد رشيد رضا - دار المعرفة - بيروت.
- ١٢- الاعتقادات في دين الإمامية - الشيخ الصدوق - تحقيق عصام عبد السيد - دار المفيد - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ١٣- إعلام الوري بأعلام الهدى - الفضل بن الحسن الطبرسي - مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - الطبعة الأولى - ربيع الأول ١٤١٧هـ.
- ١٤- أعيان الشيعة - محسن الأمين - تحقيق حسن الأمين - دار التعارف للمطبوعات - بيروت - لبنان.
- ١٥- إلزام النواصب بإمامة علي بن أبي طالب عليه السلام - مفلح بن الحسين (الحسن) البحراني - تحقيق الشيخ عبد الرضا النجفي - الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
- ١٦- الأمالي - الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد - تحقيق الحسين الأستاذ ولي علي أكبر غفاري - دار المفيد - بيروت - لبنان - طبعة ١٤١٤ - ١٩٩٣م.
- ١٧- الأمالي - شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي - دار الثقافة - قم - الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- ١٨- الإمامة في جذورها القرآنية - عبد الله دشتي - بدون دار نشر! - الكويت - الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.
- ١٩- الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية - جلال الدين محمد صالح - مكتبة ابن تيمية - الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
- ٢٠- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - آية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي.
- ٢١- أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والإحساء والبحرين - الشيخ علي بن الشيخ حسن البلادي البحراني - مؤسسة الأعلمي - بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٩٤م.

- ٢٢- أنوار الملكوت في شرح الياقوت - الحسن بن يوسف (ابن المطهر الحلي) - تحقيق محمد نجمي الزنجاني - مطبعة أمير انتشارات المرضى - الطبعة الثانية ١٣٦٣هـ.
- ٢٣- آية التطهير - رؤية مبتكرة - لآية الله محمد الفاضل اللنكراني وآية الله إشرافي (صهر الخميني) - تحقيق ونشر مركز فقه الأئمة الأطهار عليهم السلام - قم - إيران.
- ٢٤- إيثار الحق على الخلق - محمد بن المرتضى اليماني (ابن الوزير) - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٨٧م.
- ٢٥- إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة - محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني - محمد صبحي بن حسن حلاق - دار ابن حزم - الطبعة الأولى ١٩٩٩م.
- ٢٦- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار - لمحمد باقر المجلسي - طبعة إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ.
- ٢٧- البداية والنهاية - الحافظ ابن كثير - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤٠٨-١٩٨٨م.
- ٢٨- البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية إلى علي - أحمد بن محمد بن الصديق الغماري الحسني - الطبعة الأولى ١٩٦٩م.
- ٢٩- البرهان في تبرئة أبي هريرة من البهتان - عبد الله الناصر - دار النصر - القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
- ٣٠- بل ضللت - لخالد العسقلاني - دار البيارق - الأردن - الطبعة الثالثة.
- ٣١- تاج العروس للزبيدي - طبعة دار الفكر ١٩٩٤م
- ٣٢- تأويل الآيات في فضائل العترة الطاهرة - شرف الدين الحسيني الاستربادي النجفي - مؤسسة الإمام المهدي (ع) - الطبعة الأولى رمضان ١٤٠٧هـ.

- ٣٣- التبيان في تفسير القرآن - لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي - تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي - مكتب الإعلام الإسلامي - الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ
- ٣٤- تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه - أحمد الكاتب - دار الشورى - الطبعة الأولى ١٩٩٧ م.
- ٣٥- تعارض الأدلة الشرعية - آية الله العظمى محمد باقر الصدر - دار الكتاب اللبناني - بيروت - الطبعة الثانية - ١٩٨٠ م.
- ٣٦- تعليقات على ما صححه الحاكم في المستدرک - د. عبد الله بن مراد السلفي - دار الفضيلة - الطبعة الأولى ١٩٩٨ م.
- ٣٧- تفسير الإمام الحسن العسكري - تحقيق مدرسة الإمام المهدي بقم - الطبعة الأولى - ربيع الأول ١٤٠٩ هـ.
- ٣٨- تفسير الإمام الرضا (ع) - الشيخ عزيز الله عطاردي الخبوشاني - المؤتمر العالمي للإمام الرضا - طبعة ١٤٠٦ هـ.
- ٣٩- تفسير العياشي - محمد بن مسعود العياشي - تحقيق هاشم الرسولي المحلاني - المكتبة العلمية الإسلامية - طهران.
- ٤٠- تفسير القرآن العظيم - الحافظ ابن كثير - دار المعرفة - بيروت - لبنان - طبعة ١٤١٢ - ١٩٩٢ م.
- ٤١- تفسير القمي - تحقيق طيب الجزائري - مؤسسة دار الكتاب - قم - الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ.
- ٤٢- تفسير الكاشف - محمد جواد مغنية - بيروت - دار العلم للملايين - الطبعة الثالثة - ١٩٨١.

- ٤٣- التفسير المبين - محمد جواد مغنية - مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر - الطبعة الرابعة ١٩٩٥م - بيروت - لبنان.
- ٤٤- تقريب التهذيب - لابن حجر العسقلاني - تحقيق مصطفى عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.
- ٤٥- تهذيب الأحكام - شيخ الطائفة الطوسي - تحقيق حسن الموسوي الخرساني - دار الكتب الإسلامية - طهران - الطبعة الرابعة ١٣٦٥هـ.
- ٤٦- تهذيب الكمال في أسماء الرجال - الحافظ المزي - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.
- ٤٧- توضيح المقال في علم الرجال - الملا علي كني - تحقيق محمد حسين مولوي - مركز بحوث دار الحديث - الطبعة الأولى - ١٤٢١م.
- ٤٨- ثواب الأعمال - الشيخ الصدوق - تحقيق محمد مهدي الخرساني - منشورات الشريف الرضي - قم - الطبعة الثانية ١٣٦٨هـ.
- ٤٩- جامع الأخبار أو معارج اليقين في أصول الدين - الشيخ محمد بن محمد السبزواري - تحقيق علاء آل جعفر - مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.
- ٥٠- جامع الرواة - محمد علي الأردبيلي - مكتبة المحمدي.
- ٥١- جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام - لابن قيم الجوزية - تحقيق محيي الدين مستو - دار الكلم الطيب وابن كثير - الطبعة الثالثة ١٩٩٦م.
- ٥٢- حتى لا ننخدع - لعبد الله الموصلبي - دار سلامة - القاهرة.
- ٥٣- الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة - يوسف البحراني - مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم.

- ٥٤- حقائق التأويل في متشابه التنزيل - الشريف الرضي - شرح محمد الرضا آل كاشف الغطاء - دار الأضواء - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٨٦ م.
- ٥٥- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - أبو نعيم الأصبهاني - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ.
- ٥٦- خصائص الأئمة - الشريف الرضي - تحقيق د. محمد هادي الأميني - مجمع البحوث الإسلامية - مشهد - ١٤٠٦ هـ.
- ٥٧- الخصائص الحسينية - للشيخ جعفر التستري - انتشارات الشريف الرضي - الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ.
- ٥٨- الخصال - الشيخ الصدوق - تحقيق علي أكبر غفاري - جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم - طبعة ١٤٠٣ هـ.
- ٥٩- الخلاف - شيخ الطائفة الطوسي - تحقيق علي الخراساني وجواد شهرستاني وشيخ محمد مهدي نجف - مؤسسة النشر الإسلامي - قم - الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.
- ٦٠- خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - الإمام النسائي - تحقيق الداني بن منير آل زهوي - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - طبعة ١٤٢١ هـ.
- ٦١- دراية الحديث - الشيخ محمد حسين الحسيني الجلاي - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ٢٠٠٤ م.
- ٦٢- الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية - يوسف البحراني - دار المصطفى لإحياء التراث - الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- ٦٣- الدين بين السائل والمجيب - للحاج ميرزا حسن الخائري الإحقاقي - مكتبة الإمام الصادق العامة - الكويت - الطبعة الثانية ١٩٩٢ م.
- ٦٤- ديوان شعراء الحسين - نشره: محمد باقر الأرواني - طبعة طهران ١٣٧٤ هـ.

- ٦٥- رجال الكشي - الكشي - تحقيق محمد تقي الميدي وأبو الفضل الموسويان - وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.
- ٦٦- الرد الشافي على نجاح الطائي في كتابه صاحب الغار (أبو بكر أم رجل آخر) - علاء الدين البصير - بدون طبعة أو دار نشر.
- ٦٧- رسائل في دراية الحديث - إعداد أبو الفضل حافظيان البابلي - مركز تحقيقات دار الحديث - قم - الطبعة الأولى - ١٤٢٥هـ.
- ٦٨- الرعاية في علم الدراية - الشهيد الثاني - تحقيق عبد الحسين محمد علي بقال - مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي - قم - الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.
- ٦٩- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات - ميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري الأصبهاني - الدار الإسلامية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ٧٠- روضة الواعظين - الفتال النيسابوري - تحقيق محمد مهدي الخرسان - منشورات الشريف الرضي - قم.
- ٧١- الروضة في فضائل أمير المؤمنين - شاذان القمي - تحقيق علي الشكرجي - الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.
- ٧٢- زاد المعاد في هدي خير العباد - لابن قيم الجوزية - تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط - مؤسسة الرسالة - الطبعة الخامسة عشر - ١٩٨٧م.
- ٧٣- زوائد تاريخ بغداد على الكتب الستة - د. خلدون الأحذب - دار القلم - دمشق - الطبعة الأولى - ١٩٩٦م.
- ٧٤- سعد السعود - ابن طاووس - الطبعة الحيدرية - الطبعة الأولى ١٣٦٩هـ.
- ٧٥- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة - محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض - الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

- ٧٦- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية - د. مهدي رزق الله أحمد - دار إمام الدعوة للنشر والتوزيع - الرياض - الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ.
- ٧٧- الشافي شرح أصول الكافي - عبد الحسين بن عبد الله المظفر - مطبعة الغري - النجف - الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ.
- ٧٨- شرح السنة - الإمام البغوي - تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط - المكتب الإسلامي - الطبعة الثانية ١٩٨٣ م.
- ٧٩- الشهاب الثاقب في بيان معنى الناصب - المحدث يوسف البحراني - تحقيق مهدي الرجائي - الطبعة الجديدة الأولى ١٤١٩ هـ - قم.
- ٨٠- الشهاب الثاقب للمحتج بكتاب الله في الرد على الناصب أحمد الكاتب - عالم سبيط النيلي - منشورات القصديّة - بغداد - الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- ٨١- الشيخية - نشأتها وتطورها ومصادر دراستها - محمد حسن آل الطالقاني - الطبعة الأولى - ١٩٩٩ م.
- ٨٢- صحيح السيرة النبوية - ابراهيم العلي - دار النفائس للنشر والتوزيع - الطبعة الثانية ١٩٩٦ م.
- ٨٣- الصحيح من سيرة النبي الأعظم - جعفر مرتضى العاملي - دار السيرة - بيروت - لبنان - الطبعة الرابعة ١٤١٤ هـ.
- ٨٤- الصحيفة السجادية - الإمام زين العابدين - مؤسسة النشر الإسلامي لجامعة المدرسين بقم - طبعة ١٤٠٤ هـ.
- ٨٥- الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم - زين الدين علي بن يونس العاملي البياضي - المكتبة الرضوية لإحياء الآثار الجعفرية.

- ٨٦- الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم - لأبي محمد علي بن يونس النباطي البياضي - تحقيق محمد الباقر البهودي - المكتبة المرتضوية - الطبعة الأولى - ١٣٨٤ هـ.
- ٨٧- صفات الشيعة - الشيخ الصدوق - انتشارات عابدي - طهران.
- ٨٨- الصواعق المحرقة على أهل الرفض الضلال والزندقة - لأبي العباس أحمد بن حجر الهيتمي - تحقيق عبد الرحمن التركي وكامل محمد الخراط - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٩٩٧ م.
- ٨٩- ظفر الأماني في مختصر الجرجاني - لأبي الحسنات محمد اللكنوي - تحقيق تقي الدين الندوي - الجامعة الإسلامية - أعظم كده - الهند - الطبعة الأولى ١٩٩٥ م.
- ٩٠- عقائد الإمامية - الشيخ محمد رضا المظفر - تحقيق د. حامد حنفي داود - انتشارات أنصاريان - قم - إيران.
- ٩١- العقد الثمين في أحكام الأئمة الهادين - المنصور بالله عبد الله بن حمزة - تحقيق عبد السلام بن عباس الوجيه - مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية - الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- ٩٢- العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ - العلامة صالح بن المهدي المقبل - مكتبة دار البيان - دمشق.
- ٩٣- عوالي اللثالي العزيزية في الأحاديث الدينية - ابن أبي جمهور الإحسائي - تحقيق المرعشي والشيخ مجتبي العراقي - مطبعة سيد الشهداء بقم - الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ٩٤- عون المعبود شرح سنن أبي داود - محمد شمس الحق العظيم آبادي - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ.
- ٩٥- عيون أخبار الرضا - الشيخ الصدوق - تحقيق حسين الأعلمي - مؤسسة الأعلمي - بيروت - لبنان - طبعة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

- ٩٦- غاية التبجيل وترك القطع في التفضيل - محمود سعيد ممدوح - مكتبة الفقيه - أبوظبي - الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.
- ٩٧- فاسألوا أهل الذكر - محمد التيجاني السماوي - مؤسسة الفجر (لندن) - ١٩٩١م.
- ٩٨- الفتوح - أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٩٨٦م.
- ٩٩- الفصل في الملل والأهواء والنحل - ابن حزم الظاهري - مكتبة الخانجي - القاهرة.
- ١٠٠- الفصول المهمة في تأليف الأمة - شرف الدين الموسوي - قسم الإعلام الخارجي لمؤسسة البعثة - الطبعة الأولى.
- ١٠١- فضائل الصحابة - لأبي عبد الله أحمد بن حنبل - تحقيق وصي الله بن محمد عباس - دار ابن الجوزي - الطبعة الثانية - ١٩٩٩م.
- ١٠٢- فقه الصادق (ع) - محمد صادق الحسيني الروحاني - مؤسسة دار الكتاب - قم - الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.
- ١٠٣- الفهرست - شيخ الطائفة الطوسي - مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة ١٩٨٣م.
- ١٠٤- الفوائد الرجالية - علي أبو الحسن الموسوي - مكتبة ذوي القربى - الطبعة الأولى - قم - إيران.
- ١٠٥- قرب الإسناد - الحميري القمي - مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث - الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
- ١٠٦- الكافي - الكليني - تحقيق علي أكبر غفاري - دار الكتب الإسلامية - طهران - طبعة ١٣٦٣هـ.

- ١٠٧- كتاب الحجّة - صدر الدين الشيرازي - مؤسسة التاريخ العربي - الطبعة الأولى
٢٠٠٤م.
- ١٠٨- كتاب الشريعة - الإمام محمد بن الحسين الآجري الشافعي - جمعية إحياء التراث
الإسلامي - الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.
- ١٠٩- كتاب العين - الخليل بن أحمد الفراهيدي - مؤسسة دار الهجرة - الطبعة الثانية
١٤٠٩هـ
- ١١٠- كتاب المؤمن - الحسين بن سعيد - مدرسة الإمام المهدي - الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- ١١١- كسر الصنم - للسيد البرقي - ترجمة عبد الرحيم البلوشي - دار البيارق - الطبعة
الأولى ١٩٩٨م.
- ١١٢- كشف الغمة في معرفة الأئمة - الأربلي - دار الأضواء - بيروت - الطبعة الثانية
١٤٠٥-١٩٨٥م.
- ١١٣- كشف المحجة لثمرة المهجة - ابن طاووس - المطبعة الحيدرية - النجف - طبعة
١٣٧٠هـ- ١٩٥٠م.
- ١١٤- كشف المراد - الحسن بن يوسف (ابن المطهر الحلي) - انتشارات مصطفى - قم -
إيران.
- ١١٥- الكشكول - يوسف البحراني - انتشارات الشريف الرضي - الطبعة الأولى ١٣٧٤ هـ
- إيران.
- ١١٦- الكفاية في علم الرواية - الخطيب البغدادي - تحقيق أبو عبد الله السورقي و ابراهيم
حمدي المدني - المكتبة العلمية - المدينة المنورة.
- ١١٧- كمال الدين وتمام النعمة - ابن بابويه القمي الملقب ب(الصدوق) - مؤسسة الأعلمي
للمطبوعات - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى المحققة ١٩٩١م.

- ١١٨- الكنى والألقاب - عباس القمي - تقديم محمد هادي الأميني - مكتبة الصدر - طهران.
- ١١٩- لثلى الأخبار - لعمدة المحققين محمد نبي التويسركاني - منشورات مكتبة العلامة - قم - طبعة ١٤١٣هـ.
- ١٢٠- لؤلؤة البحرين - يوسف البحراني - تحقيق محمد صادق بحر العلوم - دار الأضواء - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية - ١٩٨٦م.
- ١٢١- لسان العرب - ابن منظور - دار إحياء التراث العربي - الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- ١٢٢- لقد شيعني الحسين - إدريس الحسيني - دار النخيل للطباعة والنشر - الطبعة الثالثة ١٩٩٥م.
- ١٢٣- لله وللحقيقة - الشيخ علي آل محسن - دار الهادي - بيروت - الطبعة الأولى - ٢٠٠٤م.
- ١٢٤- اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء (ع) - تحقيق هاشم الميلاني - مؤسسة الهادي - قم - إيران - الطبعة الأولى.
- ١٢٥- مجمع البحرين - فخر الدين الطريحي - تحقيق أحمد الحسيني - مكتب نشر الثقافة الإسلامية - الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.
- ١٢٦- مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرک أبي عبد الله الحاكم - لابن الملقن - تحقيق الشيخ سعد آل حميد - دار العاصمة - الرياض - الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- ١٢٧- مختصر بصائر الدرجات - الحسن بن سليمان الحلي - منشورات المطبعة الحيدرية - النجف - الطبعة الأولى ١٣٧٠-١٩٥٠م.
- ١٢٨- مختصر منهاج السنة - لأبي العباس أحمد بن تيمية - اختصره الشيخ عبد الله الغنيان - دار الأرقم - بريطانيا - الطبعة الأولى ١٩٩١م.

- ١٢٩- مدينة المعاجز - هاشم البحراني - تحقيق الشيخ عزة الله المولائي الهمداني - مؤسسة المعارف الإسلامية - قم - إيران - الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ.
- ١٣٠- مرآة العقول شرح حديث آل الرسول - محمد باقر المجلسي - دار الكتب الإسلامية - الطبعة ١٣٧٩ هـ.
- ١٣١- مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول - المولى محمد باقر المجلسي - دار الكتب الإسلامية - الطبعة الأولى - ١٤٠٨ هـ.
- ١٣٢- المراجعات - عبد الحسين شرف الدين الموسوي - تحقيق حسين الراضي - مؤسسة دار الكتاب الإسلامي - لا توجد سنة طبع.
- ١٣٣- المسائل الفقهية - لآية الله محمد حسين فضل الله - دار الملاك - الطبعة الثامنة - ١٩٩٨ م.
- ١٣٤- مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة - د. ناصر القفاري - دار طيبة للنشر والتوزيع - الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ.
- ١٣٥- مسند الإمام الرضا - الشيخ عزيز الله عطاردي الخبوشاني - المؤتمر العالمي للإمام الرضا - طبعة ربيع الآخر ١٤٠٦ هـ.
- ١٣٦- مشارق الشموس الدرية - عدنان البحراني - المكتبة العدنانية - البحرين.
- ١٣٧- مصباح الفقاهاة - أبو القاسم الخوئي - مكتبة الداوري بقم - الطبعة الأولى المحققة.
- ١٣٨- معاني الأخبار - الشيخ الصدوق - تحقيق علي أكبر غفاري - مؤسسة النشر الإسلامي لجامعة المدرسين بقم - طبعة ١٣٧٩ هـ.
- ١٣٩- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع - عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي - تحقيق مصطفى السقا - عالم الكتب - بيروت - الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ.

- ١٤٠- معدن الجواهر - أبو الفتح الكراجي - تحقيق أحمد الحسيني - الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ - قم.
- ١٤١- معرفة الصحابة عند المحدثين دراسة توثيقية مقارنة - د.أحمد بن عبد الله الباتلي - مكتبة الرشد - الرياض - الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ١٤٢- مغازي الواقدي - للواقدي - مؤسسة الأعلمي - الطبعة الثالثة ١٩٨٩م.
- ١٤٣- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة - ابن قيم الجوزية - دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٤٤- مفردات غريب القرآن - الراغب الأصفهاني - دفتر نشر الكتاب - الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- ١٤٥- المقالات والفرق - سعد بن عبد الله الأشعري القمي - تحقيق محمد جواد مشكور - مركز انتشارات علمي - إيران.
- ١٤٦- مقتطفات ولائية - لآية الله العظمى وحيد خراساني - ترجمة عباس النخي - مؤسسة الإمام للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
- ١٤٧- مقدمة ابن خلدون - دار الفكر - الطبعة الأولى - ١٩٨١م.
- ١٤٨- من فقه الزهراء - آية الله العظمى محمد بن مهدي الشيرازي - المجلد الأول - تحقيق وتعليق مؤسسة الرسول الأعظم - الطبعة الأولى - ١٤١٥هـ.
- ١٤٩- من لا يحضره الفقيه - ابن بابويه القمي - منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم - الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.
- ١٥٠- مناسك الحج - الميرزا جواد التبريزي - الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- ١٥١- مناسك الحج - فاضل اللنكراني - الطبعة الثالثة - ١٣٧٣هـ - قم.

- ١٥٢- مناسك الحج - لآية الله لطف الله الصافي الكلبايكاني - دار القرآن الكريم - الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- ١٥٣- مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب - المكتبة الحيدرية - النجف - طبعة ١٣٦٣هـ-١٩٥٦م.
- ١٥٤- منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل - للشيخ عباس القمي - الدار الإسلامية - بيروت - الطبعة ١٩٩٤م.
- ١٥٥- منتهى المقال في الدراية والرجال - الشيخ حسين عبد الله مرعي - مؤسسة العروة الوثقى - الطبعة الأولى ١٩٩٦هـ-١٤١٧م.
- ١٥٦- منهاج السنة النبوية - تقي الدين ابن تيمية - تحقيق د. محمد رشاد سالم - مؤسسة قرطبة - الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- ١٥٧- موسوعة أهل السنة في نقد فرقة الأحباش - للشيخ عبد الرحمن دمشقية - دار المسلم للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
- ١٥٨- الموضوعات في الآثار والأخبار (عرض ودراسة) - هاشم معروف الحسني - دار التعارف للمطبوعات - بيروت - ١٩٨٧م.
- ١٥٩- ميزان الاعتدال في نقد الرجال - لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي - تحقيق علي البجاوي - دار المعرفة - بيروت - لبنان.
- ١٦٠- النفيس في بيان رزية الخميس - عبد الله دشتي - طبعة الكويت ٢٠٠٢م - بدون دار نشر.
- ١٦١- نهج البلاغة - تحقيق صبحي الصالح - دار الكتاب المصري القاهرة - ودار الكتاب اللبناني - بيروت.

- ١٦٢- نور العينين في زيارة قبر الحسين (ع) - الشيخ محمد حسن الاصطهباناتي - دار الميزان - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٩٩٥ م.
- ١٦٣- هذه هي الحقيقة في شؤون ولاية آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم - الشيخ فاضل الفراتي - الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ.
- ١٦٤- هذه هي مفاهيمنا - للشيخ صالح آل الشيخ - دار البخاري - لا توجد سنة طبعة.
- ١٦٥- ودائع النبوة في الولاية والمقتل - هادي الطهراني - مكتبة دار العلم - ١٣٩١ هـ.
- ١٦٦- وسائل الشيعة إلى مسائل الشريعة - الحر العاملي - مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ.
- ١٦٧- وسائل الشيعة إلى مسائل الشريعة - الحر العاملي - تحقيق الشيخ عبد الرحيم الشيرازي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة الخامسة - ١٩٨٣ م.
- ١٦٨- تطور المباني الفكرية للشيعة في القرون الثلاثة الأولى - د. حسين المدرسي الطباطبائي - نشر نور وحي - إيران - الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ.
- ١٦٩- مرجعية المرحلة وغبار التغيير - جعفر الشاخوري البحراني - دار الأمير - لبنان - الطبعة الثانية ١٩٩٨ م.
- ١٧٠- مقتنيات الدرر وملقطات الثمر - مير علي الحائري الطهراني - دار الكتب الإسلامية - طهران.
- ١٧١- الأمثال في الحديث النبوي - أبي محمد عبد الله بن محمد الأصهباني - تحقيق د. عبد العلي عبد الحميد حامد - الدار السلفية - الهند - الطبعة الثانية ١٩٨٧ م.
- ١٧٢- المكاسب المحرمة - الخميني - مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني - قم - الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ.

١٧٣- العصمة - علي الميلاني - مركز الأبحاث العقائدية - قم - إيران - الطبعة الأولى

١٤٢١هـ.